

خلاصة

تاريخ الكرد وكردستان

من أقدم العصور التاريخية

وضعه باللغة الكردية

العلامة المفصال معالي محمد أمين زكي بك

الوزير العراقي

ونقله إلى العربية وعلق عليه

الأستاذ محمد علي عوني

شركة نوابغ الفكر

القاهرة

ت / ٢٠٢٤٣٥٩٢، فاكس: ٣٧٨٦٥٥٥٣

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩

حقوق الطبع محفوظة للناسر

شركة نوابغ الفكر

١٩ القطامية (القاهرة)

هاتف: ٢٥٩٣٦٤٠٢ فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧

E-mail: nawabgh_elfekr@hotmail.com

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

زكي ، محمد أمين

خلاصة تاريخ الكرد والكردستان من أقدم العصور التاريخية

وضعة باللغة الكردية: محمد أمين زكي

نقله إلى العربية وحلق علبة: محمد علي عوني

- ط ١ - القاهرة: شركة نوابغ الفكر ، ٢٠٠٩

تدمك: ٩٧٨-٩٧٧-٦٣٠٥-٣١-١

١- كردستان - تاريخ

أ- عوني ، محمد علي

ب- العنوان

ديوي: ٩٥٦.٦٧

كلمة المترجم بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الفاطر الحكيم -جلت قدرته- جعل الناس شعوبًا وقبائل، فمهد لهم بذلك السبيل إلى تعارفهم وتأزّروهم على نيل الكمال الذي يبغونه والسعادة التي يَشْدُونَهَا. وقد أرسل جل جلاله خاتم رسله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا لهم إلى ما يسعدهم في معاشهم ومعادهم، ورافعًا ألوية الإخاء بينهم، وذاكرًا لهم أنهم سواسية، لا تفاضل بين طوائفهم إلا بالتسابق إلى الغايات الحميدة. فضرب كل شعب بسهم في سبيل المجد. والإخاء الإسلامي يحتم التعارف بين شعوب الإسلام؛ تسهيلًا للقيام بالواجب المشترك، وتحقيقًا للمثل الأعلى في الحياة الإنسانية. ولا تعارف من غير تعريف. وخير ما يُعرّف الشعوب بعضها ببعض، تدوين كتب خاصة عن تاريخ كل شعب تجتلي ما خفي على الأنظار من أنبائهم وأطوارهم، بعد دراسة شاملة كاملة. إذ بذلك يطلع كل شعب على أحوال الشعوب الأخرى من إخوانه في الدين والإنسانية، فيتعاونون على إحراز قصب السبق في مضمار الرقي البشري بالطريقة التي جرت عليها سنة الله في الكون، ويعلمون شأن الإسلام وشأن شعوبه.

وأما من رأى رقي شعبه في تأخر الشعوب الأخرى، فقد غمرته الأوهام وجهل أن البيت بأفراده، والمدينة بأسرها، والإسلام بشعوبه. وأين للإسلام أن ينهض من دون أن تنهض شعوبه.

وفي المكتبة العربية نقص كبير من ناحية التدوين في تواريخ الشعوب الإسلامية، ولا سيما الشعب الكردي. مع ما له من الخدمات الجلّي في إعلاء شأن الإسلام في ساحات السياسة والقيادة والتأليف في شتى العلوم طوال القرون الإسلامية، خلا ما له من مآثر قومية ومفاخر تاريخية تخص بني قومه. والنقص من ناحية تدوين ذلك كان ملموسًا بصورة توجب الأسى إلى المدة الأخيرة. وقد كنت شعرت بهذا النقص يوم أخذت على

عاتقي سنة (١٩٢٩-١٩٣٠) وضع مقدمة علمية لكتاب «شرفنامه» -وهو كتاب بالفارسية في تاريخ دول الأكراد وإماراتهم في القرون الإسلامية الوسطى- أضمّنها أحدث الآراء والبحوث في أصل الكرد وحدودهم القومية. إذ هالني الأمر حينما لم أهدد إلى كتاب مستقل، أفرده مؤلفه خصيصاً للبحث عن الكرد وكردستان، لا في المكتبة العربية الحديثة ولا في القديمة. على الرغم من البحث والتنقيب في دور الكتب العامة في الشرق والغرب، وسؤال أهل العلم والمعرفة بالمصادر.

وقد تبين لي أيضاً أن هذا النقص ليس بمقتصر على المكتبة العربية، بل تعداها إلى اللغتين الفارسية والتركية: من لغات التدوين الإسلامي في الشرق الأوسط والأدنى، فتجدهما خاليتين -مثل اللغة العربية- من كتاب مستقل شامل يبحث عن الكرد وكردستان في مختلف الأدوار والعصور؛ فلهذا اضطررت للاكتفاء حينذاك ببعض ما ورد عرضاً من المعلومات المبعثرة في ثنایا المطولات من كتب التراجم والتاريخ العام والجغرافيا التاريخية وغيرها من كتب الرحلات والسير.

هذا وقد أقنعتني دراستي العميقة للمصادر العربية والإسلامية العامة، واطلاعي منها على ما يخص الكرد وبلادهم من المعلومات التاريخية والجغرافية بأن تلك المصادر القيمة، وإن لم تحتو على مؤلفات خاصة بالكرد وكردستان، إلا أنها تتضمن شيئاً غير قليل من المعلومات الشائقة عن الكرد وبلادهم.

وعلى ذلك وقيماً بواجب علمي نحو إخواني المسلمين، رأيت أن أجمع بين دفتي كتاب مستقل، كل ما يتعلق بالأمة الكردية وشعوبها العديدة، وأقطارها المختلفة، من المعلومات التاريخية والجغرافية والقومية. ثم أضيف إليها ما تسمح به الظروف وتمس إليه الحاجة من شرح وإيضاح وتصحيح وتحقيق -فأسميه «المكتبة الكردية»، على شاکلة «المكتبة الصقلية» و«المكتبة الأندلسية». ولقد أعددت لذلك العدة باستعارتي للكتب التي

طبعت باسم «المكتبة الجغرافية العربية» في أوروبا منذ عشرات السنين. وأخذت أنقل منها، جميع ما يتعلق بالموضوع، من غير زيادة ولا نقصان.

وبينما أنا عاكف على البحث والتنقيب والنقل والاستنساخ، وإذا بكتاب قيم وضع حديثاً باللغة الكردية (اللهجة الجنوبية الشرقية) عن الكرد وكردستان، يُتحفني به أحد الأصدقاء الأفاضل بالعراق سنة (١٩٣٣). فكان سروري عظيماً لا مزيد عليه. ولدى الفراغ من مطالعته مرات، مطالعة درس وتفهم. أعجبت به إعجاباً كبيراً. إذ وجدت فيه ضالتي المنشودة وغايتي المقصودة فضلاً عن أنه مشتمل على نواحي قيمة بالعناية البالغة، من تاريخ الكرد وكردستان فيما قبل الإسلام، بل فيما قبل الميلاد بثلاثين قرناً. وكلها مقتبسة من مصادر غربية لا يتسنى لمثلي أن يستقي منها شيئاً ولو بعد حين.

فحملني هذا، ولا شك، على العدول عن إخراج تلك الفكرة المختمرة سابقاً في ذهني إلى حيز الوجود. فانصرفت بكل قواي إلى دراسة لغة هذا الكتاب الحديث. وهي اللغة السائدة شمالي العراق الحالي (كردستان الجنوبي).

وخير ما يقدم به هذا الكتاب الفذ للقراء، هو ما قدمه وسماه به مؤلفه المفضل. وهو أنه:

(خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور).

وهو في الحق كتاب قيم. فريد في بابه، صحيح في أسانيده، غني بمصادره لا يستغنى عنه الكاتب الاجتماعي والرجل السياسي والعالم المحقق. ولقد اعتزمت ترجمته إلى اللغة العربية مستعيناً بالله تعالى، ليعم نفعه ولتطلع عليه الأوساط العلمية في الشرق والغرب. لأنه أول كتاب علمي - على ما أعلم - ينقل من اللغة الكردية الحديثة إلى اللسان العربي المبين. إذ سبقت الترجمة من اللغة البلهوية التاريخية (الكردية القديمة) إلى العربية ومنها إلى الفارسية، في صدر الإسلام. كما لا يخفى على ذوي العلم والبصر بالتاريخ.

وقد جاءني خلال ذلك كتب تشجيع وتقدير من جهات عديدة. وزادني تشجيعاً على هذا العمل الخطير بعض من أعزهم من الإخوان الأفاضل، حيث مهدوا لي السبيل لدى العلامة المؤلف، معالي الوزير (وزير المواصلات والاقتصاد بالعراق حينذاك) فمنحني معاليه الإذن بالترجمة وأعرب عن سروره وغبطته بذلك. ثم غمرني بعطفه طوال أيام الترجمة (١٩٣٥-١٩٣٦) إذ سمح لي بالاتصال بمعاليه مراسلة؛ فأخذت أرسله حيناً لاستجلاء غوامض بعض النقط، وحيناً لاستطلاع رأيه في مراجعة النقول ومقارنة النصوص وكتابة بعض الحواشي والتعليقات.

وهنا يجب علي أن أعترف، بأن نقولي ونصوبي التي سبقت الإشارة إليها والتي كنت قد دوت مذكرات بها، قد ساعدتني في مهمتي الجديدة؛ إذ أسعفتني في ضبط الأعلام التاريخية والجغرافية، حسب رسمها في المصادر العربية والإسلامية القديمتين، كما أرشدتني إلى صحة عبارة الأصل من النقول العديدة والروايات المختلفة التي تملأ جوانب الكتاب.

وعلاوة على ما تقدم قرأت كلا من تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير من أولهما لآخرهما، لضبط الحوادث وسني وقوعها، والتحقق من صحة النقل، واستدراك ما قد يكون فات المؤلف من تبيان رقم الصحيفة والجزء وسنة الحادثة، ومن تفصيل ما قد يكون المؤلف أوجزه من الحوادث والأخبار أحياناً.

هذا وقد سلكت طريقاً وسطاً في ضبط الأعلام فجمعت بين طريقة المؤلف المفضال: وهي رسم الأعلام كما ينطق بها أهل بلاد تلك الأعلام، وبين طريقة القدماء من المؤرخين والجغرافيين المسلمين الذين سلکوها في صدر التدوين الإسلامي: وهي طريقة تعريب الاسم برسم الأعلام الأعجمية كما ينطق بها العرب لا كما ينطق بها أهلها من العجم. فمثلاً بلدة (أوشنو- شنو) الأعجمية عربتها المصادر العربية القديمة هكذا

(أشنة)، و(أورمية - أورمي - وورمي) عربت هكذا (أرمية)، و(بيستون) وردت هكذا (بهستون).

وهذا ما حدا بي إلى استعمال حروف أعجمية من نوع الحروف العربية في كتاب عربي، لضبط الأعلام الأعجمية مثل (ك) للجيم كما تنطق بها عامة مصر و(ج) لحرف (Ch- إتش) الإنجليزية و(ز) لحرف (J) الفرنسية. و(ف) لحرف (V) الفرنسية، و(ب) لحرف (P) الفرنسية. ونفذت هذه القاعدة بقدر ما سمحت بها الظروف في المطبعة.

وقد اقتفيت أثر المؤلف المفضل في تعيين الاسم الحالي وتحديد مكانه في مختلف العهود التاريخية، بالنسبة للأعلام الجغرافية. ك(أدسا- الرها- أورفا)، و(الجلولاء- قزلرباط)، و(أرزن أرمينية- غرزان- هرزان)، و(قاليقلا- أرزن الروم- أرضروم) وهكذا. سواء أكان ذلك في صلب الكتاب أم في الحواشي والتعليقات.

ولما كان من واجب المؤرخ المسلم الآن، الجمع بين التاريخين الهجري والميلادي في تدوين التواريخ وتأليف الكتب العلمية، فقد بذلت الجهد لتحويل كل التواريخ الميلادية إلى الهجرية وبالعكس، ثم جمعتها بين قوسين مقدماً الهجري على الميلادي غالباً.

ولا يسعني إلا تقديم أبلغ الشكر إلى جميع الذين آزروني من الأصدقاء الأفاضل في إخراج الكتاب بهذه الحلة العربية القشبية. والله ولي التوفيق وملهم الصواب.

(غرة شوال ١٣٥٨هـ) القاهرة في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٩م

محمد علي عوني

مترجم بديوان جلالة ملك مصر المعظم

مقدمة المؤلف للترجمة العربية

لقد صدرت أصل هذا الكتاب الكردي بمقدمة، قلت فيها إني معترف بأن هذا التأليف الذي هو أول كتاب في تاريخ الكرد بعد كتاب (شرفنامه)، بحاجة إلى التوضيح والتفصيل في نقط كثيرة. وإن تحقيق ذلك من الوجهة العلمية والوطنية من أوجب واجبات النسل الجديد من الناشئة الكردية.

ومع أن ست سنوات قد مضت حتى الآن على طبع هذا الكتاب باللغة الكردية، فلم يظهر خلال ذلك ما يبشر بقيام أحد بذلك الواجب العلمي والوطني. إلا أن هذا لم يويئسني قط ولن يويئسني أبداً. فلذا واصلت هذا الدرس، منتظراً بفروغ الصبر ظهور غيره من المؤلفات، لشبان ذوي تفكير وتحكيم للعقل والمنطق. وقد وفقت لإضافة معلومات قيمة إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب.

وإني واثق من أن هذه الإضافات التي تكاد تكون أكثر من ثمن المجلد الأول، ستسد معظم الفراغ في الأصل الكردي وتزيد من قيمة الكتاب إلى قدر لا بأس به.

٣٨-٢-٥

محمد أمين زكي

مقدمة كيف ألفت كتابي هذا؟

لما زالت كلمة «العثماني» العامة من الوجود في تركيا، وحلت محلها كلمتا التركي والطوراني. شعرت أنا أيضا بطبيعة الحال -كسائر أفراد العناصر العثمانية غير التركية- شعورًا قويًا بقوميتي المستقلة عن الترك. فحملني ذلك على إظهار الشعور القومي الفياض والإحساس بالعاطفة الوطنية القوية.

بيد أني لم أكن أعرف شيئًا عن منشأ القوم الذين أتسب إليهم. إذ لم يكن قد عرضت لي قط، فكرة البحث والتنقيب عن التاريخ القومي الكردي لغاية ذلك العهد، لا في أثناء دراستي ولا فيما بعد ذلك. وما ذلك إلا لأن كلمة «العثماني» الشاملة لجميع العناصر والشعوب الخاضعة للدولة العثمانية، كانت قد خدرت نوعًا ما أعصاب كل واحد منا نحن أبناء القوميات الأخرى. فكنت أسأل نفسي الحين بعد الحين:

إلى أية سلالة -يا ترى- ينتمي الشعب الكردي؟ وما مآثره وتاريخه؟ ولكني ما كنت أستطيع الجواب عن هذا السؤال جوابًا أطمئن إليه. فاضطرت لأن ألقيه على عدة من رؤساء الكرد وعلمائهم. ولاسيما أن اثنين منهم كانا من أساتذة التاريخ، فأوصل أحدهما أصل الكرد ومنشأهم -برواية مضطربة وسند ضعيف- إلى «كرد بن عمرو القحطاني» وجعل الآخر أصل الكرد متحدرًا من سلالة جني من الجان يدعى (جاساد).

لقد تأملت حقًا لسخف هذين الجوابين، فأليت على نفسي بأن أقوم بتحقيق هذه المسألة العويصة فأحل هذا اللغز التاريخي بنفسي. وكنت وقتئذ في الأستانة، فكانت هذه فرصة حسنة للبدء في العمل. فبادرت إلى تخصيص أوقات فراغي من الأعمال الرسمية، للقيام بدراسة هذا الموضوع الخطير.

وشرعت ابتداءً من سنة (١٣٢٨هـ) في العمل، بادئاً بزيارة دور الكتب العامة بالأستانة، وبالرغم من ضيق هذا الوقت الذي خصصته للتنقيب والبحث والمطالعة في تلك الدور، نظرًا لاشتغالي أكثر من ستة شهور من كل سنة في لجنة الحدود في خارج الأستانة، فقد أفدت من مجهودي هذا إفادة تذكر. إذ اطلعت لآخر (١٣٣٠هـ) على بضع مئات من المؤلفات المختلفة والمصادر التاريخية العديدة. واقتبست منها نصوصًا وآراء قيمة، دونت بها مذكرات كثيرة. ثم ساقني القدر بمهمة رسمية إلى أوروبا سنة (١٣٣١هـ). زرت خلالها كثيرًا من المكاتب وخزائن الكتب، ودور الآثار والمحفوظات في (ألمانيا) و(فرنسا). فوفقت على جانب عظيم من المؤلفات النادرة، وجمعت شيئًا كثيرًا من المعلومات عن الكرد وكردستان في مذكرات قيمة؛ فضلًا عن شرائي لبضع عشرات من مؤلفات وكتابات المستشرقين والعلماء الإخصائيين عن الكرد وبلادهم.

هذا ولم يمض على أوبتي من أوروبا مدة كبيرة، حتى قامت الحرب العظمى على قدم وساق، وشغلتنني عن مواصلة هذه الدراسات التاريخية والتحقيقات العلمية. ولما وضعت الحرب العامة أوزارها، شخّصت إلى الأستانة واستأنفت أعمال البحث والتنقيب في جميع مظانها، ولا سيما في الكتب التي صدرت في الموضوع بعد الحرب العظمى. ثم نظمت جميع مذكراتي ونقولي التي جمعتها من هنا وهناك وشرعت في التحرير والتأليف؛ حتى أنجزت منه نحو مائتي صفحة، ولم يمض زمن كبير على هذا؛ إلا وقد حاقت بي مصيبة عظمى في عيد الأضحى (١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م)؛ إذ حدث حريق كبير في الحي الذي أقيم به فاحترق منزلي الذي أسكنه في غيبتني. ولما رجعت إليه وجدت النار قد التهمت جميع ما أعددته وما ألفته في الموضوع، حتى لم تبق لي شيئًا عن نتيجة أبحاثي وما أعددته لها من الأدوات والوسائل، خلال ست سنوات متوالية.

حقًا إن هذه الكارثة الفجائية قضت على آمالي وأوقعتنني في بحر لجي من الألم واليأس. إذ جعلتنني أنصرف مرغمًا عن العمل لتحقيق أمنيّتي تلك مرة أخرى، وبعد أن مضت عشر سنوات على ذلك، وقع نظري ذات يوم من أيام سنة (١٩٢٩م) على «دائرة

المعارف الإسلامية» في مكتبة مجلس النواب بـ(بغداد). فاستعرتة للمطالعة والفحص فوجده مؤلفاً قيماً حديثاً شرعت في وضعه منذ سنة (١٩٠٥م) لجنة علمية مكونة من إخصائيين عالمين ولم تكمله بعد. وقد لفت نظري في المجلد الثاني منه -بالأخص- البحث المستفيض القيم الذي دبجه يراع المستشرق الشهير العلامة (ولادмир مينورسكي) عن الكرد وكردستان. فعكفت على مطالعة هذا البحث مراراً، وأعدت مطالعته مثني وثلاث، بكل شوق وإمعان. فذكرتني هذه المطالعة بأمنيته السابقة، وبعثت فيّ الشوق والحنين إلى استئناف العمل على تحقيقها. فقررت حالاً المبادرة إلى وضع (خلاصة تاريخية للكرد وكردستان من أقدم العصور). وذلك على ضوء هذا البحث القيم وعلى أساسه ومنواله، وتنفيذاً لتلك الرغبة ترجمت قبل كل شيء جميع ما يتعلق بالكرد وكردستان من المباحث المتفرقة في الكتاب المذكور إلى اللغة الكردية، ثم أخذت أبذل الجهد الجهد للحصول على جميع المصادر المدرجة في عقب كل بحث من الأبحاث الخاصة بموضوعنا في الكتاب المذكور؛ فعثرت على بعض منها وعلى غيرها أيضاً من مصادر أخرى.

هذا وقد ساعدني بعض الأصدقاء مساعدة قيمة في البحث عن مصادر خاصة بموضوعي، كما أنني استفدت فائدة كبيرة من إرشاد العلامة «السير سيدني سميث» مدير دار الآثار العراقية، ومن مساعداته العلمية القيمة؛ إذ أمدني جنابه بمؤلفه القيم، وبعده مؤلفات ذات شأن لعلماء آخرين، ثم أردف كل ذلك بمقالة شائقة ضمنها خلاصة دراسته وأبحاثه عن كردستان، ولما أكملت دراستي لهذه الكتب والمصادر المدرجة أسماؤها في آخر المجلد الأول من كتابي هذا؛ شرعت في الجمع والتأليف من أوائل سنة (١٩٣٠م) حيث كانت الفرصة سانحة للعمل المستمر، لعدم تقلدي إذ ذاك منصباً من المناصب الحكومية؛ فاشتغلت مدة عام تقريباً في عمل متواصل وسعي دائم؛ حتى أنجزت خلاله هذا المجلد الأول -وهو يحتوي على (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان)- وقسماً من المجلد الثاني من هذا الكتاب -ويحتوي على (تاريخ الدول الكردية)-. كما أنني أتممت كتابي (تاريخ السليمانية) وقسماً من كتاب (مشاهير الكرد).

وقد رغب إلي بعض من الأصدقاء والخلان في أن أضع مؤلفاتي هذه إما باللغة العربية وإما باللغة التركية - ولم أفعل - ولو فعلته لكان ذلك مني حقاً عملاً غير وجيه؛ إذ ليس من اللائق أن يضع مؤلف كردي تاريخ الكرد وكردستان - الذي لم يؤلفه إلا للكرد أنفسهم - بلغة غير لغة قومه، وإنه وإن كان العلامة الشيخ (إدريس) البدليسي الكردي سبق أن وضع تاريخه المسمى «هشت بهشت»^(١) عن الدولة العثمانية للسلطان بايزيد العثماني باللغة الفارسية؛ فلا ضير عليه في ذلك ولا تثريب؛ لأنه تاريخ غير قومي، ولكن الأمير (شرف خان) البدليسي الكردي لم يكن له أي عذر - على ما أرى - في وضعه كتابه المسمى (شرفنامه) عن الأكراد باللغة الفارسية، لأنه تاريخ قومي للأمة الكردية قبل أي قوم آخرين. فلذا ألفت كتابي هذا باللغة متبعاً في ذلك قاعدتين أساسيتين في الرسم وقواعد الإملاء، وهما:

١ - أني رسمت الكلمات الكردية كما ينطق بها، وأما الكلمات العربية والفارسية المستعملة في الكردية؛ فلم أقدم على تغييرها من حيث الرسم؛ لسببين:

أولاً: أنه ليس من حقي ذلك.

وثانياً: للتيسير على القراء.

٢ - وضعت حرف (ي) بدل الكسرة الإضافية. و(ه، هـ) بدل الفتحة مطلقاً، وحرف (و) بدل الضمة. ولم أشأ أن أضع حروفاً أخرى، بالرغم من أن هناك عدة مخارج مختلفة لحرفي اللام والراء في اللغة الكردية، لأن القرينة ومواضع الكلم تغني عن ذلك.

وإني لا أدعي أن هذا الكتاب تاريخ للأمة الكردية، يخلو من النقص والقصور، بل أعتقد أن فيه نقصاً كبيراً. رغم أنه نتيجة البحث والدرس لمائتين وخمسين مجلداً من الكتب الإنجليزية والفرنسية والألمانية والعربية والتركية والفارسية. ومازلت أرى أن هذا

(١) أي (الجنة الثانية) كناية عن مناقب ثمانية من السلاطين. المترجم

الموضوع بحاجة شديدة إلى البحث والدرس. لإزالة ما به من القصور واستكمال النقص. وكل ما يمكنني أن أقوله فيه: هو أنه يصلح لأن يكون نواة لمباحث الشباب الكردي وسائر المثقفين من قراء الكردية والمهتمين لها. فما على هؤلاء إذن، إلا أن يدرسوه وينقدوه بإمعان ليكملوا نقصه ويوضحوا ما عسى أن يجدوا فيه من غموض.

لقد بذلت الجهد كثيرًا وسعيت سعيًا حثيثًا، لإحياء موضوع التاريخ الكردي القديم، لدرجة أنني أعدت البحث مرارًا وتكرارًا. واستأنفت العمل من جديد أربع مرات كاملة، حتى تسنى لي إصدار الكتاب على هذا الشكل. وأظن بعد ذلك، أنني قد وفقت نوعًا لإحياء هذا الموضوع الخطير، بفضل الكتب النادرة والمكتشفات القيمة الحديثة. وإذا كنت لم أوفق في ذلك كل التوفيق فليس الذنب ذنبي، بل إن ذلك يرجع غالبًا إلى أن الوثائق الحاضرة لم تسعفني بأكثر من هذا. ومع ذلك فإني شديد الأمل في أن جهود علماء الآثار ومساعي هيأتها الإحصائية، تؤدي في المستقبل القريب إلى اكتشاف آثار قيمة، تلقي الضوء على مباحث التاريخ القديم للكرد وكردستان.

هذا وقد يلاحظ المرء بحق، أن ليس هناك بين الحوادث والشئون، حتى في قسم الوقائع التاريخية، فيما يتعلق بالكرد وكردستان، أي تناسق ولا أي ارتباط. والسبب في ذلك عدم وجود أي بحث خاص بالشعب الكردي. نعم! إن كثيرا من المصادر الشرقية والغربية عالجت موضوع بعض الأقسام من تاريخ الكرد وكردستان، وتعرضت لأخبار وأحوال بعض عظماء الكرد استطرادًا، لبعض المناسبات والظروف التاريخية. فلذا لا ترى بين هذه الأخبار والوقائع أي انسجام ولا ارتباط، لأنها تتف وشذرات غير متماسكة. إذ هي عبارة عن أخبار مبتورة وروايات ناقصة. مثال ذلك:

أنه ورد في تاريخ (الكامل) لابن الأثير، أن عظيمًا من عظماء الكرد يدعى «جعفر» هزم مرتين جيش الخليفة العباسي «المعتصم» في جبال «داسن» ولكنه لم يذكر لنا شيئًا آخر عن أصل هذا العظيم الكردي ونشأته ولا عما يتعلق به من الأحوال والظروف. وكذا ذكر

المؤرخ الشهير «ابن مسكويه» في كتابه «تجارب الأمم» أن عظيمًا كرديًا يدعى «أحمد الضحاك» كان في الجيش المصري الذي يحارب الروم بسورية تحت قيادة (ابن الصمصامة). فانكسر المصريون أمام الروم، فما كان من ذلك الكردي إلا أن أطلق العنان لجواده وحمل حملة صادقة على صفوف الأعداء وتمكن من شقها والوصول إلى قائدها الأعلى، فقتله. وكان ذلك سببا في فشل الروم وغلبة المصريين في سنة (٣٨١هـ). يقول هذا ثم لا يذكر لنا شيئاً عن أصل هذا البطل المغوار ونشأته ولا شيئاً مما آل إليه من أمره.

وصفوة القول، أن المعلومات التاريخية عن الكرد في الكتب الشرقية والعربية غير قليلة، إلا أنها ليست بمنظمة ولا مجموعة جمعاً وافياً. وقد أكون أنا الذي لم أوفق إلى العثور عليها بتلك الصفة. وأنه لا يبعد أن يعثر الباحث المنقب -إذا ما وصل الليل بالنهار- على ما يزيل هذا النقص، ويوفي الموضوع حقه. ولا شك أن في هذا خدمة كبيرة يجب على شبان اليوم القيام بها.

هذا وإني، تيمنا بجمعية (يانه ي سر كوتن) وتقديرًا لعملها وتشجيعاً لها، أهبتها ما ينتج من ريع هذه الطبعة الكردية لهذا الجزء من الكتاب إذ يسرني جد السرور، أن تستفيد هذه الجمعية العلمية المنكودة الحظ من ذلك فائدة تذكر.

وبعد، فسأصدر إن شاء الله تعالى المجلد الثاني من هذا الكتاب. ثم أتبعه بكتابي (تاريخ السليمانية) و(مشاهير الكرد) الواحد بعد الآخر، راجياً أن تكون هذه المؤلفات سبباً قوياً لنشاط حركة التأليف والترجمة بين المثقفين والكتاب من الكرد أبناء قومي.

في ١٥ مارس سنة ١٩٣١

محمد أمين زكي

وزير سابق في الحكومة العراقية

الفصل الأول

كردستان - موقعه - تعداد الكرد مدلول لفظ كردستان

١ - من الوجهة التاريخية:

عرضت كتب التاريخ القديم، ولاسيما بعد القرن السابع ق.م لذكر جميع مملكة «كوردوئين» أو لإقليم منها. وتقع هذه البلاد -على ما ورد في خرائط «سير مارك سيكس» وغيرها من المصادر- بين منابع الزاب الكبير ونهر دجلة في جنوب بحيرة «وان»^(١). وعلى رأي (كرزون) كانت منطقة (نامري) الواقعة في شمالي منطقة (لوللو)، تمثل في عهد الآشوريين ومن قبلهم، إقليم كردستان أو قسمًا منه على الأقل^(٢).

ويقول «سن مارتن» في مذكرته التاريخية والجغرافية: إن بلاد «كوردئين» كانت معروفة في القديم باسم «كوردجيج»^(٣) وهذه كلمة أرمنية، معناها (كردستان الأرمني). وكان يقع في شمال هذه البلاد إقليم (واسبوركان)^(٤) وفي جنوبه إقليم (آشور) وفي شرقه إقليم (أرمينية)^(٥) وفي غربه

(١) كتاب «تراث الخلفاء الأخير».

(٢) إيران ج ٢ - ص ١.

(٣) و «كرد جيکو» باللغة الجركسية، معناها: أرض الكرد. المترجم

(٤) هو الإقليم الثامن من الأقاليم الخمسة عشر التي قسم موسى الخوريني أرمينية التاريخية إليها إداريًا في القرن الخامس الميلادي. وهو المنطقة الممتدة من وان إلى نخجوان. (ملطبرون الترجمة العربية ج ٣ - ص ٦٢) المترجم

(٥) هو الإقليم السابع من تلك الأقاليم المسمى «برس أرمني» أي: أرمينية الفارسية (ص ٦١ من المصدر المذكور) وهو منطقة أرمية. المترجم.

(كورة الموغ)^(١) ويقول مصدر آخر^(٢) في هذا الخصوص، أن منازل الشعب الكردي ومأواه كانت تمتد من الخليج الفارسي إلى بحر قزوين.

وفي عهد الحكومات المكدونية والأشكانية والساسانية والرومانية، لم تكن البلاد الكردية تذكر باسم خاص بها شامل لجميع أجزائها، بل إن كردستان الأوسط كان معروفاً باسم (أرمينية أو أرمستان) كما أنه في صدر الإسلام في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، كان قسم كبير من الوطن الكردي جزءاً من إقليم «أذربيجان» وكان القسم الأوسط منه معروفاً باسم إقليم (الجزيرة) حيث كان الفاتح الصحابي الشهير (عباس بن غنم) رضي الله عنه أول عامل إسلامي عليه^(٣). وبقيت هذه التقسيمات الإدارية نفسها بعد تحويل بسيط، متبعة في عهد الأمويين والعباسيين، حتى أصبحت البلاد الكردية من الوجهة الإدارية تشمل معظم المقاطعات التالية:

الجزيرة - العراق - الجبال - أذربيجان - موكان - أوران - أرمينية - بلاد الروم. ويؤيد هذا الرأي نوعاً، كتاب «تقويم البلدان» إذ يوزع البلاد الكردية على خمس مقاطعات وهي:

الإقليم السابع^(٤) - الجزيرة وهو إقليم كان عبارة عن ثلاث مناطق هي ديار مضر «الركة» وديار ربيعة «الموصل»^(٥) وديار بكر «آمد».

(١) هو الإقليم الخامس من أقاليم أرمينية التاريخية المذكورة والمسمى (مخا) أو (موخ) وهو منطقة (موش) الحالية (المصدر نفسه ص ٦١) المترجم.

(٢) كتاب «تاريخ الشرق القديم» لنورمان. المؤلف

(٣) إسلام تاريخي، حضرت عمر: ترجمة عمر رضا. المؤلف

(٤) بالرجوع إلى كتاب «تقويم البلدان» تبين أن المؤلف يقصد الأقاليم العرفية لا الحقيقية وإلا فإن

الجزيرة تقع في الإقليم الرابع كما أن «العراق» من الإقليم الثالث غالباً. و«أرمينية» من الإقليم

الخامس وكذا «بلاد الروم» من الخامس والسادس وإقليم الجبال من الرابع والثالث. المترجم

(٥) كانت أهالي الموصل في القرن الرابع الهجري بصورة عامة أكراداً كما ورد في كتاب (بلدان الخلافة الشرقية لمؤلفه لوسترنج ص ٨٨ المؤلف).

الإقليم السابع: العراق: منه منطقة حلوان فقط.

الإقليم السابع عشر: بلاد الروم: ملطية- توقات- سيواس.

الإقليم الثامن عشر: أرمينية، أران، أذربيجان: وان- بردعة^(١) تبريز- أردبيل- مراغه^(٢).

الإقليم التاسع عشر- الجبال أو الجبل:

سلطانية- همدان- قرميسين (كرمانشاه)- أربيل- شهرزور... إلخ.

هذا وللمحقق الشهير المستر (لوسترنج- Le Strange في كتابه القيم^(٣) بحث مستفيض عن التقسيمات الإدارية في عهد الخلفاء موضحًا بخرائط دقيقة.

ويؤخذ من أبحاث هذا الكتاب القيم أن البلاد الكردية كانت تقع- كما قال أبو الفداء تقريبًا- في المقاطعات التالية:

خوزستان- الجبال- العراق- أرمينية- أران- (موكان- موقان)^(٤)- أذربيجان. فيستخلص من هذا كله أنه لم تكن هنالك وحدة إدارية تحت اسم وعنوان «كردستان».

(١) كانت تقع على نهر الكر وكانت قصبة إقليم «أران». المؤلف.

لعل اسم مدينة (آريهان) الحالية محرف عن اسم هذا الإقليم. المترجم

(٢) كانت في وقت ما قصبة إقليم «أذربيجان» حيث أقام به العلامة نصير الدين الطوسي مرصده الشهير.

(٣) هو كتاب (The Lands of the eastern Caliphate) لندن سنة (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م).

(٤) كانت تطلق على المنطقة الواقعة بين «أردبيل» ونهري الرس والكر. (وتطلق عليها كورة الموغ أيضًا. المترجم)

وأما لفظ (كردستان) ففي الأصل أطلقه السلجوقيون - كما أوردته الروايات - إما على المنطقة الواقعة بين ايلاني «أذربيجان» و«لورستان» وإما على البلاد الواقعة في غربي جبال «زاغروس»^(١) فبحسب الرواية الأولى يكون هذا اللفظ قد وضع لما يلي:

«سنه - سنندج» - دينور - همدان - «كرماشان - کرمانشاه». و بموجب الرواية الثانية لولايي (شهرزور - «كوى - كويسنجق») فقط.

يقول المستر لوسترنج في كتاب (بلدان الخلافة الشرقية ص ١٩٢): في أواسط القرن السادس الهجري، فصل السلطان سنجر السلجوقي البلدان الواقعة في غربي إقليم «الجال» التي كانت تابعة لمقاطعة «كرماشان» فجعلها مقاطعة مستقلة وسماها «كردستان» ثم نصب «سليمان شاه» ابن أخيه حاكمًا عليها. وبقي «سليمان شاه» هذا حاكمًا عليها مدة سنتين (٥٥٤-٥٥٦ هـ). ثم عين بعد ذلك حاكمًا على إقليم العراقيين بدلًا من عمه. وهذا هو عين ما رواه المؤرخ الفارسي الشهير «حمد الله المستوفي» حيث يقول: إن أحوال كردستان في عهد «سليمان شاه» تحسنت تحسنًا كبيرًا حتى بلغ إيراد هذا البلد ما يقارب مليونين من الدينار (مليون جنيه إنجليزي تقريبًا)^(٢) في عام واحد.

ويقو المؤرخ المشار إليه أيضًا: وقد كان محاسبًا عامًا لإيرادات الدولة في عهد المغول (التتر) في القرن الثامن، إن إيرادات كردستان نزلت إلى عشر ما تقدم من المبالغ. وكان «سليمان شاه» قد اتخذ قلعة «بهار» مركزًا لحكمه، كما أن «اولجايتو سلطان» اتخذ في عهد التتر مدينة «سلطان آباد - جم جمال» مركزًا آخر له. والمدن الشهيرة في مقاطعة «كردستان» هذه حسب تعريف المستر لوسترنج وبموجب خريطته هي كما يأتي:

(كرمانشاه - حلوان - جم جمال - آليشتار - كينكور - دينور - شهرزور - بهار).

(١) اسم لسلسلة الجبال الممتدة من جبال «آرارات» لغاية إقليم خوزستان، والحد الفاصل الآن بين تركيا وإيران، وبين قسم من العراق وإيران.

(٢) والظاهر أنه يساوي مليون ونصف مليون من الجنيهات تقريبًا.

ويقول الأمير شرفخان البدليسي في كتابه «شرفنامه»^(١) أن هذا اللفظ (كردستان) أطلق على مقاطعة «درس» خاصة، كما يقول مثل ذلك صاحب كتاب «نجات وأحكام»^(٢) إذ قال: إن لفظ كردستان يطلق على منطقة «جشمكزك» فقط.

ويقول المؤرخ الشهير «حمد الله المستوفي»^(٣) في كتابه الفارسي القيم (نزهة القلوب في المسالك والممالك)^(٤) كانت مدينة «بهار»^(٥) عاصمة لمقاطعة «كردستان» فيها مضى. ثم حلت محلها مدينة (سلطان آباد)^(٦).

هذا وكانت «أرمينية» و«الجزيرة» تؤلفان القسم الغربي من بلاد الأكراد، وأن (هولير - أربيل - و(أميدي - العمادية) كانتا ملحقتين بإقليم الجزيرة. فيؤخذ من أقوال هذا المؤلف أيضًا أن ولاية «كردستان» كانت مؤلفة من ست عشرة مقاطعة في القرن الثامن الهجري^(٧).

(١) كتاب في تاريخ وجغرافية الكرد وكردستان ألفه باللغة الفارسية أمير بدليس المذكور سنة ١٠٠٥ هـ وطبعه لأول مرة العلامة المستشرق الروسي ف. فليانيوف زرنوف سنة ١٨٦٥ م بروسيا ثم أعيد طبعه في القاهرة سنة ١٩٣٠ م مصدرًا بمقدمتين عربيتين إحداها ترجمة مقدمة الطبعة الأوربية من الفرنسية والأخرى عبارة عن أحدث الآراء في الكرد وكردستان وضعتها حين إشرافي على طبعه والتعليق عليه. المترجم

(٢) لم نعرف عن هذا الكتاب شيئًا حتى الآن.

(٣) توفي بعد سنة ٧٤٠ هـ حيث فرغ من تأليفه. المترجم

(٤) كتاب فارسي ألفه حمد الله بن أبي بكر بن نصر، المستوفي القزويني في النصف الأول من القرن الثامن الهجري. المؤلف. هذا والنص الفارسي طبع بلندن سنة ١٩١٥ م والترجمة الإنجليزية في ١٩١٩ م بلندن. وهو مؤلف كتاب «كزيده» الفارسي في التاريخ. وطبع بلندن سنة ١٩١٠ م. المترجم

(٥) تقع على ثمانية أميال تقريبًا من شمال همدان. المؤلف

(٦) على مقربة من جبال «بهستون» حيث كانت مشهورة بسلطان آباد جم جمال. المؤلف

(٧) وهذه الست عشرة مقاطعة هي: آلاني - آليشتار - بهار - خفتيان - در بند تاج خاتون - در بند زنكي - درابيل ويزيل (كذا) (والصحيح دزيبيل) - دينور - سلطان آباد - شهرزور - كرمانشاه -

وفي الواقع أن مؤلف كتاب (بلدان الخلافة الشرقية) يذكر أيضًا في الخريطة الخامسة من الخرائط الملحقة بكتابه، تحت اسم «كردستان» بلاد «كرمانشاه» و«شهرزور» فقط. ويظهر أن مركز «كردستان» هذا، كان مدينة «كرمانشاه» (كرمانشان - قرمسين) وكانت هذه الولاية إحدى الولايات الأربع المؤلف منها إقليم (الجبال - العراق العجمي). والولايات الأربع هي كردستان، همدان، الري، أصفهان، وكانت المدن الشهيرة في هذه الولاية كما يأتي:

حلوان^(١) - كرنند - آليشتار - (جم جمال - سلطان آباد) - كنكور^(٢) - دينور - سيسار - (بيستون^(٣) - واستام - بسطام) - شهرزور^(٤).

والظاهر أن الضرورة الإدارية هي التي قضت بإدخال مقاطعة «حلوان» في إقليم العراق العربي، كما قضت بإدخال بعض مقاطعات كردية أخرى في إقليم العراق العجمي مثل (زنجان - زنكان) و(سابلاخ - صاوجبلاق) و«لورستان الكبير» و«لورستان الصغير» و«بروجرد» و«خرم آباد» و«أسد آباد» وقضت أيضًا بإدخال «خوى»

-
- كرند وخوشان - كنكور - ماهي دشت - (واسطام - بيهستون). (وهناك مقاطعة أخرى اسمها «هرسين» كما في الأصل الفارسي للمصدر المذكور وبها يتم العدد. المترجم)
- (١) كانت تقع بين «قصر شيرين» و«كرند» في المحل المسمى الآن (سريل - رأس الجسر). وكان بين هذه المدينة وبين «كرند» محل شهير يقال له (مزارستان - المقبرة) يحتوي على قبر الملك الساساني الشهير (بهرام جور - بهرام كور).
- (٢) أطلق جغرافيو العرب على هذه المدينة فيما بعد اسم «قصر اللصوص» وعلى رواية (ابن رسنه) أن القنطرة الشهيرة التي بناها «فرهاد» لأجل «شيرين» في عهد الملك الإيراني (خسر وبرويز) كانت على مقربة من هذه المدينة.
- (٣) يضبط جغرافيو العرب ومؤرخوهم اسم هذه المدينة هكذا (بهستون) كابن حوقل والاصطخري. ويوجد حول هذه المدينة كثير من الآثار الأخيمنية والساسانية. ويقول المستوفي القزويني المؤرخ الشهير الذي زار هذه الأماكن في أوائل القرن الثامن: كان يوجد على مقربة من هذه المدينة «قرية» تدعى (ساسانية) عثر فيها على بعض القبور للملوك إيران.
- (٤) كانت مدينة طيبة عامرة واقعة في المحل المسمى الآن بـ(يسين تبه - تل يسن).

و«سلماس» و«أشنه - أشنو» و«سرآو» و«دخواركان» و«ماكو» في إقليم (أذربيجان) وبإدخال «ملاذ كرد» و«وان» في إقليم (أرمينية).

وإن كتاب «تاريخ ظفرنامه»^(١) المؤلف خصيصًا لبيان الوقائع التيمورية لا يذكر «كردستان» إلا قليلًا، ومع ذلك فإنه يعد الأمير شرف الدين أمير بدليس في مقدمة رجال كردستان وعظمائه.

ويقول الملا إدريس البدليسي الشهير مؤلف كتاب «سليم نامه»^(٢): إن السلطان سليم الأول الشهير بياوز (القاسي) أمرني لدى عودتنا من فتح «تبريز» بأن أسعى لدى جميع الأمراء الأكراد المنبثين في كردستان: ابتداءً من بلاد «أرمية» و«أشنه» و«ديار بكر» حتى «ملطية» لإدخالهم في الطاعة، قاطعًا لهم العهود والمواثيق الإسلامية بالعمل على تأليف ملوك وأمراء كردستان وانضوائهم تحت اللواء العثماني.

وعلى هذا المنوال احتفظ بأساس الإمارات الكردية وحكوماتها العديدة (انظر كتاب: شرفنامه اولياجلبي سياحتنامه سى^(٣))، (كوردستان ديارى)^(٤). ولكن هذه الحالة لم تدم طويلاً، إذ أن كردستان سقط شيئاً فشيئاً، على ما نذكر فيما بعد، تحت الإدارة المباشرة للولاة العثمانيين في ولايات «ديار بكر» و«وان» و«بغداد» و«أرضروم»... إلخ.

(١) لمؤلفه شرف الدين علي البزدي مخطوط فارسي موجود بمكتبة (نور عثمانية) بالأستانة نمرة ٣٢٦٧.
(٢) والصحيح أن هذا هو اسم الذيل الذي ألفه محمد أبو الفضل نجل مولانا إدريس لكتاب والده المسمى (هشت بهشت) وهو مخطوط فارسي في تاريخ الدولة العثمانية. توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية.

(٣) أعني كتاب (رحلة أولياء جلبي) وهو كتاب قيم باللغة التركية في المسالك والممالك وفي الأنظمة العثمانية وعادات وأخلاق وخرافات الأقطار والبلدان التي خضعت للدولة العثمانية، طبع في ستة أجزاء في ثلاثة مجلدات، في الأستانة سنة ١٣١٤ هـ. المترجم.

(٤) لم نعلم حتى الآن عن هذا الكتاب شيئاً ويظهر أنه كتاب تركي في تاريخ وجغرافية كردستان. المترجم.

٢- من الوجهة الجغرافية

تقول «دائرة المعارف الإسلامية»^(١): إن لفظ «كردستان» وضع للإطلاق على المواطن التي سكنها ولا يزال يسكنها الكرد حتى الآن. مثال ذلك إطلاق الفرس لقب «كردستان الخراساني» على المناطق الكردية بإقليم «خراسان». على أن هذا المصدر يجعل «كردستان» صغيراً جداً، حيث يقول في تحديده: إنها قطعة أرض مستطيلة تمتد من «لورستان» في الجهة الجنوبية الشرقية إلى «ملطية» بالجهة الشمالية الغربية. ويقرب طولها من (٦٠٠) ميل، وعرضها يتراوح بين (١٢٠) و(١٥٠) ميلاً (انظر: تاريخ وجغرافية جهانناما)^(٢).

وأرى أن هذا التحديد ناقص جداً، لأنه أولاً لا يشتمل على «لورستان» وثانياً: لأن الحدود الشمالية الحقيقية تصل لغاية «آلشکرد» و«أرضروم» وتتناولهما.

يقول الميجور فردريك ميليجين في كتابه (حياة ابتدائية بين الأكراد) في مبحث كردستان وحدوده، ما ملخصه:

كان لفظ كردستان في الأدوار القديمة يطلق على مسكن ووطن الشعب الكاردوكي المتوطنين بجبال الهكاري. ويؤخذ من علم الجغرافيا التاريخية أن ولاية (وان) كانت داخلة في مملكة الحكومة الأرمنية. وكان كردستان الأوسط والجنوبي عبارة عن «آشورية» وقسم من الجزيرة (ما بين النهرين). ومن أصعب الأمور أن نضع حداً معيناً لكردستان. كما أن الأمر كذلك بالنسبة لأرمنية (أرمنستان) لأن كلا من هذين القطرين قد عدلت حدوده

(١) قاموس عالمي قيم في أربعة مجلدات صدر منها لغاية الآن ثلاثة، تصدره لجنة علمية مؤلفة من المستشرقين من أمم مختلفة باللغات الثلاثة الفرنسية والانجليزية والألمانية صدر المجلد الأول قبل الحرب العامة. المؤلف.

(٢) وهو كتاب جغرافي قيم باللغة التركية لمؤلفه حاجي خليفة صاحب كتاب (كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون) وغيره من الكتب القيمة النادرة. والكتاب مطبوع في الأستانة سنة (١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م) وهو أول عهد الطباعة في الشرق. المترجم.

بالصغر أو الكبر حسب رغبة وهوى الفاتحين لهما من الأمم الأجنبية الكبيرة. فكانت (أرمينية) القديمة تحد من الشمال بنهر الكر وجبال لازستان. ومن الجنوب بجبال (طورس) ومن الشرق بـ(ميديا) ومن الغرب بـ(كبادوكيا)^(١). وفي الحالة الراهنة قام لفظ كردستان مقام لفظ (أرمينية) الذي أهمل إهمالاً تاماً الآن. فعلى هذا فنحن مضطرون أن نطلق على «أرمينية» القديمة لفظ (كردستان) الحديث.

ويحد كردستان العثماني شمالاً جبال أراراط ومملكة الكرج، ومن الجنوب ولاية بغداد وما جاورها من البلاد، ومن الشرق إيران، ومن الغرب لازستان (بلاد اللاذ) وبلاد آسيا الصغرى^(٢). ولا شك في أن هذه الحدود لم تكن حدوداً طبيعية فلذا كانت غالباً عرضة للتغيير والتبديل.

كان كردستان قبل حرب القرم (الحرب التركية الروسية) يتألف من بلدان باشوية واحدة تحتوي على ألوية وان، حكارى، بايزيد، الموصل. ولكن عقب هذه الحرب انكمشت منطقة كردستان وألحقت بباشوية (أرضروم). ولأجل أن ندرك المدلول الحقيقي للفظ كردستان، يجب أن ننظر وندقق في الولايات والبلاد التي يسكنها الأكراد ويطلقون هم بأنفسهم عليها لفظ كردستان؛ فنجد أن هذه المناطق الواسعة تحدها شمالاً جبال أراراط وحدود مملكة الكرج أعني منطقة طولها الشرقي ٤٣٠.٠٢ فهي بلاد (قارص) التي يختلط فيها الكرد والكرج. فإذا رسمنا خطاً من (قارص) ماراً بـ(أرضروم) و(أرزنجان)، (ديرسم)، (خربوط) إلى (ديار بكر)، ومنها على طول نهر (دجلة) إلى جبل (حميرين) يكون هذا الخط الحد الغربي لكردستان العثماني. على أن الكرد في هذا الخط متصلون بالترك والأرمن والعرب ومختلطون بهم. فترون من هذا أن الحد الغربي لكردستان غريب الشكل من الوجهة الجغرافية. ولا شك في أن هذا الشكل الغريب لا يتفق والسياسة العثمانية قط،

(١) هي منطقة (سيواس وآماسيا وقيصرى) الحالية في الجمهورية التركية. المترجم.

(٢) هي البلاد التي تقع على غرب الخط الوهمي الممتد من طرابزون شمالاً إلى أسكندرونة جنوباً. كما في

كتب التاريخ اليونانية والرومانية. المترجم

لأن العشائر والعناصر الأخرى التي تتصل بالكرد على طول هذا الخط تتكرر رويداً رويداً، رغماً عن سياسة الحكومة العثمانية وتدابيرها ولا ريب في أن منطقة القسم الشمالي الشرقي من هذا الخط معدودة من كردستان. فإن السكان الذين يقيمون فيما بين مدينة (أرضروم) والحدود الإيرانية يكاد يكون كلهم أو جلهم من العشائر الكردية البحتة. وفي مدينة أرضروم نفسها تسكن أكثرية كردية على الرغم من الإدعاء بتركيتها. نعم! إن أجنبيّاً إذا سأل أحد مسلمي هذه المدينة عن جنسيته يجب بأنه تركي على الرغم من أنه كردي. وهذه الحال ولا شك هي وليد الميل إلى الانتساب لجنسية الحكام والفاحين والمباهاة بها. ومع ذلك إذ طُلب بالدليل على مدعاه عجز عن إثبات ذلك. فإن والده أو جده، كردي قح وهو لا يزال في بيته يتكلم بالكردية، وفضلاً عن هذه فإن ملاحه وسيماه وزيه وعاداته التي هو عليها كل ذلك يهتف بكرديته على الرغم من ادعائه التركية للسبب المتقدم.

هذا وإن مسلمي مدينة (وان) الذين لم يكونوا يعرفون إلى ما قبل عشر سنين حرفاً من اللغة التركية، يدعون الآن بأنهم أتراك. وفي الواقع أن بعض جماعات وشراذم من أولاد الفاتحين وعساكر الإنكشارية استوطنوا هذه الجهات منذ بضع مئات من السنين، إلا أن ذرية هؤلاء الناس تكردوا بعد عدة بطون ونسوا أصلهم التركي أو التتري. فأرى أن الباعث الوحيد لادعاء بعض الأكراد بأنهم أتراك، هو مجرد الانتساب لجنسية الحكام والتمتع من وراء ذلك بالامتيازات الكثيرة الخاصة بالأمة الحاكمة. وبفضل هذا الادعاء قد تخلص كثير من أهالي مدينتي (وان) و(أرضروم) من المظالم والمضايقات.

إن المنطقة الكائنة بين (أرضروم) وجبال (ديرسم) مسكونة بعشائر كردية بحتة. فلم يخضع سكان هذه الجبال الأكراد الأقحاح للنير التركي في وقت من الأوقات، بل إنهم تغلبوا دائماً على القوات المغيرة عليهم والراغبة في اقتحام جبالهم الشماء. وأكراد هذه المنطقة مشهورون بالجمال وحسن الملامح والقيافة والزي، كما أن نساءهم يتقن النضال والقتال ويخضن غمار الحروب مثل الرجال.

أما الحد الجنوبي لكردستان فهو جبل (حمرين) حيث يختلط الكرد على هذا الخط بالعرب ويتصلون بهم بالتجارة والمصاهرة واقتباس بعض العادات والطبائع. وأما الحد الشرقي لكردستان العثماني فهو سلسلة الجبال الواقعة في الحدود الإيرانية والعثمانية.

والرحالة العثماني الشهير بـ(أولياجلبي) الذي جاب البلاد الكردية كلها سنة ١٠٦٥هـ ينص كذلك على أن الحدود الشمالية لبلاد «كردستان» هي بلاد (أرضروم - أرزن الروم) وهو يبدأ بها «كردستان» وينتهي إلى «البصرة» ماراً بمدن: وان - حكارى - الجزيرة - عمادية - درتنك فيبلغ طوله سبعين مرحلة وأما عرضه فأقل من هذا. (ج ٤ - ص ٧٥).

كان الشعب الكردي قبل الحرب العامة سنة (١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) مقسماً إلى ثلاثة أقسام، فكانت بلاده موزعة بين الحكومات العثمانية والإيرانية والروسية. وبموجب المعاهدة المعقودة في ٢٧ رجب سنة ١٣٣٩هـ ١٦ مارس سنة ١٩٢١م في بلدة «برست ليتوفسك» بين الترك والروس، انتقل قسم كبير من أكراد القوقاس إلى حوزة الترك، كما أن جانباً عظيماً من أكراد ولاية الموصل بقوا في حوزة الحكومة العراقية، بحسب الحل النهائي لقضية الموصل. وبعد التطورات والتبدلات التي حصلت بعد الحرب العظمى، تطور الموقف السياسي والجغرافي للأمة الكردية ونشأ من ذلك تقريباً الوضع الآتي:

١ - الكرد في إيران:

إن المعلومات الرسمية، وأبحاث المستشرقين أمثال (مينورسكي، الدكتور روسو، السير مالكوم، هاسل، جوانين، الأمير شرف الدين البديسي) تدل على أن جميع ولايات «لورستان» و«كرمانشاه» و«أردلان» ومنطقة (مكري - صاوجبلاق) والجنوب الشرقي، ونصف القسم الجنوبي من ولاية «أذربيجان» كردية بحتة، كما أن الجانب الأكبر من سكان قضاء «خوى» من أقضية هذه الولاية الأخيرة، مثل سكان قضاءي «سلماس» و«أرمية» وكذا قضاء «ماكو» كلهم أكراد.

وفضلا عن هذه الولايات الكردية، توجد عشيرة كبيرة في إيالة طهران تدعى (بازوكي). وأما العشائر الكردية المقيمة بخراسان فهي (شاهدلولو) و(زعفرانلو) و(كيوانلو) و(أمانلو). ومركز العشيرة الأولى (بوجنورد). والثلاث الآخر (قوجان) حيث تعيش هذه العشائر في حالة إمارتين مستقلتين استقلالاً داخلياً يكاد يكون تاماً، ولقب هاتين الإمارتين (ايلخان) ويزعمون أن الشاه عباس الكبير هو الذي نقل هذه العشائر الكردية من أذربيجان إلى هذه البلاد. ويبلغ تعدادها نحو ربع مليون من النسب. (إيران ج ١ - ص ١٧٩).

وفي منطقة «همدان» عشائر «جوزكان». وفي «مازندران» عشيرة «مودانلو»^(١) وفي «فارس» عشائر (شوانكاره - شبانكاره)^(٢) وفي العراق العجمي عشيرة (أمباربو - عنبربو) وعدة فرق من عشيرة (لك)^(٣) التي هي على جانب كبير من السلطة والنفوذ. وتسكن عشيرة «عمرلو» الكبيرة في شمال غربي مدينة «قزوین» في المنطقة التي بينها وبين ولاية «جیلان» ومن فرقها الكثيرة، عشيرة قباقرانلو، شمکانلو، بهادرلو، شاهكولانلو، بشانلو. ويقال أن هذه العشيرة الكبيرة قد نقلت من «خراسان» إلى هذا المكان في عهد (نادر شاه). [انظر: مقالة الميجر آدموندس في مجلة جمعية آسيا الوسطى]. ويوجد كثير من الأكراد في «جیلان» وفي «خوزستان» و«أصفهان» و«قهنستان» [كور دلو ص ٣٢].

يقول كرزون في حاشية الصفحة ٢٢٨ من المجلد الأول من كتابه (إيران): توجد في سجستان الإيراني طائفة من الكرد تدعى (كردكلي) على غاية من الكثرة والبطش هاجرت

(١) انظر كتاب (كور دلو، تاريخي واجتماعي تدقيقات: دوكتور فريج، طبع في الأستانة سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، الصفحة ٣٥.

(٢) عشيرة ذات قوة وبأس تتألف من خمس فرق تمكنت في وقت من الأوقات من تأسيس حكومة مستقلة في قلب فارس سنذكرها فيما بعد. (انظر: دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ - ص ٢٤١).

(٣) كتاب (كور دلو ص ٥١).

من كردستان إلى هذه البلاد في وقت من الأوقات وتمكنت في سنة ١٢٤٥م من تأسيس حكومة مستقلة باسم (ملك الكرد) أو (مملكة الكرد) حيث دامت حتى سنة ١٣٨٣م.

ويرى بعض المستشرقين، نظرًا لتباين أو لاختلاف اللهجة واللسان بين اللور والأكراد الآخرين، أن اللور الكبير والصغير ليسوا أكرادًا وأنهم من جنس آخر غير الأكراد. وإني أرى أن الأسباب والشبه التي حملت هؤلاء المستشرقين على القول بمثل هذا الرأي، ضعيفة جدًا. وأذكر تأييدًا لما أقول بعض إيضاحات وتفاصيل عن جماعة اللور.

جماعة اللور:

ورد في كتاب «تاريخ كزيده» الذي يتضمن مباحث مستفيضة عن «لورستان» القديم أن جماعة اللور هذه قدمت في الأصل من دربند (مضيق) «مانرود، مان- رود» وكان يوجد على مقربة من هذا الدربند محل -وعلى رأي الأصطخري^(١) مدينة- يدعى «لور- اللور»^(٢) فبسبب هذا المحل أو المدينة اشتهر هذا الجبل من الناس باسم اللور. ويقول المؤرخ والجغرافي الشهير «ياقوت الحموي»^(٣) في مادة «اللور» هم قوم من الأكراد يسكنون في الجبال الواقعة بين إقليم «خوزستان» وإقليم «أصفهان». ويطلق على موطنهم هذا اسم «لورستان» أو «بلاد اللور» [دائرة المعارف الإسلامية].

وينقسم اللور إلى أربعة أقسام كبيرة: مامه ساني، كوه كلوي، بختياري، لوراصلي. ومذهبهم السائد هو المذهب الشيعي. كما أن معظم عشائر (لك) التي ليس على كرديتها

(١) اسمه الكامل، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، الأصطخري ولد في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري وألف كتابه (الأقاليم) في سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م.

(٢) يقع في الجانب الشرقي من مدينة (ديزفول).

(٣) اسمه الكامل (أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الرومي الحموي) ولد في سنة ٥٤٤هـ/ ١١٦٩م، ومن آثاره الشهيرة كتاب «معجم البلدان» (طبع في أوروبا سنة ١٩٢٤م ليبسك في ٧ مجلدات، وله طبعة مصرية). المترجم

أي اعتراض، يعتقدون مذهب «على آلهی» فضلا عن عشائر «سكه وه ند» و«كله وه ند» و«بابی» و«بدرایی» الذين يعتقدون هذا المذهب نفسه.

قلنا فيما تقدم أن بعض المستشرقين، لفروق ضئيلة في اللهجة واللسان، فصلوا اللور عن الأمة الكردية وألحقوهم بالأمة الفارسية اعتياداً على ذلك التشابه المزعوم بين اللهجتين الفارسية واللورية. وأرى أن هذه الدعوى غير صحيحة أصلاً؛ أولاً: لأن لهجة القسم الرابع من اللور (لوراصلى - فيلي) أقرب إلى الكردية منها إلى الفارسية. ثانياً: أن اللور أنفسهم يقولون أنهم أكراد ويتكلمون الكردية بلهجة قريبة من اللهجات الكردية.

ففي سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦م سافرت بمهمة رسمية إلى «لورستان» الصغير الذي يقال له الآن «بشتكوه» وأقيمت في بلدة «عاملة» في منطقة «كبير كوه» عشرة أيام تمكنت في خلالها من القيام ببعض مباحث لغوية ودراسات أثنوغرافية، حيث كنت في غالب الأحيان أتحدث معهم باللغة الكردية. فكنا نتفاهم بكل سهولة، من غير أن يمنعنا من ذلك اختلاف اللهجات. حقاً إن هناك فرقا بين لهجتهم ولهجة مدينة «سليمانية» ولكن ذلك لا يمكن أن يكون في أي وقت من الأوقات، أكثر من الفرق بين اللهجات الكردية الأخرى. [وقد أوضحت هذا في مبحث اللسان من هذا الكتاب].

وتثبت مباحث طائفة من المستشرقين ولاسيما أبحاث الدكتور «فريج»^(١) بأن اللور من أهم أقسام أكراد إيران. وأن الكرد في تلك البلاد ينقسمون إلى قسمين عظيمين من جهة اللهجة واللسان: الناطقون بالكردية، والناطقون باللورية. فضلا عن أن هناك روابط قوية بين هاتين الطائفتين في اللهجة والأخلاق والطبائع والتقاليد والعادات. وقد اقتنعت

(١) إن كتاب هذا المؤلف الفاضل قد طبع في برلين من قبل المجمع العلمي الشرقي، وترجمته مديرية المهاجرين العامة في تركيا وطبعته وأصدرته في سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م في استانبول تحت اسم (كوردلر).

تلك الطائفة الكبيرة من المستشرقين الفطاحل بكردية هذه الجماعة ووحدة عنصرها مع الشعب الكردي، مثل السير جون مالكولم، لوريه، هاسل، بروان...

وكذا كل من مؤلف (لانسايون كورد) ومن السياح الشهير (ريج) يعد اللور الصغير والكبير من العنصر الكردي. كما أن المؤرخ العثماني الشهير (أحمد جودت باشا) يقول في المجلد الأول من تاريخه التركي المشهور: «إن كلا من اللور، والبختياري، والكوران، واللك، من أرومة واحدة وشعب واحد، وينقسم كل قسم من هؤلاء إلى عدة فروع وشعب، فهم سكان إيران الأصليون المنتشرون فيها، ابتداءً من بلاد (هرمز) بإقليم فارس حتى بلاد «مطلية» و«مرعش» ومنهم عشيرة «الزندة الشيرة» ص ٣٤٢.

وصفوة القول في هذا الموضوع، أن فروقا بسيطة في اللغة واللهجة لا تكفي لتفريق الأمم وتميز بعضها عن البعض واعتبار شعوبها أمما منفردة على حدها. لأن مثل هذه الفروق توجد حتماً في الأقسام والفروع القرية لأية أمة من أمم الأرض؛ فضلا عن فروعها البعيدة. ويمكن أن أقول أنه توجد في لواء «سليمانية» نفسه مثلاً عدة لهجات كردية. فأهالي المدينة يقولون: (بهينه - بينه) بمعنى «جئ به» والهماندي يقول: «باره» في حين أن القروي يقول: «بهيره». فمثل هذه الفروق في اللغة واللهجة توجد في جميع اللغات كالفروق في اللهجات العربية في أقطار العراق والشام ومصر والحجاز واليمن... إلخ، والفرق في اللهجات الروسية والسربية والبلغارية.

ويظهر لي أن سبب ومنشأ هذا التباين، والفرق بين اللهجات في لغة واحدة، يرجع على الأكثر إلى قلة انتشار العلوم والمعارف العامة، لأن كل أمة انتشر بين أفرادها التعليم العام وتقدمت بينهم العلوم والفنون تقدماً محسوساً، زالت ولاشك تلك الفروق والاختلافات من بين لغاتها ولهجاتها. أو على الأقل نقص ذلك نقصاً كبيراً. مثال ذلك لهجات أهل «لندن» و«اسكوتلنده» وإقليم «فارس» و«ميدية» و«برلين» و«بافاريا». لأن الفروق الكبيرة التي كانت موجودة بين لهجات هذه اللغات، قد قاربت الزوال والانتفاء

الآن. ولا ريب في أن الكرد إذا اهتموا بنشر المعارف وتعميم التعليم باللغة الكردية في بلادهم، فسوف تنقص هذه الفروق والاختلافات الموجودة بين اللهجات الكردية شيئاً فشيئاً، ولتصبح الأمة الكردية ذات لغة عامة موحدة اللهجات واللسان، كسائر الأمم التي نالت نعمة الاتحاد والوحدة.

تعداد اللور:

قدر المستشرق الشهير «كرزون» سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م عدد اللور الكبير والصغير أعني سكان منطقة «بشتكوه» و«بيشكوه» بـ (٤٢١) ألف نسمة، وقال: إن (١٧٠٠٠٠) منهم من البختيارية و(٤١٠٠٠) من الكوه كلوي و(٢١٠٠٠٠) من الفيلي أعني اللور الصغير.

وفي سنة ١٩٠٤م قام المستشرق «رابينو» بتحقيقات في تعداد الفيل فبين له أن (٣١.٦٥٠) أسرة (١٣٠٠٠٠ نسمة) تسكن في «بيشكوه» و(١٠٠٠٠) أسرة (٥٠٠٠٠ نسمة) في «بشتكوه».

تعداد الكرد في إيران:

ورد في «دائرة المعارف الإسلامية» أن تعداد الكرد في إيران لا يزيد عن نصف مليون نسمة. في حين أن لجنة عصبة الأمم التي قدمت إلى الموصل لاستفتاء أهلها، قدرت في أحد تقاريرها عدد الأكراد في إيران (٧٠٠٠٠٠) وورد أيضاً في نفس المصدر في مادة (سابلاخ- صاوجبالق) أن عدد سكان هذه البلاد الكردية يبلغ (٢٠٠٠٠٠) نسمة (ج٣- ص١٨٨). وورد في مادة (كرمانشاه- كرمانشان) أن عدد سكن هذه البلاد ومعظمهم أكراد، يبلغ (٣٠٠٠٠٠) نسمة (ج٢- ص١٣٥). هذا والقسم الغربي، والجنوبي، والجنوب الشرقي لبحيرة «أرمية» الواقعة بولاية «أذربيجان» التي يبلغ عدد سكانها مليونين تقريباً، كلها مأوى وموطن للأكراد، كما أن قضاء «سلماس» بها (١٣٠٠٠)

من السكان الأكراد، وقل الأمر نفسه في معظم سكان وأهالي قضاء «خوى» وقضاء «ماكو» في الشمال الغربي من بحيرة «أرمية» فإنهم أكراد أيضًا. وكذلك أكثرية سكان ناحية (سلدوز) وجميع أهالي (أشنه) و(لاهيجان) أكراد من العشيرة الزرزائية وغيرها من العشائر الكردية. ويقول كرزون بعد هذه المعلومات: إن تعداد الكرد في ايلالة (صاوجبلاق) التي يبلغ تعدادها العالم (٤٥٠) يبلغ ربع مليون كما أن تعداد الكرد في ايلالة كرمانشاه يبلغ (٢٣٠) ألفا. وفي ولاية أردلان (١٣٠) ألفًا من النسب. [إيران: ص ٥٥٤]. ويفهم من هذا أن تعداد أكراد ولاية «أذربيجان» ما عدا سكان (سابلاخ) يبلغ على أقل تقدير أكثر من مائتي ألف نسمة.

وأما ولاية (أردلان - أرده لان) التي مركزها الآن (سنه - سندر) فكل سكانها تقريباً أكراد؛ حيث يبلغ عدد المتحضرين منهم فقط (١٥٠) ألفاً، كما أن عدد أسر وعائلات العشائر الكردية الرحالة والشبيهة بالرحالة يبلغ (٢٢.٢٠٠) أسرة أي أن مجموع تعداد نفوس الأكراد يبلغ في هذه الولاية فقط أكثر من (٢٥٠) ألف نسمة^(١). ويتضح من هذا أن تعداد الكرد العام في هذه البلدان الأربعة، يقرب من مليون نسمة وإذا أضفنا إلى ذلك سكان البلاد، والمناطق الكردية الأخرى في جميع أنحاء إيران مثل ولايات خراسان، كرمان، فارس، طهران، قزوین، همدان، مع جميع سكان ايلالة «لورستان»، فيبلغ عندئذ عدد الكرد في إيران أكثر من مليونين نسمة.

والحقيقة التي يجب التصريح بها هي أن التعداد الحقيقي لأكراد إيران غير معلوم تمامًا، وأن جميع التقديرات والتعدادات التي ذكرها بعض المستشرقين والرحالين والتي ذكرناها آنفاً لا تخرج كلها عن دائرة الحدس والتخمين، إذ لا تستند إلى إحصاء علمي نزيه، فلا يمكن إذن معرفة العدد الحقيقي لأكراد إيران، إلا بعد إجراء تعداد علمي دقيق.

٢- الكرد في تركيا:

غير خاف أن العناصر والأقوام غير التركية في البلاد العثمانية البائدة، تعرضوا من جراء الحرب العظمى لكثير من الويلات والمصائب. كالجلاء عن الأوطان، والابتلاء بالأمراض الفتاكة، والمجاعات القاتلة، والتعرض للإغارات الأجنبية المدمرة، والتطلبات المالية المتنوعة، من إدارات الحكومة، وقيادة الجيش؛ فأدى كل ذلك إلى إبادة معظمهم وإفنائهم وتشريدهم في البلاد، كما أنهم أصيبوا بهذه المآسي، والويلات نفسها بعد الحرب العامة أيضًا. وكان نصيب الكرد من هذه الويلات والمصائب، أكثر بكثير مما لحق بغيرهم من الأقوام والعناصر غير التركية، ففي سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م حينما أصيب الجيش العثماني الثاني بالمجاعات، وأنواع الكوارث، أجلى السكان والأهالي الأكراد في أطراف «ديار بكر» عن أوطانهم، وشردهم إلى جهات الموصل، وحلب، وأذنه (أطنه) فمات الكثيرون من هؤلاء المشردين، من شدة البرد والجوع. ويذكر الذين كانوا وقتئذ في مدينة (الموصل) أنهم رأوا بأعينهم أو سمعوا بأذانهم، كيف أن آلافًا من هؤلاء المساكين كانت تموت في قوارع الطرق وزوايا الأزقة والحارات. وفضلا عن هذا فإن الشعب الكردي بأجمعه أصيب بخسائر فادحة في الأنفس والأموال من جراء ثورة «درسم» التي اندلع لهيها سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م. ثم أكره كثير منهم على الجلاء والابتعاد عن الوطن، وقامت بعد ذلك ثورة المرحوم الشهيد «الشيخ سعيد» في سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م ثم ثورة «إحسان نوري باشا» في سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م فأفضى كل ذلك إلى خراب كردستان الأوسط، وأصابته كثير من المصائب والويلات من التقتيل والتشريد في البلاد، فتجلت سياسة التتريك في جميع الجهات بأجلى مظاهرها ولا تزال.

فلهذه الأسباب، أرى من الصعب جدًا التصريح بأن في الجهة الفلانية مثلا هذا القدر من الأكراد. ولإعطاء فكرة قريبة من الصواب، في هذا الموضوع أراني مضطراً لأعود إلى معلومات ووثائق ترجع إلى ما قبل الحرب العظمى.

ذكر المستشرق الشهير «السير مارك سايكس»^(١) في كتابه المسمى [The caliphs, last heritage] بحثًا قيمًا وافيًا عن العشائر الكردية بتركيا؛ ولكنه لا يذكر شيئًا عن الأكراد من سكان القرى والمدن. ويؤخذ من خريطة هذا الكتاب أن خط الكثافة لتعداد العشائر الكردية في البلاد العثمانية هو خط (آلشکرد - أرضروم - أرزيجان - زارا - أكين - ملطية - بهسنى - بيره جك - أورفا - جنوبي طور عابدين - مصب الزاب الكبير). وفي تحديد البلاد التي يقيم فيها سكان القرى والمدن من الأكراد يقول مؤلف كتاب (Two Yers in Kurdistan): إن الخط الفاصل بين الكرد والعرب هو الخط المستقيم الممتد بين مصب نهر الزاب الصغير و«مندلى». والحد الشرقي بطبيعة الحال هو الحد الفاصل بين بلاد إيران وتركيا.

ويقول مستشرق آخر^(٢): يعيش الكرد والأرمن في أطراف بحيرة «وان» مختلطين ومتمزجين. والحد الجنوبي لكثافة تعداد الكرد فيما بين النهرين هو خط (فيشخابور - صميصاد). ويقول المستشرق (Trantez): إن الحد الشمالي لكثافة تعداد الكرد هو خط (ديوريكى - أرضروم - قارص أو آريفان). وإن قسما من أكراد هضبة «أرضروم» العليا مختلط بعناصر أخرى مثل الترك ومهاجري القوقاس من الجركس والأوسيت^(٣).

(١) هو أكثر المستشرقين إطلاعا على أحوال الشعب الكردي وتواريخه، وله أبحاث مستفيضة دقيقة للغاية عن العشائر الكردي. وهي نتيجة دراسة طويلة وثمرة سياحة في بلدان مساحتها ٧.٥٠٠ ميل مربع، طافها في سبع رحلات متوالية. المؤلف

(٢) وهو (رتير - ritter ص ١٤٤).

(٣) لعله (الآص - الآس) أحد فروع الشعب الجركسي المؤلف من الآص والكسك والأركس والتركس. هذا والآس معناه الهادئ في اللغة الجركسية، كما أن لفظ (قوه - كوه) في اللغات الآرية واللغة الجركسية معناه الجبل فعلى هذا يكون معنى (القوقاس) جبل الآس وأن أمة الآص أو (اللان الآن) و(البرج - البرز - البرجان) أمة واحدة لها ثلاثة أسماء أطلقت عليها بحسب الظروف والأحوال. و(الآن) معناه (الفاتكون) الأشداء (والبرز - البرج) اسم شخص. أفاده أحد علماء الجركس الأفاضل. المترجم

وفضلاً عن هذه المنطقة الكبيرة فإن الكرد قد انتشروا في شمال هذه المنطقة وغربها وجنوبها الغربي. والوضع العام للوطن الكردي وتلك المناطق موضع نوعاً ما في الخريطة القومية.

وقد ورد في (دائرة المعارف الإسلامية) أن تعداد الكرد في «تركيا» بموجب الإحصاء الذي نشر في موسكو عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م يبلغ مليوناً ونصف مليون من النسمة. ولكن الوثائق التركية تذكر أن تعداد الكرد من العشائر الرحالة هو (٩٦٠٠٠) نسمة. ولا شك في أن هذا لا يعطينا فكرة صحيحة عن هذا القسم من الأكراد. لأنه غير خاف على أحد أن عدد هذا القسم قليل بطبيعته، وأنه أخذ في التناقص شيئاً فشيئاً: لأن الحياة العامة والظروف السياسية، والاجتماعية، تلجئهم يوماً فيوماً إلى الإقامة والاستقرار.

ومع كل ما تقدم فإنني أرى أن رقم مليون ونصف مليون في تبيان التعداد العام للكرد في تركيا غير صحيح، بل وأقول: إن ذلك بعيد عن الحقيقة والصواب؛ لأنه ورد في «دائرة المعارف الإسلامية» نفسها في الصفحة ٤٤٠ من مجلدها الرابع، أن تعداد سكان ولايات «أرضروم» و«وان» و«بدليس» و«خربوط» كان يبلغ قبل الحرب العامة (٢.٦٤٢.٠٠٠) نسمة. وكان منهم (١.٨٢٨.٠٠٠) مسلمين. وغير خاف أن نصف سكان ولاية «أرضروم» تقريباً من العنصر الكردي. وكذا الولايات الأخرى معروفة ومشهورة بأنها كردية بحتة، وما عدا قليلاً من الأتراك المنتشرين هنا وهناك، فلا يمكن إذن أن يقل عدد الكرد في هذه الولايات الأربع عن مليون ونصف مليون.

وعلى قول كل من (السير مارك سايكس) و(الدكتور فريج) يقطن عدد كبير من الكرد في غير هذه الولايات من بلاد تركيا.

إذ يبلغ تعداد العشائر الكردية القاطنة في حوض نهر «قزيل ابرماق» وفي داخلية ولايتي «قونية» و«أنقرة»^(١) ثمان عشرة قبيلة يقرب عدد أسرها من (١٧٠٠٠) أسرة. وفي ولاية «سيواس» وشرقي هذه المدينة، وفي «زارا» تسكن عشيرة «قوجكيري» الكبيرة التي لها خمس فرق أخرى مستقلة ومنبثة في المنطقة التي بين «أرزنجان» و«زارا» فيبلغ تعدادها مع فرقها (١٢٠٠٠) أسرة؛ كما أن في شمال خيلج الأسكندرونه تقطن (١٤) عشيرة، يبلغ تعدادها أكثر من (١٢٠٠٠) أسرة. وفي لواء «أورفا- الرها» تقطن عشيرة «البرازی» التي تنقسم إلى (١٢) فرقة يبلغ تعدادها (١٧٠٠٠) أسرة^(٢) فيبلغ مجموع تعداد هذه العشائر المؤلف من (٥٨) ألف أسرة، زهاء (٣٠٠) ألف نسمة تقريباً فإذا أضفنا إلى هذا تعداد أكراد لوائي «قارص» و«أردهان» يبلغ مجموع تعداد أكراد تركيا الحالية فقط، أكثر من مليوني نسمة. بصرف النظر عن تعداد أكراد العراق وسورية.

ورد في «الكتاب الأصفر» الذي أصدرته الحكومة الفرنسية سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م تعداد الكرد في الدولة العثمانية بـ(٣.٠١٢.٨٩٧) نسمة، كما أن الجنرال «زلاتجي-Zelendji» الروسي قدّر عدد أكراد تركيا قبل الحرب العامة بـ(٢.٨٠٠.٤٧٥) نسمة. والحكومة العثمانية نفسها قدرتهم سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٤م بـ(٢.٥٢٧.٨٤٠) نسمة وذلك ما عدا سكان لواء دير الزور وولاية الموصل^(٣).

ومع هذا فيجب أن نعترف الآن بأن تقدير وتعداد الكرد في تركيا الحالية هو من الصعوبة بمكان؛ لأنه أولاً: أن الإحصاء الأخير الذي قامت به الحكومة التركية، لم يأت بالفائدة المطلوبة - كما يقولون - ثانياً: أهملوا في هذا الإحصاء الإشارة إلى القوميات غير

(١) نشر الأستاذ (M.Gorges Perrot) مباحثه القيمة عن أكراد سهل (حبيانه) في مجلة العالمين (revue de deux mondes) في أعداد سنة ١٨٦٥.

(٢) السير مارك سايكس، كتاب (تراث الخلفاء الأخير) ص ٥٧٢: ٥٨٨.

(٣) انظر: كتاب المسألة الكردستانية والترك، ص ٤٦.

التركية، ولا سيما القومية الكردية إذ تعمدوا عدم ذكرها للاعتبارات السياسية. فلذا من الصعب جدا إعطاء فكرة صحيحة هنا عن التعداد الحقيقي لأكراد «تركيا» الحالية.

ومن الطبيعي أن يكون العدد الحقيقي للكرد في تركيا في الحالة الراهنة أقل منه قبل الحرب العامة. وذلك للأسباب والعوامل التي سبق أن ذكرناها، مثال ذلك أنه ورد في «دائرة المعارف الإسلامية»^(١) أن سكان لواء «حكارى» كان تعدادهم قبل الحرب العظمى يبلغ (٣٠٠٠٠٠) نسمة، في حين أن «ألمناك جوتى»^(٢) يقول: إنه يؤخذ من التعداد الرسمي في تركيا سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م أن عدد سكان هذا اللواء أصبح عبارة عن (٢٥٠٠٠) نسمة فقط، كما أن كتاب (التقويم السياسي السنوي لسنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م في ص ١٣٠٩ - The Statesman's Year-Book) يقدر هذا التعداد بـ (٣١٠.٥٦٨).

وكذا ولاية (بدليس) التي كانت قبل الحرب العامة، مؤلفة من أربعة ألوية (بدليس، موش كنج، سکرد) كان تعدادها حينئذ يبلغ (٣٩٨.٩٠٠) نسمة^(٣) في حين أن التعداد العام الذي قامت به تركيا أخيراً يفيد نزول عدد سكان هذه الألوية الأربعة إلى (٢٨٢.٥٧٨) نسمة. كما أن مدينة «بدليس» نفسها التي كانت تعدادها فيما قبل الحرب العامة يبلغ (٣٨٠.٠٠٠) نسمة؛ قد نزل ذلك أخيراً حسب التعداد العام الأخير إلى (٩٠.٠٠٠) نسمة فقط^(٤). وبعد معاهدة (برلين) الشهيرة، قدمت لجنة مختلطة قوامها «بيكر باشا» الإنجليزي و«سعيد باشا» الكردي رئيس شورى الدولة و«ميناس أفندي» الأرمني إلى كردستان للقيام بتعداد سكانه وتعيين قومياتهم. فورد في تقرير هذه اللجنة أن تعداد ولاية (ديار بكر) يبلغ (٨٤٠.٠٠٠) نسمة، منه ستمائة ألف مسلمون. وقد نزل تعداد هذه

(١) (ج ٢ - ص ٢٢٦).

(٢) سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، ص ١٣٣٦.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، ج ١ - ص ٧١٥.

(٤) المنّاك جوتى، سنة ١٩٢٩.

الولاية في سنة ١٣١٠هـ إلى (٤٨٢.٩٤٠) نسمة^(١). وتعداد سكان ألوية (ديار بكر، ماردين، معدن) بعد الحرب العظمى وصل إلى (٣٧٧.٥٠٠) نسمة حسب تعداد سنة ١٩٢٧م^(٢).

ويوجد في مدينة استانبول نفسها عدد غير قليل من الأكراد كما نصَّ على ذلك الأستاذ مسعود فاني في (لناسيون كورد ص ٢٣).

وأسباب هذا التناقص في عدد السكان كثيرة، ولكن أهمها يرجع في الدرجة الأولى إلى الهجرة الإجبارية والإجلاء، وفي الدرجة الثانية إلى دوام القتال والثورات وما يتبعها من المصائب والويلات التي كان كردستان الأوسط مسرحاً لها أكثر من سائر الجهات. ومع ذلك فإن التعداد العام للأكراد الباقين في تركيا يبلغ أكثر من مليون ونصف مليون بالتأكيد.

٣- الكرد في العراق:

يقدر قاموس «دائرة المعارف الإسلامية»^(٣) حسب إحصاء سنة (١٣٤١- ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣ - ١٩٢٤م)، التعداد العام للأكراد في ولاية «الموصل» القديمة بـ (٤٩٤.٠٠٧) نسمة فقط. والحالة الإثنوغرافية (القومية) لهؤلاء الأكراد موضحة في التقرير الذي وضعته لجنة الاستفتاء الموفدة من قبل عصبة الأمم، إلى العراق في سنة ١٩٢٥م، وفي الخريطين (رقم ٦ و ٨) المرفقتين به، كما أن كيفية توزيع السكان الأكراد في هذه الولاية التي هي عبارة عن الألوية الأربعة الشمالية الملحقه بالعراق، حسب تدقيقات هذه اللجنة كما يأتي:

(١) كتاب: ممالك عثمانية تاريخ وجغرافيا لغاتى، على جواد طبع الأستانة سنة ١٣١٣.
(٢) انظر: مذكرة شريف باشا الجنرال لمؤتمر الصلح بباريس سنة ١٣٣٧هـ- ١٩١٩م.
(٣) ص ١١٣١، ج ٢.

في داخل لواء الموصل	٨٣٠٠٠ ^(١)
في داخل لواء أربيل	١٧٠.٦٥٠
في داخل لواء كركوك	٤٧.٥٠٠
في داخل لواء السليمانية	١٨٩.٩٠٠
فيكون المجموع	٤٩٦.٠٥٠ كردياً ^(٢)

ويقول الميرآلای (ولسن) الذي كان وكيل المندوب السامي في العراق ردحاً من الزمن، في كتابه (ما بين النهرين سنة ١٩١٧-١٩٢٠) أن تعداد الكرد في ولاية الموصل أكثر من نصف جميع السكان لهذه الولاية (ص ١٢٧).

هذا وهناك فرق يبلغ (٤٦ ٠٠٠) نسمة بين هذا التقدير، وبين ما ذكره مؤلف كتاب (مفصل جغرافية العراق، ص ٩٧) من غير أن يبدي أي سبب لذلك.

وعندي أن كلا من تقدير لجنة عصبة الأمم وتقدير كتاب (مفصل جغرافية العراق)^(٣) ينقصه التحقيق والتمحيص العلمي في بعض النقاط، أولاً: أن تعداد سكان العراق العام لغاية الآن، لم يسجل تسجيلاً علمياً دقيقاً؛ كما يعترف بذلك مؤلف كتاب جغرافية العراق في الصحيفة رقم ٣٨. فضلاً عن أن كل ما نراه وما نقرأه من الأرقام الدالة

(١) يذكر العلامة (فون هامر) في المجلد الرابع من تاريخه للدولة العثمانية نقلاً عن «جهان نسا» التركي، (أن أهالي نفس مدينة الموصل أيضاً أكراد يتكلمون بالكردية وأنهم علاوة على ذلك يعرفون اللغات العربية والتركية والفارسية) الصحيح أن «جهان نسا» كتاب جغرافي لمؤلفه الحاجي خليفة الشهير بكتاب جلبي صاحب كشف الظنون. المترجم

(٢) تقرير اللجنة ص ٩٣-٩٥. هذا وبناء على التعداد الرسمي الذي أجرته الحكومة العراقية في سنتي (١٩٣٣-١٩٣٦ م) يبلغ التعداد العام لولاية الموصل القديمة التي هي الآن عبارة عن أربعة ألوية (١٠٤١.٥١٣) من الأنفس أكثريتها أكراد ولا يقل عددهم حسب النسبة التي وضعتها لجنة عصبة الأمم عن (٧٠٠) ألف نسمة. وعلى هذا التعداد العام يبلغ سكان جميع ألوية العراق (٤.٤٦٦.٦٦٦).

(٣) لمؤلفه الفريق (طه الهاشمي) رئيس أركان حرب الجيش العراقي. المترجم

على ذلك التعداد، في التقاويم السنوية وفي كتب أخرى، إن هي إلا نتيجة تقديرات الموظفين الإنجليز وفروضهم في سنة ١٣٣٨هـ / ١٩٢٠م، وما بعدها من السنين.

على أي أرى أن نتائج تدقيقات ودراسات لجنة عصابة الأمم لحالة سكان الألوية الشهابية، جديرة بالوثوق والاعتماد أكثر من تلك الفروض والتخمينات السابقة.

وهناك، سوى هذين الأساسين، مصدر آخر هو قيودات سجلات الحكومة الرسمية التي أنشئت في سنتي (١٣٤٦-١٣٤٨هـ) (١٩٢٧-١٩٢٩م) ولم تشمل على تعداد العشائر. وخلاصة هذا التسجيل الرسمي المذكور في كتاب (مفصل جغرافية العراق) وأعتقد أن إدارة إحصاء النفوس نفسها تعترف بأن هذا التسجيل والإحصاء الحكومي أيضا ناقص جداً، فضلاً عن اشتغاله على كثير من الأخطاء والأغلاط، لأن الأهالي، خوفاً من التجنيد العام كانوا يتهربون من التسجيل والإحصاء. وإذا ضغط عليهم في ذلك، بادروا إلى تقديم معلومات خاطئة إلى الموظفين المكلفين بذلك ليخدعوهم ويضلوه عن الحقيقة.

وهذا العامل أو العيب البارز نفسه، موجود في المصدرين الآخرين أيضاً ولذلك أقول -كما يقول مؤلف «مفصل جغرافية العراق»-: إن التعداد الحقيقي لجميع سكان العراق، أكثر عدداً من التعدادات المستندة إلى التقديرات والإحصاءات التي ظهرت حتى الآن. وأضيف إلى ذلك قولي: بأن هذا الاعتراض نفسه وارد ولاشك بالنسبة لتعداد الكرد في العراق أيضاً.

ثانياً: مادام المرء يبحث عن (اثنو جغرافية) بلد من البلدان لا يجوز له بوجه من الوجوه أن ينظر في ذلك إلى اختلاف العقائد وتبيان المذاهب والنزعات. فكان يجب على مؤلف «مفصل جغرافية العراق» إلا يفصل اليزيدية والنصارى واليهود الذين يعيشون بين ظهري الكرد، عن الأصل الكردي والقومية الكردية، وأن يفعل مع هؤلاء كما فعل هو نفسه مع الكلدان والسرمان واليهود وغيرهم من العناصر العراقية حيث أدمجهم كلهم

في القومية العربية (ص ٧٩). وكان حرياً به أن يقتدي في ذلك بـ«السير مارك سايكس» في مباحثه عن اثنوغرافية الكرد، وبمؤلف كتاب «سنتان في كردستان» حيث نصّ في (ص ٣٩) على وجوب اعتبار العناصر الدينية في كردستان من القومية الكردية.

هذا وتنص لجنة عصبة الأمم في تقريرها (ص ٥٨) على ما يأتي: «اليزيديون يتكلمون الكردية ويتعبدون بها، بل يعتقدون بأن آلههم نفسه يتكلم الكردية» وورد في ص ٥٩ من التقرير نفسه، نقلاً عن السير مارك سايكس الذي زار «سنجار» وأقام بها مدة أجرى خلالها تحقيقات ودراسات علمية ما يأتي: «لا شك في أن هؤلاء اليزيدية أكراد أقحاح. وليس هذا من الوجهة اللغوية فقط، بل أن أجسامهم وسائر مظاهرهم الخارجية تشبه تمام الشبه أكراد جبل «درسم» الشهير. والظاهر أنهم منهم، فهاجروا منه إلى «سنجار» بعد ظهور «تيمورلنك» وإغارته المدمرة على البلدان الإسلامية». فبهذه العقيدة أدخل «السير مارك سايكس» اليزيدية جميعاً في الخرائط وكشوفات الطوائف الكردية، في كتابه القيم^(١).

ومن جهة أخرى، يقول المستشرق الدكتور فريج: «أنه توجد بين العشائر الكردية عدة مذاهب دينية وطرق صوفية مثل اليزيدية والقزلباشية إلخ» وهكذا لا يخرج اليزيدية عن القومية الكردية^(٢) حتى إن كتاب (مفصل جغرافية العراق) في ص ١٠٩، يؤيد هذا الرأي بعبارة «اليزيديون من الشعب الكردي».

وسوى طائفة «اليزيدية» هذه توجد في لواء الموصل «طائفة أخرى تذكر بأسماء («سارلي» و«باجوران» و«شاباك»). فهذه الطائفة أيضاً بأقسامها الثلاثة كردية بحتة. ويؤيد هذا أيضاً تقرير لجنة عصبة الأمم حيث ينص في ص ٦٠: «أن لغة هذه الطائفة أيضاً كردية، ولكنها قاسية خليطة وغير فقيه. ولها نحلة خاصة بها». كما أن «دائرة المعارف الإسلامية» أيضاً تقبل الفكرة القائلة: بأن أهالي «سنجار» أكراد أقحاح: حيث تقول في

(١) آخر ميراث الخلفاء ص (٥٨٨، ٥٥٣).

(٢) كتاب كرودلر: ص ٧.

مادة (شاباك) التي بحثت فيها عن هذه الطائفة الأخيرة ذات الأقسام الثلاثة «أن مذهب طائفة الشاباك، هو الذي يعتنقه قسم من أكراد الموصل» ويقدر عددهم بحسب فرض وتقدير الموظفين الإنجليز. عشرة آلاف نفس، والمسلمون في تلك الجهات يطلقون عليهم اسم «أعوج» لإعوجاجهم عن الطريق المستقيم ويسكن هؤلاء الشاباكيون كلهم بجوار اليزيدية». في قضاء «سنجار» بالقرى الآتية: على رش - ينيجه - خزنة - تالور... وعلى رأي العلامة الأب انستاس الكرمل: إن هؤلاء، ما هم إلا شيعة مفرطون متغالون.

هذا وإن قسم (سارلي) من الأقسام الثلاثة، أصله عشيرة الـ(كاكه يي) الشهيرة وعلى مذهبها وطريقتها. وتوجد بتلك الجهات أيضا عشيرة «باجوران» الكردية التي مذهبها وطريقتها غربية وسرية يدعون (على إلهي) ويسكنون في القرى (عمركان، طوبراخ زيارت، تل يعقوب، باش بيتا... إلخ). ويبلغ تعداد هذه الأقسام الثلاثة مع طائفة اليزيدية، حسب تقرير لجنة عصبة الأمم (٢٠٠٠/٢٠٠٠) نسمة.

ثالثاً: يجب علينا باسم العلم والحقيقة أن نعترف هنا، بأن الكرد في العراق لا ينحصرون في ولاية «الموصل» القديمة فقط، بل إن قسماً غير قليلة منهم يقيمون في ألوية «بغداد» و«ديالا» و«الكوت» أيضاً. فكما أن كتاب «مفصل جغرافية العراق» أهمل هذا القسم من الأكراد، فقد ابتعد أيضاً عن الحق كثيراً في صدد تعيين الحد القومي الجنوبي للكرد. ونحن هنا إظهاراً للحقيقة المحضة وخدمة للتاريخ، نوضح هاتين النقطتين فنقول:

١- إن جميع الأكراد المقيمين في لواء «بغداد» يسكنون تقريباً في مدينة «بغداد» وأن العدد الحقيقي لهؤلاء الأكراد، وإن كان غير معروف تماماً ولكنه يتراوح بين خمس وعشرين وثلاثين ألف نسمة، وأما سكان لواء «ديالى» فعددهم بموجب السجل الرسمي هو أكثر من الغير. وأهالي ناحيتي (هورين - شيخان) و(قوراتو - خوراتو) بأجمعهم أكراد. كما أن الأكثرية الساحقة من سكان ناحية (خانقين) ومدينتها هم أكراد ولا شك. ويوجد

قسم منهم في ناحية «قزلرباط» في المركز نفسه وفي الأطراف. وكذا يوجد في قضاء «شهربان» أيضا قسم منهم كبير^(١).

وفي قضاء «مندلى» تقيم عشيرة (قره اولوس) الكردية التي يبلغ تعدادها (٥٠٠) أسرة تقريبا. وفي ناحية «قزانية» تقيم بعض العشائر اللورية؛ فقريتا «دى شيخ» و«درو» كرديتان. وفي مركز الناحية (قزانية) نفسها يقيم فريق من الكرد هم فرقة «قرانلويه» من عشيرة «باجلان» الشهيرة هذا وقصبة «مندلى» فيها ثلاثة أحياء، سكان أحدها أكراد بأكملهم.

ويقيم بعض من العشائر والفلاحين اللور بقضاء (بدره) في ناحية «زرباطية» وفي ناحية «شيخ سعد» بقرية (بكسايه - باغ شاهي). والظاهر أن تعداد الكرد في أقضية (خانقين) و(شهربان) و(مندلى) و(بدره) و(شيخ سعد) لا يقل عن أربعين ألف نسمة.

٢- أن الحد الإثنوغرافي (القومي) الجنوبي للكرد، على رأي مؤلف كتاب (مفصل جغرافية العراق) هو خط (زاخو - شرقي أربيل - كركوك - كبرى) وهذا لا يتفق وتدقيقات السير مارك سايكس وخريطته عن العشائر الكردية، ولا مع معلومات الكابتن هاي^(٢) وأبحاثه، ولا يتفق أيضا مع الخريطة القومية التي وضعها المحقق الفاضل الميجر

(١) يؤخذ من الكشف الذي وضعته الحكومة العراقية منذ السنة الماضية وما قبلها - ولا بد من أن صورة منه محفوظة في وزارة الداخلية - أن في قضاء «خانقين» توجد (٢١) عشيرة كردية ما بين كبيرة وصغيرة يبلغ تعدادها (١٦.٠٠٠) نسمة وفي مدينة «خانقين» نفسها حي كردي بأكمله، وهو حي الحيمدية، وأما أحياء «عبد الله بك» و«العرب» و«الآغا» فمعظم سكانها أكراد، فضلا عن سكان الأحياء الأخرى التي فيها عدد غير قليل من الكرد. وفي ناحية المركز قرى «علياوه» و«باوه بلاوى» و«ده ككه» بأكملها أكراد، كما أن معظم أهالي «خانقين» و«كهريز» و«حاجي قره» و«قوله» أكراد أيضًا. هذا وفي مدينة «قزلرباط» حيان فقط، أحدهما كردي بأكمله ويدعى حي جولك. وتسكن في هذه الناحية عشيرة «زركوش» الكردية وجانب من عشيرة «دلو». كما أن فريقًا من عشيرة «سوره ميرى» يسكن فيما بين «شهربان» و«أبو جسة».

(٢) المفتش الإداري بأربيل. وألف كتابه (ستان بکردستان) سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م.

لونجريك^(١) ولا مع خريطة لجنة عصبة الأمم. وهو في الوقت نفسه لا يتفق مع الحقيقة والواقع. فالكابتن هاي يقول في كتابه: إن جميع سكان لواء (أربيل) أكراد، سوى عدد قليل من المقيمين في المدينة، وبعض من نصارى (عين كاوه) و(شقلاوه) و(كويه) وسكان بعض القرى في «شامك» و(قرد جوق).

وفضلاً عن ذلك فإن الذين زاروا قضاء «المخمور» يعرفون جيداً أن المنطقة التي تقع بين الزابين (الكبير والصغير) تحتلها كلها عشيرة (دزه بى) الكردية. وسكان هذه المنطقة التي كان يقدر عددهم بـ(٣٠٠ ٠٠٠) نسمة من عهد المستر هاي يجب أن يكون تعداد سكانها الآن في إحصاء سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، أكثر من ذلك، فإذا رجعنا إلى كتاب (مفصل جغرافية العراق) لا نجد في هذه المنطقة واحداً من الأكراد ولا فرداً من عشيرة (دزه بى) الكردية الشهيرة. ولا شك أن في هذا تجاوزاً عن الحقيقة وبعداً عن الصواب.

وإذا أمعنا النظر في الخريطة القومية التي أصدرتها لجنة عصبة الأمم، وفي الخريطة المرافقة لكتاب (الأربعة قرون الأخيرة للعراق) وفي الخريطة المرافقة لكتاب (آخر ميراث الخلفاء) ثم لو طالعنا كتاب (ستتان بكرستان) بإمعان، ماذا نرى؟

نرى أن الحد القومي الجنوبي للكرد - بصورة عامة - هو الخط الممتد بين «مندلى» وبين مصب نهر الزاب^(٢) الأصغر (زيبى كويه)^(٣).

وصفوة القول في هذا الموضوع أنه يظهر بأجلى وضوح، من التفاصيل التي ذكرناها، أن التعداد العام لجميع الأكراد في العراق يبلغ أكثر من (٦٠٠.٠٠٠) نسمة. فإذا كان التعداد العام لسكان جميع العراق مقدراً بثلاثة ملايين فقط، فإن نسبة الكرد حيثئذ تكون خمس مجموع السكان.

(١) Four Centuries of modezu Jraq سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩٢٥م لندن.

(٢) يصب الزاب الأسفل هذا في دجلة عند بلدة السن القديمة. المترجم

(٣) انظر: الخريطة القومية للكرد في آخر هذا الكتاب.

٤ - الكرد في روسيا:

في سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م كان تعداد الكرد بلوائي «آريفان» و«قارص» بالقوقاس، (١٢٥.٠٠٠) نسمة، مع أن الحكومة الروسية لم تكن قد أدجت في هذا التعداد أكراد لواء «اليزابت بول»^(١) أعني أكراد بلاد (زنكه زور، جوانشير، جبرائيل، آراش) منه، وهذه النواحي الأربع الكردية يتألف منها اليوم قضاء مستقل. ونظرًا لاختلاط هؤلاء الكرد بأتراك (آذربيجان) الروسية اختلاطًا كبيرًا ترى لغتهم مشوبة بكلمات أذرية تركمانية. وقد وضع المستشرق (جورسين) كتابًا عن أكراد هذه النواحي الأربع وأصدره في سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م بمدينة تفليس. ويوجد أيضًا مقدار من الكرد في منطقة (أخسخته) منتشرين في تسع عشرة ناحية.

وقد أدخلت الحكومة البلشفية التي أسست «جمهورية آريفان» الأرمنية، جانبًا من الكرد في بلاد هذه الجمهورية، ولا سيما أكراد ولاية «قره باغ» الذين هم بطون وأفخاذ من عشيرة «زيلان» الشهيرة والتي موطنها الأصلي لواء «بايزيد».

والتعداد الحقيقي لأكراد القوقاس المقيمين في بلاد الجمهورية الأرمنية وجمهوريتي «آذربيجان» و«كرجستان» غير معروف الآن تمامًا. نعم! أن كتاب (مفصل جغرافية العراق) قدره بـ (٥٠.٠٠٠) نسمة. وأعتقد أن هذا غير صحيح، لأن الجانب الذي انتقل من الأكراد إلى حوزة الحكومة التركية، بانتقال ولاية (قارص) إلى حكمها يتراوح عدده بين (٢٥) ألف و (٣٠) ألف نسمة فقط، وذلك حسب إحصاء ولاية (قارص) الأخير الذي بلغ فيه التعداد العام (٦٣.١٠٧) نسمة^(٢). في حين أن تعداد الكرد الباقين في القوقاس، حسب تعداد سنة ١٩١٠م، لا يقل عن (١٥٠.٠٠٠) نسمة.

(١) هي مدينة (كنجه) القديمة. المترجم.

(٢) انظر: ص ١٣٠٩ من التقويم السياسي السنوي.

٥ - الكرد في سوريا:

يعيش الكرد منذ القديم في سورية في حالة جماعات وعشائر رحل. ويقطن بعضهم المدن أيضًا، ولاسيما في جهات هذه البلاد الشمالية.

يدعي صاحب (لانسبون كورد) وهو الأستاذ مسعود فاني، بأن أكراد سورية معروفون بها من عهد الأيوبيين. ثم يضيف إلى ذلك قوله: إن تعداد الكرد في مدينة دمشق نفسها زهاء عشرين ألف من الأنفس. وإنه على رأي وتدقيقات (M.Deniker) كل من أهالي لبنان الغربي، والنساطرة، ودروز جبلي الشيخ وهوران ما هم إلا ناشئون من امتزاج واختلاط الكرد بالسكان المحليين المجاورين لهم. (ص ٢٠، ٢١).

ويقول الدكتور «فريج»: إنه يوجد في ولاية «حلب» (٢٧) عشيرة كردية [وذلك قبل الحرب العظمى] وأن مدينة حلب نفسها فيها عدد غير قليل من الأكراد. هذا وتوجد عدة عشائر أخرى كردية في بلاد (حارم)، و(جبل الوسط) و(بيلان) وفي حوض نهر (العاصي) وفي (جبل الأكراد) أيضًا. ومدينة دمشق نفسها تحتوي على عدد غير قليل من الأكراد^(١).

وقدر المسيو (زيميرمان) القنصل الروسي بحلب، تعداد الكرد بشمالي سوريا بـ(١٢٥.٠٠٠) نسمة، ويقال من جهة أخرى أن نحو (٢٠٠.٠٠٠) من الكرد، تسكن منطقة (العاصي - بيلان) الخاضعة للانتداب الفرنسي.

والخلاصة: أن تعداد الكرد في سوريا (الشمالية والوسطى) حسب تقدير وتحقيق المسيو زيميرمان قبل الحرب العامة - وبعد استثناء أكراد الأقسام الكردية التي بقيت داخل حدود تركيا من ولاية حلب القديمة - يتراوح بين (٧٠) ألف و(٨٠) ألف نسمة.

(١) كتاب (كوردلر ص ٧٤-٧٩) للدكتور فريج.

٦ - الكرد في بلوچستان والهند والأفغان:

عرفت عشائر «براخوى» كلها أو قسم كبير منها في بلوچستان بأنها كردية. وهذه العشيرة كثيرة العدد، ومعظمها يقطن بلوچستان ومركزها مدينة (ايغ). والحدُّ الشمالي لمنطقة هذه العشيرة هو مدينة «كتتا» وهو يمر بـ(كلات) ويستمر حتى (لاس - بلا). وهكذا يبلغ طول المنطقة نحوًا من (٢٥٠) ميلاً. والعشيرة في الأصل تنقسم إلى قسمين كبيرين وخمس فرق، القسم الأول يسمى (سراوان - براخوى الشمالي) والثاني يدعى (جاهلان - براخوى الجنوبي) والفرق الخمس هي: كامبرانى، ميروانى، كوركنارى، شومالانى، قلندرانى.

وتذكر «دائرة المعارف الإسلامية» هذه العشيرة فتقول: تفيد الروايات أن البراخوئين مثل البلوج قدموا إلى هذه الجهات من أطراف حلب. ويظهر أنهم قدموا حقيقة من جهة الغرب وأنهم كانوا في الأصل (كوج) قبائل رحلا، استوطنوا «مكران» قبل قدوم البلوج إلى «كرمان» وإقامتهم بها، حيث اختلطت هاتان الطائفتان فيما بعد على مدى الأيام. ويقول الإدريسي^(١) أيضًا أن هذه العشائر إن هي إلا طائفة من الأكراد. وحقًا إننا نرى أن جميع الأسماء الشهيرة من عشيرة «براخوى» في (لاس - بلا) مصحوبة وموصوفة بـ(كوردكلى - جماعة الكرد) فبناءً على هذا يمكن للمرء أن يقول: إن أصل هذه العشائر من أكراد غربي إيران وفدوا إلى بلوچستان من هنالك. ويبلغ تعداد نفوس براخوى بلوچستان زهاء (٣٠٠.٠٠٠) نسمة. ويوجد في الهند؛ بمقاطعة السند قسم من عشيرة (براخوى) هذه يبلغ عدده (٤٨.١٠٨) نسمة^(٢).

(١) يقصد الجغرافى والرحالة الشهير الشريف الإدريسي صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)

طبع ليدن سنة ١٨٦٦ م. المترجم

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ج ١ - ص ٦٣٠.

وقد اكتشف المستشرق (تيدسكو - Tedescu) بعض صلات وعلاقات بين الكرد والبلوج^(١).

ويؤخذ من كتاب «شرفنامه» أنَّ بعضًا من عشائر «زنكنه» قدمت في الأصل إلى (بلوجستان) من بلاد الأفغان، فيتضح من هذا أن في الأفغان أيضا قسما من الأكراد. ويدل على ذلك ما يقوله (مور غنستين): إن من المحتمل جدًا أن يكون في غربي «هراة» قبائل تتكلم الكردية؛ إلا أن أحوالها لم تدرس درسا كافيًا. فيؤخذ من مباحث دائرة المعارف الإسلامية أن من المحتمل أن يكون أصل أكراد هراة؛ إمّا من التاجيك أو من أكراد خراسان. يذكر المؤرخ الشهير ابن خلدون في تاريخه القيم وجود عشيرتين كرديتين كبيرتين في بلاد المغرب ويدعوها باسمي (لوين) و(تابر). فهاتان العشيرتان من ضمن العشائر الكردية الكثيرة التي هجرت مواطنها التاريخية، من جراء اجتياح المغول بلاد الإسلام واستيلائهم على العراق والقضاء على الخلافة العباسية، ولجأت إلى سورية ومصر، ثم تقدمتا إلى الغرب حتى التحقتا بخدمة الخليفة المرتضى رئيس حكومة الموحدين الذي قابلهما بحسن الوفادة وبأدر إلى توزيع الأراضي والإقطاعات عليهم وأدخل رؤساءهم ضمن رجاله المعتمدين حيث كان موقفه السياسي في حاجة إلى ذلك.

هذا ولتكوين فكرة عامة عن الكرد، ومدى انتشارهم في البلاد، ينبغي النظر في الخريطة القومية للشعب الكردي في آخر هذا الكتاب.

وخلاصة القول أنه يؤخذ مما تقدم من المباحث أن التعداد العام لنفوس الأكراد عامة هو كما يلي:

أكراد إيران	٢.٠٠٠.٠٠٠ ^(١)
أكراد تركيا	١.٥٠٠.٠٠٠
أكراد العراق	٦٠٠.٠٠٠
أكراد روسيا وسوريا	٢٣٠.٠٠٠
أكراد بلوچستان والهند	٣٥٠.٠٠٠ ^(٢)
	٤.٦٨٠.٠٠٠

(١) يقول كرزون: إنه يؤخذ من الدراسات القيمة التي قام بها المسيو (زوتالوف) للجمعية الآسيوية الروسية في ١٨٨٨ م، أن التعداد العام للعنصر الكردي في إيران ماعدا ولايات خراسان وسجستان وفارس لا يقل عن (١.٣٨٠.٠٠٠) من الأنفس، منهم (٧٨٠) ألفاً من اللور والبختياري. (إيران ج ٢- ص ٤٩٤).

(٢) ورد في رسالة الدكتور «بليج شيركوه» الصادرة باللغة العربية باسم (القضية الكردية) في سنة ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣٠ م: «أن التعداد العام لجميع الكرد يبلغ ثمانية ملايين وكسور. ويقول: إن هذا مبني على رأي «المسيو ألكسندر زابا Alexandre Zaba» في كتابه المطبوع في بطرس بورج سنة ١٨٦٠ م. ولكنه لا يذكر مصادر أخرى تؤيد هذا الرأي. ومن جهة أخرى يقول مؤلف (المسألة الكردية بتركيا ص ٤٦): «يدعي الكرد أن عددهم في جميع الجهات، قبل الحرب العظمى كان يبلغ ما يأتي:

في تركيا ٢.٩٨٧.٩٦٠، في سوريا ٢٨٩.٩٤٠، في العراق ٧٤٩.٣٨٠، في أرمينية ٦٠.٠٠٠ في إيران ١.٣٠٠.٠٠٠ فيكون المجموع ٥.٣٨٧.٢٨٠. ويرى (فردريك ميلينغن) الشهير بدراساته القيمة للكرد وكردستان أن التعداد العام للشعب الكردي، يبلغ خمسة ملايين من الأنفس. (حياة ابتدائية بين الأكراد ص ١٤٤-١٥٢). أما صاحب (لأناسيون كورد) فبعد أن ذكر عدة تقديرات وفروض في تعداد الكرد قال: إنه يبلغ (٢.٧٨٩.٠٠٠) من الأنفس، منه مليون في تركيا و٤٩٤ ألفاً في العراق و١٢٥ ألفاً في القوقاس ومائة ألف في سورية، و(٧٠٠) ألفاً في إيران و(٣٥٠) ألفاً في بلوچستان و(٢٠) ألف في الأفغان. ص ٤١.

الفصل الثاني منشأ الكرد وأصلهم

هذا البحث من أهم أبحاث هذا الكتاب وأصعبها تحقيقاً، لأن الآثار القديمة الخاصة بالشعب الكردي أو بكردستان، المكتشفة حتى الآن، لا تعطينا فكرة قاطعة عن أصل الكرد ومنشئهم. فلذا نرى أنه لم يحن الوقت بعد، الذي يمكننا فيه أن نبدي رأياً حاسماً في مثل هذا الموضوع التاريخي.

غير أن الأستاذ «ولادмир مينورسكي» الإخصائي الشهير في (تحقيق أصل الشعب الكردي) قد كتب أخيراً بحثاً ضافياً في غاية من الدقة والتحقيق عن منشأ الكرد وأصلهم، في «دائرة المعارف الإسلامية». فهذا البحث القيم هو المشجع الوحيد والباعث القوي لإقدامي على تأليف هذا الكتاب في ضوء ذلك البحث المستفيض. وفي الواقع أن القسم الخاص بأصل الكرد من ذلك البحث في غاية الدقة والتمحيص. لأنه ثمرة إطلاع واسع ودراسات عميقة، وخلاصة لجميع النظريات والآراء التي ظهرت للآن في هذا الموضوع.

وقد رأيت أن أستأنس في هذا الموضوع بآراء وأفكار المستر «سيدني سميث» مدير الآثار والعاديات في العراق، وهو إخصائي في التاريخ القديم للشرق الأدنى وله مكانة ممتازة بين المستشرقين الناهين. فطلبت إلى هذا العالم المفضل أن يمنحني تعضيده الأدبي القيم، فأرسل جنابه إلي مقالة هامة ضمنها رأيه ودراساته عن كردستان القديم.

وهأنأ أبادر إلى ذكر بحثي هذين العالمين الإخصائيين فيما يلي حرفياً. ثم أتبعهما برأبي المستقل الذي هو ثمرة دراستي لبعض مؤلفات شهيرة وآثار أخرى، وآمل بذلك في أن أكون قد وفقت في إعطاء فكرة عامة ومقبولة نوعاً عن أصل الكرد ومنشئهم القديم.

١ - رأي ولادمير مينورسكي:

يقول هذا الإخصائي البار: إن من المحتمل جداً أن يكون الشعب الكردي قد هاجر في الأصل من الشرق (شرقي إيران) إلى الغرب (كردستان الحالي). واستوطن به منذ فجر التاريخ؛ وهذا لا يمنع أنه كان قبل قدوم هذا الشعب المهاجر، هناك في كردستان الأوسط، قوم أو أقوام مختلطة تعيش تحت أي اسم مشابه لإسم ذلك الشعب الوافد، كـ(كارود) مثلاً فاختلط الشعب الوافد بذلك القوم، أو بتلك الأقوام المحلية واندمج فيها اندماجاً كلياً وصاروا جميعهم أمة واحد على مدى الأيام والظروف.

ويقول المستشرق (تورو دانجين - Thureau Dangin): إنه قد اطلع في المجلة الآشورولوجية، على لوحين أثريتين، عليهما بعض نقوش وكتابات يرجع تاريخها إلى ألفي سنة قبل ميلاد المسيح، مفادها أنه كان هناك إقليم يدعى «كار - داکا» بجوار أهالي (سو - Su) الذين كانوا يسكنون في جنوب بحيرة (وان). ويقول مؤلف كتاب «شرفنامه»: إنه توجد في منطقة (بدليس) قلعة تسمى (سوى - Suy).

وبعد هذا التاريخ بألف سنة حارب (تيغلات بلسر^(١) - Tiglath pileser) قومًا في جبال (آزو - Azu) يدعون (كورتى - Kurtie) فانكسر في قتالهم شر كسرة. ويقول المستشرق (درايور): إن جبال «آزو» هذه هي جبال «هازو» الحالية أعني جبال (صاصون).

ولا يذكر المؤرخ الشهير «هروودوت» شيئاً عن هذا الاسم أو ما يقاربه في أخبار القرن الخامس قبل الميلاد. ولكنه يقول: إن المقاطعة الثالثة عشرة من مقاطعات دولة (آخميني^(٢) - Achaemenid)، التي ألحقت فيما بعد بمقاطعة «أرمينية» كانت تسمى حينئذ باسم (بوخته

(١) يؤخذ من الآثار الآشورية أن (تيغلات بلسر) الأول حكم في المدة (١٠٩٨ - ١٠٦٨) قبل الميلاد.

(٢) الدولة الكيانية.

ويخ) فيقول كل من المستشرقين (نولدكه، كبرت، م. هارثمان) أن كلمة (بوختان- بوهتان- بوتان) الحالية إن هي إلا محرفة عن الكلمة السابقة (بوخته ويخ).

ويذكر (زينوفون - Xenophon) في رجعة العشرة آلاف التي حدثت في سنة (٤٠٠- ٤٠١ ق.م) الشعب الكردوكي قائلاً: إن موطنهم يمتد إلى إقليم «بوهتان».

فمن ذلك الوقت نجد هذا الاسم مذكورًا دائماً مع هذه المنطقة التي تقع في الضفة اليسرى لنهر «دجلة»^(١) وفي أطراف جبل الجودي، حيث أطلق المؤلفون والمحررون المشاهير اسم (كوردوئين - Corduene) على هذه المنطقة [يحتمل أن يكون السبب في تغيير وتحريف هذا اللفظ صعوبة النطق بالكاف - g. في اللغات السامية. دراوير]. هذا وفي اللغة الآرامية يطلق على هذه البلاد اسم (حوض كاردو) كما أن اسم (كازار تاي كاردو) كان يطلق على مدينة (حزيرة ابن عمر) الحالية. وعرفت هذه المنطقة بين الأرمن قديماً باسم (كوردوز - Korduth) كما عرفت بين العرب والمسلمين (مثل البلاذري والطبري) باسم (بقردي^(٢) - Bakarda وقردي) ويقول ياقوت الحموي نقلاً عن ابن الأثير: إن بلاد

(١) إن لفظ (دجلة) في اللغة الفارسية يقابل كلمة (أرو - Arrou) فسمي النهر بهذا الاسم لشدة جريانه وسرعته. وفي العبرانية يطلق عليه لفظ (جى دكل) الذي يأتي بمعنى (أرو) أيضاً. وأما لفظ (Tigris) فنأشئ من كلمة (Tighia) الزندية، وهذه ناشئة من كلمة (تيز - Tig) السنسكريتية بمعنى (حاد). ويتصل هذا النهر على مسافة تسعين ميلاً من خليج فارس، بنهر الفرات ويبلغ طوله ١١٤٦ ميلاً. (ترجمة تاريخ كورتيوس. فصل ٤ - ص ٣٧) ولا يزال لفظ (تيز) موجوداً في لهجة السليمانية بهذا المعنى. المؤلف

(٢) ورد في الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ٣ ما نصه:
وكان جنوح سفينة نوح عليه السلام واستقرارها على رأس الجودي، جبل بقردي وبازبدي. وفي الطبري ج ١٠ ص ١٧٥: خرج الرشيد في سنة ١٧٤ هـ إلى باقردة وبازبدي وبنى ببقردي قصرًا فقال الشاعر في ذلك:

بقردي وبازبدي مصيف ومربع وعذب يحاكي السلسيل بروده
وبغداد ما بغداد أما تراها فجمر وأما حرها فشديد

(بقردا) قسم من بلاد (جزيرة ابن عمر) فكان بها مايتا قرية وضيفة. ومدن (الثمانين، جودي، فيروز، شابور) كانت في الضفة اليسرى لدجلة إزاء (بازابدا - Bayabda)، [هذه المدينة كانت واقعة في الضفة اليمنى لدجلة].

هذا وقد اندثر أخيراً اسم (باكاردا - بقردا) الذي كان يطلق في أوائل العهد الإسلامي على المنطقة كلها وحلت محله في الكتب الإسلامية والعربية أسماء أخرى مثل (جزيرة ابن عمر) و(بوهتان). إلخ.

ويؤخذ من أقوال وروايات العرب والأرمن أن أراضي بلاد «كاردو» هذه ضيقة ومحدودة جداً. وفي الواقع أن حدود بلاد «كوردوئين» هذه غير معلومة لنا تماماً. وكل ما هنالك أن لدينا معلومات ومباحث عن ثلاث مدن كانت في ساحل (دجلة) وهي (ساريز) و(ستالكا) (بنيكا) [فنيك الحالية]. ويؤخذ من التقرير القيم الذي وضعه المستشرق (سترابو) خصيصاً لهذا الغرض، أن لفظ (كوردوا) كان يطلق ردحا من الزمن على الجبال التي بين (ديار بكر) و«موش» الحاليتين.

ومهما يكن من أمر فالذي لا شك فيه أن كاردوخوى، كان موجودا وكان يدل على مسماه الحقيقي ولو كان ذلك بشكل آخر [والظاهر أن اللفظ الأخير أعني «خوى» استعمل بدل (KH) الذي هو علامة الجمع في اللغة الأرمنية فتتج من هذا أن علماء اليونان والرومان اطلعوا على هذه الأعلام والأسماء في الكتب الأرمنية فأخذوها كما هي مصبوغة، بالصبغة الأرمنية].

ويرى (زينفون) أن شعب (كاردشو - كاردكو) لم يكن خاضعا لأحد، لا لدولة (ارتاكسيرس - أردشيركان)^(١) ولا لحكومة الأرمن.

(١) يقصدون من لفظ (أرتاكسيرس - أردشيركان) الملك أردشير الشهير وخلفاءه.

هذا وفي القرن الأول (ق.م) استولى (ديكران) الثاني على مملكة «كوردئين» وقتل ملكها «زاريونوس». وفي سنة ١١٥ م كان ملك «كوردوين» يدعى (مانيساروس). ويرى العلامة المستشرق (هابشمان) أن استيلاء الحكومة الأرمنية على هذه المملكة، كان اسمياً فقط.

ولا يستبعد أن تكون عشيرة إيرانية قد قطنت في عهد (زينيفون) في شمال (دجلة)، ولكن وجود عشيرة كهذه في تلك الجهات لا يدل على أصل القومية التي يتنسب إليها الـ(كوردوش). لأن هذا الاسم أساساً واشتقاقاً في اللغات السامية^(١). (معنى «كاردو» في اللغة الآشورية القوي، أو العامل ومعنى (كارادو) كون الإنسان قوياً (القوة).

ومن جهة أخرى فإن هنالك بعض تشابه لفظي بين هذه الكلمات والألفاظ المتقدمة وبين لفظ خالدي - (Khaldi). والخالديون اشتهروا في عهد الآشوريين باسم «أوراتو - Urartu أو Urshtu إذ كانوا ساكنين في أطراف جبل «آارات». وفي أواخر القرن التاسع قبل الميلاد كان الشعب الخلدي هذا موجوداً في «أرمينية» ثم تمكنوا من تأسيس حكومة قوية عاشت حتى أوائل القرن السادس (ق.م) في أطراف بحيرة (وان). ويقول العلامة (لهمان هوبت) اعتماداً على كتاب (جوتنجين) المطبوع سنة ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧ م: إن الشعب الخلدي هذا قد امتزجت به عناصر غربية، ويرى العلامة «ماير» أن الموطن الأصلي لهذا الشعب كان على الأرجح في حوض (آراس - آراكس) الأوسط ولذلك بحث عنهم في تلك الجهات.

والخلاصة أن هؤلاء الخلديين هجروا بلادهم هذه ونزحوا إلى جبال ووهاد البلاد المجاورة، من جراء استيلاء الأرمن على كردستان حوالي القرن السابع (ق.م)^(٢)، ولكن

(١) أعني اللغات التي تتكلم بها الشعوب المنسوبة إلى (سام بن نوح عليه السلام) منهم الآشوريون والكلدان، والعرب، والفنكيون، والقرطاجيون.

(٢) يقول «أحمد رفيق بك» في كتابه (مفصل تاريخ عمومي): إن الخلدين بقوا في موطنهم ولم يهاجروا ولا شتوا قط، بل اتحدوا مع الأرمن واندمجوا فيهم. (ج ١ - ص ٣٤٧).

اسم هذا الشعب كان مشهوراً في منطقة بحيرة (وان) ولا بد أن مدينة (خلاط) الواقعة على الضفة الشمالية لبحيرة (وان) تحتوي على آثار وعاديات متخلفة من الشعب المذكور^(١).

سواء أضح القول بأن قوم (كاردو) من الأقوام السامية، أم لم يصح، أو أنهم سكان أصليون لبلادهم، فالذي لا شك فيه هو أن بلادهم «كاردشو» القديمة هي وسط الموطن الأصلي للشعب الكردي الآن. فإذا ثبت هذا يجب علينا أن نسلم بأن كلا من لفظي (كوردشوى) و(كوردى) يشترك اشتراكاً لفظياً مع الآخر. وهذه الفكرة أصبحت بديهية منذ ابتداء القرن العشرين.

وإذا أمعنا النظر مرة أخرى في هذه المسألة، نجد أن الشعب الكردي بأكمله متحد مع الخلديين وأنها من جنس واحد لا غير. إذ يقول المستشرق (ريسك Rieske) في شرحه لكتاب (قسطنطين بوروفير وجنيتوس) أن كلمات (خلدى، كوردى، الكرد) مع كلمة «كوردياي» أسماء مشتركة تدل على مسمى واحد. وهناك فكرة أخرى مثل هذه موجودة في مقدمة كتاب (ليرج^(٢) - Lich). وقد حولت أبحاث ودراسات العلماء أمثال (م. هارثمان، نولدكه، ويسباخ) هذه المسألة إلى اتجاهات جديدة، حيث يقول هؤلاء الأعلام: إنه يجب لمعرفة الفرق بين فرعي «الكرد» و«الكاردو» القيام بدراسات لغوية عميقة. فينبغي البحث عن أصل الشعب الكردي بين (كورتوى) و(سيرتى - Cyrtii)

(١) ورد في «دائرة المعارف الإسلامية» أن مدينة «خلاط» تقع على مقربة من «طرابزون». وهذا غلط فاحش. ويقول صاحب (مفصل تاريخ عمومى في مبحث الحكومة الخلدية: إن لغة الخلديين كانت تشبه لغة «الكرج» أو «اللاظ» الحاليين، وليس بينها وبين إحدى اللغات السامية علاقة ما وكانت مدينة (طوشبا - وان) عاصمة ملكهم. وفي سنة ٧٤٣ ق.م أغار الملك الآشوري «تيجلات بلسر» الثاني على هذا الشعب واجتاح بلاده حتى وصل إلى العاصمة (طوشبا - بورسيبا - توروشبا). ولكنهم دافعوا عن بلادهم دفاع الأبطال لتعشقهم الطبيعي للحرية والاستقلال فحافظوا عليها لغاية نشوء الدولة الميديّة التي قضت نهائياً على حكومتهم المستقلة واندمجوا بهم. (ج ٢١ - ص ٣٤٦).

(٢) هذا الكتاب طبع سنة ١٢٧٣ هـ/ ١٨٥٦ م.

بواسطة دراسة الآثار والمؤلفات الشهيرة للعلماء الإخصائيين في عادات «ميديه» و«إيران». ويؤيد هذه الفكرة طبعاً وجود عشائر كردية كثيرة في «فارس» في عهد الساسانيين [انظر: كارنهي اردشير بابكان]^(١).

هذا وإذا كان هناك فرق بين لفظي «كورد» و«كاردو»، فلا يؤثر مثل هذا الفرق في حل قضية كبيرة تاريخية كهذه. ولنا أن نتساءل ونقول: كيف ومتى جاء السيرتيون (أكراد إيران) إلى غربي جبال «زاغروس»، وأقاموا في بلاد «كاردو» القديمة بشمال سوريا وفي جبال «أنتى طوروس»^(٢) حقاً إن هذه المسألة لا تزال في حاجة شديدة إلى التحقيق والتمحيص. ويمكن أولاً أن تكون الفتوحات الميدية والإيرانية سبباً قوياً للمهاجرات من البلاد الإيرانية، مثل مهاجرة قسم من (آساغارتيا) الذين كان موطنهم الأصلي إقليم «سيستان» حيث وجدت عشيرة «آساغارتيا» هذه قاطنة في سهل آشوريا حوالي مدينة (أربيل - أربل) في عهد الآشوريين. وكان رئيسها حينئذ (جتران تاخما - Cttahn takhma) الذي قتله (دارا) ملك الفرس. ولا تزال صورة هذا الزعيم مع ثمانية من الزعماء الآخرين منقوشة على صخور «بهستون» بجانب صورة الملك. فهي تدل دلالة واضحة على أن صاحب هذه الصورة كردي خالص^(٣).

هذا وفي الحروب التي دامت من سنة ٢٢٠ حتى سنة ١١٧ ق.م بين الرومان والسلوقين، وبين ملك (بيرغامون) اشتركت فيها جيوش مستأجرة من هؤلاء السيرتين [انظر: ليواي، بولي بيوز، ويسباخ].

(١) ترجم هذا الكتاب من قبل المستشرقين (نولدكه) و(غوتينكن) وطبع سنة ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م.

(٢) جبال كردستان وآسيا الصغرى تتشعب في الأصل من سلسلتين كبيرتين متفرعتين من جبال (آارات) الشهيرة تسمى إحداهما طورس لاخرى أننى طورس. المترجم

(٣) لندن سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م (The Sculptur of Bibiston).

ونرى صفحة غربية عن بلاد (كروجيخ - Korcekk)^(١) في كتاب جغرافي (أرمينية في القرن السابع) حيث ورد فيه ما يأتي:

«في عهد (فوستيوس بيزانتيوس) في القرن الرابع كان لفظ «كورد جيخ» علماً لقضاء بجوار «سلماس»، ثم اتسعت مساحته حتى صار منطقة تمتد من (جولريك) حتى (جزيرة ابن عمر) وتحتوي على هذه الأفضية، كوردوخ، (سيكوردريخ - كوردريخ) آيتوانخ، ايكارخ، (موثولوخ - اوثولانخ)، (أورسيروخ - اورسيانخ)، (كاراثونينخ - ساراينونينخ)، جاهوك والباك الصغير [هارثان، وهوبشان].

وقد رأينا أن التطورات والتحولات التي حصلت تدريجياً وعلى مدى الأيام ما حدثت إلا في هذه الأفضية الثلاثة (كوردوخ، كوردريخ، تموريخ) التي يقول المستشرق (فوستوس - Faustus) عنها أنها واقعة في مملكة (كوردوين) القديمة. وأن «كوردوخ» صار أحد أفضية مقاطعة «كورجيخ» وزال اسم «تموريخ» من الوجود، وحل محله اسم «كوردريخ» وهكذا اتحدت أفضية الشمال والشرق (اليمن) والجنوب واندجت بعضها في بعض.

وقد بذل المستشرق (هبشان) جهوداً علمية عظيمة في التوفيق بين اسم (كوردريخ - كوردريخ) وبين اسم (كورتوي) ومع ذلك إن الفرق اللساني الذي أثبتته كل من (هارثان) و(نولدكه) لا يمنع وجود شكل مختلط. لأن (نولدكه) نفسه وضع مجموعة ثالثة. فقال: إن كلمة (كارتوي) باللغة الآرامية وكلمة (كارثاوية) بالعربية ما هما إلا لفظان دالان على الشعب الكردي [هوفان].

فنتج من هذا أنه في عهد الفتوحات العربية أن اللفظ المفرد (الكرد) وجمعه الأكراد، صار علماً على شعب إيراني خليط أو شعب مجاور لإيران. وأنه كان بين ذلك الشعب

(١) على رأي المستشرق (أدونتس - Adantz) مؤلف كتاب (أرمينية) أن كلمة (كورجيخ) هذه محرفة من (كورتريخ - ثيخ) فيكون.

بعض من السكان الأصليين والمحليين [مثل «كاردو» و«توريوخ» = تامورايه] الذين كانوا متوطنين في منطقة كان مركزها «ألكي»^(١) أو «ألك» ومثل «خويه يثاي - الخويثية»^(٢) الذين كانوا في «خويت» بقضاء «صاصون» و«اورتاييه - الأرتان» الذين كانوا على ساحل الفرات. وكان بعض هذا الشعب سامياً. كتاب (أنساب عامة العشائر الكردية) والبعض الآخر أرمينيا على ما يظهر، حيث يقال: إن أصل عشيرة (ماميكان) الكردية منحدر من عشيرة (ماميكونيان) الأرمينية].

وفي القرن العشرين هذا، ثبت ثبوتاً قطعياً وجود عنصر إيراني غير كردي (مثل الكوران، والزازا - الظاظا) بين الشعب الكردي، كما أنه يوجد في بعض جهات أخرى من كردستان مثل (السليمانية، سابلخ، قوطور... إلخ) بعض سلالات أجنبية وعشائر قادمة من الخارج توطنت بتلك الجهات وحكمت فيها، كبقية الكوره سينلي الذين يقيمون بين ظهراي عشيرة الشكاك في جهة «قوطور». وخلاصة القول أن من المحتمل جداً أن تؤدي الدراسات الدقيقة والاكتشافات العلمية الجارية، يوماً من الأيام إلى تعيين واكتشاف هذا الشعب القديم الذي ضاع وانقرض في وطن الشعب الكردي الحالي الذي يعتبر في الظاهر متحدداً مع ذلك الشعب القديم ومتحدداً من سلالته.

من أي سلالة انحدر الشعب الكردي، ومن أين جاءوا؟

إن الآثار الإسلامية والروايات والقصص الكردية لا يعول عليها كثيراً في البحث عن أصل ومنشأ الكرد. فيقول المسعودي في كتابه «مروج الذهب»: إن الكرد من سلالة هؤلاء الإيرانيين الذين لجأوا إلى قلال الجبال فراراً من ظلم وجبروت (الضحاك) السفاك.

(١) لعله قلعة (القي) من قلاع الهكارية كما ورد في ابن الأثير ج ١ - ص ٦. ويحتمل أن يكون (القي) هذا تعريب (كوي - كويسنجق).

(٢) ورد في الطبري (ج ١١ - ص ٤٥) إلى جبل الخويثية وهم حمة أهل أرمينية وقتله يوسف بن محمد... ثم سار إلى بلاد ألباق التي هي من كور البسفرجان. المترجم

وهذه الرواية نفسها هي التي يذكرها الفردوسي ويصفها بشعره وصفا بارعا في كتابه «الشاهنامه» الشهير^(١). ذكر العلامة (موريه) سنة ١٨١٢ في [Second Journey ص ٣٥٧] بحثاً عن مهرجان (زماوند - دماوند) فقال: إنه في ٣١ اغسطس من كل سنة كانت تقام حفلات شعبية كبيرة، بمناسبة خلاص إيران من ظلم الضحاك (بيورآسب) السفاك ولا يزال يطلق على هذا المهرجان اسم (جزن كردى^(٢) - العيد الكردي^(٣)). هذا وإن هناك من

(١) ملخص هذه الرواية على ما جاء في الشاهنامه كما يأتي:

إن هذا الملك الظالم كان قد ظهر في منكبیه رأسا تنينين عظيمين عجز الأطباء عن استئصالهما فاضطروا إلى تغذيتها بمخ إنسانين كل يوم، مما أدى إلى ذبح شخصين كل يوم وأخذ مخهما لذلك الغرض. واستمروا في هذا العمل ردحا من الزمن إلى أن دبّ الخوف والذعر بين الناس فهجروا البلاد والمدن إلى رءوس الجبال وأعماق الوديان فضجّ الشعب وثار فيهم (كاويان) الحداد فاجتمع حوله خلق كثير من الناقمين على هذه الحالة، والفارين من وجه المظالم إلى الجبال. فما كان من الحداد المذكور إلا أن جعل بشكيره الجلدي على رأس عصا كراية، وقاد الثائرين على ذلك الملك الطاغية وأعوانه العتاة. فتم خلع الضحاك وأسرته الشاهانية وأصبحت تلك الراية الجلدية مقدسة عند الإيرانيين فيها بعد حيث اشتهرت باسم (درقش كاوياني).

هذا وتفيد الدراسات التاريخية الحديثة أن «الضحاك» لم يكن شخصا حقيقيا قط، بل إن هذا اللفظ كان علما على أسرة ملكية بأسرها وهي التي حكمت إيران جمعا واستولت على حكومة آشور وقضت على سلطاتها ودام لها الحكم ألفا من السنين في بلاد إيران بكل استقلال. وكانت في عهد الإمبراطورية، تقوم في شمال «آشور» حكومة (لوردهو) التي كانت تقلق بالضحاكين كثيرا، مما أدى إلى بهم إلى نقل قبائل وأقوام إيرانية من داخلية إيران إلى بلاد كردستان الحالي وإسكانها إزاء هؤلاء اللوردهويين فأفضى ذلك إلى زوال هؤلاء الآخرين والقضاء عليهم نهائيا.

(٢) يسمى صاحب (مروج الذهب) هذا العيد باسم المهرجان.

(٣) ويقول مؤلف كتاب (تاريخ إيران) السير مالکولم: إن رواية (جزن - جشن) الكردي هذا إن هي إلا مثال من أمثلة الظلم والاستبداد سرى إلى الكرد من الفرس. غير أن المؤرخ الشهير (فون هامر) الألماني (كذا) يقول ما يأتي: «إن رواية (جزن كردى) هذه ما هي إلا صفحة تاريخية مجيدة للشعب الكردي فينبغي أن يفهم منها هكذا: كانت عبادة الشيطان والشمس من أديان إيران القديمة، حيث كانت الأولى منتشرة في كردستان والثانية في فارس. وفي الواقع أن هؤلاء البيزيدية بكردستان قدموا في الأصل من إيران. فينتج من هذا أن قسما من أهالي إيران كانت قد اختارت عبادة (اهريمن) والقسم الآخر عبادة (هرمز) وأن الأولين اضطروا فيما بعد إلى الهجرة إلى كردستان» (كوردلر،

ينسب أصل الكرد إلى الأمة العربية فيقول المسعودي في كتابه (مروج الذهب): إن الجد الأكبر للأكراد هو (ربيعة بن نزار ابن معد). ويرى البعض من المؤرخين أنه (مضر بن نزار). وكلا هذين الشخصين كانا أميرين على ديار ربيعة (ديار بكر). وديار مضر (الرقعة) ويدعي هؤلاء العلماء العرب أن القوم الكردي ما هم إلا عرب في الأصل انفصلوا عنهم مع الغسانيين في حادثة تاريخية^(١). واعتصموا بالجلال والوهاد حيث اختلطوا ببعض الأقوام الأجنبية فسوا لغتهم العربية من جراء ذلك. وأغرب من هذا أنهم يذكرون في أنساب الكرد هذه الأسماء فيقولون: كرد بن مارد [ماردوي؛ اسم لشعب مجاور للكرد] ابن صعصعة بن حرب بن هوازن. وعلى رأي المسعودي، كرد بن اسنفديار بن منوجهر. [ويقول ابن حوقل: كرد بن مارد بن عمرو].

ولا يبعد أن تحتوي هذه الأنساب^(٢) كلها على بعض من الحقائق التاريخية «مثل أن ينشأ، من اختلاط عشائر «زاغروس» وإقليم فارس، شعب إيراني كان في الأصل سامياً».

ص ١١) على أن هذه النظرية التي يقول بها (فون هاممر) ليس لها كبير صحة وقبول، بالنسبة إلى آراء مصادر أخرى (مثل كتاب تاريخ عمومي: مراد بك ج ١ - ص ٢١٦). لأن إيران كانت في عهد الآشوريين والكلدانيين موحدة تعبد إلهًا واحدًا وهو (يزدان) إلا أنه كان هناك بجانب هذا معبودان آخران للخير والشر كمساعدين له. ثم نشأت عبادة النار على مدى الأيام بناء على تعاليم (زند أوستا) وتأثيره ودامت حتى ظهور الإسلام.

وغير خاف أن عبادة الشمس في الأصل كانت سائدة في بلاد آشور والكلدان، فلذا كانت لهم آلهة كثيرة، غير أن (بعل أول) كان أكبرهم ومعنى هذه الكلمة في لغتهم الشمس. ومع هذا فيمكن أن يقال كما يقول. الدكتور فريج في (كوردلر) أن العيد الكردي ما هو إلا علامة على السرور والابتهاج بالخلاص من ظلم الضحاك.

(١) هي حادثة انهدام (سد مأرب) الشهيرة بسيل العرم.

(٢) يذكر العلامة المرحوم محمود أفندي الألوسي في تفسيره المسمى (روح المعاني، ج ٨ - ص ١٤٩) شيئاً عن أصل الكرد، فيقول نقلاً عن قاموس المحيط: إن أنساب الأكراد تنتهي إلى (كرد بن عمرو مزيقياء ابن عامر ماء الساء أو عامر بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة ابن مازن بن الأزرد بن العوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان بن عامر (أو،

وخلاصة القول أن المؤرخين المسلمين لم يقصروا في تقصي أخبار الكرد والفحص عن أنسابهم؛ حتى أن المسعودي بذل جهودًا لإيجاد مناسبة بين لفظ (الكرد) وبين الـ(كرادة) العربي. وزعم بعضهم أن الكرد من سلالة هؤلاء الناس الذين أسرهـم (جاهيل - جاساد) الشيطان أو الجنى الذي طرده من بابه سيدنا سليمان عليه السلام. وهناك من يقول باتحاد لفظي «كرد» و«كرد- جرد» الفارسي بمعنى البطل والمصارع. وهذا ناشئ من وجود حرف (گ- ج- g) البهلوي في اللغة الفارسية أيضًا.

هذا وكانت العشائر في العصور الأخيرة تتسمى غالبًا بأسماء كبارها وزعمائها. فعلى رأي كتاب (شرفنامه) أن الشعب الكردي كان يتألف من قسمين، هما باجناوي وبختي اللذان انحدرتا من سلالة كل من (باجان- باشان) و(بخت) والظاهر أن اسم (باجناو) منشأة كلمة (باسن آو) والتي كانت علما لإحدى عشائر «دجلة» القديمة. وتدل رواية أخرى على أن الشعب الكردي كان في الأصل مؤلفًا من فريقين، ملان وزيلان. فالأول أصله وافد من البلاد العربية والثاني من البلاد الشرقية وهذا الأخير لم يكن محترما مثل الأول.

٣- رأي السير سيدني سميث^(١)

إن قصارى ما حصلنا عليه من المعلومات عن كردستان حتى الآن متضارب وناقص جدًا. وهو غير كاف لتكوين فكرة مفصلة قاطعة. ولكن مما لا شك فيه أنه كان هناك في العهد القديم الذي ليس لنا معلومات عنه لا قليل ولا كثير منطقة شاليها بحيرة (وان) وغربها وادي الخابور وشرقيها «كركوك» وجنوبيها بلاد «بابل». وكان يحتل هذه المنطقة

(شالغ) بن ارفخشذ بن سام بن نوح). وهناك روايات أخرى كهذه الأقوال؛ ولكنها غير صحيحة لا تستند إلى أدلة علمية.

(١) كتبت هذا الإحصائي الشهير بناء على رجائي هذا البحث القيم تحت عنوان (كردستان القديم) وأرسله خصيصا إلي فأثبته هنا.

قوم يدعى (شوبارى) وقد احتلها جميعاً أو بعضاً منها عدة مرات السومريون الذين كانوا حكام المدن الكبرى في الجنوب ^(١) ولم تكن هناك أية علاقة بين اللغة التي كان يتكلمها سكان المنطقة المذكورة، وبين لغة الساميين أو الآريين (هندو-أوربي) أو لغة السومريين. ويظن بعض العلماء الألمان المعاصرين، أن اللغة الشوبارية هذه من صنف مجموعة اللغات القوقاسية. وفي سنة (٢٥٠٠ ق.م) جاء شعب سامي اللغة فقط (الآشوريون) -إذ الظاهر أنه لم يكن سامياً قحاً من كل الوجوه- واستوطن القسم الجنوبي من بلاد الشوباريين أعني المنطقة التي في أطراف مدينة «آشور» أو «قلعة الشرقات» الحالية. وحوالي سنة (٢٥٢٥ ق.م) كان جميع كردستان قسماً من أقسام مملكة (سارغون) ملك (أكاد akhad) وخلفه (نارام سين) وفي الدورة الثالثة لحكومة (أور) أعني في المدة (٢٣٠٠-٢١٥٠ ق.م) جردت عدة حملات عسكرية على بعض الأقسام الصغيرة من كردستان الواقعة في شرق «دجلة» مثل منطقة (سيمورو) التي يظهر أنها منطقة (التون كوبرى) الحالية ومنطقتي (اللبو) أعني حلوان و(ساسرو) وكذا منطقة (اوربيللوم) أعني (أربل). ويظهر أنه لم تكن هناك وحدة تجمع بين سكان هذه المناطق، بالرغم من أنهم كانوا أبناء أمة واحدة.

وفي القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، ظهرت آثار بعض الحركات الفكرية والنهضات القومية بين شعوب وأقوام آسيا الصغرى، فأثرت في جميع الأمم الشرقية. ويظهر أيضاً أن هذه الحركات والنهضات العامة قد أثرت تأثيراً جلياً في جميع الشعوب والأقوام الهند والأوربية (الآريون). فاستولى الحيثيون (هتيت) -وهم الذين من المؤكد أن لغتهم من شعبة (سنتيوم) أو من شعبة (لاتين)- على بلاد (سورية) ثم أغاروا على «بابل» ونهبوها. كما أن شعباً متأخراً يدعى (أوممان ماندا) -وهم الذين افترقوا أخيراً عن الميديين والسيثيين وكانوا يقطنون في الساحل الشرقي للبحر الأسود- قد اصطحبوا طائفة صغيرة من العنصر الهندوالأوربي فجاءوا معاً إلى غربي كردستان واستوطنوا به،

(١) قبل تشكل حكومات المناطق والأقاليم كانت هناك عدة حكومات تقوم بالمدن الكبيرة من بلاد (سومر) و(أكاد) مثل حكومات كيشن ولاغاش واور... إلخ في سنة ٢٩٠٠ ق.م.

حتى إن أسرة مالكة من هؤلاء تدعى (ميتاني) أسست حكومة باسمها كان مركزها على نهر الخابور.

وابتداء من هذا التاريخ انفصل القسم الغربي من بلاد «شوباري» عن القسم الشرقي منها وأطلق عليها اسم (خوري) وعرفت اللغة السائدة فيه بهذا الاسم أيضاً. وفي أثناء ذلك حدثت بعض انقلابات وتطورات بين الكاسيين في منتهى الحدود الشرقية لكردستان أفضت إلى نهضة هذا الشعب الذي أقدم على اجتياح بلاد الحثيين، وتمكن بعض من رجاله وزعمائه البارزين من تأسيس حكومة مستقلة في بلاد «بابل». ويظهر أن هناك بعض علاقات ومناسبات بين لغة هذا الشعب وبين لغة الإيرانيين (الفرس).

وفي القرن السادس عشر قبل الميلاد، حكمت الأسرة الميتانية قليلاً من الزمن جميع كردستان تقريباً، لغاية مدينة (آراپخا- كركوك) فامتد سلطانها لبلاد (آشور) وسهول (أربل). إلا أن دوام الاضطرابات الداخلية وفساد إدارة الحكومة، أفضى إلى شطر بلاد هذه الحكومة إلى قسمين؛ قسم (الميتانية الأصلية) وهو بلاد السهول، وقسم بلاد (خوري- هوري) وهو عبارة عن القسم الأخير من منطقة الجبال وطور عابدين.

وفي خلال هذه المدة ظهرت أسرة مالكة أخرى كانت تدعى أسرة (خاني كالبات) فأسست حكومة مستقلة في تلك الجهات وحكمت بلاد آشور ردحاً من الزمن، حيث كانت عاصمتها مدينة (نسييس) التي صارت فيما بعد (نصيبين).

وفي أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد، قامت الحروب بين الحكومتين الميتانية والحثية، حول الاستيلاء على (سورية) مما أدى إلى ازدياد نفوذ الآشوريين وتفوقهم على منافسيهم (الميتانيين) وتمكنهم من الاستيلاء على قسم من كردستان أعني المنطقة الجنوبية الشرقية التي كان ملوك بابل الكاسيون يدعون تملكها وخضوعها لسلطانهم. ولكنه ظهر في أواخر القرن الرابع عشر شعب حديث آخر في تلك الجهات وحاول الاستيطان في البلاد الواقعة على شاطئ (دجلة) الغربي قرب جبل الجودي ف وقعت الحرب والنزاع بين

الآراميين وغيرهم من العناصر الأخرى بشمال «سورية» وبين الآشوريين وأدى ذلك إلى فشل المحاولة المذكورة وعدم تحقق الاستيطان. والسبب في ذلك هو ما كان عليه الآشوريون عندئذ (في القرن الثالث عشر ق.م) من القوة والنفوذ. وسبب آخر هو استيطان شعب جديد في نفس هذا الوقت في المنطقة الممتدة بين بحيرة (وان) وبحيرة (أرمية). وابتداء من هذا التاريخ سميت هذه المنطقة بـ(أورارتو) أو (آارات) وهو الاسم الذي ورد عنه في الكتاب المقدس: أن أول من ذكره في سنة ١٢٦٠ ق.م هو الملك (شلماناسر) الأول. غير أن أسم سكان هذه المنطقة ليس معروفاً تماماً، ولكنه يظن على العموم ما يأتي: حيث إن اسم معبودهم كان (خلديان) فلا بد أنهم أولئك الذين أطلق عليهم الرومان اسم (خلديوي) الذي يجب تفريقه عن كلمة (كلدن). ويعتقد الإخصائيون أن اللغة التي كان هؤلاء الخلدليون يتكلمون بها كانت من الشعبة القوقاسية. وعلى ما يؤخذ من الآثار والوثائق القديمة التي اكتشفت في نفس مدينة (وان) ومدينة (طبراق قلعة)^(١) القديمة الواقعة بجوار (وان) أن من المحتمل جداً أن تكون هناك علاقة بين حضارة هذا الشعب وبين الحضارة التي كانت سائدة حينئذ في سواحل البحر الأبيض المتوسط. وال أثر البارز الذي نشأ من ذلك في شمالي كردستان هو اضطراب سكانه الأصليين إلى الهجرة من جنوب (وان) إلى الجهات الغربية والجنوبية، مما أدى إلى تشكيل بعض إمارات عرفت في عهد الآشوريين فيما بعد باسم (نايري) وهذه الإمارة كانت خاضعة على العموم لسلطان «أورارتو».

وفي عهد انقراض الإمبراطورية الحيثية في القرن الحادي عشر قبل الميلاد كان الشعب الموشكي مستولياً على جميع البلاد الشمالية لكردستان حيث دامت حكومتهم فيها زهاء خمسين سنة. فهذا الشعب الناشئ قد استولى على القسم الجنوبي من إقليم «كبادوكيا»،

(١) «طبراق قلعة» الحالية هي مركز قضاء (ألشکرد) بلواء (بايزيد) فليست لها علاقة بجوار (وان). والظاهر أن المدينة القديمة المقصودة هنا هي موقع آخر قريب من (وان).

وعلى إقليم «كلكيا»^(١) واستوطنهما. وكان الرومان يطلقون على هذا الشعب اسم «موشوى - موشكى» ولما أراد هؤلاء الموشكيون توسيع حدود سلطانتهم حتى شرقي بحيرة «وان» اصطدموا بقوات الملك الآشوري «تيجلات بلسر» في سنة «١١٠٠ ق.م» فانهمزموا شرانهمزام.

وفي المدة بين القرن العاشر وأوائل القرن التاسع قبل الميلاد. اجتاح الشعب الآرامي وادي الخابور، واستولى نهائياً على جميع بلاد «خورى» القديمة أي القسم الغربي لبلاد «شوبارى» إذ كان الآشوريون باسطين حمايتهم وسلطانهم على القسم الشرقي من تلك البلاد في المدة بين القرن الرابع عشر وأوائل القرن التاسع قبل الميلاد، وكان للحكومة الآشورية هذه نوع من المراقبة على هذه المناطق غير التابعة لها مباشرة من بلاد كردستان الشرقي التي كان سكانها في ثورة دائمة ضدها. ويؤخذ من الوثائق والآثار الآشورية التي يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أنه لم يحدث في هذه المنطقة حادث سوى ظهور شعب «بابي» وهذا الاسم حتى هذه الأيام الأخيرة قرئ هكذا «كورتى» وجعله البعض متحدا مع اسم «كرد»، غير أن الوثائق التي اكتشفت أخيراً في بلدة «بوغازكوى»^(٢) تفيد وجود شعب آخر يدعى «بابانخي» فمن المحتمل أن يكون هذا الاسم مشتركاً مع اسم «بابخي» وأنه قرئ سابقاً غلطاً وفي خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد أخذ الحيثيون يثنون الدعاية ويدسون الدسائس ضد الآشوريين، ولكنهم لم يفلحوا في مساعيهم تلك كثيراً. ويجب ألا يغيب عن الذهن أن أهالي كردستان الشرقي كانوا واقعين تحت نفوذ مدنية الشوباريين والكلدانيين والآشوريين. وهذا ثابت ومؤيد بالمستندات التجارية والقضائية القديمة التي اكتشفت أخيراً في أطراف «كركوك» ويرجع تاريخ هذه

(١) هي ولاية «أذنه - أطنه» الحالية بالأفضول. المترجم

(٢) من أعمال «جورم» بولاية أنقرة القديمة. انظر: مقالات الأستاذ قيصر صادر عضو جمعية العاديات السورية المنشورة في مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٦م ويناير سنة ١٩٣٧م عن الحضارة الحيثية بأسيا الصغرى وشالي سورية ومعاصري الحيثيين من الميتانيين والهوريين. وهي مقالات قيمة جداً تكشف النقاب عن أعظم دولة تاريخية. المترجم

المكتشفات الأثرية إلى القرن الخامس عشر والسادس عشر قبل الميلاد. ورغمما عن أنه كان هناك بعض من الاختلاف والشقاق بين أهالي تلك البلاد، إلا أنهم كانوا جميعاً متحدين في الدين والاجتماع والعادات والقوانين مصبوغاً كل ذلك بالصبغة الوطنية ضمن مدينة وحضارة حوض «دجلة».

هذا وتدل سجلات ووثائق القرن التاسع والثامن والسابع قبل الميلاد من عهد الآشوريين، على أنه قد حدث تبديل وتغيير في شرقي كردستان؛ وذلك من جراء مهاجرة شعب آري «هندوأوري» من شرقي البحر الأسود إلى المناطق الجنوبية. وأول من ذكر اسم «ميديا» هو الملك الآشوري «شلماناصر» الخامس (٨٢٣-٨١٠ ق.م) حيث صار هؤلاء الميديون بعد هذا التاريخ خطراً يهدد حكومة الآشوريين بصفة دائمة؛ لأنهم احتلوا أولاً المنطقة الشرقية لبلاد «ميديا». وما حلَّ القرن السابع إلا وكانت أمراء وزعماء هذا الشعب الفتي باسطين سلطانهم ونفوذهم على جميع البلاد التي سميت فيما بعد بمملكة «ميديا». وفي خلال ذلك احتل شعب يدعى «ماناي» -ولا يعرف عن لغته شيء- منطقة صغيرة في الجنوبي الشرقي من بحيرة «أرمية» ويظهر أن منطقة «بارسواس» في الجنوب الغربي من البحيرة المذكورة، كانت مسكونة في ذلك الوقت بشعب «بارسيوى»، (ليس «برساي») الذي كان يقطن الجهة الشرقية من بلاد «جاسكارت»^(١) في عهد البارثيين. فكل هذه العناصر السياسية الجديدة أصبحت أخيراً مقدمة لمهاجرة أقوام وشعوب كبيرة أخرى. وفي الواقع أن السيثيين ابتداءً من القرن السابع قبل الميلاد أخذوا يشنون الغارات على مملكة «آشور» للنهب والسلب. فاضطر الآشوريون في عهد «أسرحدون» إلى أن يعقدوا معهم معاهدة صداقة وحسن جوار. وبذلك تمكنوا من المحافظة على بلادهم حتى القرن السابع. غير أنه في سنة (٦٢٥ ق.م) تحالف الملك «نوبولاسير»^(٢) الذي كان قد أعلن

(١) أو -باكسارت- منطقة قريبة من نهر الجيخون في تركستان.

(٢) هذا الرجل كان والياً على «بابل» من قبل الحكومة الآشورية. فلما رأى ضعف الحكومة المركزية وفساد إدارتها انتهاز الفرصة فأعلن استقلاله، ولم يكتف بذلك فقط بل تحالف مع أعدائها عليها.

استقلاله وملكيته في «بابل» مع الميديين وهؤلاء السيشيين ضد الآشوريين؛ فأفضى ذلك إلى نشوب الحروب في سنة (٦١٦ ق.م) ودامت معارك هذه الحروب إلى سنة (٦١٢ ق.م) حيث قضى على الدولة الآشورية نهائياً وخربت مدينة «نينوى» العظيمة.

وقد ورد ذكر لاسم «الكرد» خلال عهد انقراض حكومة الآشوريين وقبل هذا التاريخ أيضاً^(١)، مرات متعددة. وبالأخص ذكرهم «زنفون» في أخبار تقهقر العشرة الآلاف في سنة (٤٠١ ق.م) وبين هاتين المديتين فترة لا تقل عن مائتي سنة كما لا يخفى وهي ليست بقليلة. والدلائل التاريخية الوحيدة التي من شأنها أن يكون لها الأثر الفعال في تاريخ كردستان ولاسيما الألواح المكتوبة التي خلفها الملوك «الأخمينيون»^(٢) الإيرانيون، لا تذكر شيئاً صريحاً عن أصل الكرد ومنشئهم.

ويجب ألا يغيب عن ذهن الباحث وهو يدرس أصل الكرد وتاريخهم، حالة هؤلاء العناصر العديدة والشعوب المختلفة التي كانت ساكنة مع السكان الأصليين في جبال ووهاد كردستان من الكرد والأرمن والآشوريين والتركمان. على أن المهم ليس البحث عن هؤلاء من وجهة الدم والعنصر؛ بل من جهة اللغة واللسان. فلا شك إذن من هذه الجهة أن «كار دوخوى» الذي ذكره «زنفون» عبارة عن الشعب الكردي الذي كان نزاعاً إلى الاستقلال والحرية القومية لأن لغته كانت مستقلة وخاصة به.

وفي هذا العصر الأخير تغيرت نظريات العلماء والباحثين في اللغة الكردية تغيراً كبيراً. فيرى هؤلاء العلماء الإخصائيون الذين يمكن الاعتماد على آرائهم، أن اللغة الكردية ليست لغة مشتقة عن اللغة الفارسية أو محرفة عنها، بل هي لغة مستقلة تمام الاستقلال لها تطوراتها الحقيقية القديمة. إذ هي أقدم من اللغة الفارسية القديمة المكتوب بها لوحة

(١) يقول المستر هول في كتابه «تاريخ الشرق الأدنى القديم» ص ٥١١: إن «آشورنابال» الذي كان آخر ملك على آشورية قام بحملة تأديبية على ملك «مانى». ولكنه أخفق أمام شجاعة الأكراد وبسالتهم (سنة ٦٢٦ ق.م).

(٢) هم الكيانيون الطبقة الثانية من ملوك إيران القدماء. المترجم

«دارا» الشهيرة. فإذا صحَّ هذا فيحق لعلماء التاريخ بطبيعة الحال أن يقولوا: إن اللغة الكردية كانت موجودة في القرن السادس ق.م وكانت لغة مستقلة وقائمة بنفسها، وأن الشعب الكردي قوم من أقوام وشعوب «هندو- إيراني» قدموا إلى «كردستان» في الوقت الذي قدم فيه الميديون إلى «ميديا» والفرس إلى «فارس» فيستخلص مما تقدم أن التاريخ التقريبي لقدم الكرد إلى كردستان هو تاريخ ما بعد سنة (٦٥٠ ق.م) لأن السجلات والوثائق الآشورية التي يرجع تاريخها إلى ما قبل هذا التاريخ، لا تذكر شيئاً عن ذلك^(١). والظاهر أن قدوم الشعب الأرمني الذي هو من شعوب «هندو- أوربي» أيضاً إلى «أرمينية» نتيجة لمهاجرة حدثت في الوقت الذي حصلت تلك المهاجرات السابقة فيه. وينبغي ألا يعزب عن البال أن هذا الرأي مبني على نظرية اللغة واللسان. وأما الذين يعتقدون أن اللغة الكردية إن هي إلا لغة فارسية محرفة خليطة، فليعلموا علم اليقين أن الدراسات العلمية والأبحاث التاريخية على عكس ما يذهبون إليه ويعتقدونه تماماً.

هذا وإن لم يكن في الإمكان الآن إثبات نظرية وجود روابط وعلاقات بين سكان «اورارتو» الأصليين وبين الكرد، إلا أن نظرية القول بتمثيل الشعب الكردي لجميع الشعوب المختلفة القديمة بكردستان، نظرية قوية جداً.

٣

بعد أن انتهينا من درج رأي اثنين من العلماء الإخصائين المشاهير، في البحث عن أصل الكرد وكردستان، في المادتين الأولى والثانية كما سبق. أرى الآن من المستحسن أن أبسط للقراء نتيجة دراستي الخاصة بهذا الموضوع هنا في المادة الثالثة.

(١) يقول المستر هول في كتابه «تاريخ الشرق الأدنى القديم» ص ٤٥٦: إن «آداد- نيراري» الثالث ملك الآشوريين قام بحملة تأديبية على العشائر الكردية الشالية في سنة (٨١٢ ق.م). ولا شك في أن هذا الحادث التاريخي المؤيد بالوثائق الآشورية يدل على أن الشعب الكردي كان موجوداً في كردستان قبل تاريخ سنة (٦٥٠ ق.م) بمدة كبيرة. المؤلف

غير خاف أن الذي يريد البحث عن تاريخ قومه أو عن أي قوم آخر يضطر أولاً قبل كل شيء إلى البحث عن موطن ذلك القوم ومنشئه الأول، فيعترضه في سبيل ذلك عقبات كثيرة وصعوبات جمة؛ لأن المعلومات الصحيحة المتسلسلة والمتناسقة لا يتحصل عليها المرء إلا قليلاً. وفي الحقيقة أن جهود ومساعي علماء الآثار والتاريخ القديم لم توضح للآن هذه النقاط توضيحاً كاملاً. ولا يزال التعويل في كتابة التاريخ القومي بالضرورة على العوامل الثلاثة الآتية: وهي الدم، واللغة، والوطن. وذلك حسب رأي بعض من العلماء والمستشرقين؛ غير أن هذه العوامل الثلاثة قد لا تجتمع في أصل من الأصول والمنشأ في غالب الأحيان. ولكن أقواها وأظهرها هو عامل اللغة.

فمثلاً نرى أن قومًا ساميًا يهاجر من جزيرة العرب إلى «بابل» سنة (٢٢٢٥ ق.م) ويستولي على بلاد «أكاد» ويؤسس أول حكومة بها ولمجرد كون هذا الشعب القديم قادماً من جزيرة العرب وكونه سامياً، يظن العرب الآن أنهم من سلالة هؤلاء الساميين. وعلى هذه القاعدة ليس من البعيد أن تكون هناك صلة بين أصل الشعب العربي وبين الشعب الأكادي السامي القديم الذي كان مستولياً على بلاد «بابل» ومؤسساً فيها الحكومة الأكادية الأولى، قبل هؤلاء الساميين القادمين من جزيرة العرب، بعدة عصور.

كما أننا نرى من جهة أخرى أن الترك يرجعون أصلهم القديم جداً، لبعض روابط ومشابهات لغوية، إلى «الهون» أو «القون» الذين هم من سلالة «شانغ يونغ» الذين كانوا في شمالي الصين حوالي نهر «أورخون» الأمر الذي يقتضي أن يكون القرن الثامن والعشرون ق.م مبدأ منشأ الشعب التركي.

ونحن كذلك ننسج على منوالهم في هذا البحث فنقول: إن كردستان الذي هو الموطن الأول للسلالة البشرية الثانية وموضع انتشارها إلى جهات أخرى حسب الحوادث التاريخية، كان يسكنه في فجر التاريخ شعوب جبال «زاغروس» التي كانت عبارة عن شعوب «لولو» و«كوتى - جوتى» و«كاسى» و«خالدى - كالدى» و«سوبارو - هورى»

وكان الشعب العيلامي يقيم في منتهى الشرق الجنوبي منه. ونظرًا لبعض المناسبات ومشابهات لغوية، ذهب بعض المستشرقين إلى أنَّ هؤلاء الشعوب من السلالة القوقاسية.

فهذه الشعوب كلها ما عدا الشعب العيلامي هي الأصل القديم جدًا للشعب الكردي. وقد أبدت نشاطا سياسيًا كبيرًا في عهد كل من السومريين والأكاديين وفي أوائل عهد الآشوريين.

ويظهر أن سيول مهاجرات العنصر الآري «هندو- أوروبي» إلى جبال «زاغروس» أولاً، وإلى شرقيها وغربيها أخيراً - ويظن أن هذه المهاجرات ابتدأت من القرن العاشر والتاسع قبل الميلاد^(١) - قد أوقعت بقايا السكان الأصليين لمنطقة جبال «زاغروس» وبلاد «كردستان» تحت سلطان هؤلاء الوافدين الجدد فجعلتهم جميعاً آريين. وكان الشعب الميدي أقوى وأكبر شعب بين هؤلاء الآريين الوافدين جماعات وشعوبًا، حيث سكن في بادئ الأمر في شرق بحيرة «أرمية» ثم أعقبته في الهجرة، الأقوام الآرية الأخرى «بارس، ماناي، بارسوي، بارث، كاردشوي... إلخ». ويظهر أن تاريخ وفود الشعب الأخير أعني «كاردشوي» الذي عثر عليهم زينفون سنة (٤٠١ ق.م) يرجع إلى القرن السابع قبل الميلاد [سير سيدني سميث].

فإذا كان الأمر هكذا فقد حق علينا أن نقول، كما يقول بعض علماء الآثار والتاريخ، أن هناك علاقات وثيقة بين أصول الأمة الكردية ومنشؤها الأول، وبين الطبقة الأولى - أعني مجموعة شعوب زاغروس القديمة الأولى - فعلى الباحث في أصل الكرد ومنشئهم أن يدرس إذن شعوب الطبقة الأولى والثانية جميعًا من تلك الأصول والشعوب القديمة.

(١) يقول «كرزون» في مقدمة رحلته «إيران»: إن من المحتمل جدا أن يكون وقوع هذه الهجرة قبل الميلاد بعشرين قرنًا. المؤلف

أ- الطبقة الأولى: شعوب زاغروس

١- «لولو» أو «لولوبوم»- شوهد أن هذا الشعب يقطن في منطقة «زهاو- شهرزور- السليمانية» ولا يعلم متى قدم إليها، فاندماج أخيراً في الشعب الكوتى وعاشا معاً في منطقة «السليمانية» الحالية واستوليا على بلاد «هالمان»^(١) أيضاً. وأن الآثار المكتشفة في جهات «كركوك» وبعض وثائق أخرى^(٢)، تشتمل على معلومات شائعة عن هذا الشعب. [تفصيل ذلك سيذكر في مقدمة المجلد الثاني]. ويستدل من بعض المشابهات والدلالات اللغوية أن بعضاً من الحكام والملوك الآشوريين في القرنين التاسع عشر والثامن عشر كان من الشعب اللولوى. والظاهر أن قسماً من هذا الشعب كان يقيم أيضاً في «سورية» [سبايزر]

هذا وابتداءً من أوائل القرن الثالث عشر ق.م ظهر اتصال الجيوش الآشورية بالشعب اللولوى. وبفضل هذا الاتصال تشتمل الآثار والوثائق الآشورية على كثير من المعلومات عن هذا الشعب وعن موطنه. وعلى رأي المستشرق «هوزينغ» الذي درس الأعلام اللولوية أن لغة هذا الشعب كانت من نوع اللغات العيلامية ومع ذلك فإن هناك بعضاً من المشابهات اللفظية بين لغة الشعب اللولوى والشعب الهورى^(٣) [سبايزر].

(١) هي مدينة «حلوان» التاريخية.

(٢) هذه الوثائق عبارة عن:

١- لوحة مكتوبة في عهد «نارام- سين» ملك أكاد، عثر عليها الميجر ادموندس في مضيق «كاور- جاور» بـجبال قره داغ وكتب عنها مقالة في الجريدة الجغرافية «زيوغرافيك زورنال».

٢- عن حجر منقوش عليه ما يفيد أنه من عهد الملك اللولو «آنو- بانينى» عثر عليه في «زهاو». ويرجع تاريخ الوثيقة الأولى إلى ٣٧ قرناً قبل الميلاد وتاريخ الثانية يظهر أنه يرجع إلى ٢٨ قرناً قبل الميلاد.

(٣) تقدم أن الهوريين أو الخوريين هم القسم الغربي من الشعب السوباري.

ويؤخذ من الوثائق الآشورية المتخلفة عن عهد الملك «آشورناصر بال» الثاني أن بلاد اللولو كانت على جانب عظيم من العمران والحضارة، كما أن أهاليها كانوا متقدمين جدًا في الصنائع والفنون بدرجة أن هذا الملك الآشوري نقل كثيرًا من أرباب الفنون والصناعات من أهالي البلاد المذكورة إلى بلاد «آشور». [أولمستيد]. ويذهب البروفسور «سبايزر» إلى أن هؤلاء اللولويين أجداد وآباء الشعب اللورى الحالي.

٢- كوتى «جوتى - جودى» - شعب من شعوب «زاغروس» الشهيرة، استولى على بلاد «سومر» و«أكاد» في وقت من الأوقات (٢٦٤٩ ق.م) ودام حكمهم ١٢٥ سنة وأربعين يومًا. ونجد في جدول الملوك الذي اكتشف في «نيبور» أسماء واحد وعشرين ملكًا من الملوك الكوتيين، فيظهر أن حكومة الكوتيين تركت عاصمتها في أريخا وحكمت بلاد الأكّد والسومريين كمستعمرة. (كمبريدج تاريخ قديم ج ١ ص ٤٢٣) كما أن ملوك «لاغاش» الأقوياء اضطروا للخضوع إلى هؤلاء الكوتيين الذين كان آخر ملوكهم يدعى «تيريكان»^(١).

ويقول البروفسور «سبايزر» أن مشابهة الأسماء والأعلام تدل على أن العنصر الكوتى دخل بلاد «سومر» في عهد الحكومات القديمة جدًا. وأن هؤلاء الكوتيين بعد أن قوى نفوذهم وزاد سلطانهم في تلك البلاد استولوا على بلاد «أكاد» أيضًا. كما أن عصر التقدم والنهضة التي اشتهرت به حكومة «لاغاش» في عهد الملك «كودى» في سنة (٢٦٠٠ ق.م) يصادف في الغالب عهد حكومة الكوتيين. وهذا ليس وليد الصدفة ولا شك. [اسبازر].

(١) ذكر المستر هول صاحب كتاب «تاريخ الشرق الأدنى القديم» ص ٢١٠ في جدول الملوك القدماء أن الملك «آناتوم» هو أول الملوك الكوتيين حيث حارب العيلاميين في القرن الحادي والثلاثين ق.م.، وكان ملكهم في القرن الثامن والعشرين يدعى «آننو - بانينى». واستولى الكوتيون على بلاد «أكاد» وكان «كودى باتيس» ملك «لاغاش» موجودًا في عهد الكوتيين بل كان هو نفسه كوتيا. و«باتيس» باللغة السومرية بمعنى الملك.

وفي القرن السادس والعشرين قبل الميلاد (٢٥٢٤) قضى ملك «اور» على حكومة العنصر الكوتي بأكاد، واضطرت عشائر هذا العنصر إلى الرجوع إلى جبال «زاغروس» والاعتصام بها. وعندما أغارت عشائر «كاساي» في أواسط القرن الثامن عشر قبل الميلاد على بلاد «بابل» كان معها أيضا العشائر الكوتية. ولا نجد ذكراً للكوتين ابتداءً من هذا التاريخ لغاية ظهور حكومة الآشوريين الذين لم يكن لهم إلى القرن الثالث عشر ق.م من القوة والسلطان ما يحملهم على التحرش بجيرانهم المعتصمين بجبال «زاغروس» والاستيلاء على بلادهم، فضلاً عن أنهم كانوا في حاجة إلى حماية الكوتين واللولو وتعضيدهما لهم.

هذا وأن الملك الآشوري «شلمناصر» الأول، اتصل بالشعب الكوتي وقتلهم أكثر من سلفه، فيؤخذ من الآثار الآشورية المكتشفة حتى الآن التي يرجع تاريخها إلى عهد هذا الملك، أن العشائر الكوتية كانت على جانب عظيم من الشدة والبأس. وكانت حدود موطن هذا الشعب تمتد من «اوراترى - أرمينية» لغاية «كيموخى - طورعابدين» وغريبه.

فخلاصة ما يؤخذ من روايات وآثار الملوك الآشوريين أن مركز جبال «زاغروس» كان وطناً قومياً للشعب «الكوتى - الكوتى - الجوتى».

نذكر الآن العلاقة بين لفظي «كوتى» و«كورتى» فنقول إن اللوحتين الأثريتين اللتين اكتشفتا أخيراً ويرجع تاريخهما إلى عهد الملك الآشوري «توكولتى - اينورتا» وتدلان على حادثة واحدة - مكتوب على إحدهما لفظ «كوتى - جوتى» وعلى اللوحة الأخرى لفظ «كورتى» مما يدل على أن هذين الاسمين كانا يطلقان على شعب واحد، أو أن لفظ «كورتى» أو «كورهى - Kurhi» كان يطلق على قسم عظيم من الشعب الكوتى.

ومعظم المستشرقين درسوا دراسة دقيقة، كلمة «كورتىوى» التي بينها وبين كلمة «كورتى» تشابه لفظي كبير. فقال مؤلف كتاب «الرابطه اللغوية للفظ كرد»^(١) أن كلمة

(١) الظاهر أن مؤلف هذا الكتاب هو المستشرق «دريفر». المترجم

«كورتیوی» هذه مهمة جدًا للبحث عن أصل السكان في كردستان، ثم يلخص المستشرق «دريفر» رأيه فيقول «أن كلمات كاردا، كاردوخي، كورتوخي، غوردی، كارداك، سيرتی، كیرتی، غوردیای، غوردئین، كاردو، كاردا، كاردوايه، كاردايه، كاتاوايه أو كراديا... إلخ كلها ترجع إلى أصل واحد بالرغم من تنافرها وعدم اتحادها في النطق والتلفظ». وعلى هذا النسق يرجع هذا المستشرق أصل الأمة الكردية الحالية إلى الشعب الكاردوخي الذي ذكره «زنيفون» وإلى الشعب الكاردائي، الذي كان معاصرًا للسومريين، وعلى رواية من روايات العهد الثالث لحكومة «أور» كان لفظ «كاردا» اسمًا لعشيرة من العشائر^(١).

فيؤخذ من كل هذه الإيضاحات أن من المؤكد وجود صلة قوية بين لفظ «كرد» الحالي ولفظ «كورتیوی» القديم. وأن التعاريف الجغرافية لبلاد «كاردخوی» و«كوردوئین» وأمثالهما من الألفاظ المشتركة، لتنطبق تمام الانطباق على محتويات الوثائق القديمة الخاصة بـ«كورتیوی»؛ حتى إن قسمًا كبيرًا من المؤرخين الناهيين لم يترددوا قط في اعتبار هذه الكلمات كلها ألفاظًا مشتركة لمسمى واحد. ومع ذلك فإنه يمكننا أن نؤكد -نظرًا لعدم إمكان الفرق بين لفظي «كورتی» و«كوتی»- بأنه يوجد بين سكان كردستان الحالي أحفاد وسلائل من الشعب الكوتی ذلك. ويقول الدكتور سبايزر في كتابه «شعوب ما بين النهرين ص ١١٧» إن هؤلاء القبائل والعشائر التي تعيش الآن باسم «الكرد» لم تكن في وقت من الأوقات قوقاسية أكثر منها في الحالة الحاضرة. نعم! إن هذه العشائر والقبائل تختلف بعض الاختلاف في اللغة واللهجة والعادات والطباع، فمثلاً أن أهالي بلدة «السليمانية» لا يمكنهم التفاهم بسهولة مع أبناء قومهم الساكنين في مقاطعة بهدينان^(٢) كما أنه يوجد بين الأكراد الحاليين جماعات من الأرمن وبعض العناصر السامية والآرية،

(١) إن اللوحة الأثرية التي تشتمل على هذه الرواية يرجع تاريخها إلى أوائل القرن الرابع والعشرين ق.م في عهد «آراد- نانار» ملك «لاغاش». هذا واسم العشيرة التي عرفت بلفظ «كاردا» يمكن أن يقرأ بلفظ «كار داکا».

(٢) هي لواء «حکاری» الخاضعة الآن للجمهورية التركية. أصلها بهاء الدينان نسبة إلى بهاء الدين أحد أمراء الكرد المحليين كما ورد في «شرفنامه».

حسبما يستفاد ذلك من التاريخ. وعلى هذا لا يمكننا أن نقطع أن الكرد متحدرين من أصل واحد. وغني عن البيان أن السكان الأصليين لكردستان كانوا يتألفون من عدة أقسام، فكانوا في الأدوار الأولى من التاريخ يعيشون مع بعض الأقسام الرحل من الآشوريين والآراميين في جبالهم ووهادهم الخاصة بهم. وأخيرًا، بعد غلبة «الآرية» على هذه البلاد، جاءت بعض العناصر الإيرانية أيضًا واندجحت في سائر السكان. وهذه النظرية مبنية على دراسة اللغة الكردية والأحوال الاجتماعية والطبيعية، الحاضرة في البلاد.

ومع هذا فلا ينكر وجود بعض عناصر قديمة من سلالة شعوب زاغورس بين الأكراد اليوم. فيتبين من هذا ومن دراسة اللغة، أن الشعب الكردي إن هو إلا قسم كبير من أقسام شعوب «زاغورس»، وأنهم وإن كانوا قد تعرضوا مرارًا لاحتلال الأجانب وإغاراتهم المدمرة في مختلف أدوار التاريخ، إلا أنهم كانوا يحافظون دائمًا على استقلالهم الطبيعي وحريةهم الشخصية والقبلية، بالنزوع من المدن والقرى إلى الأدغال والوهاد والاعتصام برءوس الجبال الراسيات، كلما ضاق بهم الأمر واشتدت بهم الحال. وكانوا بعد زوال السيول الجارفة من الإغارات والغزوات الأجنبية يعودون إلى مواطنهم الأصلية فيتفرغون لعمارة البلاد وترفيه العباد. كما هو شأنهم حتى الآن.

٣- «كاساي - كوسى - كوشو» - هو قوم من أقوام «زاغورس» استوطن في بادئ الأمر منطقة «كرماشان - كرمانشاه - قرمسين» ولا يعلم تاريخ مجيئه إلى هذه الجهة. بل أنه كسائر شعوب «زاغورس» من السكان الأصليين وليسوا كالساميين والحاميين مهاجرين. وبعد ربح من الزمن قصدوا جبال زاغورس شيئًا فشيئًا وتوطنوها ثم أخذوا يتجهون نحو شرقي «بابل» أعني الضفة اليسرى لنهر «دجلة» وطفقوا يشتغلون بالفلاحة والزراعة، وكان الأكاديون يطلقون عليهم اسم «كاشو» وهم الذين عرفوا في الكتاب المقدس باسم الكوش.

وفي أواسط القرن الثامن عشر قبل الميلاد، استولى هؤلاء الكاسيون على بلاد «بابل» وأسسوا في بلاد السومر والأكاد حكومة قوية كانت تدعى «كاردونياش» عاشت زهاء ستة قرون في تلك البلاد التي لم تعش فيها قط حكومة من الحكومات مثل هذه المدة، وقد عادت العشائر الكاسية بعد زوال حكومتها هذه إلى جبال زاغروس [لورستان الحالي] حيث أغار «سناخريب» في أوائل القرن السابع قبل الميلاد على بلاد هؤلاء الكاسيين فقاتلوه قتالاً شديداً.

وفي عهد الحكومة الأخمينية توثقت الصلات بين عشائر الكاساي هذه وبين الحكومة الإيرانية المذكورة، فكانت هذه العشائر تقبض كل سنة منها إتاوة كبيرة نظير حرية المرور من طريق «بابل - اكباتان»^(١) الشهير. وقد حاربهم أيضاً الإسكندر الكبير محاربة شديدة، كما أن القائد الروماني «انتيفونوس» مر بعشائر الكاساي هذه، حتى عبر مضيق «بلي تنك كلو»^(٢) الكائن في مواطن تلك العشائر. وصفوة القول إن هذا الشعب كان ولا شك موجوداً في مقاطعة لرستان الحالي إلى أوائل الميلاد. والظاهر أنه أصل الألوار الحاليين. وأن القسم الجنوبي من الشعب الكاسي حكمه العيلاميون ردحاً من الزمن. [راجع الفصل الثالث من هذا المجلد الأول].

٤ - «خالدي - أورارتو» - يظن أن هذا الشعب قدم في وقت غير معروف من شرقي آسيا الصغرى إلى منطقة بحيرة «وان». ويؤخذ من الروايات الآشورية، ولاسيما المكتشفات المحلية عن الآثار والوثائق الخاصة بحروب «سرجون» الثاني ملك آشورية، أن حدود حكومة «خالدي» كانت تمتد في وقت ما من الشمال إلى بحيرة «كوكجة» و«الكسندر بول» في القوقاس. ومن الغرب إلى نهر الفرات. ومن الجنوب إلى «رواندز» ومنابع نهر الزاب. ومن الشرق إلى بحيرة «أرمية» وفي فترة أخرى حكمت شمالي سورية أيضاً وكانت

(١) مدينة قديمة كانت بجوار «همدان» الحالية.

(٢) معناها باللغة الكردية جسر البوغاز الضيق. المترجم

عاصمتها مدينة «توسباسي - وان» التي يظن أن «ساردوريس» الأول ملك الخلديين قد بناها في سنة (٨٤٠ ق.م).

وقد ضاع استقلال هذه الحكومة أخيراً في أواخر القرن السابع قبل الميلاد من جراء امتداد سلطان الميديين واشتداد نفوذهم حيث خضعت لهم ردحاً من الزمن إلى أن انقرضت نهائياً من جراء ظهور نفوذ الأرمن الذين كانوا قد توطنوا في غربي بلاد الخلديين [كامبريج: تاريخ قديم ج ٣].

٥ - «سوباري» - عثر على اسم هذا الشعب، لأول مرة في لوحة أثرية يرجع تاريخها إلى عهد حكومة «لوغال - آني - موندو» التي قامت في القرن الثلاثين قبل الميلاد على رسم لفظ «سوير» وضبطته الأثر التي يرجع تاريخها إلى عهد «نارام سين» على شكل «سوبارتييم» إذ كان هذا اللفظ تعبيراً جغرافياً يدل على بلاد تمتد من الحد الشمالي الغربي لبلاد «عيلام» حتى جبال «أمانوس»^(١) [انظر الفصل الثالث] ثم أطلق هذا الاصطلاح الجغرافي فيما بعد على جيل من الناس كما أن «حمورابي» كان قد أطلق هذا اللفظ على قوم مستقل تمام الاستقلال ويعيش عيشة منفردة. وورد هذا اللفظ في الوثائق الآشورية على هذا الرسم «سوبارو». فيؤخذ من كل هذا أنه كان هناك قوم بهذا الاسم يعيش في ما بين النهرين وسورية وآسيا الصغرى. (شعوب ما بين النهرين: سبايزر) ويحتمل أيضاً أن يكون القسم الساكن فيما بين النهرين أي «الهوريون» قد عرفوا باسم «سوبارو».

وهذا الشعب السوباري طالما قاتل الجيش الآشوري. وفي أواخر عهد الآشوريين ضاع اسم السوباريين وظهر بدله اسم شعب آخر يعرف بـ«نايري»، وليس من البعيد أن يكون قوم «نايري» هذا، قسماً مهماً من أقسام الشعب السوباري ذلك. وأنه مثل الأقسام

(١) اسم لجبال في آسيا الصغرى على غربي نهر الفرات فيما بين لواء اسكندرون وولاية «أذنة - أطنه». المترجم

الأخرى أخيراً، تمثيلاً صحيحاً، ولا تزال آثار الشعب النابري -وأحفادهم- موجودة ماثلة للعيان في منطقة «نهرى» شمدينان^(١) الحالية.

ويقول السير كينغ وغيره من المستشرقين، أن الـ«ميتاني» قسم من أقسام الشعب الكاسي المذكور، ولكن الأستاذ «سبايزر» يؤكد أن الميتاني فرع من فروع الشعب السوباري لا الكاسي. وقد استوطن الميتانيون حوض الفرات الأوسط [منطقة نهرى الخابور والبليخ فيما بين النهرين] وأسس حكومة قوية به في أواسط الألف الثانية قبل الميلاد وكانت له لغة خاصة مستقلة.

ب- الطبقة الثانية (الميديون وتوابعهم)

يقول المؤرخان الشهيران «هرفي روبنص» و«هنري بريستيد»^(٢) إن هؤلاء الأقوام والشعوب المجاورة والمتقاربة الأجناس التي يطلق عليها أحياناً اسم «الآريين» هم شعبة من شعوب «هندو- أوري» الذين كانوا يقطنون حوالي (٢٥٠٠ ق.م) البلاد الشرقية والشمالية الشرقية لبحر قزوين. وكان قسم من هؤلاء الأقوام يشتغل بالزراعة والفلاحة ولكن المجموع كان ولا يزال في الدور الحجري من أدوار التاريخ ما عدا قليلاً منها كان قد وصل إلى الدور المعدني. وفضلاً عن اقتناء هؤلاء الشعوب والأقوام المواشي والأغنام، فقد كانوا على درجة من الرقي. واستأنسوا من الحيوانات الحصان ولكنهم كان يجهلون الكتابة (برستيد ص ١٧١ وما بعدها).

(١) بلدة في لواء «حكارى» الحالية الخاضعة للجمهورية التركية وهي موطن المرحوم الشيخ عبيد الله

العالم والوطني الثائر الكردي الشهير. م.ع

(٢) مؤلف كتاب العصور القديمة وكتاب «تاريخ أوروبا العام» بوستون سنة ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٤ م.

وقد ارتحل بعض من هذه العشائر الآرية^(١) إلى البلاد الهندية، حيث خلفوا لنا هنالك كتابًا مقدسًا باللغة السنسكريتية^(٢) يسمى «فيداس» ويتضمن معلومات هامة عن حياتهم الأولى والأدوار التاريخية التي مرت بهم. كما أن القسم الباقي من هذه العشائر الآرية توجه نحو الغرب الجنوبي ووادي الرافدين واستوطنهما. فكان شعبا «ماد- ميد» و«بارس- بارساي» أقوى فروع هذا القسم الأخير.

١ - ميد - Medes

سبق أن ذكرنا أن هذا الشعب من شعوب «هندو- أوربي» أي «الآري» ارتحل من شرق بحر قزوين (يظهر من بلاد باخترية) في القرن التاسع ق.م أو بعده إلى الغرب الشمالي من هضبة إيران أعني بلاد «ميديا» واستولى شيئًا فشيئًا على بلاد جيرانه. وعلى مدى الأيام اندمجت فيه أقوام أخرى مثل «مانى، سيث، كيممرى» وقد تعرضت السجلات والآثار الآشورية في أخبار القرن التاسع والثامن قبل الميلاد، لذكر قدوم هذا الشعب وهجرته إلى هذه البلاد. حيث كان الآشوريون يطلقون على هؤلاء الناس اسم «آمادا- مادا». وقد تمكن هذا الشعب في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد من تأسيس حكومة مستقلة، وأخضع لسلطانه شعب «باسارى» المجاور له في البلاد الجنوبية الغربية

(١) يقول برستيد مؤلف كتاب «العصور القديمة» ص ١٣٥، إن إطلاق لفظ «آري» على شعوب «هندو- أوربي» من الغلطات المشهورة والشائعة إلى الآن. فالصواب قصر استعمال هذا اللفظ الذي اشتق منه لفظا «إيران، إيراني»، على عشائر وقبائل هضبة إيران التي هي جزء من تلك الأقوام المطلق عليها تركيب «هندو- أوربي».

(٢) الفاتحون الآريون هم الذين أدخلوا اللغة السنسكريتية هذه، بلاد الهند في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وفي القرن الثالث قبل الميلاد ظهر كتاب «فيداس» المقدس بهذه اللغة وبذلك أصبحت لغة الكتابة والتعليم أيضًا بعد أن كانت لغة المحادثة فقط. وكلمة «سنسكريت» هذه مؤلفة من لفظ «Saca» الذي هو اسم رئيس الآريين المهاجرين إلى الهند، ومن كلمة «كير- el -kir» التي معناها الكتابة أو اللغة. (القضية الكردستانية والترك ص ٢٣).

من هضبة إيران والمتصل به اتصال القرابة والنسب. ثم أنشأ مدينة «آقباتان»^(١) واتخذها عاصمة لحكومته. وأول اتصال بين هذا الشعب وبين الحكومة الآشورية حدث في عهد «سلمناصر» في سنة (٨٣٥ ق.م)، حيث كان الآشوريون حتى سقوط حكومتهم في خصام دائم ونزاع مستمر مع هؤلاء الماديين. (انظر التفاصيل في المجلد الثاني).

هذا ويقول الأستاذ «سايس» «كان الشعب الميدي عبارة عن عشائر كردية تقطن شرقي بلاد آشور حيث كانت حدود موطنها تمتد إلى جنوبي بحر قزوين. فكان معظم هذا الشعب فصيلة من أمم «هندو-أوربي» من جهة اللغة واللسان، ومن جنس «الآريين» من جهة العنصر والدم. (التاريخ العام للمؤرخين. ج ٢) كما أن بعض المستشرقين الإحصائيين يقولون: إن لغة الميديين كانت نفس لغة الشعب الكردي الحالي أو كانت أساسها على الأقل. (كتاب «إيران قديم» الفارسي تأليف مشير الدولة ص ٥٧).

ويقول علماء التاريخ إنه بعد انقراض الحكومة الميديّة وزوال سلطانها قد تأثر جانب عظيم من الشعب الميدي بأثر الشعب البارسي «الفارسي» مادياً وأدبياً، فاندمج فيهم، كما أن الجانب الآخر من الميديين بحكم اتصالهم الوثيق ومجاورتهم للشعب الكردي اندمجوا فيه اندماجاً كلياً. وعلى هذا المنوال انقرض الشعب البارثي أيضاً باندماجه في الشعبين الفارسي والكردي اللذين مثلاه تمثيلاً تاماً. وغير خاف أن القرابة الظاهرة اليوم بين الفرس والكرد أثر من آثار تلك المشاركة في تمثيل شعبين آريين آخرين في نفسيهما أي الميديين والبارثيين. (القضية الكردستانية والترك ص ٢١) يذهب السير ولسن في كتابه القيم (ميزوبوتامي ١٩١٧-١٩٢٠ ص ١٢٧) إلى أن الأكراذ أحفاد الميديين.

والخلاصة: أنه نظراً لهذا الرأي وبالنظر إلى وطن الشعب الميدي ولغته يتضح تماماً أن الشعب الميدي هذا أصل قريب جداً للكرد، من أصول الطبقة الثانية.

(١) أو «هكمتان» أي «همدان» القديمة.

٢- «نايري- نهري»

كان هؤلاء القوم موجودين في كردستان، قبل المهاجرة الأخيرة، نعم، أن السجلات والآثار القديمة لم تذكر اسم هذه العشيرة، غير أنه ذكر في أيام حكم الآشوريين. فيغلب على الظن أن هذه العشيرة كانت فيما مضى تؤلف قسماً من أقسام قوم «سوبارو» وقوم «كوتو» القديمين. ثم تغلبوا على جميع أقسام وعشائر الشعبين القديمين المذكورين ومثلوها جميعاً على مدى الأيام؛ حتى حلت كلمة «نايري» محل كلمتي «سوبارو» و«كوتو». هذا وكان الشعب الناييري هذا على جانب عظيم من البأس والإقدام وحب القتال والنضال. حاربهم الآشوريون محاربات عديدة ردحاً من الزمن، ويظهر أن القرى والعشائر التي بناحية «نيري» «نهري» بمقاطعة «شمدينان» الآن؛ ما هي إلا آثار باقية من ذلك الشعب القديم. ويرى العالم الإحصائي الشهير «مينورسكي» هذا الرأي ذاته. كما أن المستشرق الكبير «تورودانجين» يقول في كتابه القيم^(١) إن منطقة «نايري» أو «هوبشكيا» هي وادي «بوتان» وأن هذا القسم الشرقي من الناييرية كان قد أنشأ حكومة مستقلة.

ويعتقد بعض المستشرقين والمؤرخين، أن الشعب الناييري هذا، بعد ظهور حكومة الميديين، امتزج بالشعب الميدي وتألقت منهما أمة كبيرة، حيث يقول الميجرسون في هذا الصدد:

«إذا نظرنا إلى عهد «الكوتيين» الواقع بين القرن الخامس عشر والثاني عشر قبل الميلاد، نجد الشعب الناييري الذي كان سلف الميديين يعيش في كردستان الأوسط. وأنه في أيام مجده وتفوقه، كان على جانب كبير من القوة والسلطان اللذين كان لهما شأن ظاهر في إلقاء الرعب والهيبية في قلوب جميع الشعوب والأمم المجاورة له. وهو الشعب الذي حمل اسم «الكرد» فيما بعد. هذا وكانت بلاد «نايري» تمتد في هذا العهد من الحوض الأوسط

(١) كتاب «رابطة الغزوة الثامنة من غزوات الملك سارغون» باريس سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م.

لنهر الزاب الكبير إلى منابع هذا النهر وقد أخذ الميديون يفدون إلى هذه البلاد شيئاً فشيئاً، بعد زوال حكومتهم فيعيشون بها»^(١).

٣- كاردخوى (Karduckoi)

هناك نظريتان في أصل هذه العشيرة أو القوم الذي صادفه «زينفون» في رجعة العشرة آلاف (٤٠١ ق.م).

النظرية الأولى: أن لفظ «كاردخوى» ما هو إلا اسم محرف من اسم «كوتى» الشعب القديم من شعوب الطبقة الأولى، تغيرت طريقة رسمه ونطقه، على مدى الأيام واختلاف اللغات، حتى صار يرسم وينطق «كوتى» و«كورتى» في عهد الملك الآشوري «توكولتى-نيرارى» ويؤخذ من دراسات وتحقيقات المستشرق المستر «درايفر» أن جميع هذه الألفاظ والأسماء من «كورتى» ومن «كارد» اللذين كانا شائعين في عهد «آراد- نانار» ملك «لاغاش» ومن غيرهما من الألفاظ المتشابهة، إن هي إلا أسماء الشعب الكردي الحالي في مختلف الأدوار والعصور. فإذا صحت هذه النظرية لم يكن الشعب «الكاردوخى» سوى بقية الشعب الكوتي القديم الشهير في فجر التاريخ.

النظرية الثانية: أن الشعب الكاردوخى هذا يحتمل أنه قدم إلى كردستان وأقام به، إما في الوقت الذي قدم فيه الميديون والفرس إلى موطنيهما وإقامتهما بهما، وأما بعد ذلك «أواسط القرن السابع قبل الميلاد» وأنه بعد ذلك تغلب شيئاً فشيئاً على عشائر وأقوام كردستان حتى امتزجت به جميعاً، لأنه من المحتمل جداً أن قسماً من هذا الشعب كان قد توجه نحو هضبة إيران فتوطنها، بدليل وجود عشائر كردية عظيمة في إيران في عهد

(١) كتاب «سياحة متنكرة في كردستان وما بين النهرين». لندن سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م.

الساسانيين^(١). ويعترف بهذا أيضا «السير سيدني سميث» ويقول: إن هذه العشائر الكردية كانت لها لغة خاصة وكانت مستقلة تمام الاستقلال عن الفرس إذ هي أقدم من الشعب الفارسي (انظر الرأي الثاني).

فعلى النظرية الأولى يكون شعب «كاردخوي» من سلالة الكوتيين القدماء فاتحي بلاد سومر وأكاد، ومتحدراً من سلالة شعوب «زاغروس». وعلى النظرية الثانية، يعتبر من الجنس الآري «هندو - أوربي» كالميديين والفرس «بارسي - بارساي». وعلاوة على ذلك فقد كان هنالك بين هذه الشعوب المكونة للأمة الكردية طوائف أخرى عديدة ما بين كبيرة وصغيرة تعرضت الوثائق والآثار القديمة لذكر هذه الطوائف والعشائر حيناً بعد حين. مثال ذلك أن الأستاذ أولمستيد يقول: إن طائفة تدعى «موسري» التي هي أصل العشائر المسماة الآن بعشيرة «مسوري»^(٢) - مزوري كانت تسكن - كما هي الآن - في عهد الملك «سناخريب» فيما بين رافدي نهر «خازر»^(٣) (تاريخ آشور ص ٣٣٢).

والظاهر أن عشيرة «سيرتي»^(٤) المعروفة في عهد الآشوريين ماهي إلا «سبرد» التي عثر عليها السير مارك سايكس في شمال بلدة «زاخو» الحالية. حتى إن أسماء بعض الحكومات التي يذكر المؤرخون الأرمن قيامها بين ظهراينهم، تشبه تمام الشبه أسماء العشائر الكردية الإسلامية الحالية مثل «ماميكونيان» و«باغراتونيان» و«رشدنيان» و«منديكانيان» التي لا يخفى ما بينها وبين أسماء العشائر الكردية الحالية من المشابهات

(١) جاء الإسلام والأقاليم الفارسية نفسها فيها كثير من المتوطنين الأكراد مثل فارس وكرمان ومكران. وفي كتب التاريخ وفتوح البلدان أمثلة وشواهد كثيرة على ذلك. منها الأزدي والبلاذري واليعقوبي.

المترجم

(٢) هذه العشائر وقراها تتألف منها الآن ناحية من نواحي قضاء «دهوك» في شمالي العراق.

(٣) نهير من توابع الزاب الأعلى يصب فيه قرب مصبه في دجلة.

(٤) ويحتمل ان اسم «سيرتي» هذا الذي كان يطلق على أكراد إيران في عهد الآشوريين، محرف عن كلمة (Chirti) الأفرنجية التي تعرب (كرتي وسرتي) حيث تنطق حرف (c) ثاءً أو سيناً وأحياناً كافاً.

المترجم

والمناسبات وهي: ماميكانلى، بغرانلى، رشكوتانلى، منديكانلى. (تراث الخلفاء الأخير ص ٢٥٢).

وصفوة القول في هذا الموضوع: إنه سواء أكان الكرد سلالة «الطبقة الأولى» أي شعوب زاغروس التي يعتقد بعض المستشرقين أنها قوقاسية الأصل، ثم صارت آرية تحت تأثير سيول المهاجرات التي حدثت في القرنين التاسع والثامن، أو كانوا سلالة «الطبقة الثانية» مباشرة أي الآريين الأقحاح «هندو- أوري» كما يدعيه معظم المؤرخين والإحصائيين. فالذي لا شك فيه هو أن النظرية الأولى القائلة بمعراقة الأصل الكردي في القدم، نظرية قوية جدًا ولكنها لا تزال في حاجة إلى بعض شواهد ودلائل أثرية توضحها توضيحًا كاملاً. وعسى أن نحصل على تلك الشواهد والدلائل في القريب العاجل. بفضل الاكتشافات الأثرية المتواصلة.

ومع ذلك فإني أعتقد أن النظرية القائلة بأن الكرد قدموا إلى كردستان في أواسط القرن السابع قبل الميلاد نظرية ضعيفة جدًا. بخلاف نظرية الأستاذ «سبايزر» وأمثاله، القائلة بأن أجداد وأصول الكرد، هم هؤلاء السكان القدماء الأصليون بجبال «زاغروس» أو السكان القدماء الأصليون ببلاد كردستان، فإن هذه النظرية قوية وقرينة من العقل جدًا. نعم، نرى كثيرًا من الأعلام والأسماء المختلفة لعشائر «كردستان» خلال الأدوار التاريخية التي مرت بها مما يلقي في روع المرء الظن بأن هذه الأعلام والأسماء المختلفة إن هي إلا أسماء أقوام وشعوب متباينة وعشائر أجنبية بعضها عن بعض. والحال أن الأمر ليس كذلك قط، وأن هذا الظن ليس له نصيب من الصحة. لأن تعدد الأسماء واختلافها وتغيرها مما قصت بها طبيعة التقدم في الشئون وال عمران وتطور الأحوال والظروف في مختلف العصور والأزمان. ويؤيد هذا الأستاذ «سبايزر» فيقول ما نصه:

(Proper names are apt to be modified by other peoples)

وفي الواقع أننا، نرى الأستاذ «سبايزر» يذكر في مبحث الشعب الهوري تسعة أسماء مختلفة، علماً لهذا الشعب وهي «هورليل، هورلاس، وهورلو، هوري، كورهوروهي، هوروهي، هاري، موري، هوريت» كما يذكر في مبحث الشعب الميتاني هذين الاسمين «ميتاني- ميتلاني» ويقول أيضاً في كتابه «التاريخ العام للمؤرخين» في مبحث الميتاني، إن المصريين كانوا يطلقون على هذا الشعب اسم «ناهاري»، كما أن الكتاب المقدس «التوراة» أطلق عليه اسم «آرام- ناهارم». وأما شعب «لوللو» فكان تطلق عليه هذه الأسماء «لوللوم، لوللومي، نوللو» أيضاً. وكذا الميديون فكان يطلق عليهم «ميد، آمادا، مادا» كما أن هذه الألفاظ «كاساي، كاسي، كوسي، كاششو، كوش» ما هي إلا أسماء لمسمى واحد وهو الشعب الكاسي.

فعلى هذا النسق تطور اسم الشعب الكردي في الأزمان القديمة واختلف اختلافاً كبيراً بحسب تلفظ الأمم والشعوب التي نطقت به وذكرته في آثارها وتواريخها بأسماء غريبة ومتباينة.

ويرى بعض المستشرقين أن تلك الأسماء والأعلام المختلفة، إن هي إلا كلمات متشابهة تدل على سبيل الترادف اللفظي، إما على مجموع الشعب الكردي مباشرة، وإما على تلك العشائر العديدة والقبائل الكثيرة، التي كانت ولا تزال تعيش تحت اسم الكرد، بأسماء وعناوين مختلفة، في الأزمان القديمة حيث كانت أقسام كثيرة من الكرد تعيش في الأزمان الغابرة تحت الأسماء الآتية:

كان الكرد لدى السومريين معروفين باسم «كوتي، جوتي، جودي».

كان الكرد لدى الآشوريين والآرام «كوتي، كوتي، كورتى، كارتى، كاردو، كارداك، كاردان، كاركتان، كارداك».

كان الكرد لدى الإيرانيين معروفين باسم «كورتوى، سيرتي، كوردراها».

كان الكرد لدى اليونان والرومان معروفين باسم «كاردو سوى، كاردخوى، كاردوك، كردوكى، كردوخى، كاردويكاي».

كان الكرد لدى الأرمن معروفين باسم «كوردئين، كوردجين، كورتينخ، كرخى، كورخى».

كان الكرد لدى العرب معروفين باسم «كردى، كاردوى، باكاردا، كارتاويه، جوردى، جودى».

وليس هذا هو رأيي فقط، بل إنه رأي كثير من المستشرقين والإخصائيين أمثال المستر ديفر، نولدكى، هاوفمان... إلخ. كما سبق ذكره في بيان رأي الاستاذ «سبايزر» في الرأي الثالث من الفصل الثاني. فإن هؤلاء الأعلام يقولون بهذه النظرية، ويزيدون على تلك الألفاظ العديدة اسم «كالدى - كالديوى» أو «خلدى - خالدى» حيث يجعلون الشعب الخلدى أيضاً من ضمن الشعوب الكردية.

وهذه الظاهرة التي ذكرناها آنفاً - عادة تغيير الأعلام وتحريفها من قبل الشعوب والأمم الأجنبية التي تنطق بها - موجودة في أحوالنا الحاضرة أيضاً. فمثلاً نرى العرب يقولون «البندقية». والأمم اللاتينية تقول «فينيسيا» والترك يقولون «وه نديك» في حين أن هذه الأسماء الثلاثة المختلفة، لا تدل إلا على مسمى واحد وهو مدينة إيطالية شهيرة.

وهناك بعض من المستشرقين، يرى أن الشعب الكردي قد قدم في الأصل من البلاد الهندية إلى كردستان في المنتصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد. وإذا اعتبرنا هذه النظرية صحيحة ووضعنا هؤلاء الوافدين حديثاً، ضمن الشعوب التي تألف منها الشعب الكردي الحالي ونشأ من جميعها. فلا شك أننا نجد أنفسنا أمام اعتراضين قويين وهما:

١ - كيف تم استيطان هؤلاء الوافدين الحديثين بكردستان؟

٢- وكيفاً أمكنهم القضاء على الأقوام التي كانت موجودة به قبلهم؟ مع العلم بأن بلاد كردستان لم تكن قط صحاري وبراري خالية من السكان، حتى يتسنى لأي شعب أجنبي وافد، أن يتمكن من الاستيطان بها بكل سهولة وبدون أدنى معارضة. وذلك في الوقت الذي كان الشعبان الكورتي والنايري في كردستان الأوسط، وشعب «أورارتو-خلدي» في كردستان الأعلى. وكانت أقوام «ميد، ماناي، سيث، لوللو» تسكن في شرقي كردستان. كما أن الآشوريين كانوا في القسم الجنوبي والموشكيون مثل الحثيين والآراميين في الغرب. فإذا كان الأمر كذلك يلزم أن يكون هذا الشعب المهاجر قد أتى إلى كردستان واستولى عليه بالغصب والاقتدار في عهد عظمة الميديين وقوتهم الفائقة. مما يستبعده العقل والمنطق لتناقضه مع الوقائع التاريخية. ولو كان شيء من ذلك حدث حقيقة، لكانت السجلات والوثائق المكتشفة حتى الآن من آثار الآشوريين والخلديين، أشارت إلى ذلك. إذ لم تكن دالت بعد، دولة الشعبين المذكورين في تلك المدة.

على أنني أرى بفكري القاصر، أن الاعتراض الأول قد يجاب عنه برد وجيه. وهو أنه من الممكن فرض أن هؤلاء الوافدين لم يكونوا إلا بقايا لبعض الأقوام والعناصر السابق وفودها واستيطانها بكردستان. فقدم هؤلاء الجدد أخيراً إليه وتوطنوا به بكل سهولة مندمجين في أصولهم السابقة من غير معارضة ولا نزاع. وإذا صح هذا الرد على الاعتراض الأول واستساغه العقل والواقع، فلا شك في أن نظرية إرجاع أصل الأمة الكردية إلى الشعوب القديمة مثل الـ«كوتى، لوللو، كاساي، ميد، نايرى... إلخ» تكتسب حينئذ قوة ووجاهة أكثر من قبل.

كما أنني أرى أن الإجابة على الاعتراض الثاني من الصعوبة بمكان. لأن تلك الخرائط الاثنوغرافية للأقوام والشعوب القديمة؛ التي نراها في مؤلفات وآثار المستشرقين والعلماء الإحصائيين تبين لنا مواطن ومنازل شعب «كوردوين» أو «كاردويكاي» الذي هو مفروض أنه ذلك الشعب الوافد الحديث في منطقة محدودة وصغيرة جداً. فمثلاً نرى في خريطة القرن السادس ق.م للسير مارك سايكس، أن هذه المنطقة محصورة فيما بين «ديار

بكر» ومنابع نهر الزاب الكبير، وأن مساحتها لم تتغير قط لغاية سنة (١٨٨ ق.م). ويؤخذ من خريطة المجلد الثالث لكتاب «كامبريج: التاريخ القديم» التي تبين وضعية القرن السادس قبل الميلاد، أن منطقة «كوردوئين» هذه كانت تمتد من نهر الـ«بطمان»^(١) إلى جنوبي بحيرة «أرمية» حيث كانت تشغل البلاد الواقعة شمالي جبل الجودي ومقاطعة «بوتان-بوهتان»^(٢).

والحال أن هذه المنطقة التي كانت تسمى «كوردوئين» قد لا تساوي عشر البلاد التي كانت أقوام كردستان القديمة تشغلها وهم:

«قوم ماد، نايري، لوللو، كاساي، كوتى، سوبارى». وإذا كان الشعب الكوردوئي صغيراً جداً هكذا، فكيف يمكن أن يتسنى له القضاء، في قرنين أو قرنين ونصف القرن، على جميع تلك الأقوام ويخضعها لسلطانه خضوعاً تاماً حتى تندمج كلها فيه. والواقع أننا جميعاً نعلم أن دولة قوية كالدولة الآشورية حاربت هذه الشعوب القديمة عدة عصور وقتلتها أيما قتال، فكانت النتيجة أنها لم تستطع إخضاع تلك الشعوب إلى سلطانها إخضاعاً تاماً، بل إنها اضطرت إلى مصانعتها ومجاملتها مراراً. فضلاً عن أن تتمكن من القضاء عليها وإدماجها في الآشوريين. إذ يقول الأستاذ «راغوزين» «حقاً إن حسن معاملة «تيغلات بليسر» الملك الآشوري، لملوك «نايري» مما يلفت النظر. لأن هذه المعاملة الحسنة والمجاملة المقصودة، لا تتفق وطبيعة الملوك الآشوريين القساة. فلا ريب في أن هذه المعاملة غير الطبيعية كانت ناشئة من الحاجة إلى التفاهم ومن الشعور بالمدارة».

ويعترف «زنيفون» بأنه لم ينج من تعرض «الكوردوئين» له في الطريق من «آشورية» إلى «طرابزون» وإذا ثبت قوله هذا، وجب أن نجزم أن الشعب الكردي في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد. لم يكن يشغل المنطقة الصغيرة التي هي بجنوب «وان» فقط، بل كان

(١) أحد المياه الذي يصب في دجلة لدى مدينة «حصن كيفا- شرناخ الحالية» من الشمال.

(٢) عبارة عن منطقة «جزيرة ابن عمر» الواقعة على دجلة فيما بين الموصل وبلدة «ديار بكر». المترجم

يحتل جميع المناطق الممتدة من منبع الزاب الأكبر إلى قرب سواحل البحر الأسود. وهذا أيضًا دليل على أن الشعب الكردي، لم يكن عبارة عن شعب حديث وافد إلى كردستان، كما يظن بعض المستشرقين، بل إنه كان فيه باسم آخر، قبل القرن السابع قبل الميلاد بمدة كبيرة جدًا، فإذا صحت نظرية قدوم طائفة أخرى من الشعب الكردي إلى كردستان، في النصف الأخير من القرن السابع قبل الميلاد، كان لنا أن نقول إنها التقت بأصولها القديمة واندجت فيها.

ومع ذلك ينبغي أن نعلم أن هذه الآراء والأفكار، إن هي إلا نظريات واجتهادات بحثية، لأننا لم نظفر إلى الآن بوثيقة قيمة، نعول عليها تعويلاً قاطعاً في حل مسألة أصل الكرد ومنشئهم. نعم! إنه يجب على الشعب الكردي أن يشكر الأستاذ الدكتور «سبايزر» على تأليفه كتاب «شعوب ما بين النهرين، بوسطون سنة ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م» القيم الذي انقشع به نوعاً ذلك الظلام الذي كان مخيماً على تاريخ الكرد القديم. حيث أثبت فيه الأستاذ المحقق بمستندات قيمة وأدلة علمية بأن الشعب الكردي الحالي يرجع في أصله ومنشئه القديم إلى سلالة شعب «كوتو- كوتى- جودى- Gutu» الشهير في التاريخ القديم جدًا.

ورغمًا عن هذا، فإن تاريخ الكرد القديم لا يزال مكتنفًا بسحب الإبهام والغموض وأنه في حاجة شديدة إلى اكتشاف آثار ووثائق أخرى، التي نأمل كل الأمل أن تؤدي مباحث وحفريات البعثات الأثرية العالمية إلى العثور عليها في القريب العاجل إن شاء الله. ولو أراد الله عز وجل وقيض من يبحث بحثاً دقيقاً في المدن الأثرية القديمة بكردستان مثل «شورى» و«أريدى» و«أنى» و«ميسير» و«أزيمرى» و«داغارا» و«هارهار- كارشاروكين» و«آت ليلا» و«كينابو» و«خوبوشكيا»... إلخ، فلا شك في أن هذه المسألة تحل حلاً كاملاً. فإطالنا البحث إذن، أكثر من هذا حول هذا الموضوع أمر لا طائل تحته ولا فائدة فيه.

الفصل الثالث

خلاصة تاريخ الكرد وكردستان

١ - من أقدم العصور إلى عهد الميدين:

حقاً إن مبحث تاريخ الكرد وكردستان؛ من أصعب مباحث هذا الكتاب. والسبب في ذلك، قلة المعلومات الواضحة والمفصلة، عن الأقوام والشعوب القديمة التي تألفت منها الأمة الكردية، وعن تطوراتها اللغوية والاجتماعية. وفي الواقع أن الجهود المتواصلة والمسااعي المديدة التي بذلها علماء الغرب والإخصائيون في علم الآثار طيلة القرنين الأخيرين، ولاسيما اكتشافاتهم الحديثة- قد ألفت شيئاً من النور على تاريخ الكرد وكردستان في الأزمان الغابرة. ولكن هذا القدر من المعلومات لا يكفي قط للدراسة العميقة واستخلاص نتيجة حاسمة. فإن المعلومات التاريخية القديمة المستمدة من تلك الجهود ومن تلك الاكتشافات، تقتصر على ذكر العلاقات الحربية والمناسبات التجارية بين الشعوب الكردية وبين جيرانها من الأمم والشعوب. ولا تتعرض إلا لماً واستطراداً لتفاصيل الحوادث والشئون التاريخية التي مرت بالأمة الكردية، فلذا ليس في إمكان الباحث الآن تدوين تاريخ منظم للشعب الكردي، في تلك الحقب الخالية والعصور البائدة. ومع ذلك فإني لم أسمح لنفسني التعلل بهذه الحجة لأترك البحث عن هذا القسم القديم من تاريخ قومي ووطني، بل حاولت ذلك على قدر الإمكان فيما يأتي من المباحث.

ومن المؤسف جداً أن فجر التاريخ للإنسانية. لا يزال في ظلمات كثيفة بحيث لا يقدر المرء أن يكون رأياً صحيحاً عن الإنسان الاول في تلك العصور البائدة البعيدة في القدم. إذ نرى أن مشاهير المؤرخين أيضاً يعجزون عن الإيضاح والتفصيل. من ذلك مثلاً أنهم لا يعرفون تماماً من هم سومريو بلاد الساحل وعيلاميو «سوسا- سوسيانه»؟ ومن أين ومتى قدموا؟ فكل ما يعرفونه عن هؤلاء أن التاريخ يذكر أن السومريين كانوا يسكنون «سومر»

والعيلاميين في أطراف وادي «قارون». والظاهر أنه كان هناك قبل السومريين شعب أقدم منهم، يدعى بشعب «هورى» الذي كان يعيش في بلاد الساحل فيما بين النهرين.

وعلى هذا المنوال يقول المؤرخون أيضًا: إنه كان في جبال «زاغروس» في عهد السومريين، مجموعة من الأقوام والشعوب يطلق عليها «منظومة شعوب زاغروس الكبرى» مثل شعوب عيلام، لوللو، كوتى، كاساي، «سويبرى - سوبارو - هورى». ولكن أحدًا لا يعرف عن أصل وفصل هذه الشعوب، ومن أين ومتى قدموا إلى هذه الجهات التي شوهدها فيها؟

وإن يكن الشعب العيلامي من «منظومة شعوب زاغروس» إلا أنه لم يعثر حتى الآن على أي دليل تاريخي يثبت أن له علاقة ما بأصول الشعب الكردي. ولهذا لا نبحت عنه هنا، بل نقتصر في البحث على شعبي الـ«لوللو» والـ«كوتى» اللذين هما شعبتان كبيرتان مشتركتان في الوطن وأصلان قديمان جدًا للأمة الكردية.

١ - شعب «لوللو»:

كان هؤلاء القوم يعيشون من القديم في منطقة «السليمانية» الحالية. وأنه وإن لم تكن حدودها السابقة معلومة لنا، إلا أنه يؤخذ من لوحة أثرية مكتشفة في جهة «زهاو» يرجع تاريخها إلى عهد ملك اللوللو والكوتى سنة (٢٨٠٠ ق.م) أن منطقة «هالمان» - هي «حلوان» العهد الإسلامي و«زهاو» الحالي - كانت خاضعة لشعب «لوللو». كما أن دراسة الدكتور «سبايزر» تفيد أنه يظهر أن بعضًا من الحكام الآشوريين في القرن التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، كان من الشعب اللوللوي، وإن من المحتمل جدا أن قسما من هذا الشعب كان يعيش في «سورية». وفي عهد «سرجون» ملك الأكاديين، كان ملك الشعب اللوللوي يدعى بـ«السيراب» (تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ١٨٦).

ويؤخذ من لوحة أثرية اكتشفت في مضيق «كاور»^(١) يرجع تاريخها إلى «نارام-سين»^(٢) ملك «أكاد»، أن الجيش الأكادي أغار بقيادة هذا الملك على بلاد شعب «لوللو» واستولى عليها^(٣) وتفاصيل هذه الإغارة مبينة في تلك اللوحة الأثرية المكتوبة. وفي عهد «نارام سين» هذا كان الجيش الكوتي قد غلب على الجيش الأكادي وأزال حكومتهم عن الوجود. وبفضل هذه الغلبة والانتصار تحررت بلاد «لوللو» من نير الأكاديين واستقلت استقلالاً تاماً.

هذا وبعد انقضاء عهد الملك «نارام-سين» فلما نرى ذكرًا للشعب اللوللوي، كما أن وثائق وروايات ملوك آشور، لا تتعرض لذكر الـ«لوللو» إلا مع شعوب كوتي، وكاساي، وسوبارو، فلا تذكرهم منفردين قط. لكننا نرى بعد فترة طويلة تقرب من ألفي سنة، أن ملوك آشور أمثال «تيجلات بلسر» و«أداد نيراري» و«توكولتي-نينورتا» حاربوا الشعب اللوللوي محاربات عديدة، كما أن «آشور ناصر بال» الثاني زحف أربع مرات على بلاد «لوللو» في المدة (٨٨٤-٨٨٠ ق.م) ففي المرة الأولى، لاحظ أن حاكم هذه البلاد بابلي يدعى «نورآداد» مما يدل على أن اللوللوين كانوا خاضعين للبابليين في ذاك العهد، مع الاحتفاظ بالاستقلال الإداري. هذا وقد دخل الجيش الآشوري بلاد «لوللو» من دربند «بازيانه» الذي كان يدعى حينئذ باسم «بابيت». وكان هذا المضيق الجبلي مسدودًا بحائط متين، وراءه قلعة «اوزى- Uzi» الحصينة. فافتحم الآشوريون الجبال التي وراء المضيق واستولوا عليه بتضحيات عظيمة. ثم أخضعوا المدن الشهيرة أمثال «بابيت»^(٤) و«دغارا»

(١) اكتشف الميجر ادموندس هذه اللوحة الأثرية ونشر عنها مقالة قيمة في الجريدة التاريخية بعنوان «أثران قديان في كردستان». ويقع «مضيق كاور» هذا في جبل قره داغ.

(٢) حكم هذا الملك في القرن الثامن والعشرين ق.م وهو خلف الملك «سرغون» الشهير.

(٣) يقول مؤلف «تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٢١٠» في جدول أساء الملوك القدماء أن «ساتوني- Satuni» اسم ملك لوللوي كان معاصرًا للملك «نارام سين» ويظهر أن الأكاديين كانوا قد تغلبوا على هذا الملك.

(٤) يظهر أن هذه المدينة كانت على مقربة من قلعة «اوزى».

و«بارا» و«كاكري» وعشرين بلدًا أخرى. ولما استولوا على مدينة «زيمري»^(١) عاصمة اللوللو، انسحب ملك اللوللو المسمى «آميخا» إلى الجبال. وعلى رأي أولمستيد التجأ مع بعض الزعماء والجنود إلى قلعة «نيسير = كينبا = بيره مكرون»^(٢). وأخيرًا قام الجيش الآشوري بقيادة ولي العهد «شلمناصر» بإغارة على هؤلاء المعتصمين بالجبال الشاخنة، غير أنه أخفق فيها لأول مرة وقضى عليه قضاء مبرمًا. ويظهر أن الآشوريين اضطروا أخيرًا إلى لمصالحة هؤلاء المدافعين المستميتين. هذا وقد أراد «آشور ناصر بال» أن يسجل مباهاته بهذه الوقائع والانتصارات، فأقام نصبًا لذلك بجانب نصبي «تيجلات بليسر» و«توكولتي نينورتا».

وأغار على «شلمناصر» الثاني أيضا سنة (٨٥٩ ق.م) على بلاد «زاموآ» واستولى على البلاد، حتى جبال «نيكديم» و«نيكدي ايرا»^(٣).

وفي سنة (٨٤٤ ق.م) قام نفس هذا الملك بإغارة على بلاد «نامرى»^(٤) ويظهر أنه مر إليها من بلاد «زاموآ». فاضطر ملك «نامرى» الذي كان يدعى «مردوك - موداميك» إلى الاعتصام بالجبال.

وفي سنة (٨٢٩ ق.م) أغار هذا الملك الآشوري أيضًا على منطقة «كارخي»^(٥) وجعلها خرابًا بلقعًا. وبعد سنة من هذه الإغارة نهضت بلاد «زاموآ» في ظل الحكم الآشوري، حيث كانت قد أصبحت مقاطعة من مقاطعات الدولة الآشورية.

(١) يقول الدكتور «سبايزر» في كتابه القيم: إن مركز بلاد «زاموآ» كانت مدينة «آراكدي».

(٢) اسم لأحد جبال «سليانية» الحالية يقع في شمالها. المترجم

(٣) الظاهر أن هذين الجبلين هما جبال «تاسولجة» و«كله زرده».

(٤) بلاد «نامرى» هذه على ما يؤخذ من الخريطة عبارة عن المنطقة الكائنة بين «بشدر» و«سردشت» الحاليين في شمال العراق.

(٥) الظاهر أن بلاد «كارخي» هي منطقة سهل «شهرزور» الشهير.

وبعد انكسار جيش الملك الآشوري «شلمنصر» الثالث (٨٨٣-٧٧٣ ق.م) أمام جيوش «ساردوريس» الأول ملك «اورارتو» سقطت بلاد اللولو، في أيدي الغالبين وخضعت لهم مدة من الزمن.

وفي أواسط القرن الثامن (ق.م) دخلت بلاد «زاموآ» في سلطان «آبليا» أحد الحكام الآشوريين الثائرين على السلطة المركزية، وفي نهاية هذا القرن أطلق الآشوريون اسم «لولوم»^(١) على تلك البلاد.

وقد نقل الملك «تيجلات بليسر» الرابع (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) بعضاً من الآراميين من بلاد ما بين النهرين إلى هذه البلاد (فورير ص ٤٣).

وصفوة القول أن بلاد «لولوم» هذه كانت في أواخر عهد الحكومة الآشورية، مسرحاً لكثير من الفتن والثورات بين الحكام والأمراء الآشوريين أنفسهم؛ إذ دامت هذه الأحوال إلى أن سقطت البلاد أخيراً في أيدي الميديين الذين قضوا على الحكومة الآشورية قضاءً نهائياً، لا مرد له، وبنوا على انقضائها إمبراطوريتهم الميديّة. هذا وأن ثالث ملك من ملوك هذه الحكومة الفتية، مر في غزوته الثانية لمدينة «نينوى»، ببلاد اللولوم هذه.

(المدنية والحضارة) - يظهر أن حضارة شعب «لولوم» هذا كانت مما لا بأس بها. وأنها تقدمت نوعاً، عندما اتصلوا بالشعب الأكادي، إذ استعملوا الأبجدية الأكادية، في كتابة لغتهم الخاصة. وكانوا على جانب عظيم من اتقان الصناعات والفنون وحسن الاستعداد لها. يدل على ذلك رواية «آشورنا صربال» الملك الآشوري وفعاله معهم، حيث عمد هذا الملك إلى كثير من الصناعات والفنانين في هذه البلاد، ونقلهم إلى المدن الآشورية لتقوية روح الفنون والصناعات ونشر المدنية والحضارة فيها. وكانت هذه البلاد عامرة بمدن عديدة كبيرة وغنية، على ما تدل الوثائق الآشورية، الأمر الذي يشير إلى وجود الرفاهية والمدنية في كل ناحية من نواحي الحياة الإنسانية.

(١) كتاب «تاريخ آشور» لمؤلفه أولمستيد ص ٢٤٥.

اللسان واللغة: إن لغة هذا الشعب، على رأي المستشرق «هوزينغ» من توابع اللغة العيلامية أعني أنها فصيلة من اللغات القوقاسية. ومع ذلك إذا درسنا الأعلام اللولوية نجد أن هناك بعض مناسبات ومشاهاة بينها وبين لغة الهوريين. حقا أن المكتشفات الأثرية لا تعطينا حتى الآن معلومات قاطعة عن لغة هذا الشعب القديم.

الجغرافيا: الحدود الجغرافية لبلاد «لولو» غير معلومة لنا تمامًا. ولكن يؤخذ من الخرائط التاريخية القديمة ومن بعض المعلومات المستنبطة من المكتشفات الأثرية؛ أنه كان بشمال بلاد «زاموآ» منطقة «نامري»، وفي شرقيها نواحي «سومي» و«هاشمار» و«هارهار»^(١) و«هالمان- نارمان»^(٢)، وفي داخلها ووسطها نواحي «لارا» و«سيماش» و«كماش»^(٣)، وفي الجنوب مقاطعتا «باراهسي» و«توكريش» العيلاميتين وفي غربها بلاد «أرافا- أرابخا» أعني «كر كوك» الحالية.

مدنها الشهيرة: «بابيت» و«داغارا» و«بارا» و«كاكري» و«زيمري» و«هودون» و«ميسو» و«آرزيرو» وقلعة «أوزي» و«كينبا» وجبالها الشهيرة هي: «نيسير- Nisir»^(٤) أو «كينبا-

(١) تعرضت هذه المدينة لمهاجمات الملك «سارغون» الأكادي، في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد، حيث غير اسمها إلى «كارشاروكين» أعني مدينة «سارغون» ويظهر أنها كانت في محل بلدة «هلبجة» الحالية أو على مقربة منها.

(٢) يظهر أن اسم «هاورمان» الحالي هو عين اسم «نارمان» القديم إذ كلاهما يقعان في منطقة واحدة في لواء «السليمانية» الحالية.

(٣) ونظرًا لاتحاد الحرف الأخير من الاسمين المذكورين مع اسم «سورداش» الحالي يظهر أن «سورداش» هذه أيضا مدينة من المدن اللولية وأن اسمها هذا وضع باللغة اللولية.

(٤) تفيد الروايات البابلية أن سفينة نوح عليه السلام استقرت بعد الطوفان، على جبل «نيسير». إذ يقول ملك آشوريا «آشورنا صربال»: «إن هذا الجبل يقع في شرق بلاد الآشور، وهو جبل منفرد مخروطي له قمة حادة كسنان الرمح». ولا شك في أن هذه الرواية تؤيد دعوى «مينورسكي» القائلة:

«يعتقد علماء الدين المسيحيون -كما يشير إليه أيضا القرآن الكريم في آية {واستوت على الجودي}- أن سفينة نوح عليه السلام استقرت على جبل «الجودي». وهذا اللفظ -يذهب السير كنيغ إلى أن لفظي «جودي» و«نبور» يدلان على جبل واحد- يظهر أنه محرف من كلمة «كوتي- جوتي» لأن

جبل زرکاری» و«نيكديم» و«نيكدي- ایرا» و«سيماکی» و«آزیروا- Aziru - أزمر» و«کولار- Kullar» و«لالار» و«سواني- Suani» و«نیشی» «جبل هاورمان الحالي». ونهیرا «رادنو- Radnu» و«أدير- Adir» معلومان أيضًا. (سبایزر).

٢- (کوتی، جوتی - Guti):

سبق أن ذكرنا في الرأي الثالث من الفصل الثاني، أن هذا الشعب أيضا من جملة شعوب وأقوام «زاغروس» الكبرى. ويعتقد بعض المستشرقين أن هذا الشعب القديم الذي كان يشغل منطقة كبيرة في جبال «زاغروس» هو الأصل الأول للأمة الكردية الحالية وكان له بها حكومة مستقلة. ويؤخ من كشف بأساء الملوك في كتاب «تاريخ الشرق

ناقليها وهم هؤلاء العرب الذين ينطقون حرفي (g) (كك) جيما فيقولون في كلمات «ما كده بورك»، «ماجدا بورج» و«انكليز» «انجليز» وكما أنه لا تخفى القرابة التي بين حرفي (د) و(ت) في المخرج.

وعلى هذا المنوال ذكر لفظ «كوتی» التاريخي في الكتب العربية مرسومًا على هذا الشكل الـ«جودی». وبناء على هذا التخريج أو التوجيه يكون معنى جبل «الجودی»، جبل الـ«كوتی- كوتی- كورتی- كودی» وفي الواقع -على ما يؤخذ من الوثائق القديمة- كان استقرار سفينة نوح عليه السلام على جبل «نيسير- زركارى الحالي» الكائن ببلاد «كوتی». وإذا كان الأمر كذلك، كان مهد الإنسانية الثاني هو أطراف جبل «نيسير» المذكور. ويحتمل جدا أن الناس بعد رده طویل من الزمن من الطوفان، أخذوا ينتشرون في الأرض لتكاثرهم الكبير إلى هنا وهناك: فقسم منهم، على رأي «هرفي ربنصون» و«هنري بريستيد» اتجه نحو الجنوب الغربي مثل سورية وفلسطين وأفريقيا. والقسم الآخر اخترق جبال القوقاس وأخذ ينتشر منها تدريجيا إلى شرقي بحر قزوين وشاليه، حتى حوض نهر الدانوب الأسفل، وربما بقي بعض فروع من هؤلاء الناس في موطنهم الأصلي غير مغادرين له ولا مهاجرين عنه.

يقول المستر «م. سترك»: في دائرة المعارف الإسلامية (ج ١ - ص ١٠٦): إن المؤلفين المسيحيين أطلقوا على جبل الجودی اسم جبل «كوردئين». وفي الواقع أن جبل «نيسير» يقع في بلاد «كوردوين» وفي عهد الآشوريين كانت بلاد «بوتان» و«آسوري» معروفة باسم «كوتيوم- جوتيوم» أعني بلاد الشعب الكوتي أو الكوتي. ويظهر أن هذا الاسم «الجوتي» لم يكن قد تنوسي بعد في صدر الإسلام، حيث تولد منه لفظ «الجودی».

الأدنى القديم» أن أول ملك معروف لهذا الشعب كان يدعى «آناتوم - Annatum» الذي حارب العيلاميين، والذي كان في الوقت نفسه ملكا على «لاغاش». (القرن الواحد والثلاثين قبل الميلاد).

وورد في الكشف المذكور أيضا اسم «لوكال زاكيس» الكوتي الذي كان في القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد ملكا على «أريخ» وبلاد «سومر».

ومن الملوك الكوتيين أيضا الملك «آنوباني» فاتح «هالمان» الذي كان قبل عهد الملك «سارغون» الأكادي. ويقول الدكتور «سبايزر» في كتابه القيم ص ٩٩ أنه يستدل من الأعلام التاريخية السومرية أن العناصر الكوتية، كانت موجودة ببلاد «سومر» قبل أن تشكل الحكومات بها بزمان غير قصير. وأن هذه العناصر الكوتية التي أصبحت فيما بعد، ذات حول وطول في تلك البلاد، أغارت أخيرًا على بلاد «أكاد» إغارات شتى حتى تمكنت أخيرًا، أي أواسط القرن السابع والعشرين (ق.م) من احتلالها كلها. وفي عهد «شاركان- شارى» ملك أكاد خضعت بلاد أكاد التي كانت في غالب الاحتمال في يد الملوك الكوتيين لسلطان حكومة «أريخ» حيث قام بالحكم فيها خمسة من الحكام الأريخيين مدة عشرين سنة، ثم أعقب هؤلاء فتح العشائر الكوتية لجميع بلاد «أكاد» وبسط سلطانها عليها. (هامش كتاب تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ١٨٩).

وربما دامت سلطنة الكوتيين في هذه البلاد حوالي قرنين من الزمن. فيؤخذ من دراسة الحوادث التي تتضمنها الآثار المكتشفة؛ أن بلاد «سومر» و«أكاد» كانت خاضعة ردًا طويلا من الزمن لسلطان الكوتيين كما أن ملوك «لاغاش» الأقوياء كانوا تابعين لهم. وفي الواقع أن العهد الذهبي لحكومة «لاغاش» الذي كان أثناء حكم «باتيس كودي - Gudea» في سنة (٢٥٠٠ ق.م) يوافق تمام الموافقة لعهد حكومة الكوتيين. ولا يخفى أن «كودي» هذا هو نفس «كوتى». هذا ومن دواعي الأسف الشديد أن ليس عندنا معلومات كافية عن أحوال هذه الحكومة الكردية القديمة جدًا. فلا نعرف شيئًا عن أعمالها وآثارها في مدة

حكمها التي تقرب من القرنين من الزمن، ولا عن أسماء ملوكها وعددهم في تلك المدة الطويلة. ولا يذكر المستر هول في جدول الملوك الأقدمين الذي أرفقه بكتابه القيم عن تاريخ الشرق الأدنى القديم، أحدًا من الملوك في المدة الواقعة بين عهد الملك «نارام سين» وبين تاريخ استيلاء حكومة «أور» على بلاد «أكاد» أي من سنة (٢٧٠٠) لغاية سنة (٢٥٠٠ ق.م). ولكن الدكتور «سبايزر» صرح في كتابه بأن آخر ملك كوتى بأكاد، كان يدعى «تيريكان - Tirigan».

ويؤخذ من جدول الملوك الذي وضعه المستر هول في كتابه ص ٢١٠، أنه في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد حارب الملك «سارغون» الشهير أو «شاركاني - شاررى - Shargani - Sharri» ملك الكوتيين «شارلاك» وهزمه. (تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ١٨٦).

وبعد انقراض حكومة الكوتيين هذه، على يد «أتو - هيكال» ملك «أرو - أوروك»^(١) انسحبت العشائر الكوتية إلى وطنها القديم أعني جبال «زاغروس». ولم تعد بعد ذلك تقلق راحة بلاد «أكاد» إلا مرة واحدة. وذلك أثناء إغارة عشائر «كاساي» على «بابل» حيث كانت العشائر الكوتية أيضا معها تعضدها في مهمتها. ثم اندمج الكوتيون في اللولو وأصبحت بلادهم جزءاً من بلاد هؤلاء الآخرين. ودليل هذا وقوع جبل «نيسير» في بلاد كلا الشعبين، ووجود مدينة كوتية في بلاد «زاموآ» والظاهر أن هذه المدينة هي الآن بلدة «ألوبولاغ = آبالخ» التي ضبطها مؤلف آشوري على شكل «تاغالاغا» و«لاغاب» أو «غالاغا». فمن هذا الوقت لغاية بدء الحكومة الآشورية يكتنف تاريخ الكوتيين شيء كثير من الإبهام والغموض ويحيط به ظلام دامس، إذ لم يكتشف لغاية الآن من الوثائق والمعلومات ما يلقي نوراً على ذلك. على أن البلاد الآشورية حتى الربع الأخير من الألف

(١) يقول المستر هول: إن بلاد «أكاد» خضعت للملك «لاغاش» الذي كان سومرياً. وأنها بعد انقراض هذه الأسرة خضعت للملك «أور» الذي كان أيضاً سومرياً. وبعد ذلك خضعت لحكومة «نيسين» السامية التي دام حكمها في بلاد «بابل» لغاية استيلاء الحكومة العامورية بسورية عليها.

الثانية قبل الميلاد، كانت مؤلفة من عدة حكومات صغيرات لا حول لها ولا طول. فلم يكن لها من القوة والسلطان ما تستطيع به التحرش بجيرانها الجبلين والانشغال بهم، بل الواقع والحقيقة أن تلك الدويلات، كن تحت رحمة هؤلاء الأقوام الجبلين وسلطانهم الحربي. وقد بقيت تحت الحكم الميتاني فترة طويلة من الزمن. ونرى أن أول ملك آشوري -الظاهر في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد- هو ابن «إياكولابا» الذي يشبه اسماً كوتياً. كما أن كلا من «اوشيبا» و«كيكيا» من حكام آشور القدماء اللذين كانا في نفس العهد المذكور، كانا ولا شك من العنصر الميتاني. وأن أحد ملوك آشور في القرن التاسع عشر قبل الميلاد الذي كان يدعى «آداسي» كان زاغروسياً على ما يظهر. وكان اسم الملك الذي خلف الملك السابق في حكم آشوريا «لوللولاى»، الأمر الذي يدل على أنه كان من الشعب اللوللوى تماماً. وخلاصة القول أن بلاد «آشور» لم تنل استقلالها السياسي ولم تحز مكانة تتمكن بها من محاربة جيرانها، إلا في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد. (حوالي سنة ١١٠٠ ق.م) تقريباً.

هذا ويقول ملك آشور «آداد- نيرارى» (١٢١٠-١٢٨١ ق.م)، في وثيقة اكتشفت أخيراً: إني هزمت جيوش «كاساي» و«كوتى» و«لوللوم» و«سوبارى» شر هزيمة. ولا شك في أن الـ«كوتى» المذكورين هنا هم نفس الـ«كوتى» المذكورين في السجلات والآثار السومرية والأكدية كما أن الملك «شلمناصر» الأول (١٢٨٠-١٢٦١ ق.م) الذي كان قد أوصل فتوحاته العسكرية حتى بلاد «أوروآرتى» أعني «أرمينية» و«خانى كالبات» يقول: «إن الشعب الكوتي الذي كان في سماء هذا العصر يتألق كالنجوم الزاهرة، لم يكن منصفاً بالقوة والسلطان فقط، بل أنه كان معروفاً بالحزم والعزم، والشدة المتناهية والإرهاب والتدمير. فقد قاوم هذا الشعب بكل شدة وبأس، إرادتي واصر على عدائي دائماً». فهذه الرواية تبين لنا مبلغ قوة هذا الشعب وتصور لنا تصويراً بليغاً طبائعه وسجايه العظيمة، الأمر الذي يضع أمام عيوننا حالة عشائر كردستان اليوم. وما هم عليه من الشجاعة الفائقة والبأس والإقدام النادرين.

وكانت النتيجة الحاسمة لهذه الحرب، أن تمكن الجيش الآشوري من التغلب على الأعداء تغلبًا وقتيًا. وذلك بعد أهوال وشدائد قاسوها وأعمال وحشية اقترفوها، حتى أصبحت الأمثال تضرب بقساوة وفظاعة الملوك الآشوريين وأعمالهم البربرية، حيث يقول «سلمناصر» نفسه في وصف ذلك ما يأتي:

«إن دماء الشعب الكوتي أرقيت كالمياه الجارية في منطقة كبيرة تمتد من حدود «اوراترى» حتى «كموخى». فيؤخذ من هذا التصريح أن منطقة عصيان ومقاومة الشعب الكوتي كانت تمتد من «أرمينية» إلى جبال «طور عابدين». وعلى كل حال يستخلص مما تقدم: من الوثيقة المذكورة أو الروايات الأخرى المنقولة عن الملك «توكولتى - إينورتا» والملوك القدماء الآخرين، أن القسم الأوسط من جبال «زاغروس» بأكمله كان وطنًا قوميًا للشعب الكوتي.

ثم يستمر الأستاذ «سبايزر» في كلامه فيقول: إن الشعب الكوتي أو «الكوتى - الكورتى» شعب من شعوب «زاغروس» من الوجهة اللسانية واللغوية، فلذا لا يمكننا أن نقول بساميته ولا بآريته «هندو - أوربي» نعم! لا ينكر أنه قد اندمج في هذا الشعب بعض من الشعوب الآرية «هندو - أوربي» وأنه قد شوهد بعض من الشعوب الآرية فيما بين النهرين، في أواسط الألف الثانية قبل الميلاد حتى أن معظم أهالي جبال «زاغروس» صاروا آريين في الألف الأولى قبل الميلاد. ولكن هذا لا يكون دليلًا قاطعًا على كون الكوتيين آريين أيضًا. (انظر: أصول أقوام وشعوب ما بين النهرين ص ٩٦-١١٩).

٣- (كاساى - Kassites):

إن شعب «كاساى» أو «كاششو» في العهد الأكادي، أو «كوش» الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس وفي الروايات البابلية؛ شعب من شعوب «زاغروس»، كان قد احتل شيئًا فشيئًا شرقي بابل إلى نهر دجلة. وكان هذا الشعب لا يفتأ يغير على البلاد البابلية كلما سنحت له الفرصة، حتى اضطر الملك «آمى - زادوغا» رابع الملوك بعد الملك «حمورابي»

(١٩٧٧-١٩٥٦ ق.م) للاتفاق مع العيلاميين، وعقد معاهدة دفاعية، لرد دعاية هؤلاء الكاسيين ووضع حد لإغاراتهم المدمرة. (تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ١٩٨). وفي عهد «سامسو - ايللونا» أغارت العشائر الكاسية أيضا على البلاد البابلية، إلا أنها لم تتمكن من الاستيلاء عليها.

هذا وفي عهد «سامسو - ديتانا» العاموري الذي هو الملك الحادي عشر والأخير من ملوك بابل، أغار الشعب الـ«خاني» الأنضولي على البلاد البابلية إغارة هوجاء، فترك البلاد خرابا يبابا تسبح في بحار من الدماء وتتقد كجحيم من النار. ثم قفل راجعا إلى بلاده، الأمر الذي أفضى إلى سقوط حكومة «عاموري»، وتألقت نجم الشعب الكاسي في سماء السياسة والقوة والسلطان، فساعدهم ذلك على تحقيق غاياتهم السياسية^(١).

ويظهر أنه بعد هذا الاستيلاء تمتعت بلاد «بابل» مدة قرنين من الزمن بحكومة محلية مستقلة، إلا أنه ليس عندنا معلومات ما عن هذه المدة. وفي نهاية هذه الفترة، قام الشعب الكاسي بمعاوضة العشائر والشعوب التي تمت إليه بالنسب مثل الكوتي واللؤلؤ، بإغارة شعواء على بلاد «بابل» تحت قيادة الزعيم «غانديش» وتمكنوا من الاستيلاء عليها نهائيا في سنة ١٧٦٠. وعلى رأي الدكتور سبايزر كان ذلك في سنة (١٧٤٦ ق.م).

ولم يتدخل الفاتحون الجدد لبلاد بابل هذه في أمور الحكومة الجنوبية لبابل فترة من الزمن وقد حافظت هذه الحكومة على كيانها السياسي مدى ثلاثة قرون (٢٠٦٨-١٧١٠ ق.م)، وكانت هي آخر حكومة للعنصر السومري القديم. وبانقراض هذه الحكومة الجنوبية انقرض هذا العنصر القديم أيضا وأصبح لسانه من الألسنة الميتة، لا يحافظ عليه سوى رجال الدين.

(١) يقول المستر كينغ في كتابه «تاريخ بابل ص ٢١١»: إن هذه الإغارة والاستيلاء حدثت من قبل شعب «هيتيت - الحيثي».

ففي عهد حكومة «ئى - كاميل»^(١) انقرضت حكومة السومريين هذه (ويغلب على الظن أن ذلك كان في سنة ١٧١٠ ق.م) إذ أراد هذا الملك الاستيلاء على بلاد «عيلام» ولكنه أخفق في ذلك ورجع خائباً إلى بلاده، فانتهاز هذه الفرصة السانحة «أولام - بورياش» أحد الزعماء الكاسيين وانقض على «ئى كاميل» وقهره واستولى على حكومته وصار حاكماً على بلاد «سومر» كتابع وخاضع لوالده ملك «بابل» الذي كان يسمى «بورنابوراريش» وبعد عدة سنين، حدثت حوادث أدت إلى استيلاء ملك الكاسيين الذين كانوا في بلاد «بابل» المدعو «آكوم» الثالث الذي كان ابن أخ «أولام بورياش» على قلعة «دور - ئى» آخر قلاع سكان الساحل من السومريين.

وبعد تمام الاستيلاء على البلاد الساحلية هذه «بلاد سومر» تمكن ملك الكاسيين من حكم البلاد كلها وتلقب نفسه بلقب «كاردونياش» الشامل للبلادين «سومر، وآكاد» اللتين كان تنقسم إليهما بلاد «بابل». ودام حكم هؤلاء الكاسيين بهذا اللقب الجديد، زهاء ستة قرون بكل أبهة وعظمة. (على رأي سبايزر من سنة ١٧٤٦ لغاية سنة ١١٧١ ق.م)، فامتد سلطانهم إلى بلاد أكبر رقعة من البلاد التي حكمها الملك «حمورابي» الشهير. واشتبكوا مع الحيثيين في القتال فكسروهم شر كسرة، واستعادوا منهم الأصنام والتماثيل البابلية التي كان قد سلبها هؤلاء فيما مضى. وفي الواقع أن الملك «حمورابي» وأسلافه وخلفاءه من الملوك، لم يكن لهم من القوة والسلطان ما يسمح لهم أن يوطدوا سلطتهم حتى في البلاد السومرية نفسها ليستخلصوها لأنفسهم فضلاً عن التوسع في بلاد جيرانهم. (انظر المجلد الثاني). هذا وقد عادت العشائر الكاسية، بعد سقوط حكومتهم إلى جبال «زاغروس» مثل الكوتيين تماماً.

(١) لفظة «ئى» كانت تدل على إله البحر. (تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٤٨٩). المؤلف

وفي عهد حكومة «روما» شوهد بعض من العشائر الكاسية في أطراف «سوس» بإقليم «خوزستان». ويؤخذ من الآثار القديمة المكتشفة أن القسم الشرقي الجنوبي من الكاسيين بقوا حيناً من الدهر في حكم العيلاميين (دائرة المعارف الإسلامية)^(١).

وخلاصة القول أن هذا الشعب بهذا الاسم فقط كان موجوداً، حتى الميلاد وما بعده أيضاً، في بلاد «لرستان» ثم ضاع هذا الاسم تدريجاً وحل محله اسم «العشائر اللورية»، وفي الواقع أنه لا يوجد بين لفظ «كاساي- كاشسو- كوشي» ولفظ «لر» أية مشابهة لفظية، بل أن لفظة «لر، لور» حسبما يذهب إليه الأستاذ «سبايزر» قريبة من لفظ «لوللو» وعلى هذا ليس من البعيد أن لفظ «لر- لور» كان يطلق في بادئ الأمر على فرع من الشعب الكاسي، ثم صار علماً على جميع الشعب المذكور.

العنصر والديانة: يعتقد معظم المستشرقين بأن هذا الشعب من السلالة الآرية «الإيرانية»، ولكن الأستاذ «سبايزر» وآخرين من العلماء يقولون بوجود قرابة وصلات وثيقة بين هذا الشعب، والشعوب القوقاسية من الوجهة اللغوية واللسانية. هذا وكان الكاسيون وثنيين مثل جيرانهم من الشعوب الأخرى فكان كبير آلهتهم يدعى «سرياش» أعني آلهة الشمس. ومعبوداتهم الأخرى هي «خارب، دونباش، شاخ، شيباك، شوكامونا.. إلخ». واللفظ الدال في اللغة الكاسية على معنى الإله هو «بوغاش» وليس هناك أية معلومات عن ديانة وطقوس القوم. (تاريخ الشرق الأدنى القديم).

اللغة والحضارة: يذهب المستر هول إلى أن لغة الكاسيين كانت فصيلة من اللغات الآرية «الإيرانية». مثال ذلك أن لفظة «ايندابوغاش» التي هي صريحة في آريتها، تقابلها في اللغة البارسية = الفارسية، كلمة «ايتافيرنيس».

(١) يقول المستشرق «راولينسون»: الظاهر أن وادي «كاشفان- كاشوان» منسوب إلى اسم «كاشو» كما أن «هرزفلد» الذي قام بدراسة عميقة في «لرستان» يقول: إن منطقة «كوه كيلو» الواقعة بين «سوسا» و«فارس» الظاهر أنها موطن «كورش الكبير- كيخسرو» أعني بلاد «أنشان- أنزان».

وقد وضع المستشرق «بنجر» كتابًا عن اللغة الكاسية، إلا أنه لا يعتمد عليه كثيرًا. ومع ذلك فمما لا شك فيه أن هناك صلة قوية بين لغة هذا الشعب ولغات شعوب «زاغروس». (كتاب شعوب ما بين النهرين). ويقول المستشرق «هوزينغ»: إن اللهجة الكاسية مشابهة تمام الشبه بلغة شمالي عيلام، كما أن بعض الأسماء والأعلام الكاسية تشبه الأسماء الهورية. والخلاصة أن ليس هناك رأي قاطع في هذا الموضوع.

ومع أنه ليس هناك معلومات وافية عن مبلغ الحضارة التي كان عليها الشعب الكاسي، يلوح من بعض الأحوال أنه كان لهؤلاء الناس استعداد كبير للفلاحة والزراعة، قبل تأسيس حكومة بابل بمدة غير قليلة. وكان عندهم صنف من الخيول يستخدمونها في جر الأثقال والعربات وفي الركوب أيضًا. وهم الذين أحضروا هذه الدواب الكبيرة الحجم إلى بلاد «بابل». وقد استفادوا من حضارتها بعد فتحها وتقدموا في الفنون والصناعات وفن الكتابة والخط.

٤ - (ميتاني - Mitanni):

يعد السير كينغ مؤلف كتاب «تاريخ بابل» هذا الشعب فرعًا من الشعب الكاسي، ويقول: إنه آري أيضًا مثله. ولكن ما ورد في كتاب «شعوب ما بين النهرين ص ١٢٨ - ١٣٥» ينفي ذلك، حيث يقول: إن الميتانيين فرع من شعب «سوبارو - سوبارتو».

هذا وكانت منازل هذا الشعب في الفرات الأوسط أعني منطقة «الموصل - جرابلس» أسسوا فيها حكومة قوية حوالي القرن السادس عشر قبل الميلاد (انظر: المجلد الثاني). وكانت هذه الحكومة التي عاصمتها «واششوغانى» إحدى الحكومات الأربع الكبيرة في ذلك الوقت، وهي «مصر، الحيثيون، كاردونياش، ميتاني».

يؤخذ من الأوراق المكتشفة في «آمارنا»^(١) أنه كان هناك بعض الصلات بين الميتانيين وبين الحكومة المصرية المعاصرة. وقد اكتشفت وثيقة من وثائق ملكهم مكتوبة باللغة الميتانية في ستمائة سطر، في حين أن المعروف أن لغة السياسة العامة كانت حينئذ لغة الأكاديين فقط. ويقول المستشرق «بورك»: إن لغة تلك الوثيقة فصيلة من اللغات القوقاسية.

كانت البلاد الميتانية مشهورة أيضًا ببلاد «سوبارى» وقد اكتشفت في منطقة «كركوك» الحالية، آلاف من الوثائق السريانية والميتانية، كما أن طائفة أخرى من الوثائق اكتشفت في جهة «بوغاز كوى» ويقول المستشرق «جنسن»: إن لفظ «ميتاني» كان لقبًا خاصًا بالأسرة المالكة فقط، وأما الاسم الدال على الشعب، فكان لفظ «سوبارى» كما أن بلادهم كانت تدعى باسم «هانى كالبات» وهذا التفسير أو التأويل يتفق ونصوص الآثار المكتشفة في منطقة «كركوك».

فحكومة الميتانيين هذه انقرضت في عهد سلطنة «آشور ناصر بال» حيث استولى الآشوريون على بلادها شيئًا فشيئًا إلى أن زالت من الوجود. (كتاب التاريخ العام للمؤرخين).

وكانت هذه الحكومة -كما سنرى في المجلد الثاني- على جانب عظيم من القوة والنفوذ استمرًا حينًا من الدهر، إذ كان سلطانها يتناول بلاد «سورية» و«عامورية» وقسمًا من «كردستان» لغاية «آرافا- كركوك» وجميع بلاد آشور.

(١) هي بلدة «تل العمارنة» الأثرية الشهيرة بصعيد مصر. المترجم

وقد أطلق المصريون القدماء على هؤلاء الميتانيين اسم «ناهاري»، كما أن التوراة ذكرتهم باسم «آرام- ناهارام» (التاريخ العام للمؤرخين ج ٢- ص ٢٨١) ولا تخفى القرابة بين اسم «نايري» واسم «ناهاري»^(١).

٥ - (خالدي - Khaldi):

من المفهوم أن هذه الحكومة تأسست في أوائل القرن التاسع قبل الميلاد، وأنه كان لها عدة ملوك قبل الملك «ساردوريس» الأول ابن «آري» وخلفه. وكان «ساردوريس» هذا معاصرًا للملك الآشوري «شلمنصر» الثالث (٨٢٤-٨٤٩ ق.م) وهو الذي بنى مدينة «توسباس = وان». وابن هذا الملك وخلفه المدعو «ايسبونيس» هو الذي أحلّ اللغة الخلدية محل اللغة الآشورية التي كانت لغة التحرير والآداب إلى ذلك الوقت في مملكة «اورارتو». والآثار المكتشفة في مضيق «كلاشين» الواقعة في شمالي «رايت» تتضمن فتوحات «ايسبونيس» المشار إليه وهي أحجار مكتوبة باللغة الآشورية. وأن نفوذ وسلطان هذه الحكومة قد وصلا لأقصى حدودهما في عهد الملك «مينواس» وقد اكتشفت آثاره، وهي تدل دلالة واضحة على فتوحاتها الكثيرة، في صخور قلعة «وان» وفي جوار مدينة «الكسندر بول- كمري» وتدل الآثار المكتشفة بجوار هذه المدينة الأخيرة والتي خلدت آثار هذا الملك؛ كما خلدت بهيستون آثار دارا، على أن الملك مينواس قام بما لا يقل عن ١٤ حربًا.

وأن أكثر حروب شلمنصر الرابع (٧٨٢-٧٧٢ ق.م) وقعت مع هذا الملك الخلدي، حيث كانت حكومة خلديا، في هذا العهد منافسة للحكومة الآشورية ومهددة لنفوذها وكيانها. كما أن عهد ابنه وخلفه المدعو «ساردوريس» الثاني أيضا كان عهدا ذهبياً لهذه الحكومة وبه وصلت السلطة الخلدية إلى أوج مجدها، مما أدى إلى تزعزع مركز السلطة

(١) الواقع أن الأكراد سكان منطقة «نايري» القديمة، لا يزالون يطلقون على بلدة «شمدينان» الحالية الواقعة في تلك المنطقة اسم «نيري- نيري».

الآشورية، أمام مهاجمات الخلديين المتوالية، وإلى ظهور ثورات واضطرابات في داخل البلاد الآشورية من جراء ذلك. ودام الحال على هذا المنوال حتى تمكن زعيم الثورة العسكرية المدعو «بول» من فرض سلطته المطلقة على البلاد والتلقب بلقب «تيجلات بليسر» الثالث، وقيادة الجيش الآشوري ضد أعدائه. إذ قام أولاً بتأديب العشائر الكردية الضاربة في الشمال، ثم انثنى على شمالي سورية واستولى عليها. وبعد ذلك تمكن من كسر «اورارتو» وحلفائها الواحد بعد الآخر، حتى صار سيد الموقف تمامًا.

هذا وإن حكومة الخلديين، التزمت جانب الدفاع عن البلاد الأصلية «اورارتو» والمحافظة عليها فقط. وذلك حتى انقضاء عهد «سناخريب» الشهير. وأخيرًا في عهد «روساس» الثاني انتعشت حكومة الخلديين؛ واستولت في الغرب على «موشكى» و«حيثي» و«هاليزون» و«ألزى = بالو» وهي خاتمة فتوحاته. وقد دامت سلطنة اورارتو حتى عهد «جرميا» المكتوبة سنة (٦٢٥ ق.م) ولما بعده محتفظة بكيانها السياسي. ثم عاشت في حماية حكومة الميديين ردًا من الزمن. إلى أن قضى عليها قضاءً نهائيًا، من جراء ثورة الكوتيين أعني العشائر الكردية سنة (٥٨٥ ق.م). (كامبريج تاريخ قديم).

٦ - (سوباري - Subari):

كان هذا الاسم فيما مضى أي «عهد الأكاديين» تعبيرًا جغرافيًا فقط، إذ كان علمًا لبلاد واسعة جدًا تمتد من الشمال الغربي في بلاد «عيلام» إلى جبل «آمانوس» ثم صار علمًا لعشائر كبيرة في كردستان. وهذه العشائر العديدة الكبيرة هي التي انفصلت من الشعوب الأصلية القديمة المعروفة بشعوب «زاغروس». وكان بعض من السوباريين يقطنون بلاد ما بين النهرين وسورية، والأناضول، أيضًا. ويجعل بعض المستشرقين - كما سبق ذكره - الشعب الميتاني فرعًا من السوباريين، فيقول: يظهر أن فرع ما بين النهرين وهم «الهوريون»، كانوا معروفين بأنهم أيضًا «سوباريون» (سبايزر). ويقول السير سيدني

سميث أيضًا: إن أهالي القسم الغربي لدجلة من السوباريين، كانوا معروفين باسم «الهوريين الخوريين».

والواقع أنه تنقصنا معلومات كثيرة عن التاريخ السياسي لهذا الشعب القديم، غير أن بعض الوثائق الآشورية التي تتضمن حروب ملوك آشور مع هؤلاء الناس، تتعرض لذكرهم، وتبحث عنهم باهتمام. وعندما حاصر الملك «تيجلات بليسر» الأول (١١١٠ - ١١٠٠ ق.م) مدينة «شريش» إحدى المدن السوبارية الشهيرة، دافع السوباريون عنها دفاعًا مجيدًا. وكان معهم الموشكيون، والكارتيون يعضدونهم في الدفاع. (تاريخ آشور القديم).

وفي عهد الحكومات الآشورية أخذ يتلاشى اسم السوباريين شيئًا فشيئًا، وحل محله اسم «نايري» الذي أقلق بال الآشوريين فيما بعد وأضعف قواهم تمامًا.

٧- (نايري، نيري - Nairi):

كان هذا الشعب على جانب عظيم من الشجاعة والكثرة والقوة، حيث أتيح له تمثيل جميع شعوب كردستان وإدماجها فيه: كما مر ذكره في الرأي الثاني من الفصل الثاني. إذ حلوا محل السوباريين ونابوا منابهم في كل شيء. ومن دواعي الأسف الشديد أن ليس لدينا معلومات صحيحة عن هذا الشعب الخطير. لكننا نعرف أن ملك آشور «تيجلات بليسر» الأول حارب جيوش ثلاثة وعشرين ملكًا من ملوك «نايري»، ومعهم بعض من حلفائهم من الملوك الآخرين، في هضبة «ملاذكرد» حروبًا طاحنة كانت ثمة معارك دموية هائلة، مما أدى إلى إقامة الملك الآشوري نصبًا عظيمًا في نواحي منابع «دجلة»، سجل به ظفره الباهر نقشًا، مع تفاصيل معاركه الدامية. (دائرة المعارف الإسلامية). وفي سنة (٩١٠ ق.م) قام الجيش الآشوري بحملة على بلاد «كوتموخ» فوقعت بينهم وبين الناريين معارك دامية فيما بين «دجلة» و«الجودي» أدت إلى خضوع هذه البلاد إلى الآشوريين؛ كما أن الملك «توكولتي نينيب» الثاني أيضًا انشغل كثيرًا بهؤلاء الناس في (٨٩٠ - ٨٨٤ ق.م).

والخلاصة أنك قلما تجد ملكًا آشوريًا، لم يشتغل بقتال هؤلاء العشائر القوية ذات البأس والجلاد من الناييرين. ولم يكن هذا القتال والنضال بينهم مسببًا دائمًا عن تعرض الآشوريين ومهاجمتهم لبلاد «نايري»، بل أن كثيرًا من تلك العشائر الجبلية كانت تهدد غالبًا البلاد الآشورية بالاستيلاء والاجتياح مما اضطر الجيش الآشوري لأن يلتزم خطة الدفاع فقط عن البلاد. فمثلا نرى أن العشائر النايرية هذه تغير من الشمال الشرقي على بلاد «آشور» في سنة (٧٤٣ ق.م) إغارة شعواء حتى تصل إلى قلب البلاد فيضطر الملك «تيجلات بليسر» الرابع إلى مقاومة هؤلاء المغيرين، وطردهم بكل مشقة وصعوبة من البلاد وإلجائهم إلى ما وراء جبل الجودي (تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٤٦٢).

قام «سناخريب» ملك الآشوريين (٧٠٥-٦٨٢ ق.م) في (٦٩٩ ق.م) بقتال هؤلاء الناييرين وحدث بينهم ملحمة عظيمة في أطراف جبل «الجودي» دامت معاركها مدة من الزمن؛ وهذه الحرب الكبيرة مذكورة في السجلات الآشورية باسم الحرب الخامسة من حروب «سناخريب».

يقول المستشرق الشهير الميجر «سون» في مبحث «نايري»:

«لم تكن بلاد «نايري» عبارة عن القسم الشمالي لنهر الزاب الأعلى فقط، بل الواقع أن الملك «تيجلات بليسر» وأحفاده كانوا يطلقون اسم «نايري» على هؤلاء الناس الذين كانوا يسكنون في نواحي منابع دجلة والفرات، وفي شمالي «نيفاتس» أعني ولايات «ديار بكر، خربوط؛ درس» الحالية وفي جبال بدليس و«طورس». وهذه البلاد هي تلك البلدان التي شوهدت فيها إقامة الشعب الكوردوني سنة (٤٠١ ق.م) أي في أواسط عهد الحكومة (الأخمينية - Achaimenes) التي قامت بعد انقراض الحكومة الميديّة. هذا والشعب الكوردوني الجبار هو جد الشعب الكردي الحالي، وحفيد الشعب الميدي الماضي.

«فمن ذلك التاريخ صار كردستان وطنًا لبعض أقوام ذات لغة واحدة قديمة غير مختلطة. ودليل ذلك أنه في الوقت الذي هجرت الشعوب الآرية الكبيرة مواطنها القديمة

متجهة نحو «فارس» و«ميديا» وإلى قسم من «أوربا» هجر الشعب الكردي أيضًا موطنه القديم إلى جبال كردستان وهضابه واتخذها مقرًا له. وفعلاً نحن معشر الإنجليز الذين أحفاد السكسون نمّت بالنسب أيضًا إلى هؤلاء الكرد. والشعب الكردي لم يمتزج دمه بدماء شعوب أخرى، فبقي دمه وعنصره نقيين دائماً؛ كلغته التي حافظت على نقاوتها وعدم امتزاجها بلغات الشعوب والأقوام الأخرى. ولما انقرضت دولتا الميديين ثم الفرس، وخضع الشعب الفارسي للحكومة البرثية^(١) التي قامت بعدهما، انسحب الميديون إلى الجبال واعتصموا برؤسها وقللها، وأطلق عليهم اسم «الكوردوئي» أعني «الكردي» من ذلك الوقت، وعرف تاريخهم بهذا العنوان والاسم.

«وقد مر «زنيفون» بالشعب الكوردوئي، فأطلق عليه اسم «كاردوخوي» وقال: إنه لآقي من أفراد هذا الشعب شدائد وأهوالاً. وكل من اطلع على «رجعة العشرة آلاف» يعرف ما جرى لهذا القائد اليوناني من الأحوال. أفزنيفون هذا رأى الشعب الكوردوئي في جبال «أنتي طوروس» التي نطلق عليها الآن اسم جبال «حكاري» أو الكردستان المركزي.

«وإذا ألقينا نظرة على القسم الشمالي لغربي آسيا، نرى أنه كان مسرح قتال وكفاح وميدان انقلابات وثورات عامة. ونرى أن فتوحات وحروب الفاتحين العظام والقواد الكبار الذين تركوا على صفحات التاريخ العام آثاراً لا تمحى - جرت وقائعها كلها في هذه البلاد الجبارة. وكان هؤلاء الفاتحون من أمم مختلفة مثل الآشوريين، والفرس، واليونان، والرومان، والعرب، والمغول والترك، و مع ذلك نرى أن مقاومة الشعب الكردي ضد هؤلاء المغيرين والغازين كلهم، كانت أقوى بكثير من مقاومة الشعوب الأخرى لهم، إذ كان هؤلاء الأكراد، الشعب الوحيد من بين شعوب تلك البلاد الذي استطاع أن يقف أمام الجيوش المغيرة، وأن يحافظ على كيانه القومي واللغوي نقياً صافياً لا تشوبه شائبة

(١) «البرثيون - الفرثيون» هم «الاشكانيون - الاشغانيون» الأول نسبة لمنطقة «بارث - خراسان» والثانية نسبة إلى مؤسس دولتهم «أرشك - أشك» اهـ. إيران قديم: حسن بربنیا. المترجم

الأقوام الأخرى. حقاً إن الشعب الكردي يتمتع بمزايا قومية وسجاياء عنصرية ليس في وسع أي إنسان أن ينكرها، وألا يقدرها حق قدرها.

يستمر الميجر «سون» في البحث ويقول: «إن هذه السهول والجبال (بشالي طريق الرها- الموصل) المعروفة لبني الإنسان من فجر التاريخ، كانت حدّاً طبيعياً وسياسياً يفصل بين شمالي بلاد ما بين النهرين وجنوبيها، كما أن ذلك الجبل المظلم والشاهق - يقصد طور عابدين - الذي كان يسمى قديماً «نيفات» الذي نسيناه الآن في حوض نهر «دجلة» - تيجريس»^(١) كان حدّاً شمالياً لبلاد آشور في عهد ملكها «تيجلات بليسر» في سنة (١١٠٠ ق.م) وكانت تقع من وراء هذا الحد بلاد «نايري» المجهولة التي كان هذا الملك الآشوري الكبير يحاول دائماً افتتاحها والاستيلاء عليها. ثم تغير اسم بلاد «نايري» إلى اسم «كوردوين» الذي هو بعينه اسم «كوردين» أو «كرد». فمن هنا نعلم أن الشعب الكردي قدم إلى هذه البلاد وواستوطنها في فجر تاريخ العنصر الآري.

«هذا وأن جيوش عدة من الأمم الكبيرة مثل اليونان، والبرث، والرومان، اضطرت أمام هذا الجبال الشاخنة للاتجاه نحو السهول الجنوبية إذ أن تلك الجبال العاتية لتدل أكبر دلالة على انكسار كثير من الأمم الشرقية وفشلها في إغارتها على تلك البلاد، فالأمة الآشورية هي الأمة الوحيدة التي استطاعت أن تدخل بلاد «نايري» أو «كوردوين» التي لم يكن أهلها أقل شوقاً إلى الاستقلال وأضعف نزوعاً إلى الحرية من الشعب الكردي الحالي. حقاً إن عدم اندماج هذا الشعب الذي اشتهر من قديم الزمان بالقناعة والشجاعة والاستقلال، في الأمم الكبيرة الفاتحة اندماجاً كلياً، مما يثير الدهشة والحيرة.... تماماً. وأن الأثر الذي تركه الشعب الكردي في نفس المستشرقين والمؤرخين هو: أن الكردي لا يذل

(١) إن لفظ «تيجريس» هذا جاء من كلمة «تيكرا - Tighra» الميديّة، التي معناها في الميديّة والكردية

والفارسية «تير» أي السهم بالعربي. المؤلف

ولا يخفى أن لفظ «تيكرا» هذا لما تعرب لأول مرة صار هكذا «تيجرا» ثم تحرفت الكلمة على مدى الأيام إلى «دجلة» ووجه التسمية ظاهر لأن مياه دجلة تنطلق كالسهم من الشمال إلى الجنوب. المترجم

ولا يخضع فهو لن يقضى عليه أبداً^(١) وهو يحب الرقي والتقدم، ولكنه لا يفرط في شبر من أرضه. ويكره أشد الكراهة أساليب وطرق حكم هؤلاء الأقوام التي ترمي إلى التحكم فيه. ويفضل التجوال في وهاد وجبال بلاده محافظاً على كيانه القومي ولغته الآرية النقية القديمة جداً^(٢).

٢- من عهد الميديين حتى ظهور الإسلام

٧- «ميد- Medes»:

قد أسلفنا في الفصل الثاني، أنه يظهر أن هذا الشعب قدم إلى بلاد «ميديا» في القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد. وعاش في بادئ الأمر عيشة القبائل والعشائر الرحل بمعنى الكلمة، فأسست كل أسرة منه حكومة صغيرة ومستقلة لها.

وفي سنة (٨٣٥ ق.م) صادف الجيش الآشوري في عهد الملك «شلمنصر» الثاني العشائر الميدية في الحدود الشرقية لبلاد «آشور» حيث قدمت هذه العشائر بعض الهدايا للملك الآشوري الذي اعتبرها فيما بعد فريضة عليهم يقدمونها له كل سنة، وترك قائداً آشوريا لديهم حيناً من الدهر. وفي الواقع أن الآشوريين لم يكن لهم أي سلطان فعلي على هؤلاء الميديين الذين لم يتعرضوا بدورهم للآشوريين.

هذا وإن الملك «داد- نيراري» الثالث (٨١٢-٧٨٣ ق.م) حارب الميديين لرباع مرة في حكمه ولكن الملك «تيجلات بليسر» الرابع (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) تعضيداً لجارته الحكومة الإورارتية قام بحملة عسكرية كبيرة على الميديين وأوغل في بلادهم -على ما

(١) ويقول المرحوم «محمود أفندي الألويسي» في تفسيره الشهير مثل سائر المفسرين الآخرين: إن المراد من القوم الذين ورد ذكرهم في سورة الفتح في الآية الكريمة {ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد} هم قوم الكرد المعروفين بالجلادة والشدّة.

(٢) من كتاب «سياحة متنكرة في ما بين النهرين، وكردستان» لندن سنة ١٩١٢.

يروي هو نفسه - لغاية آخر جبل «دماوند» الشهير (تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٤٤٦).

وقد جرد «سلمنصر» الثالث ملك الآشوريين (٨٣٦ ق.م) الحملات على «ميديا». ودامت الحروب الآشورية الميديّة هذه لغاية عهد «سرغون» الذي تمكن أخيراً من أسر رئيس الميديين «ديوسس - Deiaces» (يحتمل أنه كيقباد الإيرانيين) سنة (٧١٥ ق.م) وخضعت ميديا لآشور، لغاية عهد «فرائورث» حيث تمكن هذا الأمير من تأسيس حكومة مستقلة في ميديا (تاريخ ملتان ج ٢٦ - ص ١٠٠٤).

أراد الميديون في عهد «أسرحدون» (٦٨١-٦٦٩ ق.م) مع حلفائهم الـ«ماني، سيثي، كاسي، وغيرهم من شعوب وعشائر كردستان» أن ينزلوا ضربة قاضية بالبلاد الآشورية ولكن سياسة الملك الآشوري وقتئذ قضت على هذه الفكرة، بفضل دهائه ونجاحه في فصل السيثيين عن الحلفاء المتآلبين عليه وضمهم إليه، مما أدى إلى تخلصه ونجاته من تلك المحاولة الخطيرة.

ولكن الميديين أخذوا بعد ذلك يتحينون الفرص دائماً للانقضاض على «آشور» حتى أن ثاني حاكم لبلاد «ميديا» وهو «فرايورتس - Phraortes» أغار على «آشور» في سنة (٦٣٤ ق.م) ولكنه باء بالفشل. وأخيراً حقق «كيآخسار - هووخ شتر» أمنية أخيه السابق ذكره في القضاء على الحكومة الآشورية فوضع بذلك أساس الإمبراطورية الميديّة الكبرى - كما سيجيء بحثه مفصلاً في المجلد الثاني - سنة (٧٠١ ق.م). حيث بلغت هذه البلاد أوج مجدها في عهده الزاهر وامتدت فيه حدودها من «باخترية - بخارى» شرقاً إلى نهر «قزيل ايرماق» غرباً ومن بحر «قزوين» شمالاً إلى الخليج الفارسي جنوباً. وقضى على هذه الإمبراطورية الواسعة سنة (٥٥٠ ق.م) في عهد ملكها «استياغ - إختوويكو» الميدي، الملك الأخميني المدعو «كورش - Cyrus» أي كيخسرو الكبير.

وهكذا خضعت جميع بلاد كردستان، كما خضعت غيرها من البلاد الميديّة بعد سقوط حكومتها، إلى الحكومة الأخمينيّة «الكيانية»^(١) وبقيت على ذلك الحال حتى غلبة الإسكندر المقدوني على إيران، بعد ذلك التاريخ بقرنين من الزمن تقريباً. هذا وقد قامت ثورة كبيرة في بلاد «ميديا» بقيادة «فرورتيش» ضد الفرس في الوقت الذي كان «داريوس» الأول مشغولاً بالقتال في بلاد «بابل» فاضطر في بادئ الأمر لإرسال جيش على «ميديا» لإخماد الثورة الناشبة فيها، فلم يتمكن الجيش المرسل من عمل شيء ولكن «داريوس» بعد أن أتم استرداد «بابل» ذهب بنفسه إلى «ميديا» وأخمد الثورة (٥٢١ ق.م).

هذا وقد لاقى الجيش اليوناني بقيادة «زينفون»^(٢) في رجعة العشرة الآلاف المذكورة تفاصيلها في كتاب «آنا بازيس» كثيرًا من المشاق والأهوال من قوم «كاردخوي» - Karduchoi الذين لم يكن قد سمع أحد باسمهم لغاية ذلك الوقت. فاكسينفون هو أول من بحث عن هؤلاء القوم الذين ضايقوا جيشه في دربند «زاخو» مضايقة شديدة، وقاتلوه

(١) يقول المؤرخ الفاضل «حسن بيرنيا» - مشير الدولة سابقاً - في كتابه القيم «إيران قديم»: إن ست أسر ميديّة كبيرة كانت تقيم في عاصمة الأخمينيين «هخامنش» وكانت تأتي في المرتبة والدرجة، بعد ست أسر فارسيّة نبيلة فكانت المناصب العالية في هذه الدولة خاصة برجال هاتين الطبقتين من الأسر الفارسيّة والميديّة.

(٢) كان هذا الجيش اليوناني مؤلفاً من ثلاثة عشر ألف جندي من المقاتلين المستأجرين تحت قيادة «كليبر خوس» وقدموا إلى هذه البلاد لتعصيد سلطان «كيخسرو» - كورش» أخيه «أردشير» الثاني شاه إيران حينئذ. وكان «كيخسرو» هذا والياً على إقليم «قبادوقيا» وأراد نزع عرش إيران من أخيه «أردشير» فزحف على بابل بجيش مؤلف من هؤلاء اليونان المستأجرين ومن الجيش المحلي بقبادوقيا، والتقى بجيش أخيه في شمالي «بابل» على مقربة من المحل الذي يدعى الآن «خان اسكندر» فحدثت بينهما معركة دموية أسفرت بادئ الأمر عن انتصار «كيخسرو» إلا أنه نظرًا لمقتل كيخسرو في آخر المعركة مع فناء ثمانية آلاف من جيشه كانت النتيجة النهائية انتصار أخيه الملك «أردشير». ولما رأى الجيش اليوناني الباقي أن ضباطه وقواده قتلوا بالدسائس التي جبكها «تيسافرين» اتخذوا «زينفون» تلميذ سقراط قائداً لهم وتوجهوا بقيادته نحو الشمال مخترقين جبال كردستان حتى «كرايزون» ثم اتبعوا طريق الساحل إلى أن وصلوا «القسطنطينية» ومنها إلى اليونان. فهذه هي الحركة التي تسمى في التاريخ رجعة العشرة آلاف التي كتب عنها زينفون كتاباً ساه «أنا بازيس».

قتالاً مستمراً وطاردوه حتى «طرابزون». وقد ذكر «اكسيفون» في كتابه المذكور عن هذا القوم بعض أشياء فقال: إن الشعب الكاردخوي لم يقطع قط الفرس ولم يخضع لهم أبداً، حتى أن أحد ملوك إيران زحف مرة عليهم بجيش عرمرم يبلغ مائة وعشرين ألف جندي فأبادهم الكاردخوي عن بكرة أبيهم.

وقد احتفظت العشائر الكردية «كاردخوي» باستقلالها الداخلي في جميع أدوار التاريخ إذ كانت شبه مستقلة في عهد الميديين والأخمينيين «الكيانيين» بعدهم. وحافظت تلك العشائر على استقلالها هذا في عهد الحكومات المكدونية والبرثية «الاشكانية» والساسانية والعربية والتركية. (المسألة الكردستانية والترك ص ٢٣).

ثم إن الملك (دارا) الثالث وهو الثاني عشر من ملوك إيران الأخمينيين قبل توليه عرش إيران كان والياً عاماً على مقاطعتي «أرمينية» و«كوردوئين» وبقي في منصبه هذا لغاية أن تولى العرش سنة (٣٣٨ ق.م) وكانت حدود مقاطعة «كوردوئين- كاردويكا» هذه تمتد حينذاك من منابع نهر بادينان «الزاب الأعلى» لغاية منابع نهر «دجلة».

وبعد انقراض الدولة الأخمينية على يد الإسكندر المكدوني الذي استولى على البلاد الإيرانية، كانت البلاد الكردية «ميديا، كوردوئين وغيرهما من المقاطعات» بطبيعة الحال بين هذا الميراث الكبير. وقد صارت البلاد الكردية هذه بعد وفاة الإسكندري الكبير في مدينة «بابل» سنة (٣٢٣ ق.م) من نصيب «سلفكوس» أحد قواده الوارثين لفتوحاته الواسعة حيث لم تخمد نار الثورات الوطنية والقلق السياسية فيها طيلة القرن الذي حكم فيه السلفكيون البلاد. وقد دام حكمهم هذا لغاية استيلاء الأرمن على شمالي كردستان بمعاوضة الملك «مهرداد» الأول الاشكاني، في الربع الأول من القرن الثاني قبل الميلاد. كما أن القسم الجنوبي من كردستان دخل شيئاً فشيئاً حتى أوائل القرن الأول قبل الميلاد، في سلطان هؤلاء الأرمن حيث كان مركز هذا القسم مدينة آمد «ديار بكر».

يقول «استرابون» المؤرخ الجغرافي الشهير في مبحث الحكومة الأرمنية: إن الشعب الكردي كان على جانب عظيم من إتقان الصناعات والأعمال الهندسية والفنية فكان الملك الأرمني «تيكران» يعتمد عليهم ويستفيد منهم دائماً في إدارة مثل هذه الشؤون الفنية. ويؤيد هذا أيضاً «بلوطرخس».

هذا وفي الربع الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، زحف القائد الروماني «لوكوللس» على المملكة الأرمنية هذه وكسر «تيكران» ملكها شر كسرة واستولى على جميع بلاده. وفي هذه المدة (٦٩-٦٠ ق.م) غار الملك «فرهاد» الثالث الاشكاني على بلاد «كوردوين» و«ادياين» فكانت إغارة فاشلة. وفي عهد الملك «أورود» الأول وهو الثالث عشر من الملوك الاشكانيين، حدثت معركة دامية بين جيشي الرومان والاشكان- البرثيين على مقربة من بلدة «حران» قتل أثناءها القائد الروماني «كراسوس» وتشتت شمل جيشه شذر مذر سنة (٥٣ ق.م).

وفي سنة (٣٦ ق.م) دخل كردستان في حكم القائد الروماني «مارك أنطوان» الذي كان في نضال شديد مستمر مع الاشكانيين، فأدى هذا النضال المستمر في النهاية إلى انكسار جيش الرومان شر كسرة، واغتنام الاشكانيين كثيراً من الأموال والعتاد والذخيرة. هذا وكانت «ميديا الصغرى» التي هي ولاية «أذربيجان» الحالية تشترك أولاً في هذه الحروب والقتال مع الاشكانيين، فانقلبت أخيراً عليهم من جراء الخلاف على قسمة الغنائم، وأقدمت على خيانة القائد الروماني «مارك أنطوان» سرّاً وشجعتة على استئناف القتال مع الاشكانيين. وبادر هذا القائد للانتقام من أعدائه وزحف بجيش لجب في سنة (٣٤ ق.م) على «أرمنية» التي كانت خاضعة للاشكان فاستولى عليها بأسرها. وبعد مدة من الزمن زحف «فرهاد» الرابع ملك البرث- الاشكان بجيش عظيم على حكومة «ميديا الصغرى» ففضى عليها بعد معارك دامية، وأسر ملكها واستولى على أرمنية أيضاً ونصب أحد أقاربه ملكاً عليها.

وقبل الميلاد بسنة واحدة عقدت الحكومة الاشكانية معاهدة مع حكومة روما تنازلت بموجبها عن مقاطعتي «أرمينية» و«كردستان» لحكومة روما. وفي عهد الملك «أردوان»^(١) الثالث حدث أيضًا حرب وقاتل بين البرث والرومان على «أرمينية» و«كردستان». هذا وبعد «أردوان» خلفه ابنه «كودرز - جودرز» على عرش إيران (٤٠م). فقام هذا الملك بمحاربة «مهرداد» ملك «أرمينية» حيث حشد جيوشه أولاً بجوار حلوان على مقربة من سلسلة جبال «سنبله» ثم انسحب إلى ما وراء نهر «قره صو» بجوار كرمشاه. فاجتاز «مهرداد» «آديابين» وذهب لمقابلة «جودرز» والتقى الجيشان بجوار «بهستون» فدارت الدائرة على مهرداد. (من زهاب إلى خوزستان راولنسون ص ٤٢).

كما أنه في عهد «نيرون» قيصر روما الشهير، زحف جيش روماني لجب على «أرمينية» و«كردستان» واستولى عليها تمامًا. وبعد حروب طويلة دامت من جراء ذلك بين البرث والرومان، تعين «تيرداد» ملكًا على «أرمينية» برضا الطرفين سنة (٦٣م)^(٢) ودام الصلح هذه المرة بين الدولتين مدة نصف قرن من الزمن.

وفي هذه السنين تعرضت بلاد «أرمينية» و«كردستان» و«ميديا» الصغرى «أذربيجان» لمهاجمات وإغارات شعبي اللان^(٣) والكرج، ومنيت بكثير من النهب والسلب والتدمير، ولم تقم الحكومة الاشكانية بالدفاع عن البلاد، ولكن الأهليين قاوموا المغيرين المدمرين أشد المقاومة فلحققت بهم خسائر كثيرة. وهكذا لم تخضع لهم قط (تراث الخلفاء الأخير).

(١) كان «أردوان» حاكمًا على «ميديا الصغرى» فجلس على عرش إيران في سنة (١٦م) واضطر الحاكم السابق للفرار إلى «أرمينية» وأعلن نفسها حاكمًا عليها إلا أنه اضطر للتخلي عن هذا المنصب أيضًا لمضايقة «أردوان» له. (إيران قديم. ص ١٦١).

(٢) إن كتاب «دين كرت» أحد الكتب الزرداشية جمع في هذه الأثناء.

(٣) كان هذا الشعب من آري إيران يسكن أولاً بقرب دربند «داريال» بالقوقاس الجنوبي الشرقي ثم انتشر لغاية حوض الفولجا. وأخيرًا في القرن السابع الهجري لدى استيلاء المغول على تلك الجهات اضطر شعب اللان هذا للاتجاه نحو البلاد الغربية.

وفي سنة (١٠٠م) أرسل الإمبراطور الروماني «تراجان - Trajan» جيشًا على «أرمينية» وقضى على ملكها «تيرداد»، ثم قام هذا الإمبراطور بنفسه سنة (١١٥م) عن طريق سورية بحملة عسكرية كبيرة، على هذه البلاد وبلاد الكرد، فاستولى عليها بعد التدمير وأزال الحكومة الأرمينية من الوجود، وواصل السير إلى الخليج الفارسي حتى استولى على بلاد بين النهرين و«آديابن»^(١) و«الحضر = هاترا» وبلاد «بابل» أيضًا.

وفي سنة (١٢٢م) اتخذ الإمبراطور الروماني «هادريان» نهر الفرات حدًا فاصلاً، بين بلاده وبين البلاد البرثية وعقد الصلح معهم على ذلك.

وفي سنة (١٢٢م) ساق الملك البرثي «بلاش» الثالث جيشًا على «أرمينية» واستولى عليها. ولكنه أخيرًا انهزم أمام القائد الروماني «كاسيوس» وخضعت البلاد الغربية «أرمينية وكردستان» مرة أخرى لسلطان روما.

وفي عهد «أردوان» الخامس آخر الملوك الاشكانيين «البرثيين» اشتبك الإيرانيون والرومانيون مرة أخرى في قتال شديد في بلاد بين النهرين وانتصر الجيش الاشكاني على الجيش الروماني، ولكن ذلك لم يؤد إلى تغييرات جغرافية.

وصادف هذا كله ظهور «أردشير بابكان»^(٢) على مسرح التاريخ والسياسة سنة (٢٢٤م) وسقوط الاشكانيين على يديه.

وابتداءً من تاريخ سنة (٢٢٨م) دخل الإمبراطور «ألكسندر» قيصر الروم في حروب طاحنة مع «أردشير بابكان» الملك الساساني في بلاد الجزيرة وأرمينية، أدت إلى

(١) كان يطلق قديماً اسم «آديابن» هذا على أقضية زاخو ودهوك والعقرة في شرقي دجلة بلواء الموصل الحالي بالعراق. المؤلف

(٢) هو مؤسس الأسرة الساسانية من ملوك إيران التي قضت عليها العرب في صدر الإسلام. ووالده «بابك» كان أمير مقاطعة في إقليم فارس صار هو إمبراطور إيران كلها، فسمي «أردشير بابكان» (٢٢٦-٢٤١ ق.م) وسميت الساسانية نسبة إلى جدها «ساسان». إيران قديم، مشير الدولة.

سقوط «حران» و«نصيبين» في أيدي «أردشير بابكان» ثم استيلائه على جميع بلاد «أرمينية» و«كوردوئين».

وفي هذا التاريخ اتخذ الملك «أردشير بابكان» العقيدة الزرادشتية ديناً رسمياً لجميع إيران.

وفي عهد الملك «شابور الأول» ثارت أرمينية وكردستان ثورة عظيمة واضطرب القسم الشمالي من الجزيرة. فجاء «شابور» وأخذ الثورة واستولى على «حران» و«نصيبين». ولكن لم يمض على ذلك زمن كثير، حتى ثارت «كوردوئين - Cordien» ثورة أخرى فانتهاز الفرصة إمبراطور الروم «فالريان» ودخل جيشه الجزيرة ووصل إلى «طيسفون - المداين» وحاصرها حصاراً شديداً ثم اضطرب قسم من الجيش الروماني لمحاربة أهالي «كوردوئين» الذين قتل ملكهم في هذه المحاربات التي دامت إلى أن قام خلفه مقامه فصالح الإيرانيين. وهكذا خضعت بلاد «أرمينية» و«كردستان» مرة أخرى للحكومة الإيرانية سنة (٢٤٢م).

وفي المدة (٢٥٨-٢٦٠م) قامت حروب طاحنة أيضاً بين الملك «شابور» و«فالريان - Valerian» أفضت إلى أسر الإمبراطور وجيشه من قبل الإيرانيين في مدينة «أدسا - الرها - اورفا».

وفي سنة (٢٨٦م) عين الإمبراطور الروماني «ديوقلتيان - Dioclétien» (في عهد الملك «نرسي» سابع ملوك الساسان) «تيرداد» ملكاً على بلاد «أرمينية» وعضده بجيش عرمرم فأغار هذا على أرمينية و«كوردوئين» واستولى عليهما. وبعد ذلك بمدة أعاد الإيرانيون الإغارة على تلك البلاد فاسترجعوها بعد أن اشتبكوا مع الرومانيين في حروب طاحنة في «حران» وألحقوا بهم هزيمة منكرة سنة (٢٩٦م) وبعد ذلك بعام زحف القائد الروماني «كلريوس - galèrus» على «أرمينية» وكسر الجيش الإيراني بها، وجرح في المعركة ملك إيران «نرسي» الذي اضطرب بسبب ذلك لطلب الصلح تاركا خمس ولايات من أملاكه

الغربية لحكومة «روما» وهي «أروزن، وموك^(١)، زابده، رحيمه، كاردو» الواقعة على يمين «دجلة» وغير ذلك من شروط قاسية أهمها الاعتراف بحماية الروم لكرجستان وجعل نهر «دجلة» حدًا فاصلًا بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية سنة (٢٩٧م) فبعد هذا الانتصار الروماني الباهر أنشأ الرومانيون في أطراف بحيرة «وان» مملكة أرمينية وجعلوا «تيرداد» ملكًا عليها مع إضافة القسم الشمالي من كردستان إلى بلاد هذه الحكومة الحديثة.

وبعد بضع سنين أعلن الإمبراطور قسطنطين، بمرسوم يدعى «ميلان» العقيدة المسيحية دينًا رسميًا لحكومة روما سنة (٣١٣م).

وفي سنة (٣٣٨م) أيضًا قامت حروب شديدة بين شاه إيران «شابور» الثاني (ذي الأكتاف) وبين حكومة روما دامت اثنتي عشر سنة.

وفي سنة (٣٤٢م) أو سنة (٣٤٨م) تقابل «شابور» ملك إيران بجيش الرومان بجوار «سنجار» فهزم «قسطنطينوس» قائد جيش الرومان الجيش الإيراني شر هزيمة وأسر ولي العهد الإيراني أيضًا (كامبريج، تاريخ القرون الوسطى ج ١).

وكان قبل هذا ببضع سنين قد انتشرت الديانة المسيحية في بلاد «أرمينية» وكان الأرمن وملكهم «تيرداد» قد اعتنقوا هذا الدين لغرض سياسي، حيث ابتدأ الجدل من هذا التاريخ بين الزرادشتية وبين المسيحية. على أن سكان الجبال والقرى «الأكراد» بقوا على دينهم القديم من الزرادشتية ولم يقبلوا الدين المسيحي قط. (كتاب تراث الخلفاء الأخير) نعم، إن هذا الدين الحديث لم ينتشر إلا في المدن وبين التجار المترددين بين البلاد، فلم يكن له أثر يذكر بين الناس في خارج المدن والقصبات.

(١) الظاهر أنها بلاد «مارتيروبولس - ميفارقين» الحالية. المؤلف

والراجح أنها «موش» الحالية كما أن «أروزن» هي «أرزن - غرزان» الحالية و«زابده» و«كاردو» هما «بازبدا» و«بقردا» التاريخيتين. المترجم

وفي عهد الملك «يزدكرد- يزدجرد» الثاني أقام الإيرانيون نضالا دينياً في «أرمينية» وأجروا مذابح دموية تناولت كثيراً من الرؤساء الروحانيين وغيرهم من النصاري، ودامت هذه المذابح الدينية والقتال المذهبية في عهود ملوك آخرين.

وفي سنة (٣٥٠م) حاصر الملك «شابور» قلعة «نصيبين» ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها فعاد خائباً. وفي سنة (٣٦٠م) عاج فزحف مرة أخرى على كردستان وتمكن من محاصرة قلعة «آمد- ديار بكر»^(١) والاستيلاء عليها. ثم استولى على بلدة «بازبد- بازبدى» على مقربة من جزيرة ابن عمر وفي سنة (٣٦٣م) اجتاز الإمبراطور الروماني «جوليان - Julien» نهر الفرات. واستولى على مدينة «فيروزشابور» وعدة مدن أخرى في إقليم بين النهرين. ثم عدا بجيشه البري نهر دجلة إلى ضفته اليسرى واستقر بها إلى أن مر الأسطول الروماني في الفرات من القناة الشاهانية إلى «دجلة» حيث اتصل بالجيش البري. فواصل الإمبراطور «جوليان» السير بعد ذلك وشن الإغارات في البلاد إلى أن وصل إلى «المدائن» ثم قفل راجعاً عن طريق «شهربان- مارانكس - Maranx» وجبل حمرين، ماراً بـ«هوجومبرا - Hugumbra» أعني «بعقوبه» وكان غرضه من هذا الدخول في ولاية «كوردوئين» عن طريق «كركوك» إلا أن الجيش الإيراني أحاط على غرة بالجيش الروماني من كل الجهات واضطره بقبول المصاف والمعركة الحاسمة في ٦ حزيران سنة ٣٦٣م على مقربة من بلدة «اسكي كفري» الحالية أعني «فرجيا - Phrygia» حيث جرح الإمبراطور جوليان في المعركة ومات متأثراً من جراحه في ٦-٧ يونيو سنة ٣٦٣م.

(١) كان الإمبراطور الروماني «قسطنطين» قد حصن هذه القلعة تحصيناً عظيماً وأنشأ فيها داراً للصناعات الحربية من العجلات العسكرية والعرادات الحربية، وكان بها أيضاً ترسانة عظيمة للسفن الحربية. نعم وإن كان «شابور» قد تمكن من الاستيلاء على هذه القلعة بعد حصار دام ثلاثة وسبعين يوماً بجيش يبلغ مائة ألف، إلا أنه ضحى بنصف هذا الجيش في سبيل ذلك ثم اضطر للرجوع عنها لحلول الشتاء (مهد بشرت ص ٢٩). المؤلف

ولا تزال آثار تلك التحصينات باقية للآن من سور متين عريض يحيط بكامل المدينة، ومن قلعة داخلية تحتوي على أبراج وحصون وطوايى على غاية من المتانة. المترجم

وتولى بعده ^(١) عرش الإمبراطورية خلفه «زوفيان - Jovian» فبادر إلى سحب الجيش الروماني عن طريق «طوزخورماتو» ووادي العظيم، إلى «سامرا - Sumer» (المسألة البابلية ص ١٢٥ و ١٢٦).

وأخيراً انعقد الصلح بين الحكومتين المتقاتلتين، وهكذا خضع جميع كردستان وأرمينية تقريباً لحكومة الملك الساساني «شابور» ^(٢) الثاني.

ولكن قبل تنفيذ شروط هذا الصلح تجدد القتال ثانياً ودامت المعارك ردحاً من الزمن إلى أن حلت سنة (٣٧٦م) فعقد الصلح فيها بين الطرفين على أن تكون كل من أرمينية وكرجستان - جورجيا على الحياد لا تأتمران بأوامر إحدى الحكومتين المتنازعتين.

وفي عهد شابور الثالث (٣٨٢-٣٨٨م) اقتسمت «أرمينية» بين الحكومتين الإيرانية والرومانية، فأصبحت لبلاد هذا الإقليم الصغير حكومتان يحكم كل واحدة منهما أمير اشكاني.

وفي عهد «بهرام الرابع» الملك الثالث عشر من الملوك الساسانيين، شق «خسرو» حاكم أرمينية الإيرانية عصا الطاعة على الإيرانيين وقضى على جيوشهم قضاء مبرماً سنة (٣٩٣م).

وفي عهد «بهرام الخامس» أعني بهرام جور، أصبحت بلاد الكرد أيضاً مسرحاً للفتن والحروب. وكانت بلاد «أرمينية» في هذا الوقت جزءاً من بلاد إيران سنة (٤٢٢م).

(١) والذي في «إيران قديم: حسن بيرنيا»: أن قيادة الجيش العليا هي التي أسندت إلى «يونيان - زوفيان»

لا منصب الإمبراطورية، والظاهر أنه صار إمبراطور فيما بعد. المترجم

(٢) هو «شابور ذو الأكتاف» حكم سبعين سنة (٣١٠-٣٧٩م) وليس له نظير في هذا الخصوص.

المؤلف

وتولى بعده «أردشير» الثاني حتى سنة (٣٨٢م). المترجم

هذا وقد أغار «قباد الأول» الملك الساساني في أوائل القرن السادس الميلادي إغارة شعواء على بلاد الروم فاخترق كردستان واستولى على «أرضروم» و«ديار بكر» وانتهزت حكومة الرومان الشرقية بالقسطنطينية فرصة انشغال الجيش الإيراني في القوقاس بالـ«هون» وجردت جيشاً عظيماً على «ديار بكر» فحاصرها حصاراً شديداً. كما أنها أرسلت قوة أخرى على البلاد الخاضعة لإيران فتقدمت حتى «أرزنجان» حيث عاثت فيها بالفساد والخراب والتدمير وأسر النساء والأطفال. ودامت هذه الحروب والإغارات لغاية يونيو سنة (٥٠٦م). (كامبريج تاريخ القرون الوسطى ج ١).

وفي القرن السادس هذا نفسه أسست عشائر «الكوران- الجوران» الكردية بقيادة زعيمها «كوآتازا» حكومة كبيرة مستقلة في كرمانشاه وكانت بلاد «آذربيجان» أيضاً من ضمنها. (المسألة الكردستانية والترك ص ٢٤).

وفي سنة (٥٠٢م) حدثت ملحمة شديدة بين القائد الإيراني «كوازي فيروز» والجيش الروماني أدت إلى سقوط كردستان الأوسط في أيدي الإيرانيين. فنقلوا أهالي «ميفارقين» إلى إقليم «خوزستان» وفي نفس هذه الحروب والملاحم كان حصار «ديار بكر» ثلاثة شهور ثم سقوطها على أيدي الإيرانيين بالخدعة والحيلة. وإباحة القتل والتدمير بها ثلاثة أيام متوالية بعد التسليم حيث بلغ عدد المقتولين من الأهالي و الجنود الرومانيين ثمانين ألفاً. ومع ذلك بعد مدة غير طويلة رجعت المدينة لحكم الرومان بتأثير أمير من أمراء العشائر الوطنية بتلك الجهات. (مهد بشرت ص ٢٩).

وبعد سنة من ذلك التاريخ تجدد القتال والنضال بين الإيرانيين والروم في الجزيرة وسائر كردستان الجنوبي ودام ذلك زمناً طويلاً.

هذا والغزوة التي قام بها الملك الساساني «خسرو الأول» الشهير بأنوشيروان العادل، في سنة (٥٦٢م) على إقليم «لازيكا»^(١) كانت عن طريق كردستان كما أن زحفه أخيراً على

(١) أي إقليم «لازستان- بلاد اللاظ» القسم الغربي من كرجستان، المترجم

قوم الخرز، كان أيضا عن طريق «كردستان - أرمينية» الحربي. وفي سنة ٥٧٢ أغار قيصر الروم على «نصيبين» وحاصرها حصارا شديدا. فقابله كسرى «أنوشيروان» بجيش عرمرم ونازل الجيش الرومي المغير وكسره شر كسرة بعد أن دامت معارك المحاربات خمس سنين وكانت قلعة «دارا» هدفاً لسهام الطرفين والغاية التي يرميان إليها.

هذا وإن قضية «بهرام جوبين» و«خسرو برويز» والحوادث التي نشأت بينهما قد أدت أيضًا إلى اضطراب حبل الأمن في كردستان وحدوث حوادث جسيمة فيه. لأن القائد «بهرام جوبين» الذي شق عصا الطاعة في سنة (٥٨٩م) ومعه الجيش، على الحكومة الإيرانية في عهد والد «خسرو». لم يخضع أيضا لـ «خسرو برويز» الذي خلف أباه «هرمز» عقب مقتله في المداين. وزحف على عاصمة الحكومة الإيرانية وظفر بجيش «خسرو» وغلبه واضطر هذا إلى الفرار واللجوء إلى الحكومة البيزنطية. وبعد ذلك نادى «بهرام جوبين» بنفسه ملكا على البلاد الإيرانية.

وأما «خسرو برويز» فقد زحف بجيش قوي كان قد أصحبه به إمبراطور البيزنس، على «أكبتان» في الوقت الذي كانت قوة بيزنسية أخرى تزحف من أرمينية إلى بلاد «أذربيجان» حيث كان «بندويه» خال «خسرو» وقاتل والده «هرمز» مع هذه القوة الأخيرة. فاجتازت القوة الأولى التي كانت بصحبة «خسرو» وقيادة القائد الرومي «نرسس»، دجلة إلى «أربل» ومن هناك سلكت طريق «رواندز - أشنه» متجهة نحو الشرق. وكان «بهرام» في هذه الأثناء منتظراً في وادي الزاب الصغير بجيشه اللجب، غير أنه وإن كان اتجه نحو بحيرة «أرمية» ماراً بـ «سردشت» بقصد منع اجتماع قوتي عدوه هاتين والظفر بهما واحدة بعد الأخرى ولكنه أخطأ الوصول إلى القوة القادمة من أرمينية من الأعداء وهكذا اجتمعت قوتا الأعداء السالف ذكرهما في «سيرجان» بجوار «أكبتان» فأراد «بهرام» ذات ليلة مهاجمة العدو على غرة، غير أنه لم ينل ماربه فاضطر للانسحاب إلى جهة قلعة «صائن» وأخيراً قبل المعركة بجوار «قازاقا - تحت سليمان» فالتحم جيشه بجيش «خسرو» الذي انضم إليه معظم جيش بهرام بمجرد امتشاق الحسام، مما أدى إلى

هزيمة «بهرام» نهائياً، والالتجاء إلى عدوه السابق الذي كان قد هزمه من قبل وهو «اوكسوس» خاقان الترك في سنة (٥٩١م). (رحلة في كردستان الإيراني- راولنسون ص ٧٤-٨٠).

وفي سنة (٦٠٥م) زحف الملك الإيراني «خسرو برويز» أيضاً على شمالي الجزيرة، واستولى على بلدي «دارا» و«ديار بكر» وعلى بعض مدن أخرى من البلدان الخاضعة لسلطان الروم حينئذ وكان قد أرسل جيشاً آخر من شمالي كردستان على إقليم «قبادوقيا».

هذا وابتداء من سنة (١هـ/ ٦٢٢م) أخذ قيصر الروم هرقل «هراقليوس» يلتزم خطة التعرض والهجوم، إذ توجه بجيش لجب إلى «أرمينية» و«كردستان» فتغلب هنالك على جيش «شهربراز» القائد الإيراني وبعد عام تقدم نحو البلاد الإيرانية عن طريق «آذربيجان» فالتقى بالجيش الإيراني فهزمه شر هزيمة واغتنم غنائم كبيرة وأعمل في البلاد يد التخريب والنهب ولاسيما في بيوت النار «المعابد المجوسية» ومن جملتها معبد «شركه» المشهور جداً والذي كان معروفاً باسم «آذرکشتاسب» حيث نهبه ثم دمره تدميراً كلياً، ثم واصل سيره عن طريق «اشنه- رواندز» إلى «نينوى». وبعد سنة من هذا شتت الروم شمل الجيش الإيراني المعسكر بكردستان وفرقه شذر مذر، كما أنه في سنة (٦٢٧م) حدثت ملحمة عظيمة على مقربة من «نينوى» المدينة التاريخية القديمة، بين جيش «هرقل» وجيش «خسرو» انتصر فيها الروم.

وفي نفس هذه السنة تعرض كردستان ولاسيما القسم الجنوبي والشرقي منه «شهرزور»، لنكبات عظيمة وتخريبات كبيرة من جراء تلك الحروب الطاحنة حيث بقيت بلاد «شهرزور» هذه في أيدي الروم لغاية سنة (١٨هـ/ ٦٣٩م) لأن «هرقل» الذي كان يتعقب «خسرو برويز» عن طريق إقليم «شهرزور» قضى في هذه البلدة شهر فبراير من سنة (٦٢٨م) ولم يترك في هذا الإقليم قرية ولا مدينة إلا وأعمل فيها يد التدمير والنهب

والسلب والحرق؛ ثم توجه نحو مقاطعة «أردلان». (دائرة المعارف الإسلامية، ج ٢- ص ١٠٣٤).

وصادت هذه الوقائع، ظهور الإسلام الذي سطع نوره من أفق «مكة المكرمة» وأخذ ينتشر في أرجاء العالم فعم المشارق والمغرب في مدة وجيزة^(١).

٣- من ظهور الإسلام حتى الإغارات التركية:

كانت العقيدة الزرادشتية قد ظهرت في فارس وميدية قبل الميلاد المسيحي بستة قرون. وبعد ذلك بزمن أعني في عهد «كشتاسب» أحد حكام شرقي إيران صارت هذه العقيدة ديناً رسمياً في جميع بلاد إيران، واعتنق الشعب الكردي أيضاً هذا الدين الجديد بعد ذلك بمدة. وفي سنة (٣٣م) وصل الدين المسيحي إلى «أرمينية» ولكنه لم يلق نجاحاً كبيراً فيها، وبقي غير مرغوب فيه حتى أوائل القرن الرابع الميلادي. وبعد هذا التاريخ أخذ هذا الدين في الذيوع والانتشار عن طريق «سورية»، في «أرمينية» و«كردستان» بفضل مساعدة وتأيد حكومة روما. فاعتنقه الأرمن وملكهم «تيرداد» تحت تأثير العوامل السابق ذكرها، إلا أن سكان القرى ورحل السهول والجبال لم يلتفتوا إلى هذا الدين الجديد، وبقوا محافظين على العقيدة الزرادشتية على الرغم من جهود القسس وترويجهم للمسيحية. وفي رواية أخرى أن قسماً ضئيلاً جداً من هؤلاء القرويين سكان الجبال اعتنقوا ذلك الدين الحديث^(٢).

(١) يوافق ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سنة (٥٧١م) وكانت دعوته في سنة (٦١١م) ووفاته في سنة (٦٣٢م) وهجرته إلى المدينة المنورة سنة (٦٢٢م) وهي رأس السنة الهجرية. المؤلف (غرة المحرم من أول السنة الهجرية تصادف ١٦ يوليو سنة ٦٢٢م) المترجم.

(٢) ورد في كتاب «المسألة الكردستانية والترك» بحاشية ص ٢٥، «إن النساطرة «الآشوريين» الحاليين في الأصل - على ما يظهر - أكراد اعتنقوا الديانة المسيحية أخيراً». وكان مركز بطريركية النساطرة ببلدة «قوجان» الواقعة على مسافة يوم من شرقي «جولرك». ويؤخذ من دراسات «السمعاني Assemannie» أن «نسطوريوس» الرئيس الروحاني لهؤلاء الأكراد المنتصرة والمؤسس للفرقة

هذا ولما ظهر الإسلام واتصل الكرد بالمسلمين الأولين، وأخذوا يفكرون في مبادئ هذا الدين الجديد وتعاليمه السمحة وجدوا أن هذه المبادئ القويمة والتعاليم العامة تتفق

النسطورية، وعمل بالحرمان بقرار مجلس السنودس «ئفسوس - Ephesus» في سنة (٤٣١ م) وأبعد بأمر من «تيودوسيوس - Theodosius» أولاً إلى البتراء - Petra بالبلاد العربية، ثم إلى «أنطاكية - Antiochaid» وبعد أربع سنوات إلى «لبنان». ومن هنا ذهب إلى «ثبئد thebaïd» فتوفي بها. وليس لدينا معلومات قاطعة عن القائمين بنشر المذهب النسطوري في البلاد الشرقية. غير أن «السمعاني» يذكر في هذا الخصوص فكرتين:

- ١- كان في العصور القديمة توجد بـ «أدسا - الرها - أورفا» مدرسة إيرانية يتعلم فيها الشبان الإيرانيون العقائد الدينية المسيحية، حيث كان رئيسها راهب نسطوري.
- ٢- إنَّ مطران الشرق المخالف لـ «لعقيدة المقدسة» ومجلس السنودس «ئفسوس»، رأى المذهب النسطوري؟؟ على نشره.

فانتشار المذهب النسطوري في إيران يرجع إلى هذين الأصلين. وعلى رأي المؤلفين الكلدان، أن الذي قام بنشر المذهب النسطوري في الشرق هو المدعو «بارسوما - Barsuma» الذي نفى هو وبعض إخوانه من مدرسة «أدسا» وبقي من سنة (٤٣٥ م) حتى سنة (٤٨٩) مطرانا في مدينة «نصيبين». وأما زميله «نرسس» الذي كان ناظر مدرسة «أدسا» فقد توطن في «نصيبين» وأخذ ينشر تعاليم مذهب نسطوريوس هذا لغاية وفاته بها سنة (٤٩٦ م). فأبدى تلميذه «يوسف هازيتا» بعده نشاطاً كبيراً في نشر هذا المذهب. وأخيراً تقرر الاعتراف بهذا المذهب رسمياً في مجلس السنودس المنعقد في سلوقيا «Seleucia» وهكذا خضعت البطيركية السلوقية وسائر المؤسسات الروحانية في المقاطعات الإيرانية شيئاً فشيئاً لنفوذ النسطوريين. وقد سافر بعض من رهبان هذا المذهب إلى الهند والصين لنشر تعاليم مذهبيهم وعقائدهم هنالك (الإقامة بكردستان ج ٢ - ص ١١٢).

يقول الميجر ميلينغن في بحث النساطرة: إن النسطوريين ينتمون من جهة الدم والعنصر إلى شعب «كلديين» أو «خلدي» الذي كان أجداده يعيشون في جبال حكارى منذ خمسة وعشرين قرناً. فيروى أن «زنيفون» زحف مع «خسرو» الثاني على هؤلاء الناس وقال لهذا الملك: «إن هذه الجبال التي تراها هي جبال الخلديين». وبما أن النساطرة الحاليين يسكنون هذه الجبال بعينها، فيلزم أن يكونوا أحفاد هؤلاء الخلديين القدماء. والنساطرة اليوم بأنفسهم يدعون أنهم أحفاد الخلديين. وعلى رأي راهب «اكازه جاي» أن النساطرة أحفاد كلداني بين النهرين الذين هجروا بلادهم الأصلية من جراء مضايقات بعض الفاتحين والمغربين إلى جبال حكارى في عهد قديم جداً ولما اعتنقوا المذهب النسطوري سمووا بهذا الاسم (ص ٢٦٩-٢٧١). المؤلف

وما جبلوا عليه من الخلال والسجاياء فأقبلوا على هذا الدين بكليتهم - كما يقول السير مارك سايكس - واعتنقوه بكل سهولة على مدى الأيام وأخلصوا له كل الإخلاص. كإخلاص أتراك بلاد التركستان وبرابرة إفريقية في العصر الحاضر. (كتاب تراث الخلفاء الأخير ص ٢٥٢). وأول اتصال للشعب الكردي بالجيش الإسلامية كان - كما يقول ثقة مؤرخي العرب - في سنة (١٨ هـ) أي بعد فتح «حلوان» و«تكريت».

وينبغي أن نعلم أنه كان هناك اتصالات أخرى قبل هذا التاريخ إذ كان بعض من الأكراد قد اعتنق الدين الإسلامي من قبل. لأن المرحوم محمود أفندي الألوسي يذكر في تفسيره الشهير «روح المعاني» من ضمن أصحاب النبي عليه السلام، اسم صحابي يدعى «جaban - كابان» الكردي وله ابن يدعى «ميمون» ويكنى بـ «أبي بصير». ثم ينسب هذه المعلومات إلى الحافظ ابن حجر في كتابه القيم «الإصابة في تمييز الصحابة» الذي يشتمل على عدة أحاديث مروية عن «كابان الكردي» في الأنكحة والشئون الأخرى. ولا يبعد أن هناك عدة من الصحابة الكرام يرجعون في نسبهم إلى الكرد.

ويذكر لنا التاريخ الإسلامي أن الفاتح الشهير «سعد بن أبي وقاص» أرسل جيشاً بقيادة «هاشم بن عتبة»^(١) على «جلولاء»^(٢) بعد فتح المدائن في صفر سنة ١٦ هـ (مارس سنة ٦٣٧ م) لأن بقية الجيش الفارسي كان معسكراً بها، كما أن «يزدجرد» شاه إيران كان بحلول حنيند. وقد انتصر هذا الجيش الإسلامي بعد معارك دامية مع الفرس، وشتت شملهم شذر مذر، وطاردهم القائد الإسلامي «القعقاع بن عمرو» حتى قلعة «حلوان» فدخلها ظافراً وهكذا حصل اتصال الشعب الكردي والوطن الكردي بالجيش الإسلامية بعد افتتاح هذه القلعة الخطيرة التي كانت حداً فاصلاً بين سواد العراق وولاية

(١) «هاشم بن عتبة بن أبي وقاص» كما في فتوح الشام للأزدي طبع أوروبا.

(٢) مدينة قديمة كانت مركزاً هاماً في صدر الإسلام يظهر أنها كانت في محل محطة السكة الحديدية بقزل

رباط الحالي. المؤلف

(فتحت في ذي القعدة سنة ١٦ هـ كما ورد في ابن الأثير. المترجم

الجلال. هذا ويقول البعض: إن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لم يكن من رآه التوغل في بلاد العجم كثيرًا^(١).

وبعد فتح «تكريت»^(٢) أرسل «سعد بن أبي وقاص» سنة ١٨ هـ ثلاثة جيوش بأمر سيدنا عمر رضي الله عنه بقيادة «عياض بن غنم» العامة لفتح الجزيرة^(٣).

فالجيش الأول الذي كان بقيادة «سهيل بن عدي» توجه إلى الرقة. والجيش الثاني الذي كان بقيادة «عبد الله بن عتبان» توجه إلى «نصيبين»^(٤) وأما الجيش الثالث الذي كان بقيادة «عقبة بن الوليد» فتوجه لقتال عرب «الجزيرة».

وكان غرض عمر رضي الله عنه من هذه الحركات العسكرية، فتح الجزيرة أولاً، ومنع إمداد الروم لسورية عن طريق الجزيرة ثانياً. فسار «عياض» مع الجيش الثاني إلى «الرها» وبعد أن استولى عليها عاد إلى «نصيبين» فاستولى عليها أيضاً ثم توجه نحو الشمال إلى جهات «ماردين» و«ديار بكر» و«أرمينية»^(٥). (تاريخ الأمم الإسلامية ج ١).

وبعد مدة أرسل «عياض» جيشاً بقيادة «حبيب بن مسلمة الفهري»^(٦) من كردستان على «ملطية» فاستولى عليها ولم يمض زمن طويل على هذا الفتح إلا واستردها الروم ثانية. وفي أيام ولاية «معاوية بن أبي سفيان» للشام، حيث كان والياً على أرمينية والجزيرة أيضاً أرسل «معاوية» في سنة ٣٦ هـ «حبيب بن مسلمة الفهري» على «ملطية» فاستولى عليها

(١) في الطبري ما يؤيد هذا القول ص ١٨٤ - ج ٤.

(٢) فتحها بعد حصار دام أربعين يوماً، عبد الله بن المعتم في جمادى الأولى سنة ١٦ هـ. المترجم

(٣) أو «بين النهرين - ميزوبوتاميا» كانت عبارة عن ديار مضر وديار بكر، ومدنها الشهيرة هي حران، الرها، رأس العين، نصيبين، سنجار، الخابور، ماردين، آمد، ميفارقين، الموصل... إلخ. المؤلف

(٤) وإلى حران والرها كما في ابن الأثير والطبري.

(٥) أي الأرمينية الرابعة ذهب إليها عثمان بن أبي العاص وتوغل فيها حتى وصل بدليس وخلاط.

(٦) هو الشهير بحبيب الروم لكثرة غزواته في البلاد الخاضعة للروم، والقرشي والفهري وفتح أرمينية أيضاً هـ من فتوح البلدان للأزدي. المترجم

للمرة الثانية (دائرة المعارف الإسلامية ج ٣). وفي سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م وجه عمر رضي الله عنه «عزرة بن قيس» من حلوان نحو «شهرزور» قاصداً فتحها ولكنه أخفق في مسعاه، ثم وجه إليها «عتبة بن فرقد» على رأس قوة لا بأس بها فبعد أن جرت معارك دامية وحروب شديدة حول هذه المدينة الكردية ذهب ضحيتها كثير من السكان تم الاستيلاء عليها. وقد استشهد كثير من المسلمين أيضاً، إما في ميدان المعركة وإما من لدغ عقارب «شهرزور» الشهيرة. (الكامل لابن الأثير ص ١٦ - ج ٣).

وفي المدة بين سنتي (١٨هـ/ ٦٣٩م) و(٢٣هـ/ ٦٤٤م) كان الكرد مشتركين مع الفرس في الدفاع عن «الأهواز»^(١) و«فسا»^(٢) و«دارابجرد»^(٣) ضد الجيوش الإسلامية وبطبيعة الحال لحق بهم ما لحق بالفرس من الخسائر الفادحة في الأموال والأرواح. وحدث أن بعضاً من الكرد قام باحتلال مقاطعة «كرخا» الوسطى (قسم الصيمرة)^(٤) وماسبذان) في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه فأرسل عمر «قيس»^(٥) بن سلمة الأشجعي على هؤلاء الكرد فقاتلهم قتالاً شديداً (تاريخ الأمم الإسلامية ص ٣٢٩).

ويقول ابن الفقيه^(٦): «إنَّ العرب دخلوا «شهرزور» قبل الإسلام، ولكنهم ما دخلوا بلدي «بازابدا وصامغان» إلا في سنة ٢٢هـ بعد أن جرت في سبيل الاستيلاء عليها معارك دموية.

وفي سنة (٢٥هـ/ ٦٦٦م) في أيام ولاية أبي موسى الأشعري على البصرة قام الكرد بالثورة مرتين بالأهواز وفارس.

(١) في ابن الأثير (ج ٣/ ص ١٦-١٨) التقاء أبي موسى الأشعري بالأكرد ببیتروز من الأهواز.

(٢) أو «بسا» حصرها وفتحها سارية بن زنيمة الدوئلي.

(٣) وردت عبارات «أكردافارس» في صحيفة ١٨ - ج ٣ من ابن الأثير.

(٤) هي مدينة إقليم جانتقذ القديم.

(٥) وفي ابن الأثير سلمة بن قيس الأشجعي. المترجم

(٦) هو أبو بكر أحمد الهمداني ألف كتاب «البلدان» في سنة (٢٩٠هـ/ ٩٠٣م). المؤلف

وفي عهد خلافة «عبد الملك بن مروان» ساعد الكرد «عبد الرحمن بن الأشعث»^(١) الخارج على الخليفة، مما أدى إلى نقمة الحجاج بن يوسف الثقفي عليهم أشد نقمة فانتقم منهم شر انتقام وأحدث فيهم مذابح عامة.

وفي سنة (١٠٨هـ/ ٧٢٦م) في ولاية «مسلمة بن عبد الملك» تعرضت أذربيجان لإغارة وتدمير الخزر، كما أن باقي البلاد الكردية اجتاحت من قبل هؤلاء المغيرين والمدمرين في سنة (١١٢هـ/ ٧٣٠م) حيث حاصروا والي كردستان^(٢) «الجراح» في مدينة «أردبيل» واستشهد بها. ووصلت سيول الغزو والاحتياح حتى «الموصل». وهناك تصدى لهم «سعيد بن عمرو الحرشي» إذ كان قد جمع لهم قوة كبيرة من أهالي البلاد فاستخدمها في كسر شوكة هؤلاء المغيرين وحال بذلك دون هجرة الكرد من كردستان، كما أنه تمكن من استرداد جميع ما كان قد سلب من أموال الأهالي، من أيدي المغيرين. (مصور تاريخ الإسلام). ولكن الخليفة «هشام بن عبد الملك» بدل أن يكافئ سعيداً هذا عزله من منصبه وعين بدله أولاً أخاه «مسلمة» وبعد سنة عين «محمد بن مروان»^(٣) والياً على كردستان.

وفي سنة (١٢٩هـ/ ٧٣٤م) عضد الأكراد جيش الخليفة «مروان الثاني» ضد «سليمان»^(٤) الذي كان خرج عليه في كردستان. وكان هذا الخليفة كردياً من جهة أمه، وقد

(١) هذا الرجل ثار ضد الحجاج واتفق مع أكراد فارس سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م) وهاجم الحجاج وكسره شر كسرة وأخذ منه الكوفة. وفي هذا الوقت استولت أكراد فارس على إقليم فارس كله. المؤلف
(٢) أي والي أرمينية وأذربيجان وهو «الجراح بن عبد الله الحكمي» تعين والياً في سنة ١١١هـ كما في الطبري ج ٨.

(٣) في الطبري (ج ٨/ ص ٢١٧) أن الذي تعين والياً على أرمينية وأذربيجان في سنة ١١٤هـ هو «مروان بن محمد» لا محمد بن مروان. المترجم

(٤) هو «سليمان بن هشام بن عبد الملك» أراد خلع مروان فثار عليه وبلغ الخبر مروان وكان بقرقيسيا فأقبل إليه بالجنود ولاقاه بقرية خساف من أرض قنسرين وكانت النتيجة أن انهزم سليمان.

ولد في كردستان ونشأ بها في ولاية أبيه^(١) عليه. ثم صار هو نفسه والياً على كردستان وأرمينية. وأن «مروان» هذا هو الذي ثار ضد الخليفة «إبراهيم»^(٢) وزحف بجيش كردستان على الشام وكسر جيوش الخليفة بين بعلبك والشام فدخل دمشق ظافراً ومعلنًا خلافته في سنة (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م).

وفي أثناء الدعوة العباسية وخروج «أبي مسلم الخراساني»^(٣) على الأمويين، أرسل «قحطبة بن شبيب» «أبا العون»^(٤) عبد الملك الخراساني بجيش جرار على إقليم «شهرزور» فالتقى هنالك بـ «عثمان بن سفيان» قائد جيوش الخليفة «مروان» فقاتله قتالا عنيفاً أدى إلى الاستيلاء على هذا الإقليم سنة (١٣١ هـ / ٧٤٨ م) وبعد عام نازل «قحطبة»

(١) هو «محمد بن مروان بن الحكم الأموي» كان والياً على الجزيرة وأرمينية مثل ابنه قبل أن يتولى الخلافة وكانت له أم ولد كردية كانت لإبراهيم بن الأشتر فأخذها يوم قتل إبراهيم فولدت له مروان هذا سنة ٧٠ هـ.

(٢) هو «إبراهيم بن الوليد» كان أخوه «يزيد الثالث» قد عهد إليه بالولاية من بعده ثم لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك. ولما توفي أخوه يزيد لم يرض بولاية إبراهيم هذا، «مروان بن محمد بن مروان» والي الجزيرة وأرمينية فسار إلى الشام في جنود الجزيرة واستولى على البلاد وواصل السير حتى دخل دمشق وباعه أهلها وهرب إبراهيم بن الوليد، فأمنه «مروان». ولعدم تمام الأمر لإبراهيم لم يعده المؤرخون من الخلفاء «وكان ذلك سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م لا سنة ١٣٢ - ٧٤٩ التي هي تاريخ سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية المترجم» اهـ. من تاريخ الأمم الإسلامية ص ٦٢٣. المؤلف

(٣) هو عبد الرحمن بن مسلم الشهير بأبي مسلم الخراساني والروايات في نسبه مختلفة، أرجحها أنه من أصل كردي عريق يدل على ذلك الأشعار المنسوبة إلى أبي دلالة في ابن خلكان وحياة الحيوان في مادة أسد حيث يقول فيها

أفي دولة المنصور حاولت غدره ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد

(٤) كالذي في ابن الاثير (ج ٥ / ص ١٦٢، ١٥٩) أن قحطبة بن شبيب وجّه أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراساني ومالك بن طرفة الخراساني في أربعة آلاف إلى شهرزور، وبها «عثمان بن سفيان» على مقدمة عبد الله بن مروان بن محمد... فما ورد في حاشية الأصل من أن صحة اسمه كما ورد في (مصور تاريخ إسلام) هو أبو العيون، غير وجيه.

هذا «ابن هبيرة»^(١) قائد جيوش الخليفة «مروان» في جهات «حلوان» واستولى عليها أيضًا. (الطبري ج ٩ - ص ١٣١).

وفي عهد خلافة «أبي العباس عبد الله السفاح» كان أخوه «أبو جعفر المنصور» واليًا على الجزيرة وكردستان وأذربيجان. وفي أثناء هذا العهد تعرض الجيش الرومي لبلاد كردستان^(٢).

هذا وظفر «أبو مسلم» بعبد الله بن علي^(٣) بجوار نصيبين فتغلب عليه سنة (١٣٧هـ / ٧٦٣م).

وقد اشترك الكرد في جميع الثورات والقلال^(٤) التي نشبت في كردستان وهمذان، أيام أبي جعفر المنصور وفي سنة (١٤٧هـ / ٧٧٤م) أغار «استرغان - استرخان» الخوارزمي بجيش جرار على شمالي «كردستان» و«أرمينية» فأعمل فيها النهب والسلب، ثم استولى على «تفليس» وأطلق فيها يد التخريب والتدمير، وقد صمد له «حرب بن عبد الله» رئيس العشيرة الراوندية ودافع دفاع الأبطال، حتى قتل في ساحة القتال^(٥).

وقد نصب الخليفة المهدي بعد غزوه بلاد الروم والبيزنطيين سنة (١٦٣هـ / ٧٧٩م) ابنه «هارون الرشيد» واليًا على «كردستان» و«أذربيجان» وسائر البلاد الغربية.

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة، أمير العراق من قبل مروان الثاني الخليفة الأموي.

(٢) وفي الطبري وابن الأثير، أغار الروم على الجزيرة وأرمينية واستولوا على ملطية وقاليقلا بمساعدة الأرمن لهم.

(٣) هو عم المنصور خرج عليه يطلب الخلافة لنفسه فهزمه أبو مسلم عند «نصيبين». المترجم

(٤) أشهرها ثورة «سباد المجوسي» بخراسان، وانتصار أهالي الجبل له.

(٥) وفي سنة (١٥٨هـ) أوقع مسرور البلخي بالأكرد اليعقوبية اهـ من الطبري ج ١٠.

وفي عهد الخليفة «هارون الرشيد»^(١) أغار الخزر أيضًا على «كردستان» وأحدثوا كثيرًا من المظالم والمذابح، ولكن الخليفة قابلهم بالشدة وتمكن من طردهم من البلاد بعد أن كبدهم خسائر فادحة (١٨٣هـ/ ٧٩٩م).

هذا وكانت قلعة «سيسر - مدينة سنه - سنج» بما حولها من القبائل الكردية خاضعة للخليفة المأمون العباسي حيث استفاد من هؤلاء الأكراد في حروبه مع أخيه الأمين حول النزاع على الخلافة. وبعد ربح من الزمن نقل أحد الخلفاء هؤلاء العشائر الكردية إلى ولايات أخرى. (بلاد الخلفاء الشرقية ص ١٩٠).

وفي عهد المعتصم بالله (٢٢٥هـ/ ٨٤٠م) ثار الأكراد حوالي الموصل بقيادة «جعفر بن مهر حسن - مير حسن»^(٢) الذي كان من بيت كردي عريق في المجد والشرف. وانهزم جعفر هذا أولًا في جهة «باباكيس» أمام قوات الخليفة، غير أنه تغلب أخيرًا عليها في جبال «داسن» حيث كسرها شر كسرة وأسر منها الكثير، الأمر الذي أدى إلى تجريد قوة كبيرة أخرى من قبل الخليفة سنة (٢٢٦هـ) بقيادة «آيتاخ»^(٣) فجرت بينه وبين الزعيم الكردي معارك دموية أفضت إلى أنكسار الأخير وأحدث (آيتاخ) مذابح شنيعة وجنايات فظيعة يندى لها جبين التاريخ، ورغمًا عن ذلك لم يسلم جعفر نفسه له ودافع حتى النفس الأخير ثم شرب سمًا فمات موتة الأبطال (الكامل ج ٦ ص ٢٠٨).

(١) ورد في الطبري (ج ١٠ ص ١٧٥) خرج الرشيد في سنة ١٧٤هـ إلى «باقردى» و«بازبدى» وبنى بباقردى قصرًا قال الشاعر في ذلك

بقردى وبازبدى مصيف ومربع وعذب يحاكي السلسيل برود
وبغداد ما بغداد أما ترابها فجمر وأما حرها فشديد

(٢) في الطبري ج ١١ ص ٢٢٧ «جعفر بن مهر حسن الكردي» انهزم في جهة «ماتعيس».

(٣) «آيتاخ» الظالم هذا غضب عليه الخليفة المتوكل على الله أخيرًا من جراء جبروته وقوته وألقاه في غياهب السجن حتى مات فيه عطشًا وهكذا ذاق وبال أعماله. المؤلف

وفي سنة (٢٣١هـ/ ٨٤٦م) قامت ثورة كردية عظيمة في مقاطعات أصفهان والجلال وفارس فأخذت نارها بعد جهد ومشقة، حيث قام بذلك الجيش المؤلف خصيصاً لذلك بقيادة «وصيف».

واشترك الكرد أيضاً في ثورة سنة (٢٥٢هـ/ ٨٦٦م) التي قام بها «منصور- مساور»^(١) الخارجي. وكذا في ثورة الزنج^(٢) وثورة «يعقوب الصفار»^(٣) في سنة (٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) فقاموا بأعمال عظيمة فيها ولا سيما القائد الكردي «محمد بن عبد الله هزارمرد» الذي أدار دفعة أعمال الثورة زهاء ثلاث سنوات أتى في خلالها بالعجائب، وفي سنة (٢٨١هـ/ ٨٩٤م) قدم الكرد مساعدات وخدمات جليلة لتأسس الحكومة الحمدانية^(٤).

وفي سنة (٢٩٣هـ/ ٩٠٦م) ثار «محمد بن هلال» زعيم العشيرة الهذبانية بكامل أفراد عشيرته ووصل إلى قرب الموصل حيث قابله أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي، وإلى الموصل الجديد، بجيش جرار، والتقى في المعرورة على نهر «الخازر»^(٥) واشتبكا في القتال الذي دارت رحاه بشدة إلى أن دب الفشل في صفوف الحمدانيين، وقتل في المعركة من أقرباء أبي الهيجاء «سليمان الحمداني» أحد قواده العظام فاضطر للرجوع إلى الموصل يائساً، وطلب النجدة من الخليفة العباسي المكتفي بالله، وبعد سنة من هذا التاريخ جاءته النجدة من الخليفة فزحف بجيش لجب على منازل ومواطن العشيرة الهذبانية الكردية، التي اضطر زهاء خمسة آلاف أسرة منها إلى الاعتصام برؤس الجبال والتوغل في الوديان والوهاد السحيقة، كما اضطر رئيسهم إلى طلب الصلح من أبي الهيجاء فرفضه بته. وهاجرت

(١) هو مساور بن عبد الحميد بن مساور، الشاري خرج بالبوازيح بالموصل، الطبري ج ١١ ص ٢٠٠ و ٢٥٦.

(٢) خرج صاحب الزنج هذا في أنحاء البصرة سنة ٢٥٥ ودام أمره لغاية سنة ٢٧٠هـ.

(٣) هو يعقوب بن الليث الصفار. المترجم

(٤) في الطبري «عبيد الله بن آزار مرد الكردي» ص ٢٤٣ ج ١١.

(٥) نهر من روافد نهر الزاب الأعلى. المترجم

العشيرة المذكورة إلى «أذربيجان» وبقي محمد بنفسه في جبل القنديل فجاء أبو الهيجاء إليه وحاصره حصارًا شديدًا، ولكنه لم ينل منه منالًا، فتخلص محمد من الحصار وتمكن من الانسحاب إلى «أذربيجان» بسلام.

وجاءت لأبي الهيجاء نجدة أخرى من الخليفة، مما جعله يتمكن من جمع جيوش جرارة وحشد قوات عظيمة. زحف بها على مساكن ومواطن جميع الأكراد في أعمال الموصل وأحاط بهم جميعًا وقطع عليهم السبيل فاضطر الكرد للتسليم بلا قيد ولا شرط وطلبوا الأمان وأرسلوا «محمد بن هلال» هذه المرة رهينة إلى الموصل فقتل هنالك (الكامل ج ٧ ص ٢١٣)^(١).

وفي عهد الخليفة «المقتدر بالله» أيضًا حدثت عدة ثورات كردية مثل ثورة «عبد الله بن إبراهيم»^(٢) مع عشرة آلاف كردي في نواحي «أصفهان»، ومثل الثورات التي حدثت في أطراف الموصل في نفس السنة.

وفي خلال هذه السنة وضع «ديسم بن إبراهيم»^(٣) أساس حكومة الهذبانية التي استولى عليها فيما بعد أولاد «محمد الروادي» وحولوها إلى الحكومة الروادية التي دامت إلى القرن السابع (انظر المجلد الثاني).

هذا وكانت العشيرة الهذبانية هذه مع «حسين الحمداني» في غزوته لأذربيجان ووصله حتى مدينة «سلماس» سنة (٣٣٧هـ / ٩٠٨م).

(١) لعله الطبعة الأوربية وفي الطبعة المصرية رقم الصحيفة (١٩٢).

(٢) ورد في الطبري ج ١١ في سنة (٢٩٥هـ) ما يأتي: خرج في هذه السنة عبد الله بن إبراهيم المسمعي في أصفهان والتف حوله من الأكراد عشرة آلاف... وفي الكامل ج ٨ ص ٥، كان كردي متغلبًا على الموصل في هذه السنة.

(٣) ورد في الكامل ج ٨ ص ١٢٣ و ١٣٦ ديسم بن إبراهيم الكردي كان يقول هو وأبوه بمذهب الشراة... المترجم

وفي سنة (٣٤٠هـ/ ٩٥١م) تأسست أول حكومة كردية في شمالي أذربيجان والجنوب الغربي للقوقاس وهي «الحكومة الشدادية»^(١) فدامت حتى سنة (٥٩٥هـ/ ١١٦٤م).

وفي سنة (٣٤٨هـ/ ٩٥٩م) تشكلت الحكومة الكردية الثانية وهي حكومة «حسنويه - برزيكاني»^(٢) في بلاد الجبال ودامت مدة حكمها حتى سنة (٤٠٦هـ/ ١٠١٥م).

الكرد في عهد آل بويه

في عهد معز الدولة صارت مقاطعة «شهرزور» مسرحاً للقتال والفتن عدة مرات، حتى إن الحاجب^(٣) سبكتكين أغار بجيش جرار على شهرزور سنة ٣٤٤، وحاصرها ردحاً من الزمن ثم اضطر لفك الحصار عنها والذهاب إلى الري نجدة لركن الدولة فيها.

وفي عهد «معز الدولة» هذا قام الملوك الحمدانيون ببعض الحركات الحربية في كردستان الأوسط، حيث حاصر سيف الدولة حاكم حلب سنة (٣٥٤هـ) مدينتي «بدليس» و«أخلاط» اللتين كانتا في حكم أخ غلام له كان قد عصى عليه بهما. (تجارب الأمم ج ٢ ص ٢١٢ حاشية).

(١) سنذكر بالتفصيل أخبار الحكومات الكردية، في المجلد الثاني من هذا الكتاب، فلذا اقتصرنا هنا على تاريخ تأسيس الحكومات ومدد حكمها فقط. المؤلف

(٢) هو «حسنويه بن الحسين الكردي البرزيكاني» كما في ابن الأثير ج ٨ ص ٥٥ توفي سنة (٣٦٩هـ) بسرماج وكان أميراً على جيش من البرزيكان يسمون البرزنية. وكان خاله «ونداد» و«غانم» ابنا أحمد، أميرين على صنف آخر منهم يسمون العيشانية، وغلبا في أطراف نواحي الدينور وهمذان ونهاوند والصامغان وبعض أذربيجان، إلى حد شهرزور نحو خمسين سنة وكان يقود كل واحد منهما عدة ألوف فتوفي غانم سنة ٣٥٠ فكان ابنه أبو سالم ديسم بن غانم مكانه بقلعته «قسان» إلى أن أزاله أبو الفتح بن العميد.

(٣) ورد في ابن الأثير الحاجب سبكتكين وجهه معز الدولة إلى شهرزور. المترجم

وفي حادثة «أبي تغلب»^(١) أرسل عضد الدولة، أبا الوفاء طاهر بن محمد على رأس جيش إلى كردستان الأوسط للتعقيب والمطاردة فاستولى هذا على مدنه، الواحدة بعد الأخرى. وبقيت قلعة «ميفارقين» محصورة ثلاثة شهور حتى افتتحت بحيلة وخدعة، وحاصر أبو الوفاء طاهر هذا^(٢) «آمد» بجيش كبير وبعد فرار أبي تغلب وانزاعه استولى عليها سنة (٣٦٨هـ/ ٩٧٨م).

وفي سنة (٣٩٩هـ/ ٩٧٩م) أرسل عضد الدولة جيشاً جراراً على أكراد «شهرزور» وكان يرمي بذلك إلى الفصل بين الأكراد وبين عشيرة بني شيبان العربية التي كانت متفقة ومختلطة بأكراد هذه الولاية. فاستولى هذا الجيش على «شهرزور» فهربت «عربان بني شيبان» إلى الصحراء فتعقبهم الجيش وأوقع بهم وقعة عظيمة، قتل من بني شيبان فيها خلق كثير (الكامل ج ٨ ص ٢٥٤). وقبل هذا بعام كان «كرد بن بدويه»^(٣) قد أسس بتعزيد من أبي تغلب الحمداني حكومة مستقلة في «أردامشت»^(٤) ولكنها لم تدم طويلاً. إذ استولى عليها عضد الدولة وجعلها خاضعة له.

وفي سنة (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) أرسل عضد الدولة جيشاً على أكراد «حكاري» وحاصروهم وضيق الحصار عليهم، ثم أعطاهم الأمان والموائيق للتسليم والخضوع وبعد أن خضعوا حسب الشروط غدر بهم وقتلهم على بكرة أبيهم (الكامل ج ٨ ص ٢٥٧).

(١) هو «فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان» أمه فاطمة بنت أحمد الكردية قتل في صفر سنة ٣٦٩ بعد انقراض ملكه على يدي عضد الدولة.

(٢) ابن الأثير ج ٨ ص ٥. المترجم

(٣) لم أعر له على خبر في الكامل لابن الأثير في حوادث الحمدانيين وغيرهم.

(٤) هذه المدينة ويقال لها أيضًا «كاواشي - كواشي» كانت على مقربة من جبل الجودي حسبما ورد في

معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي. المؤلف

والظاهر أنها «آرمشاط» التي ذكرها كتاب شرفنامه الفارسي. المترجم

وكان في هذه الأثناء قد وضع «باز أبو شجاع»^(١) أساس حكمته، وكان في الأصل رئيس عشيرة الحميدية الكردية وقد اتسع سلطانه وامتد نفوذه في مدة عشرين سنة، في جميع كردستان الأوسط «ديار بكر - ارجيش - ميفارقين». ثم خلفه فيها ابن أخته «أبو علي بن مروان». حيث أصبحت هذه الحكومة ذات حول وطول كبيرين، ودامت حتى سنة (٤٨٩هـ) أي ما يقرب من مائة وعشر سنوات (انظر المجلد الثاني).

ويذكر المؤرخون زعيمًا كرديًا يُدعى «أحمد بن الضحاك» في عهد الخليفة «القادر بالله»، كان مع الجيش المصري الذاهب سنة (٣٨١هـ / ٩٩١م) إلى قلعة «أفامية» على نهر العاصي^(٢) بقيادة «جيش بن محمد بن الصمصامة»^(٣) فانكسر هذا الجيش المصري أشد انكسار، ولم يبق في مركز القيادة سوى خمسمائة فارس. فما كان من «أحمد بن الضحاك السليل» في هذا الوقت إلا أن انقض على قائد الروم كالصاعقة؛ فقتله وكسب المعركة مما أدى إلى هزيمة الروم في آخر لحظة (ذيل تجارب الأمم)^(٤).

وفي المدة بين سنة (٣٦٦هـ / ٩٧٦م) وسنة (٣٨٨هـ / ٩٩٨م) التي حدثت فيها حروب شديدة وقاتل مديد، بين «آل بويه» وبين «آل زيار» حول تملك «جرجان» اشترك فيها الأكراد اشتراكًا فعليًا وأبدوا نشاطًا عظيمًا كما فعلوا مثل ذلك في جيوش «محمود غازان»^(٥) ضد أتراك «قره خان» وقد استفاد منهم غازان كثيرًا. (العتبي)

(١) كذا في الأصل وفي المصادر العربية وغيرها من المصادر القديمة «باز - باد» الكردي انظر الكامل ج ٩ ص ٢٦ وكذا ص ١٣ منه حيث ورد فيه أن باز الكردي اسمه أبو عبد الله الحسين بن دوستك وهو من الأكراد الحميدية كان ابتداء أمره يغزو بثغور ديار بكر كثيرًا فعلا شأنه.

(٢) ويُسمى بالنهر المقلوب أيضًا.

(٣) قائد من قواد الفاطميين.

(٤) انظر ص ١١٨ الطبعة المصرية سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م القاهرة. المترجم

(٥) الظاهر محمود الغزنوي لا غازان المغولي.

وفي هذه الأثناء أي سنة (٣٨٠هـ / ٩٩٠م) تأسست الحكومة الكردية الشهيرة باسم حكومة (بني عناز)^(١) دام حكمها زهاء سبعين سنة، تارة مستقلة وتارة خاضعة للدول الكبيرة.

وكان الأكراد مشتركين في الثورات الداخلية في عهد «آل بويه» إذ أبدوا نشاطاً فائتاً في حركة عشيرة «بني عقيل» على الموصل وفي حروب «آل بويه» أيضاً في إقليمي فارسي وخوزستان.

وفي سنة (٣٩٧هـ / ١٠٠٧م)^(٢) أرسل بهاء الدولة جيشاً على أكراد «بندينجان» ودارت بينهم رحى معارك دموية أسفرت عن اندحار جيش بهاء الدولة، واغتتم الأكراد أموالاً كثيرة.

وفي سنة (٤١١هـ / ١٠٢٠م) لم يتمكن شمس الدولة^(٣) من إخماد الثورة العسكرية التركية التي قامت ضده، إلا بقوى الأكراد وتعضيدهم إياه، حيث قضى بها على جيش المؤلف من الترك. (الكامل ج ٩ ص ١١٩)^(٤).

(١) منهم أبو الفتح عناز استولى على قرميسين سنة ٤٠٠هـ كما في ابن الأثير ج ٢. ويؤخذ من كتاب «شرفنامه» الفارسي المتضمن تفاصيل أخبار الحكومات والإمارات الكردية أن صحة هذا الاسم هو «عيار» لا «عناز» ولعل ما في المصادر العربية مثل ابن الأثير وغيره مصحف من عيار. ورد في ابن الأثير ج ٩ ذكر الحرب بين أبي الفتح بن أبي الشوك بن محمد بن عياز. وبين عمه أبي الماجد مهلهل بن محمد بن عناز.

(٢) ورد في ابن الأثير ج ٩ ص ٧١ تحت عنوان «ذكر الحرب بين عسكر بهاء الدولة والأكراد» في هذه السنة سير عميد الجيوش عسكراً إلى البندينجين بقيادة قائد من الديلم.

(٣) هو «شمس الدولة أبو طاهر ابن فخر الدولة» صاحب همذان، حدثت الفتنة في جيشه المؤلف من الترك والكرد وأدت إلى القضاء على الأولين نهائياً. المترجم

(٤) وفي سنة (٤١٧هـ / ١٠٢٦م) كانت الحرب بين علاء الدين كاكويه وبين الأكراد الجوزقان. وجعل علاء الدين أبا الفرج البابوني رئيساً عليهم وهو من بطن منهم. و«كاكويه» بمعنى خال بالفارسية. من ابن الأثير. والأظهر باللغة الكردية المستعملة بفارس.

obeikandi.com

الفصل الرابع

١ - الكرد في عهد الإغارات التركية حتى أيام الإيلخانيين

إن الغز (اوغوز) الذين كانوا طلائع السلاجقة، قاموا من بلاد الري وأغاروا على البلاد الغربية حوالي سنة (٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) فاعترضهم في الطريق أحد قواد الغزنويين المدعو «طاش فراش»^(١) الذي كان يقود جيشاً مؤلفاً من ثلاثة آلاف فارس معظمهم من الكرد، فنشب القتال بينهم وبين هؤلاء الغز المغيرين. واتفق أن وقع زعيم الكرد أسيراً في أيدي الغز، فاضطروه لأن يرسل خطاباً لجنوده من الكرد يطلب إليهم فيه الكف عن القتال ففعل. وهكذا كسب الغز المعركة، وواصلوا إغارتهم إلى الأمام.

وفي سنة (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) وصلت جموع الغز إلى أطراف «مراغه»؛ فنهبوا المدينة وقتلوا الناس وأسرفوا في القتل. ثم أغاروا على العشيرة «الهدبانية» الكردية فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وبعد ذلك اتحدت جميع العشائر الكردية في تلك الجهات مع حاكم «أذربيجان»^(٢) فقاوموا إغارة الغز هذه مقاومة شديدة، حتى تمكنوا من إلحاق الفشل بهم وإرجاعهم مدحورين، وكان فريق من الغز قد وصلوا في إغارتهم إلى «أرمينية» وأحدثوا فيها مذابح عظيمة وتخريباً شاملاً، ثم قفلوا راجعين، ومروا بأطراف «أرمية» فاعترضتهم العشائر الكردية الخاضعة لزعيمها أبي الهيجاء^(٣) الهدباني. وبطبيعة الحال حدث قتال شديد بينهم أسفر في الآخر عن انتصار الغز وتشتت شمل الكرد.

(١) هو حاجب السلطان مسعود. المترجم

(٢) كان حاكمها يدعى «وهسودان بن مهلان» كما في ابن الأثير. المترجم

(٣) هو «أبو الهيجاء بن ربيب الدولة» الكردي مقدم أكراد أذربيجان، وابن أخت وهسودان بن مهلان.

وفي سنة (٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) تأسست الحكومة «الروادية» الكردية في تبريز «توريز» أسسها «وهسودان بن ماملان»^(١) فدام حكمها لغاية سنة (٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م)^(٢). وكانت حكومة «ديسم» مقدمة لظهور هذه الحكومة^(٣).

وفي سنة (٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) تشكلت حكومة شبانكاره «شوانكاره»^(٤) الكردية في إقليم فارس ودامت حتى سنة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) رغمًا عن كل الحوادث الجارية والصعوبات المتوالية.

وفي سنة (٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م) انتصر «وهسودان بن ماملان» انتصارًا باهرًا على الغز حيث قبض على جميع زعمائهم بالخديفة، ووضعهم في الاصفاد، وبعد أن كر على جنودهم بالتقتيل والتشريد، أتى عليهم جميعًا. إلا أن الفريق الذي كان متوغلاً من الغز في جهات «أرمية» تخلص من هذه المذبحة وتوجه نحو بلاد «حكاري» التي كانت تابعة حينئذ لولاية «الموصل» وأحدث فيها كثيرًا من أعمال النهب والسلب والتدمير. وبينما كانوا بين الجبال في طريق ملتوية ضيقة، منهمكين في العيث والفساد إذ أحاط بهم الكرد من كل ناحية، واعملوا فيهم السيف، فقتلوا منهم زهاء ألف وخمسمائة، وأسروا منهم جمعًا كثيرًا بينهم سبعة من القواد العظام، وسلبوهم جميع ما كانوا قد اغتتموه في إغاراتهم العديدة.

(١) الظاهر أنه هو نفس «وهسودان مهلان» صاحب أذربيجان المتقدم ذكره. انظر الكامل ج ٩ ص ١٤٥ الطبعة المصرية.

(٢) نقل التاريخ غلط.

(٣) وفي سنة (٤٢١هـ/ ١٠٣١م) كان غزو فضلون الكردي، الخرز: ابن الأثير ج ٩.

(٤) راجع كتاب «فارسانامه» المطبوع في أوروبا باللغة الفارسية وكتاب مسالك الأبصار لفضل الله بن العمري، مخطوط دار الكتب المصرية نمرة ٨م تاريخ وكتاب «شرفنامه» الفارسي المطبوع في مسكو ١٨٦٠، وفي القاهرة سنة ١٩٣٠.

ولما علم الغز باقتراب جيش «طغرل بك»^(١) منهم أسرعوا في السير إلى الأمام متجهين نحو الغرب خشية اللحاق بهم، فتقدم فريق بقيادة أمير منهم يدعى «منصور» إلى «جزيرة ابن عمر» عن طريق «الزوزان» وما كادوا يصلون إلى شرقي هذه البلاد حتى قام فريق آخر منهم بقيادة «بوقا- بوغا» بالإغارة على «ديار بكر» وشرع في أعمال النهب والسلب في منطقة «قردي- بقردي»^(٢) و«بازابدا» و«الحسينية»^(٣) و«بيشخابور- فيشخابور»^(٤) هذا ولما أيقن «سليمان بن نصر»^(٥) الدولة بن مروان أن هؤلاء الغز لن يستقروا في بلاد الجزيرة قبل حلول الربيع؛ بادر بالقبض على قائدهم «منصور بن قرغلي» بخطة مدبرة وخدعة متقنة، بأن هاجمهم على غرة بمساعدة الأكراد البشوية أصحاب قلعة «فينك»^(٦) وقتل منهم كثيراً وساقهم أمامه وشردهم حتى «نصيين». ورغماً من هذا لم تنج البلاد تماماً من أضرارهم وشرورهم، إذ تمكنوا أخيراً من الوصول إلى «ديار بكر» وأطلقوا العنان للسلب والنهب والتدمير والتقتيل في جميع الأنحاء والقرى. حتى اضطر حاكم «ديار بكر» وهو نصر الدولة بن مروان الكردي أن يبعدهم عن ولايته بتقديم أموال كثيرة إليهم، فتوجهوا بعد ذلك إلى جهات «الموصل» واستولوا على نفس المدينة، وأحدثوا فيها

(١) وكان هذا الجيش بقيادة «إبراهيم نبال» أخي السلطان طغرل.

(٢) أو «كردا- كاردو- كردو» منطقة بشرقي الجزيرة. المترجم

(٣) يرى ياقوت الحموي أن هذه المدينة تقع بين الموصل والجزيرة بخلاف المستر «لوسترنج» فانه يقول أنها تقع على نهر الخابور بجوار «زاخو» بدليل أن خابور «زاخو» يطلق عليه اسم خابور الحسينية. المؤلف وهو الذي يصب في دجلة بخلاف الخابور الكبير الذي يصب في الفرات. المترجم

(٤) ومعنى هذه الكلمة باللغة الكردية، الخابور المتقدم والأول. وأما الثاني فهو خابور الجزيرة. فالأول يجري في بلاد الحكارى والزوزان. والثاني في شمالي بين النهرين حيث يصب في الفرات بجوار قرقيساء الشهيرة في التاريخ. المترجم

(٥) في الأصل سليمان بن ناصر الدولة المرواني. والتصحيح من ابن الأثير.

(٦) إحدى قلاع جزيرة ابن عمر التاريخية كانت من أمنع الحصون الكردية التي تحكمها الأكراد البشوية قسيم الأكراد البختية. ورد في شرفنامه أن أكراد جزيرة ابن عمر كانوا ينتمون إلى بخت وبيجناو. بضم الباء في الأول وفتحها في الثاني فتحولوا إلى بختي، بجناوى وبشناوى في التعريب.

مذابح تقشعر لها الأبدان، فاضطر أمير الموصل «قراوش» إلى طلب النجدة من الأمراء الكرد^(١) والعرب في تلك الأنحاء للدفاع عن هذه الولاية.

وفي سنة (٤٦٣هـ / ١٠٧١م) التي انكسر فيها جيش «آرمانوس» الرابع إمبراطور الروم في سهل «ملاذ كرد- ملاذجرد» وأسر هو نفسه، خضعت جميع بلاد «أرمينية» و«كردستان» شيئاً فشيئاً لحكم «آلب أرسلان» السلجوقي. وهكذا زالت من الوجود كل الحكومات والإمارات الكردية التي كانت قائمة حينئذٍ في البلاد، وأصبحت كلها خاضعةً لسلطان السلجوقيين^(٢).

وفي سنة (٤٩٣هـ / ١١٠٠م) قضى على آخر أمير مرواني كردي الذي كان باقياً في «خلاط» على يدي «سقمان- سكرمان» القطبي غلام أتابك تبريز «أذربيجان» من جراء سوء الإدارة التي اشتهر بها ذلك الأمير، مما جلب عليه نقمة الأهالي.

وصفوة القول، أن بلاد كردستان، نظراً لموقعها الجغرافي ولكونها واقعة على طريق الإغارات التركية المدمرة، أصيبت بنكبات جمة ومصائب عديدة. لأن عوامل الشقاق والتفرقة وأسباب التخاذل والنفور التي كان (ولا يزال) الشعب الكردي عليها، منعتهم من توحيد الكلمة بإخلاص وقوة ضد هؤلاء المغيربين المدمرين، وإيجاد جبهة مشتركة

(١) في ابن الأثير ج ٩ ص ٢٠٤ ذكر الخلف بينه وبين الأكراد الحميدية والهذبانة. للأولى العقر وما قاربها وللثانية اربل وأعمالها... اهـ. المترجم

(٢) الحكومات السلجوقية هي خمس اسر سلجوقية حكمت في خمسة أقطار:

١- الأسرة التي حكمت خراسان والري والجبال والجزيرة وفارس والأهواز، تأسست في (٤٩٢هـ / ١٠٩٩م) ودام حكمها ٩٣ سنة.

٢- الأسرة الحاكمة في كرمان، تأسست في سنة (٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) ودام حكمها ١٥٠ سنة.

٣- الأسرة الحاكمة في العراق وكردستان، تأسست في سنة (٥١١هـ / ١١١٧م) ودامت ٧٩ سنة.

٤- الأسرة الحاكمة في سورية (الشام)، تأسست في سنة (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) ودامت ٢٤ سنة.

٥- الأسرة الحاكمة في بلاد الروم (الأنضول) تأسست في سنة (٤٧٠هـ / ١٠٧م) ودامت ٢٣٠ سنة (تاريخ الأمم الإسلامية للخضري بك ج ٢ ص ٤٦٨-٤١٧).

للدفاع عن بلادهم المجتاحة، فلذا لم تجدهم نفعاً تلك المحاولات المنفردة والمتقطعة التي كانوا يقومون بها دفاعاً عن أوطانهم بين آنٍ وآخر، بل بالعكس أفضى ذلك إلى زيادة خسائرهم ونكباتهم بصورة هائلة لم يسجل التاريخ مثلها. هذا وإذا أمعنا النظر في الكرد وكردستان من فجر التاريخ حتى الآن، نرى أن نفس هذه الاسباب والعوامل، هي التي أدت دائماً إلى نكبة هذا الشعب وويلاته العظيمة. وأنه ما دامت هذه الأحوال والعوامل دائبة مستمرة فلا يرجى لهذا الشعب نصيب من التقدم في مضمار الحياة والتخلص من أنياب البؤس والاضمحلال.

وفي الواقع أن نكبة الكرد بالإغارات التركية هذه كانت شديدة جداً وويلاتهم بها عظيمة، ولكن بالرغم من ذلك كانت طبائع الكرد وسجاياهم الخاصة تمنعهم من اليأس والاستسلام للغاصبين، فكانوا دائماً حرباً عليهم، ولا يتركون فرصة تمر من غير أن ينتهزوها ويهبوا للدفاع عن حقوقهم المهضومة واستقلالهم المفقود وحريتهم المسلوبة. وقد قاتلوا في سبيل ذلك كثيراً وضحوا كثيراً ونهبوا وانتهبوا وغصبوا واغتصبوا، ومع ذلك لم يخضعوا تماماً لسلطان أحد من الملوك والحكومات بطوعية وإخلاص. وفي القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين أظهر الكرد كثيراً من النشاط والبسالة في ميدان القتال والحروب أكثر من المأمول، وكان الخلفاء والسلاطين الترك يستعينون بهم في النوازل والملمات.

وفي الواقع أننا نرى (ملكشاه السلطان السلجوقي، استفاد كثيراً من القوى الكردية في حربه مع عمه «قاوورت» الذي كان حاكماً على «كرمان» لرغبته في الاستيلاء على حكمته. فأقطعهم السلطان أراضي واسعة في إقليم «كرمان» نظير مساعدتهم له هذه. «المسعودي - ابن خلكان».

وفي سنة (٤٩٩هـ/ ١١٠٥م)^(١) زحف جيش «محمد بن ملكشاه» السلجوقي بقيادة «جاولي سقا»^(٢) على الموصل فقابله «أبو الهيجاء»^(٣) الهذباني حاكم «أربل» مع «جكرمش» حاكم الموصل في الطريق وقتلاه أشد قتال.

وفي سنة (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م) التي جاء فيها السلطان مودود على (جاولي سقا) كان أبو الهيجاء هذا ونصر بن مهلهل أبي الشوق يصحبانه^(٤).

وهناك بعض فصول ومباحث عن اشتراك الكرد في حركات وحوادث سني (٤٩٦هـ/ ١١٠٢م) و(٤٩٧هـ/ ١١٠٣م) و(٥٠٣هـ/ ١١٠٩م) وفي الحوادث التي جرت وقائعها في الدجيل وماردين وبعض جهات أخرى.

وفي سنة (٥٠٤هـ/ ١١١٠م) أثناء زحف «محمد بن ملكشاه» على سورية^(٥) والشام كان يصحبه كل من رئيس العشيرة الروادية الكردية، حاكم «مراغة» أحمد ديل بن إبراهيم السالار ابن وهسودان^(٦)، والأمير أبو الهيجاء حاكم «أربل» بجيوشهم الخاصة. وفي منتصف القرن الخامس الهجري تأسست الحكومة الفضلوية الكردية بكردستان ودامت إلى منتصف القرن التاسع (راجع المجلد الثاني).

(١) في الكامل (ج ١٠ ص ١٥٨) كان ذلك في سنة ٥٠٠هـ.

(٢) في ابن الأثير «جاولي سقاوو» هكذا بالواووين.

(٣) تمام اسمه أبو الهيجاء ابن موسك الكردي الهذباني.

(٤) كذا في الأصل وفي ابن الأثير (جاء جيش السلطان محمد بن ملكشاه بقيادة الأمير مودود بن آلتون تكين على جاولي سقاوو، وكان في الجيش من الأمراء أبو الهيجاء صاحب أربل ونصر بن مهلهل ابن أبي الشوك الكردي) انظر الصفحة ١٧٢ ج ١٠.

(٥) يعني مسير العساكر السلطانية إلى قتال الفرنج سنة (٥٠٥هـ/ ١١١١م). كما في ابن الأثير ج ١٠ ص ١٨٣.

(٦) قتل هذا الأمير سنة (٥١٠هـ/ ١١١٦م) غيلة على يد أحد الفدائيين من الباطنية. (الكامل ج ١٠ ص ١٩٤).

٢- الكرد في عهد الدويلات الأتابكية^(١)

بعض الدويلات الأتابكية هذه تأسست في كردستان وما يجاوره من الأقاليم والبلدان، فأتت فيها بأعمال وحوادث جسام. فلهذه الدويلات والحكومات صلات وثيقة بتاريخ الكرد وكردستان. إذ كثيرًا ما قام «عماد الدين زنكي» من حكام الأسرة الأتابكية الزنكية، بالاستيلاء على بلاد كردستان، والاشتباك فيها مع الكرد في الحروب والقتال. فمن ذلك أن «عماد الدين» استولى على مدينة «طنزي»^(٢) الواقعة على الضفة اليسرى لنهر

(١) تنقسم الدويلات الأتابكية في كردستان إلى خمسة أقسام:

١- الحكومة الأرتقية- أسسها «أرتق» مملوك السلطان ملكشاه سنة (٤٩٥هـ/ ١١٠١م) في «حصن كيفا» ثم تشعبت سنة (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م) إلى شعبتين: شعبة «حصن كيفا» وشعبة «ماردين»، فقضت حكومة «القره قوينلية» التركمانية سنة (٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) على الأولى، وعلى الثانية (٨١١هـ/ ١٥٠٨م).

٢- حكومة شاه أرمن- أسسها في «خلاط» سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) «سقمان القطبي» مملوك قطب الدين إسماعيل السلجوقي حاكم «تبريز» وقضت عليها الدولة الأيوبية سنة (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م).

٣- الحكومة الزنكية- أسسها في الموصل سنة (٥٢١هـ/ ١١٢٧م) عماد الدين زنكي بن أقسنقر مملوك ملكشاه، وتوسعت بلادها إلى أن تفرعت إلى عدة فروع: فرع الموصل: دام إلى سنة (٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) حيث قضى عليه المغول. فرع الشام: قضت عليه الدولة الأيوبية سنة (٥٧٧هـ/ ١١٨١م). فرع سنجار: تأسس في (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) وقضت عليه الدولة الأيوبية سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م). فرع الجزيرة: تأسس في سنة (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م) وقضت عليه الدولة الأيوبية سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م). فرع أربل: تأسس سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) وقضت عليه الدولة الأيوبية سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٥٣م).

٤- أتابكية ارزنجان- أسسها الأمير ايلدكز سنة (٥٣٦هـ/ ١١٤١م) ودامت لسنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) حيث قضى عليها الخوارزميون.

٥- أتابكية لرستان- أسسها أبو طاهر الكردي قائد «أتابك فارس» سنة (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) فدامت لسنة (٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م) حيث قضى عليها تيمورلنك (تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢).

(٢) ورد في ابن الأثير (ج- ١١ ص ٣٩) أنه استولى عليها سنة ٥٣٨هـ- ١١٥٣م حينما أغار على بلاد (ديار بكر) وافتتح منها قلاع ومدن. أهمها مدينة طنزة واسعد وخران وحصن الذوق وحصن مطلق وحصن باتسية وحصن ذي القرنين وغير ذلك وقصد مدينة آمد وحاني- حيني فحصرهما. فبتين من

«بهتان» سنة (٥٢٨هـ / ١١٣٤م). ثم زحف منها مع «تيمورطاش» حاكم «ماردين» على «ديار بكر» «آمد» وحاصرها مدة من الزمن، ثم قفلا راجعين من غير أن ينالا منها شيئاً. وفي الوقت نفسه جرد «عماد الدين» حملة أخرى على عشيرة الحميدية الكردية، فاستولت هذه الحملة على عدة قلاع كانت خاضعة لهذه العشيرة الكردية مثل «العقرة» و«الشوش» وكان الذي حمل عماد الدين على القيام بهذه الإغارات والحركات الحربية ضد هؤلاء الأكراد، أن رئيسهم المدعو «الأمير عيسى الحميدي» كان عضداً لجيش الخليفة العباسي «المسترشد بالله» أثناء حصاره للموصل.

وأما «ابو الهيجاء بن عبد الله»^(١) حاكم «أربل» و«آشيب» وغيرهما بتلك الجهات، فقد ذهب إلى الموصل ولبت لدى «عماد الدين» إلى أن توفي إلى رحمة الله. فقامت الفتن واشتد النزاع بين ورثة «أبي الهيجاء»، على تولي الإمارة، مما أدى إلى انتهاز «عماد الدين» الفرصة فتدخل في أمر هذه الإمارة الكردية أيضاً. وزحف على مدينة «آشيب» واستولى عليها، وهدم قلعتها الحصينة سنة (٥٣٧هـ / ١١٤٢م) ونكل بالزعماء الكرد والأمراء تنكيلاً كبيراً، ثم استولى على باقي القلاع الخاضعة لأسرة «أبي الهيجاء» شيئاً فشيئاً، وبعد ذلك أخذ يخضع تدريجياً البلاد الحكارية وجبال الزوزان و«جبل الصور» وقلاع «هرور» و«الشعباني» و«الرية»... إلخ (الكامل لابن الأثير: ج ١١، ص ٦). وبعد مدة استولى «عماد

هذا أن عماد الدين زنكي قصد ديار بكر مرتين، المرة الأولى كانت سنة ٥٢٨هـ - ١١٣٤م حيث حصر آمد ولم يفتحها وفتح قلعة الصور (صاوور) والمرة الثانية كانت سنة ٥٣٨هـ كما تقدم ففتح قلاعاً كثيراً من ديار بكر منها (طنزة). المترجم

(١) وكان أحد أولاد أبي الهيجاء هذا يدعى «أحمد» وكان محافظاً لقلعة «توشى» وهو والد سيف الدين علي الشهير بالمشطوب من أمراء السلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث كان محافظاً لقلعة «عكا» أثناء حصار الإفرنج لها في عهد إغارة الصليبيين على الشرق. المؤلف

الدين» على قلعة «الجلاب- كلاب» أيضاً، ثم عمرها وحصنها وأطلق عليها اسم «العمادية» نسبة إلى اسمه^(١).

وفي سنة (٥٣٤هـ/ ١١٣٩م) أغار «عماد الدين زنكي» هذا على بلاد «شهرزور» وأخذها من أميرها حينئذ «قجاق بن أرسلان طاش». وفي سنة (٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) أرسل حملة كبيرة على البلاد الحكارية، واستولى على قلعة «الشعباني»^(٢) ثم حصنها. وبعد سنة من ذلك استولى على قلاع «ايرون» و«خيزان» و«سعد» و«حصن الذوق» و«حصن ذي القرنين» وغيرها من القلاع. واستولى كذلك على بعض النواحي في أطراف «ماردين» وزحف مرتين على «آمد» فحاصرها ولم ينل منها منالاً.

وخضع الأمير «علي»^(٣) حاكم «الرايبة»^(٤) و«علكا- ألكي» لسلطان «عماد الدين زنكي» عن طواعية ورضى. وبعد مدة من الزمن أرسل «عماد الدين» حملة عسكرية على

(١) يرى حمد الله المستوفي أن اسم «العمادية» جاء من نسبة هذه القلعة إلى عماد الدولة الأمير الديلمي، الذي كان بها سنة (٣٣٨هـ/ ٩٤٩م). ويقول ياقوت الحموي: إن هذه القلعة سميت باسم عماد الدين زنكي، إذ بناها على أطلال قلعة «آشيب» التي خربها، وإن سكان هذه القلعة هم من الأكراد الهكارية العريقة. المؤلف (في ابن الأثير: ج ١١، ص ٣٧) «أن قلعة آشيب كانت من أعظم القلاع الحكارية وأمنعها. بها أموال الأكراد الحكارية وأهلهم وبعد أن فتحها عماد الدين زنكي أخرجها وبنى عوضاً عنها القلعة المسماة الآن بـ«العمادية» نسبة إلى لقبه وهي الآن عامرة وقلعة «آشيب» هي الخربة والظاهر أنها معربة عن اسم «أمادي- أميدي» القديمة كما يذكرها الأكراد لغاية الآن بدليل بناء القلعة على أطلال مدينة تاريخية». المترجم

(٢) وهي من قلاع الأكراد المهرانية التي هي عبارة عن (القي، سروة، الشعباني، فرح، كوش، الزعفران). ابن الأثير. المترجم

(٣) هو الأمير علي بن عبد الله بن عيسى الكردي صاحب الرابية والقي وفرح وغيرها. وبعد التحاقه بعماد الدين زنكي قتل غدرا بيد أحد قواد الزنكي يدعى جقر. (الكامل: ج ١١، ص ٦). المترجم.

(٤) هذه المدينة على رأي كتاب (شرفنامه هي مدينة «بولاق»، حيث يقول «رايبة- بولاق». المؤلف.

«الأمير حسام الدين» زعيم الأكراد البشنية وحاكم قلعة «فناك»^(١). ولكن «عماد الدين» مات أثناء حصاره لها وعادت الحملة أدراجها سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م).

هذا ولأتابكية ديار بكر (الحكومة الأرتقية) أيضًا وقائع وحوادث هامة مع الكرد وكردستان، حيث كانوا يصطدمون كثيرًا بهم (أبو الفداء).

وقد حاول الخلفاء العباسيون مرات الاستفادة من قوى الأكراد في استخدامهم لأجل كسر شوكة الأتراك وإضعاف نفوذهم في جيش الخلافة. وما اشترك «الأمير عيسى» رئيس الأكراد الحميدية الشهيرة، في جيش الخلافة واستقدامه من قبل الخليفة «المسترشد بالله» سنة (٥٢٨هـ) إلا مثال بارز على تلك السياسة. (الكامل)

وفي هذه السنين كان أول تأسيس الدولة الأيوبية الكردية، حيث استقلت هذه الأسرة بمصر استقلالاً تاماً سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م) ثم اتسعت أملاكها اتساعاً كبيراً في جميع الأنحاء، فكان معظم جيش السلطان «يوسف صلاح الدين» مؤلفاً من كثير من العشائر الكردية والأمراء الأكراد الذين اشتركوا في جميع حروبه العظيمة وفتوحاته الواسعة، أمثال الأكراد الهكارية والمهرانية - الميرانية، والسهرانية - السورانية، والحميدية، والزرزارية (الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ٣٠٢). وكانت هذه السلطنة العظيمة تشمل الأقطار الآتية: مصر، سورية، الجزيرة، كردستان، أرمينية^(٢).

حقاً إن عصر صلاح الدين كان عصرًا ذهبيًا لهذه الدولة التي انقسمت بعد وفاته إلى عدة أقسام كبيرة. وكان أطول هذه الأقسام حكمًا، قسم أيوبية «حصن كيفا» الذي دام لغاية الفتح العثماني^(٣) لبلاد ديار بكر وكردستان.

(١) قلعة «فناك» هذه قريبة من بلدة «جزيرة ابن عمر» الواقعة على دجلة. المؤلف (بينها وبين الجزيرة فرسخان). المترجم.

(٢) وكذا اليمن وطرابلس الغرب والبرقة.

(٣) كان ذلك في سنة (٩٢١هـ).

وبعد انقراض الحكومة الزنكية، تأسست في «جزيرة ابن عمر» حكومة «عزيزان»^(١) الكردية. ويقال: إن أسرة «عزيزان- العزيزية» هذه تنحدر من سلالة الصحابي الشهير خالد بن الوليد. وقد دامت هذه الحكومة في الجزيرة لغاية ظهور الحكومة البائدة^(٢) التي قضت عليها مؤقتاً. إذ ظهرت مرة أخرى بعد ذلك واستمرت بالجزيرة لغاية خضوع كردستان للدولة العثمانية ودخلت في عداد الإمارات الوطنية الكردية التي شملتها الحماية العثمانية (دائرة المعارف الإسلامية: ج ١).

وفي سنة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م) في خلافة الناصر لدين الله، دب الخلاف بين الكرد والترك، وأدى ذلك إلى اندلاع لهيب ثورة وطنية كردية^(٣) عمت أقاليم سورية، كردستان، أذربيجان كلها. واستمرت مدة سنتين، وألحقت خسائر فادحة بالطرفين. ثم انعقد الصلح بينهم لفكرة دينية، كان الغرض منها الاتحاد ضد النصارى في أرمينية، الجزيرة، سورية، قبادوقيا. ولكن لم يدم هذا الاتحاد طويلاً، حيث أفضى النزاع على السيادة والحكم إلى اختلاف الكرد والترك مرة أخرى، فاشتبكوا في القتال ودارت معارك دموية بينهم ردحاً من الزمن، حتى أسفرت عن جلاء الكرد عن بعض البلاد السورية و«كلكيا- أذنة».

ويقول ابن الأثير: إنه نشب خلاف شديد في نفس هذا التاريخ^(٤) بين أكراد الموصل والجزيرة حول عرس امرأة (تركمانية) فأفضى ذلك إلى قتال كبير ومعارك دامية. فتدخل «مجاهد الدين قايباز» وزير أمير الموصل في الأمر وأصلح بينهم وأخذ نار القتال الناشب. (ج ١١، ص ٢٣٤).

(١) نسبة إلى «عبد العزيز بن سليمان بن خالد» كما ورد في (شرفنامه) ومن هذه الأسرة الحاكمة بالجزيرة «بدر خان باشا» آخر الأمراء بها ورأس الأسرة البدرخانية.

(٢) هي حكومة «تراكمة آلاق قوينلية» التي قامت بديار بكر وكردستان قبل الصفويين. المترجم

(٣) يشير المؤلف بهذه الفقرة إلى ما وقع بين السلطان صلاح الدين وبين الإمارات التركية القائمة في كردستان وغيرها من الأقاليم. ابن الأثير: ج ١١.

(٤) الظاهر بين التركمان والكرد، كما في ابن الأثير في حوادث سنة (٥٨١هـ) ج ١١، ص ٢١١ الطبعة المصرية.

هذا وتدل الوقائع التاريخية على أن الشعب الكردي، كان في نضال مستمر مع الترك، بخلاف جيرانه النصارى فقد كان يسالمهم غالبًا ويتحد معهم أحيانًا ضد المغيرين والمجتاحين من الأجانب (دائرة المعارف الإسلامية: ج ٢).

وبعد وفاة السلطان صلاح الدين (٢٦ صفر سنة ٥٨٩هـ - ٣ مارس سنة ١١٩٣) استرد الزنكيون مكانتهم في كردستان. فأخذ عماد الدين النجل الصغير لأرسلان^(١) شاه زنكي سنة (٦٠٧هـ)، قلعتي العقرة والشوش، بطريق إقطاع التملك، من أخيه «نور الدين زنكي» ثم في سنة (٦١٥هـ / ١٢١٨م) استولى على «العمادية» عنوة، فأرسل إليه ابن أخيه حاكم الموصل قوة عسكرية لاستردادها فلم يفلح في ذلك. وبعد مدة استولى «عماد الدين» على بعض قلاع «الحكارية» وقلعة «كواشي» ولكنه اكتسب سخط الأهالي ونفمتهم عليه من سوء سيرته وتدبيره بين الناس. لذلك اتصل الأهليون سرًا بنائب الموصل «بدر الدين لؤلؤ» وطلبوا منه النجدة فلبى طلبهم. وبمجرد وصول هذه النجدة سقطت قلاع الحكارية والزوزان في أيدي الأهلين فخضعت البلاد لحاكم الموصل. وفي سنة (٦١٩هـ / ١٢٢٢م) سقطت قلعة الشوش. كما أن سقوط قلعة العمادية كان في سنة (٦١٢هـ / ١٢١٥م).

وفي سنة (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) نكبت بلاد العراق والجزيرة بمصائب مختلفة من زلازل وقحط وأنواع من العواصف والطوفان، مما أدى إلى خسائر لاتعد ولا تحصى في الأموال والأرواح. وبعد عام من هذا التاريخ زحف علاء الدين كيقباد^(٢) السلجوقي حاكم

(١) ويؤخذ من ابن الأثير أن تمام اسمه هو «نور الدين أرسلان شاه ابن مسعود بن مودود»، كان له ولدان أحدهما «الملك القاهر عز الدين مسعود» والثاني «عماد الدين زنكي» وأن نور الدين زنكي المذكور هنا ليس أخاه بل هو أبن أخيه، الملك القاهر عز الدين مسعود.

(٢) هو علاء الدين كيقباد بن كبخسرو بن قلج أرسلان، ملك بلاد الروم سار في شعبان سنة ٦٢٣ إلى بلاد الملك المسعود صاحب «آمد» وملك عدة من حصونه. وسبب ذلك، اتفاق صاحب «آمد» مع جلال الدين خوارزمشاه والملك المعظم صاحب دمشق وغيرهما، على خلاف الملك الأشرف

«قونية» بإيعاز من «جلال الدين شاه الخوارزمي» وإغراء منه، على «ديار بكر» واستولى على بعض قلاعها، وألحق كثيرًا من الأضرار والخسائر بالبلاد والعباد. (الكامل)^(١).

٣- الكرد في عهد الخوارزميين والایلکخنین (المغول)

أ- في سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) أصيبت أكراد جبال «زاغروس» ووهادها بنكبات شديدة من جراء إغارات الخوارزميين وتدميرهم للبلاد. لأن السلطان محمد الخوارزمي^(٢) كان قد أرسل جيشًا عرمرمًا على الخليفة العباسي «الناصر لدين الله» وبطبيعة الحال اشتبك هذا الجيش الجرار في النضال والقتال مع الكرد في الطريق، ثم أصيب بين «همدان» و«كرمانشاه» بكثير من المتاعب والنكبات من برد قارس ونزول ثلوج كثيرة أودت بحياة كثيرين. فطمع فيمن بقي منهم بنو هكار الأكراد، وبنو ترجم الأتراك تخطفوهم فلم يرجع منهم إلى خوارزمشاه إلا اليسير. (الكامل ب ج ١٢، ص ١٣٠).

ثم زحف^(٣) ابن السلطان محمد وهو جلال الدين، بفلول الجيش المهزوم هزمت عديدة، من همدان إلى نواحي العراق، وأطلق يد النهب والسلب والتدمير في أطراف بلاد «بدره» و«بعقوبه» وقلعة «الداقوق». وأحدث مذابح عامة في هذه الأنحاء. وبعد ذلك

صاحب الجزيرة وخلاط، فلما رأى الأشرف ذلك أرسل إلى كيقباد ملك الروم وكانا متفقين يطلب منه أن يقصد بلد صاحب «آمد».. ابن الأثير. المترجم (١) ج ١٢، ص ١٨٩، من الطبعة المصرية.

(٢) هو خوارزمشاه علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش، مدة حكمه إحدى وعشرون سنة وشهور.
(٣) أي في سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) وصل جلال الدين إلى بلاد خوزستان والعراق وكان مجيئه من بلاد الهند، كان هرب إليها من التتر لدى محاصرتهم قلعة «غزنه» فاستولى على كرمان وفارس وحاصر تستر عاصمة خوزستان ونهب وسلب فيها حتى وصلت سراياه إلى بادرايا وباكسايا. ثم ترك حصار تستر وتوجه نحو العراق حتى وصل بعقوبة فنهب البلاد وسلب الأموال ثم سار جلال الدين منها إلى الداقوقا وفتحها عنوة وقهراً، وقتل من أهلها مقتلة عظيمة وأخاف هذا الأمر أهل البوازيج وهي لصاحب الموصل فطلبوا حمايته... ابن الأثير ج ١٢، ص ١٧٥.

توجه نحو «أربل» فقابلهم حاكمها «مظفر الدين كوكبوري»^(١) بسياسة حسنة وتدير عظيم، فأرجعهم إلى الوراء من غير إراقة دماء. ثم اتجه جلال الدين نحو «آذربيجان» فاستولى أولاً على مراغة. وفي سنة (٦٢١هـ / ١٢٢٤م) على مدينة «تبريز». وبعد غزوه لكرجستان، زحف على مدينة «خلاط» سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) وحاصرها حصاراً شديداً عدة مرات، ولكن لم يتمكن من فتحها لمقاومة أهلها الشديدة وصبرهم الطويل بقيادة حاكمها الأيوبي «الحاجب حسام الدين علي بن حماد» مما اضطر جلال الدين إلى أن يفك الحصار عنها، وأن يعود عنها خائباً. وهكذا تخربت بلاد «خلاط» في هذه الحروب والنضال، كما أن أطراف «العمادية» وبلاد «الزوزان» دمرت في الحروب التي جرت بين «عماد الدين» و«نور الدين». والخلاصة أن شمالي كردستان وجنوبه أصيب بنكبات شديدة، ومني بخسائر فادحة أدت إلى ضائقة اقتصادية وأزمة شديدة، مات فيها خلق كثير من الجوع (الكامل: ج ١٢، ص ١٩٠ و ٢٠٠).

وفي أوائل شوال سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) زحف جلال الدين خوارزمشاه مرة أخرى على «خلاط»، وضيق الحصار عليها ثم واصل زحفه عن طريق «موش» لغاية جبل الجودی. فخرب ودمر كثيراً من البلدان والقرى التي مر بها وأحدث فيها فظائع تقشعر لها الجلود وتشيب منها الولدان، مما أدى إلى انتشار الذعر والخوف بين السكان وأفضى إلى الهجرة، ففضل معظمهم ترك الأوطان إلى أطراف «حلب». أما حاكم «خلاط» الحاجب حسام الدين الذي كان والياً عليها من قبل الملك العادل الأيوبي، وأبدى شجاعة فائقة، وثباتاً نادراً أثناء حصار جلال الدين لقلعة خلاط - فقد عزله الملك الأشرف الأيوبي من منصبه أخيراً خلافاً للمأمول. ثم قتله عز الدين أيك^(٢) الذي خلفه في الحكم، ظلماً وعدواناً. وقد زحف جلال الدين على «خلاط» مرة أخرى، وذلك بعد وفاة حسام الدين

(١) ابن زيد الدين علي.

(٢) في ابن الأثير ١٧ رجب سنة ٦٢٢.

(٣) مملوك الملك الأشرف الأيوبي صاحب دمشق والجزيرة وخلاط، وأمير كبير في دولته. ابن الأثير

المذكور، وحاصرها وضيق الحصار عليها، حتى سقطت القلعة في يده بعد تسعة شهور، فأعمل السيف في المحصورين من المقاتلة والأهالي، وقتلهم عن بكرة أبيهم، وارتكب أشنع الجرائم وأوقع الموبقات.

وفي سنة (٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م) اشتبك جلال الدين في القتال والنضال مع علاء الدين كيقباد سلطان الروم، والملك الأشرف الأيوبي صاحب الشام، وانهزم أمامهما شر انهزام، وتقهقر حتى وصل «خوى» ثم اضطر لعقد الصلح معها. وكان قائد جيش الملك الأشرف في هذه الحروب يدعى «عز الدين عمر بن علي» من عشيرة «الحكاري» الكردية الشهيرة.

وفي سنة (٦٢٨هـ/ ١٢٣١م) ضايق التتر جلال الدين وانتزعوا منه «أذربيجان» فعاد خائباً إلى نواحي «خلاط» ميالاً إلى التسليم والاعتذار هذه المرة. بل ولاجئاً إلى الأكراد من أمام التتر، هؤلاء الأكراد الذين أنزل بهم وبيلادهم ضروب الظلم والفظايع مرات عديدة، فاستحق لعنة الناس أجمعين بأعماله البربرية. وصفوة القول: إن هذا السلطان الجائر الذي لم يكن يرفع يده عن الله إلا ولا ذمة، وصل مع جيشه المخرب المدمر إلى أطراف «ديار بكر» بحالة يرثى لها فلحق بهم التتر هنالك أيضاً وأحاطوا به وبجيشه. فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وشتتوا من بقي شذر مذر. حيث تسلمتهم القبائل والعشائر التي طالما ذاقت الأمرين من ظلم هذا الجيش المنكود الحظ السيء الأفعال، وقضت عليهم القضاء الأخير جزاء لما قدمت أيديهم من الأعمال. وقد تمكن بعض منهم من الالتجاء إلى علاء الدين كيقباد سلطان الروم بقونية. ومع كل هذا لم يتخلص كردستان من عوامل التدمير والفساد. لأن البلاد كلها، سواء التي دمرها الجلاليون الخوارزميون، أو التي نجت من تدميرهم قد تعرضت مرة أخرى للتدمير والتخريب بأيدي التتر الذين لم يتركوا أحداً في مدينة ديار بكر «آمد» إلا قتلوه. فلولاً مقاومة عشيرة «كريشيه»^(١) الكردية وصمودها لهم

(١) ورد في ابن الأثير: ج ١٢، ص ٢٠٦، ما ملخصه لما انهزم جلال الدين من التتر على «آمد» نهب التتر سواد آمد، وميفارقين، وارزن وقصدوا مدينة «أسعد» فقاتلهم أهلها أشد القتال، ثم أمنوهم

وإجبارهم على التقهقر، لما تركوا في تلك الديار أحدًا على قيد الحياة. ومن دواعي الأسف أن فرقة أخرى من التتر، سارت من طريق آخر إلى نواحي «ماردين» و«نصيبين» فدمرت تلك الجهات أيضًا تدميرًا كاملاً، كما أن فرقة منهم أيضاً حاولت الإغارة من «أذربيجان» على نواحي «أربل» فاستعد لمقابلتهم كل من حاكم الموصل وصاحب أربل في جهة الداقوق ومعهما شردمة من جنود دار الخلافة، فاضطر التتر إزاء ذلك إلى العدول عن الإغارة المذكورة^(١).

نعود إلى قضية جلال الدين خوارزمشاه، فنقول: إنه بعد انفضاض جموعه من حوله وتفرق شمله، اضطر هو للالتجاء إلى أحد العشائر الكردية سنة (٦٢٨هـ/ ١٢٣١م) ويروى أن كرديًا كان ناقماً عليه أشد النقم من جراء ما ناله منه من الظلم والإهانة، وكان أيضًا قد قتل أخوه في حرب «خلاط» بأيدي الجلاليين الخوارزميين، فترصد له وقتله غيلة من غير علم رئيس الأسرة التي كان السلطان قد لجأ إليها. وهكذا قضى على هذا السلطان الجائر المستهتر^(٢) القضاء الأخير في منتصف شوال من سنة (٦٢٨هـ/ ١٢٣١م) (انظر الجويني. محمد القزويني، الكامل).

واستسلموا، فغدروا بهم وقتلوه عن بكرة أبيهم. ثم ساروا منها إلى مدينة «طنزة» ففعلوا فيها كذلك وساروا منها إلى واد بالقرب من طنزة يقال له «وادي القريشية» فيه طائفة من الأكراد لهم «القريشية» وفيه مياه جارية وبساتين كثيرة والطريق إليه ضيق فقاتله القريشية فمنعوهم عنه وامتنعوا عليهم وقتل منهم كثير فعاد التتر ولم يبلغوا منهم.

(١) والذي في ابن الأثير خلاف هذا وملخصه، وفي أواخر سنة ٦٢٨هـ وصل طائفة من التتر من أذربيجان إلى أعمال أربل فقتلوا من على طريقهم من التركمان الإيوائية والأكراد الجوزقان وغيرهم إلى أن دخلوا بلد «أربل» فنهبوا القرى وقتلوا من ظفروا به وعملوا الأعمال الشنيعة التي لم يسمع بها، فاجتمع كل من صاحب أربل وعسكر الموصل وأرادوا قتال التتر ولكن لما بلغ صاحب أربل عود التتر إلى أذربيجان أقام في بلاده ولم يتبعهم: ج ١٢، ص ٢٠٧.

(٢) يقول صاحب تاريخ كزیده الفارسي أن جلال الدين قد ابتلي في آخر عمره بالسكر لا يفيق منه، وأنه لما قتل كان ثملاً لا يدرك ما حوله. ووصفا لحاله هذه تمثل بالرباعية الفارسية الآتية لقائلها نور الدين المنشئ:

إن مصيبة كردستان على يد جلال الدين هذا عظيمة جدًا، فإنه فضلاً عما تقدم ذكره من إنزال كوارث أخرى بكردستان بأيدي التتر الذين لم يقصدوا هذه الديار إلا مطاردين لهذا السلطان السفاك في سنتي ٦٣٣ و ٦٣٤. فمن ضمن البلاد التي دمرت تمام التدمير فهجرها سكانها معتصمين بالجلال والوهاد ومنوا بالثشت في البلاد: مدن ديار بكر، أرزن، ميفارقين، أسعد، خلاط، ماردين، نصيين. والخلاصة أن الخسائر في الأموال والأرواح كانت كثيرة جدًا.

ولو لم يكن جلال الدين هذا جائراً وسفاكاً للدماء وشرساً جدًا؛ لكان في إمكانه لا ريب، بفضل شجاعته وشدة بأسه، أن يكتسب صداقة الشعب الكردي وثقته الثابتة، فيستفيد من القوى الكردية ضد المغيرين المدمرين من التتر المطاردين له، ويسترد حقه المهضوم وحرية المسلوقة. ولكن أخلاقه المنحطة وطباعه الحادة الشاذة، وميله المفرط لسفك الدماء، أدى إلى القضاء عليه القضاء الأخير، علاوة على تدمير البلاد وإفناء العباد، ولا سيما «كردستان».

وفي سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) أنزل المغول ببلاد «شهرزور» نكباتهائلة، كما أغاروا مرة أخرى على ديار بكر سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) فأعملوا فيها يد النهب والسلب والتقتيل والتدمير.

وفي سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) أرسل «بدر الدين لؤلؤ» حاكم الموصل جيشاً على الملك مسعود آخر الأتابكية في بلدة «جزيرة ابن عمر» بحجة الانتصاف لابنته منه، فقصى عليه واستولى على بلاده.

شاهها زمى كران جه	برخواهد خواسـت
وزمستى بى كران جه	برخواهد خواسـت
شه مست وجهان خراب ودشمن بس وبیش	بیداست كه زين میان جه برخواهد خواست

ومعناها: ماذا عسى أن تكون رغبة السلطان في الخمور المعتقة أو في نشوتها وخمارها؟ إذا كان السلطان سكرانا والعالم خراباً والعدو من بين يديه ومن خلفه يحيط به، فماذا يكون حاله؟

كانت الحكومة الرسولية ^(١) ببلد «تعز» قد استقرت في صنعاء اليمن ابتداء من سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) تمام الاستقرار فكان معظم أولياء أمور هذه الحكومة وكبار موظفيها حتى بعض الأميرات، من العنصر الكردي وهم بقية الأيوبيين الذين كانوا في اليمن. (دائرة المعارف الإسلامية ج ٤، ص ١٥١)

ب- لا يرد ذكر للأكراد إلا قليلاً في الحروب والقتال الذي نشب في عهد الإيلخانيين (المغول). يؤخذ من تاريخ «جهانكشا» أن الولايات الكردستانية في عهد المغول كان يحكمها الأمير «أرغون أغا» والد الأمير «نوروز» الشهير. مما يدلنا على أن هؤلاء الأكراد الذين كانوا قد وصلوا إلى قمة المجد والشهرة في الحروب والمعارك التي دارت رحاها في عهد الأيوبيين، كانوا قد انكمشوا في جبالهم ووهادهم منتظرين زوال المصيبة. لأنهم لم يتمكنوا من الاتحاد التام فيما بينهم لتأسيس جبهة قوية بإمرة رئيس قوي حازم كصلاح الدين مثلاً، يقاومون بها على الأقل ما كان يتهدهم حينئذ من إغارات الغز (الخوارزميين) بقيادة السلطان جلال الدين. ثم سيول المهاجرات التترية التي كانت آخذة في التدفق على هذه البلاد. وما ذلك إلا لتفرق كلمتهم وخذلان بعضهم الآخر أمام الأجانب والمغيرين الغاصبين.

وبعد مضي بضع سنين على هذه الأحوال الأليمة، ظهرت في كردستان والعراق نكبة «هلاكو» الشهيرة، حيث زحف «مالك بن تودان» وهو والد الأمير «جوبان» الشهير وقائد طلائع الجيش المغولي سنة (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) ^(٢) على ولايتي همذان وكردستان ^(٣) الإيراني الذي كان مركزه قلعة «هار» فاستولى عليهما. وفي هذه السنة توجه «هلاكو» بنفسه إلى

(١) الأسرة الرسولية هذه أسرة تركمانية كانوا من رجال الأيوبيين وأتباعهم باليمن. المترجم

(٢) وعلى رأي مؤلف كتاب (تاريخ الموصل ص ٢٣٤) كان ذلك سنة (٦٤٩هـ/ ١٢٥١م). المؤلف

(٣) الغرض من «كردستان» هنا إحدى الولايات الأربعة التي كان يتألف منها إقليم الجبال الشهير، في عهد السلاجقة والتتر بعدهم. لأن «كردستان» بمعنى البلاد التي يسكنها الكرد جميعاً أطلق حديث. فهذا اللفظ، له معنيان معنى خاص ومحدود وهو اسم ولاية كردستان المذكور ومعنى عام وهو اسم للوطن الكردي عامة.

«بغداد» وبطبيعة الحال كانت «كرمانشاه» في طريقه، فأصبحت هذه المدينة بخسائر فادحة في الأموال والأرواح. وكانت فرقة من المغول قد زحفت على «أربل» وضيق الحصار عليها، فأراد حاكمها المدعو «تاج الدين سالابا» الخضوع للمغول وتقديم الطاعة لهم، فعارضت حامية القلعة في ذلك، وكانوا أكرادًا ودافعوا عنها دفاعًا مجيدًا. وبعد ذلك اتفق «بدر الدين لؤلؤ» حاكم الموصل مع المغول الذين كانوا محاصرين قلعة «أربيل» وساعدهم على ذلك فسقطت القلعة في أيديهم بعد مدة وجيزة.

وبعد سقوط «بغداد» وانقراض الخلافة العباسية اضطر سكان «شهرزور» وبعض جهات أخرى للجوء عن بلادهم والهجرة إلى بلاد الشام ومصر، كما أن وجود عشيرتين كرديتين مثل «لادين» و«بادين» في بلاد الجزائر، مما يرجح جدًا أن يكون ذلك نتيجة هذه المهاجرات. (ابن خلدون)

وفي سنة (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م) زحف «هلاكو» من تبريز على «سورية» وقام الجيش المغولي في طريقه إليها، بتدمير بلاد الحكارية من جديد فقتل الناس ونهب الأموال وأزال معالم العمران. وأما تدميره للجزيرة^(١) و«ديار بكر» و«ميفارقين» و«ماردين» فيجل عن الوصف.

وبعد وفاة «بدر الدين لؤلؤ» حاكم الموصل الذي كان خاضعًا للمغول ومخلصًا لهم تمام الإخلاص، تولى الحكم ابنه الملك صالح. ولم يمض على ذلك وقت كبير حتى انخدع الملك صالح بأقوال أخيه فبارح الموصل ولجأ إلى حماية ملك مصر. وأفضى هذا إلى إرسال المغول حملة عسكرية من «جزيرة ابن عمر» على الموصل فدافعت حاميتها التي كانت مؤلفة من الكرد والشول^(٢) والتركمان بقيادة «علم الدين سنجر» دفاعًا مجيدًا وقاتلت المغول أشد قتال.

(١) تسمى الآن في تركيبها باسم «جزيرة» وهي بلدة «جزيرة ابن عمر» الشهيرة في كتب التاريخ. المترجم

(٢) هم إما أهالي مقاطعة «شولستان» بفارس وإما فرقة من عشيرة القشقائي التركمانية. المؤلف.

وفي «سورية» أيضا حارب الأكراد المغول، مشاركين الممالك في قتالهم، حتى أن السلطان «الظاهر بيبرس» ملك مصر يفخر في خطاب له أرسله لقائد المغول «خان برکه» فخراً عظيماً، بجيشه المؤلف من الترك والكرد والعرب.

وبعد انهزام المغول سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) أصلح أحد أمراء الإسلام بين الكرد والتركمان، ونقل طائفة من الكرد إلى كيليكية -أذنة- وأسكنهم فيها.

ومن عجائب القدر أن يكون بعض أكراد فارس قد اتفقوا مع المغول في حروبهم المدمرة بالرغم من العداوة الشديدة بين هذين العنصرين. فقد كان معظم جيش المغول الذي استولى على (جیلان= كيلان) في عهد «أولجايتو خان» من هؤلاء الأكراد. هذا وقد أظهر «بدر الدين» رئيس عشيرة أكراد «راحبا» مقاومة في حروب سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م) ضد المغول.

ولا شك أن البلاد الكردية كانت خاضعة لإدارة الأمراء المغول في هذه العهود، وقد دامت الفتن والثورات ضد إدارة هؤلاء في جهات كثيرة ولا سيما في جهة هولير «أربل» و«الموصل» وكان في الجيش المغولي صنف من النصاري يقال لهم: «كياجي» فكان فريق من الكياجية هذه من ضمن حامية «أربل» فثاروا تحت قيادة رئيسهم «زين الدين بالو» ضد المغول بالاتحاد مع الأكراد والعرب بتلك المنطقة واستمرت هذه الثورة وهذا الانتفاض زهاء ثلاث عشرة سنة ابتداءً من سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م). فتمكن المغول بعدها بكل صعوبة من إبعاد هؤلاء النصاري من قلعة «أربل». وكان المغول في أثناء هذه الثورة قد طلبوا المعونة من الكرد، ولكن زعيم الأكراد امتنع عن ذلك خوفاً من إبادة المحصورين عن آخرهم. (تاريخ ماریا بالاحا المطبوع في باريس سنة

والصحيح أنهم طائفة من أكراد فارس كما ذهب إليه فضل الله العمري صاحب كتاب (مسالك الأبصار في الممالك والبلدان والأمصار) في فصل عقده خصيصاً لذلك فقال في الجزء الخامس منه ص ٤٤ (الفصل الثالث في الشول) راجع المخطوط تاريخ نمرة ٨م دار الكتب المصرية. المترجم

(١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م). وفي هذا العهد أيضًا سنة (٦٩٦هـ) كان تعرض «غازان خان» من الايلخانية لأكراد ولاية الجبال من جراء انحيازهم إلى الأمير «نوروز» مما أفضى إلى تدمير بلادهم ونهب أموالهم وقتل خمسين ألفًا منهم. ويقول كتاب (تاريخ العراق بين الاحتلالين) في هذا الشأن: إن النهب والسلب كانا فظيعين جدًا لدرجة أن بيع عجل بخمسة دراهم، وشاة بدرهم واحد، وشاب بالغ باثني عشر درهماً (ج ١، ص ٣٧٧) وفي محل آخر يقول: إن «خدا بنده» ملك المغول في سنة (٧٠٥هـ) هاجم أكراد ولاية جيلان، ولكنه باء بالفشل وقتل قائد جيشه المدعو «قتلغ شاه» وقد قتله بيده «شمس الدين دوباج» ملك جيلان حينذاك. (ص ٤٠٤).

هذا وكانت المنطقة الواقعة بين «أربل» و«مراغة» مرتعًا خصيبًا لجيش المغول يسرحون فيها ويمرحون. وكانت أغلب حركاتهم الحربية وتنقلاتهم العسكرية، تمر من هذا الطريق، ولا سيما أن مناطق «أشنة» و«سابلاخ» كانت خاضعة لهم.

وفي عهد «أولجايتوخان» نقلت عاصمة إقليم «كردستان» من قلعة «بهار» إلى «سلطان آباد» وقد تخرب هذا الإقليم، وهو الذي تعرض كتاب (نزهة القلوب) لذكر ما كان عليه من السعة والغنى، في عهد السلاجقة فقط، وانحطاط إيراده العام في عهد المغول إلى عشر ما كان عليه في عهد السلاجقة. (ص ٣٧٧)

وفي أيام انحلال الدولة الايلخانية هذه، نشأت أسرتان مغوليتان أخريان فكانتا تتنازعان السيادة وتتنافسان الحكم. كان زعيم إحداهما يدعى «سلدوز» وزعيم الأخرى «جلالير». وبعد مدة قسمت بقية البلاد الخاضعة للمغول بين إدارة هاتين الأسرتين (٧٣٨هـ/ ١٢٣٧م)، فكانت كردستان الإيراني وخوزستان من نصيب أسرة «سلدوز» من أبناء الأمير «اكرنج». وفي سنتي (٧٨٤ و ٧٨٥هـ/ ١٣٨٢م) أسس الأمير «بايزيد الجلاليري» مملكة واسعة لنفسه في خارج كردستان الإيراني والعراق العجمي (لان بول- دوسمان).

obeikandi.com

الفصل الخامس

١ - الكرد حتى ظهور الصفويين

إن الحكومات التركمانية في آسيا الغربية، اللائي كن في خصام دائم مع الحكومة الإيلخانية؛ أخذن يمددن سلطانهن ويسطن نفوذهن على بلاد «كردستان» تدريجياً، بعد سقوط تلك الدولة المغولية، فزحفت جيوش حكومة القره قوينلي التركمانية على المناطق الشرقية من كردستان، واشتبتت مع العشائر الكردية في القتال والنضال السياسي والديني^(١) مما أدى إلى جلاء كثير من السكان والأهالي في تلك الجهات. وكان استيطان أكراد «مكري» في جنوبي بحيرة «أرمية» أي في بلاد «صابلاغ- صاو جبلاق» في هذه الآونة. وقبل أن تستريح البلاد الإسلامية عمومًا وكردستان خصوصًا من البلايا والريازيا التي أصيبت بها من جراء سيول مهاجرات المغول وحملاتهم المدمرة، وقبل أن تستعيد قواها المادية والمعنوية نوعًا ما. أصيبت بمصيبة أخرى وداهية عظمى؛ ألا وهي إغارة «تيمورلنك» السفاك الشهير. فإن هذا القائد الفتاك والسلطان الجائر -بعد أن استولى على أصفهان ودمرها تدميرًا كاملاً وأحدث فيها مذابح عامة، إذ أنشأ أهرامات عظيمة من رءوس سبعين ألفًا من القتلى المظلومين، دلالة على شدة وحشيته وبالغ قسوته- سار نحو بغداد فارتكب في الطريق إليها ما تقشعر منه الأبدان وتشيب له الولدان، وأراق الدماء أنهارًا؛ فاستولى على «بغداد» واضطر حاكمها «أحمد الجلايري» إلى الفرار منها. ثم توجه نحو القوقاس عن طريق كردستان فاستولى على «ديار بكر» و«جزيرة ابن عمر» ودمرها تدميرًا كاملاً، وأحدث أعمالًا وحشية وفظائع لا تحصى، في تلك الربوع وغيرها من بلاد كردستان، فوقعت الأهالي في حيص بيص من جراء هذه الأعمال الوحشية، ودب فيهم الذعر والخوف فاضطروا إلى الجلاء عن المدن والقرى والالتجاء إلى رءوس الجبال وأعماق

(١) لأن معظم طائفة «القره قوينلي» هذه كان من غلاة الشيعة.

الوديان والأحراش. فحاصر تيمورلنك أولاً أمير «حكارى» في قلعة «وان» واستولى عليها، كما أنه ضيق الحصار على جميع القلاع التي مر بها في الطريق فاستحوذ عليها.

وفي غزوة سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٤م) التي حدثت له بعد استيلائه على «بغداد» و«تكريت» وتدميرهما تدميرًا تامًا، توجه تيمور نحو «كردستان» بطريق الموصل. فما كان من أمراء الكرد وحكامهم حينئذ - وهم الأمير «علي» حاكم أربل والأمير «عز الدين الكردي» حاكم الجزيرة والأمير «سليمان» حاكم حصن كيفا والأمير «طاهر الدين» حاكم ماردين - إلا أن ذهبوا مع حاكم الموصل و«أرزن - غرزان» إلى معسكر «تيمور» وقدموا له الطاعة والخضوع به فبهذه الطريقة حفظوا بلادهم من عوادي التدمير والنهب من قبل تيمورلنك. وسار تيمور بعد ذلك إلى ناحية «حلب» تاركًا ابنه «جلال الدين ميرانشاه» مع جيشه في كردستان. وأخذ هذا الأمير الشاب يتحكم في كردستان بدلًا عن أبيه، فقتل من الأهالي مقتلة عظيمة وأحدث في بلاد «حصن كيفا» و«ديار بكر» و«طور عبيد» مذابح عامة، في غاية من الفظاعة والوحشية، مما أدى إلى اندلاع نار الثورة التي اشتركت في إيقادها الأهليون والأمراء مضطرين، ومنهم الأمير «عز الدين الجزيري» الذي كان يتمتع بحظوة لدى «تيمورلنك» في غزوته الأولى لكردستان إذ إنه قدم طاعته له مع من قدم الطاعة له من أمراء كردستان. ولكن جور «توران شاه»^(١) الفاضح وظلمه المتناهي كانا قد اضطراه إلى رفع لواء العصيان والانتفاض على حكم تيمور وأولاده. ولما وصل خبر انتفاض كردستان إلى «تيمور» غضب غضبًا شديدًا فعاد وغزا كردستان ثانية سنة (٨٠٤هـ/١٤٠١م) وانتقم من الأهالي عمومًا والثائرين خصوصًا أشد الانتقام، ولم يمر ببلاد عامرة إلا جعلها قاعًا صفصفًا وقتل من أهلها مقتلة عظيمة، ولا نبالي إذا قلنا إنه لم يبق أحدًا حيًا في بلاد أربل والموصل والجزيرة. ويقول صاحب كتاب (تاريخ الموصل ص ٢٥٣) أنه لم ينج بلد ما من تدمير تيمور في هذه الغزوة، سوى قرية واحدة تدعى «أربو» من قرى الجزيرة، وذلك بفضل قسيس القرية المذكورة.

(١) كذا في الأصل والصحيح كما تقدم ميرانشاه بن تيمورلنك. المترجم

وأما الأمير «شرف الدين البدليسي» الذي قد ذهب إلى تيمور ليقدّم له الطاعة فينقذ بذلك بلاده وبلاد مواطنيه من التدمير فالتقى بجيش تيمورلنك بين «موش» و«ديار بكر» وعرض ملتمسه عليه فأكرم تيمور وفادته وغمره بعطفه، نظرًا لما كان عليه هذا الأمير الكردي من الخلال الحميدة والمزايا الكريمة من حب العدل والاستقامة والعفة، ثم أبقاه في منصبه ولم يتعرض لبلاده. وفي عودة تيمورلنك هذه عن «بغداد» إلى «تبريز» سنة (٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) تعرض جيشه لمهاجمة الأكراد طول الطريق.

هذا وبعد وفاة تيمورلنك سنة (٨٠٧هـ / ١٤٠٥م) عاد قره يوسف أمير «القره قوينلي» التركماني الذي كان فارًا من وجه تيمور، إلى كردستان والتجأ إلى الأمير شمس الدين البدليسي الذي غمره بعطفه وزوجه بنته، ثم عضده في تشكيل حكومة جديدة في تلك الأنحاء. فاعترف الأمير قره يوسف هذا سنة (٨٢٠هـ / ١٤١٧م) رسميًا باستقلال إمارة بدليس.

وفي سنة (٨٢٤هـ / ١٤٢١م) وصل «شاهرخ ميرزا» ابن تيمورلنك في زحفه إلى أرمينية، فاجتمع الأمير شمس الدين البدليسي المذكور والملك محمد حاكم «حكاري» والملك خليل حاكم «حصن كيفا» مع أمير «خيزان» وبعض أمراء آخرين، وذهبوا جميعًا إلى سدة «شاهرخ ميرزا» وعرضوا عليه إخلاصهم وطاعتهم كما فعل ذلك أكراد ولاية «خوى». وهكذا أنقذوا بلادهم من شر ابن تيمور واحتفظوا بمكانتهم.

وبعد أن قضت الحكومة الآق قوينلية التي يقال لها البايندية على حكومة القره قوينلية هذه، تأسست هذه الحكومة في «ديار بكر»^(١) واستقرت أمورها بها نهائيًا. ثم أخذت تحارب ملوك وأمراء كردستان الواحد بعد الآخر، رامية بذلك إلى القضاء على جميع الحكومات والإمارات الكردية (شرفنامه). وتنفيذًا لهذه السياسة اتخذت موالاة

(١) أن حسن الطويل «أوزن حسن» حفيد مؤسس هذه الأسرة، قد نقل العاصمة من «ديار بكر» إلى «تبريز»، وذلك بعد انكسار جيش «أبو سعيد ميرزا» حفيد تيمورلنك أمامه. المؤلف

ومسايرة الأكراد لأسرة القره قوينلية السابقة سبباً ظاهرياً للفتك بأمرائهم والقضاء على الإمارات الكردية، في حين أن هذا السبب لم يكن له ظل من الحقيقة، لأن العلاقات بين الكرد وبين التراكمة القره قوينلية كانت متوترة جداً، نظراً للاختلاف المذهبي الشديد بينهم، فكان النضال السياسي والديني مستمراً بينهم في غالب الأوقات.

هذا؛ وتنفيذاً لهذه السياسة الماكرة، عمد «حسن الطويل» كغيره من الأجانب، إلى الاستفادة من الشقاق والخذلان اللذين يلي بهما الكرد فجعل بأسهم بينهم. وهكذا قضى على الإمارات الكردية، بالقوات والإمارات الكردية نفسها. حقاً إنه من دواعي الأسف الشديد أن تكون هذه القوات الكردية المشتتة بسبب الجهل والشقاق، عاملاً قوياً في القضاء على الإمارات الوطنية، من غير أن تعتبر هذه الإمارات بالحوادث والكوارث الماضية وتنظر إليها نظرة إمعان وتفكير، فتتحد أمام القوات الأجنبية المغيرة على قلب الوطن. بل وإنه تكون آلة صماء في يدي «حسن الطويل» يستعملها كيف شاء؛ فترى مثلاً أن عشائر «جمشكزك» تغير بإشارة من ملك الآق قوينلية على مواطنيها من العشائر الكردية المجاورة، كما أن «صوفي خليل» و«عربشاه» من قواد الملك «حسن الطويل» يعضدهما الأكراد المذكورون يقومون بإغارة شعواء على عشائر «دوملي - دنيلي» بمقاطعة «بهتان» حتى استولوا على البلاد الهكارية. وعلى هذا المنوال سقطتا بلاد الجزيرة نفسها في أيدي تراكمة الآق قوينلية سنة (٨٧٥هـ / ١٤٧٠م). وعلى رواية صاحب كتاب (شرفنامه) نزع «سليمان بيثرن» الذي كان قائداً لجيش الملك «حسن الطويل» قلعة «بدليس» من أميرها «إبراهيم خان» وهو الذي قتله فيما بعد ظلماً وعدواناً الأمير يعقوب بن حسن الطويل. (دائرة المعارف الإسلامية: ج ٢).

٢- الكرد في عهد الدولة الصفوية^(١) وظهور العثمانيين

استولى الشاه إسماعيل الصفوي على أرمينية في أول حروبه مع الآق قوينلية. وفي سنة (٩٠٨هـ) وقعت بينه وبين السلطان «مراد» من سلاطين الآق قوينلية، ملحمة كبيرة على مقربة من مدينة «همدان» فاستولى هو على أقاليم العراق العجمي، وخوزستان، وفارس، الواحد بعد الآخر. وفي سنة (٩٠٩هـ) جرد حملة كبيرة على «صارم بك» وأطلق يد النهب والسلب في نواحي «أرمية» و«أشنه» وقتل من سكانها مقتلة عظيمة. وبعد عام اخترق كردستان الأوسط فوصل إلى «ألبستان» حيث نازل بجواره «علاء الدين ذي القادري» فكسره شر كسرة. ثم رجع إلى جهة «ديار بكر» فاستولى عليها. (تاريخ عالم آرا)

وكان عهد الشاه إسماعيل وسيره في الكرد، مثل عهد تراكمة الآق قوينلية عهد ظلم وعدوان شديدين، لأن الكرد كانوا من أهل السنة فكان لا يأمن جانبهم ولا يثق بهم، بخلاف التركمان الذين كانوا من غلاة الشيعة والرافضة فلهذا لم يكن يدع فرصة تمر من غير أن ينتهزها ويلحق فيها بالأكراد أذى كبيراً. فمن ذلك أنه قدم مرة إلى بلدة «خوى» فتقدم إليه أحد عشر أميراً من أمراء الكرد مقدمين له الطاعة والخضوع، فما كان منه إلا أن ألقى القبض عليهم جميعاً - على خلاف ما كانوا يأملونه منه - وزجهم في السجن وعين بدلهم ولاية القزلباشية في إماراتهم الموروثة، فكان من ضمن هؤلاء الأمراء المنكوبين «الملك خليل» حاكم «حصن كيفا» وزوج أخت الشاه إسماعيل نفسه، حيث لبث في سجن

(١) تنحدر هذه الأسرة من ذرية «الشيخ صفي الدين» الأردبيلي الذي كان شيعياً معروفاً بالزهد والورع. وكان يزعم أنه من أحفاد الإمام السابع «موسى الكاظم». وكان له ثلاثة أولاد يدعون «علياً وإبراهيم وجنيداً» اشتروا أيضاً بالزهد والتصوف والوطنية الشديدة، فأعلوا بذلك صيت هذه الأسرة بين الناس. فكان للشيخ جنيد بالأخص شهرة فائقة في ذلك. حتى هدده السلطان «جهانشاه» القره قوينلي مراراً، الأمر الذي اضطره إلى الالتجاء إلى حسن الطويل بديار بكر فبقي عنده مكرماً حتى تمكن من تزويج ابنه حيدر من ابنة حسن الطويل فولدت له إسماعيل. فالشاه إسماعيل هذا، هو وليد هذا الزواج. المؤلف

تبريز ثلاثة أعوام كاملة، إلى أن نجا منه على إثر انكسار الشاه أمام السلطان سليم العثماني في معركة جالديران الشهيرة.

فهذه المعركة التي حدثت سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) أفضت إلى ضعف شوكة هذه الدولة الشيعية وتضاؤل نفوذها، ولم يعد لها ذلك السلطان والنفوذ اللذان كانت تتمتع بهما سابقاً. حتى إن الانتصارات الأخيرة التي نالها أحفاده فيما بعد لم تعوض عليها شيئاً من ذلك. لأن نفوذ هذه الدولة لم يتجاوز فيما بعد جبال «زاغروس» قط. هذا وكانت خطة الشاه إسماعيل السياسية نحو كردستان ترمي مثل الحكومات السابقة إلى القضاء على الحكومات الكردية والإمارات المحلية الوطنية. لإحلال النفوذ والسلطان القزلباشي الشيعي، محل سلطان تلك القوى الوطنية. وذلك على عكس السياسة العثمانية التي نفذها الترك آنئذ، بواسطة الفاضل الشهير مولانا «إدريس البدليسي» في كردستان. فهذه السياسة التركية كانت ترمي إلى إرضاء الكرد واستمالة قلوبهم بوضع أنظمة إدارية صالحة تتفق ورغبة الأهالي نوعاً ما. وفعلاً توصل العثمانيون لأغراضهم هذه بفضل هذه السياسة. حيث ندب السلطان سليم العثماني أثناء غزواته لإيران، من معسكره بـ«آماسية» الشيخ حكيم الدين إدريس البدليسي عدة مرات، للذهاب إلى كردستان لأجل الاتصال بأمرائه ورؤساء العشائر الكردية به، والعمل على إثارتهم على الشيعة وعلى رئيسهم الأكبر الشاه إسماعيل الصفوي. وفي الواقع أن الشيخ نجح في مهمته نجاحاً تاماً واثارت بلاد كردستان من أقصاها إلى أقصاها ضد الإيرانيين، بعد معركة «جالديران» الشهيرة. فبادر أهالي «ديار بكر» إلى رفع لواء الثورة وطرد نائب «محمد خان ابن الاستاجلي» حاكم كردستان من قبل الشاه، من البلد وتقديم الطاعة إلى الدولة العثمانية. وقام في الوقت نفسه «شرف بك» أمير بدليس ورفع الراية العثمانية على قلاع إمارته طارداً أخاه «خالد بك» الذي كان أميراً على البلاد من قبل العجم وهكذا ثار «الملك خليل» الوارث الشرعي لإمارة «حصن كيفا» و«سعد» من السلالة الأيوبية الشهيرة على الشاه إسماعيل لاسترداد بلاده واسترجاع مكانته. لأنه كان قد قبض عليه من قبل الشاه وأعطيت بلاده لقره خان العجمي أخي محمد خان ابن الاستاجلي السابق الذكر. وكان «قره خان» هذا قد تمكن من الاستيلاء على

«سعد» وحاول مرارًا الاستيلاء على «حصن كيفا» أيضًا فأخفق في مسعاه ولم يتمكن من الاستيلاء عليه. واسترد أمير صاصون «محمد بك» بلاد «هرزن»^(١) - «غريزان» من أمير خيالة الشاه إسماعيل، كما أن «سيد أحمد بك الزرقى» بتعصيد من أهالي «ديار بكر» استرد بلدي «آتا- عتاق» و«ميفارقين». واسترد «قاسم بك» قلعة «أكيل». وكذا استولى «جمشيد بك» المرديسي على مدينة «بالو» باسم السلطان سليم العثماني. وطارد «بختي بك»^(٢) قائد موقع جزيرة ابن عمر ومن كان معه من الإيرانيين في تلك الأنحاء. واسترد «سيد بك بن شاه علي» أمير «السوران - السهران» بلاد «كركوك» و«أربل». وخلاصة القول: أنه فضلًا عما تقدم، فإن ستة عشر أميرًا من الأمراء الكرد، كانوا قد التحقوا بالسلطان سليم العثماني في موكبه العالي في غزوة إيران.

ورغمًا عن كل هذا، رأى السلطان سليم أن المصلحة تقضي بنبذ مولانا الشيخ إدريس البدليسي للعمل على تأمين انضمام كردستان وأمرائه وزعمائه المنتشرين من بحيرة «أرمية» حتى ما وراء «ملطية» بمملكة آل عثمان.

وبعد أن غادر السلطان سليم مدينة «تبريز» عاصمة الصفويين حينذاك، ظافرًا، عاد إليها الشاه إسماعيل مهزومًا وأصلح من شأنه، حتى تمكن من جرد حملة عسكرية بقيادة «قره خان» على «ديار بكر». فسلك «قره خان» هذا طريق «جياقجور» واتصل بحاميات قلاع «ماردين» و«الرها» من الإيرانيين فاستصحبهم وزحف بهم جميعًا على «ديار بكر» وحاصرها حصارًا شديدًا، فدافع الأهليون دفاع الأبطال وأرسلوا إلى السلطان سليم المعسكر بأماسية يطلبون منه النجدة، فأرسل إليهم قوة لا بأس بها بقيادة «حاجي يكتا»^(٣)

(١) هي بلاد «أرزن» ديار بكر، المذكورة في كتب التاريخ وفتوح البلدان. وهي غير «أرزن الروم» التي هي قلعة «قالقلا» سابقا، وقلعة «أرضروم» حالا.

(٢) الصحيح أن «بدر بك» البختي حاكم الجزيرة أرسل قوة لمنع الإيرانيين من إنجاد قواتهم المحصورة في ماردين. المترجم

(٣) في تاريخ هامر «حاجي يكتا أحمد» وفي «تاج التواريخ» لسعد الدين أقدم التواريخ العثمانية في اللغة التركية (بكد أحمد وهو أمدي الأصل ومن رجال الحاشية السلطانية). المترجم

تمكنت هذه القوة من شق صفوف المحاصرين الإيرانيين والدخول إلى القلعة تأييداً للمحصورين. وأرسل الشاه إسماعيل كذلك نجده لقائد جيشه «قره خان» المذكور. وبينما كانت النجدة الإيرانية سائرة في أطراف «أرجيش» بين الجبال والأدغال، كان مولانا الشيخ إدريس البدليسي قد تمكن من حشد القوات المبعثرة من الأكراد في بلاد «بدليس» و«خيزان» و«مكس» و«صاصون» فباغت بها القوات الإيرانية القادمة لنجدة المحاصرين في جهات «أرجيش» وشتتها شذر مذر.

ودام حصار العجم لديار بكر سنة ونيّفًا، مات خلالها من الأهالي والمدافعين من جراء الحرب والأمراض زهاء خمسة عشر ألفاً من الناس. ولكن هؤلاء الأبطال الذين كانوا منذ أربعة عشر عاماً في حروب مستمرة وقاتل دائم ضد الغاصبين المدمرين، كانوا قد أخذوا على عاتقهم الدفاع إلى النهاية مهما كلفهم من التضحيات.

ولما وصل مولانا الشيخ إدريس إلى بلدة «حصن كيفا» تلقى خطاباً من السلطان سليم يخبره فيه بإرسالة نجدة كبيرة تحت قيادة «محمد باشا البيقلي»^(١) إلى «ديار بكر». فكتب مولانا الشيخ هذه البشرى في ورقة ولفها في جناح حمامة من الحمام الزاجل وأطارها إلى المحصورين، فوصلتهم وقويت بها قلوبهم. وكان السلطان طلب في خطابه أيضاً أن تتحد كلمة جميع الأمراء الكرد، فأبلغهم الشيخ ذلك في جمع حافل. وكان السلطان قد كتب إلى محمد باشا البيقلي بالاجتماع بالشيخ في بلدة «حنص كيفا». وقد تم اجتماع مولانا الشيخ بالبasha بحصن كيفا، مع القوات الكردية المؤلفة من عشرة آلاف نفس بقيادة كل من قاسم بك وجمشيد بك وحسين بك من الأمراء الأكراد. فزحفوا جميعاً على قوات «قورد كب» من قواد الإيرانيين فأبادوها ثم ساروا إلى «ديار بكر» لضرب المحاصرين الإيرانيين. فلما وصل الخبر إلى «قره خان» قائد العجم ترك حصار «ديار بكر» ولاذ بالفرار نحو «ماردين» وبعد قليل من الزمن وصل جيشا مولانا إدريس ومحمد باشا البيقلي إلى «ديار بكر» فدخلها من غير حرب ولا قتال. وبعد إنقاذ «ديار بكر» تقرر الزحف على

(١) أي محمد باشا أبو شارب. المترجم

«ماردين» بتوصية من مولانا الشيخ إدريس الذي أصدر منشورًا إلى أهالي «ماردين» صممه آيات من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة؛ الأمر الذي جعل الأهالي يتأثرون بذلك المنشور، فأرسلوا مندوبًا من قبلهم يدعى «سيد علي» إلى الشيخ ليفاوضه في شروط التسليم واستصدار العفو عن السكان. وبعد إتمام المفاوضة مع الشيخ والملك خليل، عاد المندوب إلى القلعة لتنفيذ ما اتفقوا عليه من فتح أبواب المدينة والعمل على تسليم حامية العجم بها؛ ولا سيما أن «قره خان» كان قد خشى الدخول في قلعة «ماردين» وأثر الانسحاب إلى ناحية قلعة «سنجار»، مما سهل ذهاب قوة كردية بقيادة الملك خليل ومعه مولانا الشيخ إدريس إلى «ماردين» وتسلم المدينة. ولكن الحامية الإيرانية كانت قد تحصنت بالقلعة الداخلية، فأبى التسليم والنزول. وكانت هذه القلعة على جانب عظيم من المناعة والحصانة حيث عجز «تيمورلنك» الجبار عن الاستيلاء عليها في المرتين اللتين حاصرها فيهما.

هذا ولما دب الخلاف بين القائدين التركيين «شادي باشا» و«بيقلي محمد باشا» وعاد «شادي باشا» إلى الأنضول، قبل الاستيلاء على «ماردين» كتب مولانا الشيخ إدريس إلى السلطان سليم يطلب النجدة فأرسل إليه السلطان قوة مؤلفة من عشرين ألف جندي بقيادة «خسرو باشا» في ربيع سنة ١٥١٦ م (أوائل سنة ٩٢٢ هـ) كما أن «قره خان» القائد العجمي انتهاز الفرصة فعمل على تقوية حامية قلعة «ماردين» وأرسل قوة من الحرس الشاهاني مؤلفة من (٦٠٠) قوروجيًا^(١) بقيادة حاكم «همدان» و«كلشهر»^(٢) على قلعة

(١) قوروجي، معناه الحارس والحامي. وفي الاصطلاح نوع من الحرس الشاهاني الإيراني.

(٢) كذا في الأصل، نقلًا عن هامر: ج ٤، ص ١٦٥ الترجمة التركية. والذي في «تاج التواريخ» أن الشاه إسماعيل أرسل لنجدة قره خان قوات «يكان بك» حاكم همذان «وجوقا سلطان» حاكم أكراد الكلهر ومعهم ستائة قوروجي عن طريق سنه وكركوك فوصلت هذه القوات إلى بغداد وانضمت إلى قوة حاكمها «قيغر سلطان» الذي تولى القيادة العامة لهذه النجدة الكبيرة وكلف بالتوجه نحو ماردين. غير أن الملوك الكرد كانوا قد احتلوا جميع مضائق كردستان وطرق أذربيجان، حتى أن «بدر بك» من ملوك الأكراد البختية وحاكم الجزيرة العمرية، كان قد أرسل «سيد أحمد بك» حاكم «كركيل بختان»

«سنجار». فالتقت هذه القوة الإيرانية بها بقوات «أبي المواهب جليبي» من أبناء مولانا الشيخ إدريس، وقوات أمير الجزيرة، وبعد قتال خفيف دار بينهما تمكن «أبو المواهب جليبي» من الانسحاب بجيشه، عن طريق القوة الإيرانية التي وصلت إلى «ماردين» التي كانت هي و«حصن كيفا» لا تزالان تحت سيطرة الأعجام لغاية تلك الساعة.

ولما التقى جيش «خسرو باشا» بجيش «محمد باشا البيقلي» رأى مولانا الشيخ أن الظروف مؤاتية بالشروع في الهجوم حالاً، إلا أن «محمد باشا» لم يعمل بهذه المشورة وفضل أن يرسل بادئ ذي بدء، قوة مؤلفة من أربعة آلاف بقيادة «حسين بك» حاكم خربوط^(١) تقوم باستطلاع حال العدو، فذهبت هذه الطليعة والتقت بالأعجام ودات بينهما حروب شديدة لم ينج من جنود الطليعة المذكورة سوى ألف نفس عادوا منهزمين لا يلوون على شيء. ثم التقى جيش «محمد باشا البيقلي» بجيش «قره خان» على مقربة من «قوجحصار» القديم^(٢) فكان جيش «خسرو باشا» البالغ عدده ستة آلاف من الخيالة في ميمنة العثمانيين والقوات الكردية المؤلفة من أربعة آلاف نفس بقيادة مولانا إدريس ومعه من أمراء وملوك الكرد، الملك خليل الأيوبي و«محمد بك ابن علي بك» حاكم صاصون، وأمراء شروانات و«قاسم بك» أمير «أكيل»، و«شرف بك» أمير بدليس و«داوود بك» حاكم نميران، و«أحمد بك» الزرقي حاكم «آطاق - عتاق - هتاخ» و«شاه ولد بك» السلياني كل هؤلاء في الميسرة، وكان «محمد باشا البيقلي» في القلب. فقامت حرب ضروس بين الطرفين ودارت رحا معارك حامية، فظهر الوهن والضعف في صفوف الأعجام فأصيب قره خان

كوركيل البختية» ومعه أكثر من مائتين من أبطال الكرد لقطع الطريق على قوات «يكان بك» و«جوقا سلطان» اللذين كان معهما ألفان من الجنود الإيرانية. وفعلاً نشب القتال بين هاتين القوتين بصحراء سنجار فكان النصر حليف القوات الكردية. وليس في هذا المصدر كما ترى ذكر لأبي المواهب جليبي.

(١) هي القلعة التي كان يطلق عليها في صدر الإسلام «حصن زياد» كما ورد في الكامل لابن الأثير.

والآن هي مركز ولاية «العزیز» بتركيا.

(٢) الظاهر أنه «دنيسر» المدينة التاريخية القديمة. المترجم

برصاصة طائشة قضت عليها حالاً وازداد حث مولانا الشيخ لأمراء الكرد وتشجيعهم على مطاردة الأعداء والضرب في أقفيتهم حتى أوصلوهم إلى جوار «ماردين».

وكان من نتيجة هذه المعركة الدموية أن سقطت مدن وقلاع «ارغنى» و«سنجار» و«تلعفر» و«جرميك» و«سواك» و«بيره جك - البيرة» في أيدي العثمانيين، كما أن مدينة «ماردين» خضعت للجيش الغالب، ولكن قلعتها أبت التسليم، وكان قائد حاميتها حينئذ «سليمان خان» أخو «قره خان» فجاء خسرو باشا وحاصر هذه القلعة المستعصية ودام حصاره لها مدة سنة لم ينل منها وطراً. وأرسل السلطان سليم الأول بعد أن تم له فتح «حلب» والشام نجدة كبيرة بقيادة محمد باشا البيقلي أيضاً ومعه كثير من المدافع الضخمة فاستخدمها محمد باشا في ضرب قلعة «ماردين» فسقطت بعد حروب ومعارك دامية. ثم سقطت قلاع «حصن كيفا» و«الرها» و«الركة» و«الموصل» على التوالي.

وبعد تمام الاستيلاء على هذه القلاع المنيعه، خضعت مدن وبلاد تلك المنطقة كلها لحكم العثمانيين، كما أن العشائر الكردية الضاربة في سهول وصحاري تلك الجهات مثل الروشنى والحريري والسنجاري والأستاجلي والجزيري، وكذا عشيرة الموالي العربية قدمت الطاعة والخضوع، الواحدة تلو الواحدة للدولة العثمانية.

والخلاصة: أن جميع البلاد الكردية دخلت في حكم العثمانيين هكذا عن طواعية ورضى، بفضل دراية مولانا الشيخ إدريس وسياسته الرشيدة، وهمة محمد باشا وشجاعته الفائقة. فبعد ذلك كله أخذ الشيخ في وضع الأنظمة الإدارية الكافلة لرقى هذه البلاد التي كانت مضطربة غاية الاضطراب من جراء القلاقل والفتن والحروب المتوالية، فنالت هذه التدابير والأنظمة التي ترمي إلى تقدم البلاد في ظل الإمارات الكردية والإدارات المحلية المشمولة بالسيادة العثمانية، القبول والموافقة لدى جلالة السلطان سليم. فأرسل له فرماناً شاهانياً بذلك، كما أرسل له سبعة عشر علماً وخمسمائة خلعة من الخلع السلطانية الفاخرة لتوزيعها على رؤساء الحكومات والإمارات الكردية الوارثين الحكم عن أجدادهم كابراً

عن كابر، وأرسل إلى مولانا الشيخ خاصة ^(١) هدية ثمينة عبارة عن خمسة وعشرين ألفاً دوقه ذهب ^(٢).

فقسم مولانا الشيخ مقاطعة «ديار بكر» إلى عدة سناجق، تسيهلاً للأُمور الإدارية. وبعد ذلك طبق هذا النظام البديع نفسه على مقاطعتي «الرها» و«الموصل». لأن أحوال البلاد الخاصة ونزوع رؤساء العشائر التي فيها إلى الحرية والاستقلال، وميل السكان الدائم إلى الحرية والانطلاق وامتشافهم الحسام في سبيل ذلك - كل ذلك لم يكن ليساعد على تأسيس إدارة مركزية واحدة. وذلك لأن مولانا الشيخ بفضل تدابيره الصائبة وسياسته الرشيدة، كان قد تمكن بكل صعوبة وببذل مجهود كبير من إقناع هذه البلاد المستعصية، بقبول السيادة العثمانية والانضواء تحت لوائها. ولا شك في أن المحافظة على

(١) كذا في الأصل. وبالرجوع إلى ترجمة هامر، وجد أن كلا من الأعلام والخلع والخمسة والعشرين ألفاً من الذهب الدوقة أرسلت للشيخ إدريس لتوزيعها على الأمراء والحكام الخاضعين، ولكن الذي في «تاج التواريخ» الذي هو أقدم وأهم مصدر في هذا الموضوع، أن هذه الأشياء أرسلت إلى بيقلي محمد باشا لتوزيعها على أمراء ديار بكر وملوك الأكراد وحكامهم، مع المبالغ التي أرسلت له (خاصة). بدليل أن فرمان الذي صدر إلى الشيخ لا يتعرض لذكر هذه الأشياء كما نذكر تمام نصه قريباً. المترجم

(٢) العهود والمواثيق التي قطعها مولانا إدريس باسم السلطان، لأمراء كردستان، كانت تحتوي فيما أظن على المواد الآتية:

- ١- الاحتفاظ باستقلال وحرية الإمارات الكردية.
 - ٢- أن تنتقل الإمارة عند خلوها عن شاغلها من الأب إلى أولاده - الذكور طبعاً - أو يتصرف فيها حسب الأصول المحلية القديمة، فيصدر فرمان سلطاني بالموافقة على ذلك.
 - ٣- يساعد الكرد الترك في جميع حروبهم.
 - ٤- يساعد الترك الكرد ضد الاعتداءات الخارجية.
 - ٥- يدفع الكرد الصدقات والرسوم الشرعية لبيت المال الخاضع للخليفة.
- وأبرمت وثيقة هذه العهود والمواثيق المعقودة بين السلطان وبين الحكومات والإمارات الخاضعة له بكردستان في سنة (٩٢٠هـ / ١٥١٤م). ولكن الحكومة التركية نقضت شروط هذه المعاهدة بعد خمسة عشر عاماً من التوقيع عليها، شيئاً فشيئاً حتى أتت على آخر إمارة كردية ١٨٥٠م. المؤلف

هذه النتيجة الحسنة والسياسة الرشيدة كانت تقتضي إنشاء إدارة مستقلة عن الإدارة العثمانية المباشرة، في بلاد كردستان تتفق وميول ورغائب سكانها ومؤسساتها الوطنية.

وكانت ثقة السلطان بمولانا الشيخ في هذه الأمور عظيمة جداً، حتى إنه أرسل إليه فرمانات عديدة على البياض ليملاًها مولانا بمعرفته ويوزعها على من يشاء من الأمراء والزعماء وكل ذي حيثة^(١).

(١) ندرج هنا نص فرمان الصادر من السلطان سليم إلى مولانا إدريس نقلاً من تاج التواريخ: ج ٢، ص ٣٢٢، لمؤلفه خوجه سعد الدين، ثم نعبه بترجمته الحرفية، بدلاً من ملخصه الذي كان الأصل نقله من تذييلات ترجمة تاريخ هامر التركية.

صورت فرمان عالیشان شاه باكرم

«عمدة الأفاضل، قدوة أرباب الفضائل، سالك مسالك طريقت، هادئ مناهج شريعت، كشاف المشكلات الدينية، حلال المعضلات اليقينية، خلاصة الماء والطين، مقرب الملوك والسلطين، برهان أهل التوحيد والتقديس مولانا حكيم الدين إدريس، أدام الله تعالى فضائله: توقيع رفيع همايون واصل أوليجق معلوم أوله كه شمديكيخالده سدهء سعاد نمه مكتوبك واصل أولوب، سندن أومولان حسن ديانت وأمانت وفرط صداقت واستقامتكم مقتضا سنجه، ديار بكر ولايتينك فتح كايسنه باعث أولد يغك إعلام أولنمش يوزك أغ أو لسون إنشاء الله الأعز ساءر ولا يتلرك دخى فتحنه سبب كللى أوله سين. بنم أنواع عنايت عليه خسروانم سنك حقنده مبذول ومنعطفدر والحالة هذه آخر شوال مباركه دكين واقع أولان علوفه كزايله ايكي بيك سنكهء أفرنجية فلورى، وبرسمور وبروشق وايكى مربع صنوف وايكى جوقه، وبو نلردن غيرى برسمور وبروشق كروك قابلو صوفلر دخى، وبوفرنكى كمخا غلافلو مذهب قلعج انعام وإرسال أولندى، انشاء الله الأكرم وصول بولدقده صحت وسلامتله ألوب مصارفكه صرف ايلييه سين. مقابلهء خدمات ومجازات استقا متكده واخلا صكده أنواع عواطف جليهء خسروانم سزاوار اولوب بهره مند أوله سين. وديار بكر جانبندن سزه اتباع ايدوب كلن بكلكم مقابلهء صداقت واخلاص ومحاذات خدمات واختصاص صليرنه كوره أول ولا يتده، توجيه وتعيين أولان سنجقلىرنك وبلكرينك أحوالى وألقابى ومقاديرى سنك معلومك أولديفى اجلدن. افتخار الأمراء العظام، ظهور الكبراء الفخام، ذو القدر والاحترام، صاحب المجد والاحشام، المؤيد بأنواع تأييدات الله الملك الصمد، ديار بكر بكلكم بكييسى «محمد» دام اقباله يه نشان شر يفمله معنون بياض أحكام شريفه ارسال أو لندى. كركدركه أول جانبده هربكه توجيه أولنان ولايتك أحوالى ونوجله توجيه أو لنوب، وأول بكلكم القابى ومقاديرى نه

اسلوب ايله اولمق مناسب ايسه براتلری انشا اولنوب یازی ویره سز. ومفصلاً اول یازیلی برواتک صور تلری وتیارلرینک مقدار لرینی دخی بر صورت دفترا یدوب سدهء سعادتمه دخی ارسال ایده سزکه، بونده دخی حفظ اولنوب هر خصوص مفهوم ومعلوم اوله. وهر بکه نه سنجق ویرلدیکی ونوجهله تفویض اولندوغی والقابلری نیجه یازلدوغی ورعا یتلری والعاملری نوجهله اولدیغی برسبیل تفصیل اعلام اولنوب. اما بروجله ترتیب وتعیین اولنه که بری بری اراسنده اولان اساس ارتباط تزلزل وتخلل بولمق احتمالی اولیه. واول برواتدن غیرى استمالت نامه لر کوندردلک لازم اولان بکلرا ییچون نشانلو بیاض کاغد لراسال اولندی. آنلردخی هر بکه نوجهله استمالت نامه کوندردلک مناسب ايسه انشا اولنوب انعاملری برله ارسال اولنه. وآنلرک مفصلاً صورتلرین وانعامده نوجهله رعایت اولند قلرین، اول بروات صور تلری ايله برد فتر ایدوب درکاه جهان یناهمه ایصال ایده سزکه، هر خصوص بونده دخی مفصل ومشروح معلوم اوله. وبوجانبده اولان مهیات سلطانی مراد شریفهم اوزره یتشمشدر. انشاء الله الاعزیم عنان عزیمتم اول جانبیه منعطف ومنصرفدر. اول بکلرک حقنده دخی عواطف علیهء خسروا نم ملاحظه ایتدکار ندن زیاده در وشمید یکی حالده اردبیلی اوغلی اسماعیل بر تضلیل سدهء سعادتمه حسین بك نام وبهرام اغا نام آدملری رسالت خدمتته کوندروب تقریرا وتحریرا انواع عبودیت وتضرع لر عرض ایدوب، مایبنده صلح وصلاح میسر اولورسه، اول جانبده نه مراد اولورسه رضای شریفم اوزره قبول صورتن کوستروب انواع تمقلقلر ایلمش. اما آنک کلماتنه وصلاحنه قطعاً اعتماد جائز اولمدیغی اجلدن مذکور ایلیجیلری «دیمتوقه» حصارنه وسائر آردملرینی «کلید البحر» قلعه سنه حبس ایتدردم. سن دخی کرکدر که مقهور مزبورک امورنده أحسن تدبیر، نه ايسه آنک تدبیر نده اولوب، دولت ابد بیوند روزافزونم مهام ومصالحنده مجد وساعی اوله سین، من بعد اصناف آثار جمیلة کوزسانح ولایح اوله. شویله بیله سین علامت شریفه اعتماد قله سن.

تحریراً فی اواسط شهر شوال المبارک سنة إحدى وعشرين وتسعمائة الهجرية بمقام دار الخلافة- أدرنه»

الترجمة

عمدة الأفاضل، وقدوة أرباب الفضائل، والسالک مسالک الطریقة، والهادئ إلى مناهج الشریعة، کشف المشکلات الدینیة، وحلال المعضلات الیقینیة، وخلاصة الماء والطين، مقرب الملوک والسلاطین، برهان أهل التوحید والتقدیس مولانا حکیم الدین «إدریس»، أدام الله فضائله:

لیعلم عند وصول الفرمان العالی الهايوني، أن کتابکم وصل الآن إلى سدتي السعيدة مفیداً بشری تسبیکم فی فتح ولاية «ديار بكر» کلها، علی مقتضى حسن ديانتك وأمانتك، وفرط صداقتك

واستقامك؛ كما هو المأمول منك بيض الله وجهك. وإن شاء الله الأعز تكون سبباً فعالاً في فتح سائر الولايات. وأنواع عناياتي العلية الملكية متوجهة إليك ومبذولة في حقك.

وقد أرسل مع مخصصاتكم إلى آخر شهر شوال المبارك، ألفا جنيه ذهب (فلورى) وفروة سمور وأخرى وشق و(مربعان- ثوبان) من الصوف واثنان من الجوخ وكذا كرك من الصوف مبطناً بفروة سمور وآخر مبطناً بفروة وشق وسيف مذهب بغلاف مكسو بجوخ أفرنجي. فلدى وصولها إليك إن شاء الله الأكرم، تتسلمها بالصحة والسلامة وتصرفها في نفقاتك. ودمت متمتعاً بها أنت جدير به من أنواع تعطفاتي الملكية الجليلة، تقديراً لخدماتك ومكافأة لاستقامتك وإخلاصك.

وبما أن الأمراء الذين أتوا من ديار بكر وتابعوك، معلومة لديهم أحوالهم وألقابهم ومقادير ما يخصهم لهم من السناجق -ألوية- في تلك الولاية، وبالنسبة إلى صداقتهم وإخلاصهم واختصاصهم وخدماتهم، فقد أرسلت مراسيم ملكية شريفة، على البياض، معنون أعلاها بعلامتي الملكية الشريفة، إلى افتخار الأمراء العظام، ظهير الكبراء الفخام، ذي القدر والاحترام، صاحب المجد والاحتشام، المؤيد بأنواع تأييدات الملك الصمد، أمير أمراء ديار بكر «محمد» دام إقباله. فينبغي أن تكتبوا البراءات السلطانية عن أحوال السناجق التي خصصت لكل أمير وكيفية توجيهها وألقاب هؤلاء الأمراء، ومقادير إقطاعاتهم على الأسلوب المناسب مع تسجيل صور تلك البراءات السلطانية تفصيلاً، ومقدار إقطاعاتهم في دفتر خاص وإرساله إلى سدي السعيدة، ليحفظ هنا وليكون كل شيء مفهوماً ومعلومًا، مع مذكرة تفصيلية عن السناجق -المقاطعات- التي وجهت إلى الأمراء وكيفية تفويضها، ووجه كتابة ألقابهم، ونوع الأنعام، بشرط أن يكون هذا التوزيع والتخصيص لا يخلان بالأصل بحيث لا يحتمل أن يؤدي إلى تزلزل ما بينهم من أسس الارتباط. وأرسلت أيضاً أوراق بياض متوجة بالعلامة الشريفة السلطانية، لأجل إرسالها إلى أمراء يلزم إرسال كتب استئالة إليهم، فتحرر كتب الاستئالة على الصورة المناسبة وترسل إليهم مع الإنعامات الملكية، فتدون صور تلك البراءات السلطانية وكيفية إنعاماتهم، ووجوه مراعاتهم في دفتر خاص، وتبعثون بها إلى سدي التي هي ملجأ العالم، ليكون كل شأن منها معلوماً هنا على التفصيل.

وأن المهام السلطانية في هذا الجانب قد تمت حسب رغبتى الشريفة، فإن شاء الله الأعز سيعطف عنان عزيمتي ذلك الجانب، وثقوا أن عظمي السامي على هؤلاء الأمراء أكبر مما يأملونه.

هذا وقد أوفد الآن إسماعيل الضاللي ابن الشيخ الأردبيلي، المدعويين حسين بك وبهرام أغا من رجاله بسفارة إلى سدي السعيدة، يعرض بواسطتهما تقريراً وتحريراً أنواع الخضوع والطاعة ويتضرع ويلتمس، بضروب من الملق والدهان عقد الصلح والسلام، قائلاً إنه يقبل جميع ما أطلبه وابتغيه من ذلك الطرف بلا قيد ولا شرط. ولكن لا يجوز الاعتداء على قوله وخلوص نيته، فلذا أمرت بحبس الرسولين المذكورين في قلعة «ديمتوقه» وحاشيتهما في قلعة «كليد البحر». فيجب عليك أن تقوم

هذا وكانت ولاية «ديار بكر» مقسومة حسب النظام السابق ذكره إلى تسعة عشر سنجقاً. منها أحد عشر كانت على شاكلة الوحدات الإدارية بالأنضول، تحت حكم الترك المباشر. والثمانية الباقية كانت مستقلة تحت حكم الأمراء الأكراد الوطنيين، وهي كما يأتي: صمغان، قوالب، مهرانيه، ترجيل، آتاق، برتك، جياقجور، جرميك.

فكانت الإمارة في هذه السناجق وراثية تنتقل من الأب إلى الأبناء، وفضلاً عن هذا، كانت هناك في تلك الولاية خمس حكومات تابعة للسلطان مباشرة وهي: حكومة «أكيل»، وحكومة «بالو»، وحكومة «جزيرة ابن عمر»، وحكومة «حازو = حظو» وحكومة «كنج».

وعلى رواية كتاب «جهاننا» زيدت على هذه الحكومات أخيراً حكومتان أخريان، حكومة «الخابور» وحكومة «المشكرد - لعله الشكرد». فكان رؤساء هذه الحكومات التابعة، في رتبة الميرميران، وكانوا مستقلين في جميع أمورهم الداخلية تمام الاستقلال (شرفنامه، اولياجللي، مؤذنزاده، هامر).

ولم يكن هذا النظام الإداري الممتاز خاصة بولاية ديار بكر فقط، بل كان يتناول مقاطعات أخرى من بلاد الكرد، كما نرى في ولاية «وان» أيضاً نفس هذا النظام، حيث كانت الولاية تنقسم إلى سبعة وثلاثين سنجقاً وأربع حكومات وطنية خاضعة للسلطان مباشرة.

١ - حكومة حكاري: قوتها العسكرية الدائمة كانت تتألف من عشرة آلاف من المقاتلة. وفي حالة الحرب كانت هذه القوة قد تبلغ خمسين ألفاً.

بدورك في اتخاذ أحسن التدابير من جانبك في شأن المقهور المذكور، لتكون ذا جد وسعي في مهام وصالح دولتي الأبدية مديدة الأيام.

وفي الختام أرجو أن تظهر منك ضروب من الآثار الجليلة والمآثر الحميدة. اعلم هذا، واعتمد على علامتي الشريفة. تحريراً في أواسط شهر شوال المبارك سنة إحدى وعشرين وتسعمائة الهجرية بمقام دار الخلافة. - أدرنه» (أوائل نوفمبر سنة ١٥١٥ م). المترجم

٢- حكومة بدليس: كانت قوتها العسكرية كقوة الحكومة السابقة تقريباً.

٣- حكومة المحمودي: كانت في شرقي مدينة «وان» وكان فيها ما يقرب من مائة وعشرين قبيلة كردية تتألف منها قوتها العسكرية الدائمة البالغ عددها ستة آلاف نفس.

٤- حكومة بنياناش: كانت بجوار حكومة محمودي، تتألف قوتها العسكرية الدائمة من ستة آلاف من المقاتلة.

ويذكر (اولياجلبي: ج ٤، ص ١٧٨) علاوة على هذا، خمس حكومات أخرى كانت تابعة -في عهده- لحكومة تبريز الإيرانية وهي، حكومات «قطور، بيره دوزي، جولاني، دمدمي، دنبل».

ولا شك في أن مثل هذا التقسيم الإداري الذي أوجده عبقرية مولانا إدريس البدليسي، كان مطابقاً تمام المطابقة للظروف المحلية والملابسات الإقليمية. لأن بلدًا ككردستان قوي الشكيمة، يميل أهله إلى الحرب والقتال وينزعون دائماً إلى الثورة والاستقلال، لم يكن ولن يكون في الإمكان إدارته بنوع آخر من أنواع الإدارات وأصول الحكم.

على أن هذا النظام قد قضى قضاءً مبرماً، وبصفة رسمية، على معظم الإمارات الكردية الوطنية التي كان يبلغ عددها ستاً وأربعين إمارة، قبل عهد هذا السلطان موفق.

وبعد أن أتم مولانا إدريس تنظيم كردستان إدارياً على هذا المنوال البديع، وزع بنفسه الطبول والأعلام، باسم السلطان على الملوك والأمراء الأكراد. وهي علامات وشارات الإمارة في ذاك العهد. وكان الملك خليل آخر حفيد من أحفاد السلطان صلاح الدين الأيوبي، ضمن الأمراء الكرد الذين نالوا تلك العلامات الشريفة والشارات السلطانية.

وقد بالغ السلطان في إكرام مولانا إدريس والعطف عليه عطفًا ساميًا، حيث اصطحبه في العودة من فتح إيران، كما أنه اصطحبه في غزوته لمصر وفتحه إياها.

وبفضل سياسة مولانا الرشيدة ومساعيه الجليلة خضع كردستان، ذلك الإقليم القوي الشكيمة والشديد المراس، لسلطان آل عثمان، برضى من أهليه من غير إراقة دماء تذكر ومن غير كبير قتال. ولا شك في أن هذا حادث فذ في التاريخ. لأن كردستان لم يخضع قط خضوعًا تامًا لأحد من الفاتحين، بل ناضلهم نضالًا شديدًا من عهد الآشوريين حتى ذلك اليوم. وعلى الرغم من أن الآشوريين والإيرانيين والبرثيين والرومان واليونان، كانت لهم حاميات كبيرة في كردستان تعالج إخضاع سكانه لحكوماتها، لم تنل واحدة منها منالًا كبيرًا من كردستان، مثل الذي ناله مولانا إدريس البديسي بدعائه وسياسته الماهرة. إذ مكن العثمانيين من استغلاله والاستفادة منه.

هذا وبعد وفاة الشاه إسماعيل ^(١) الصفوي ملك إيران، زحف «ذو الفقار خان» رئيس عشيرة «الموصللو» الكردية وحاكم الكلهر، على «بغداد» بجيش غير قليل. وكان حاكمها من قبل الإيرانيين حيثئذ من يدعى «إبراهيم سلطان» فذهب «ذو الفقار خان» هذا بنفسه إليه، ومعه بعض أتباعه فانقضوا عليه على غرة وقتلوه. وبعد ذلك لم يجرؤ أحد على الوقوف أمام الزاحفين. وهكذا استولى «ذو الفقار خان» على «بغداد» بكل سهولة وتسلمها باسم السلطان سليمان خان، حيث خطب في جوامعها باسمه وحكمها نيابة عنه. ودخلت «بغداد» في حكم العثمانيين بلا حرب ولا قتال. ولم يكن الأمير «ذو الفقار خان» هذا قائدًا مقدمًا وبارعًا فحسب، بل كان فوق ذلك رجلًا إداريًا حازمًا، فخدم «بغداد» خدمات جليلة. ولكن الحكومة الإيرانية لم تدع فرصة كبيرة تمر، إذا زحف الشاه

(١) هو إسماعيل الأول، تولى السلطنة من سنة (٩٠٧هـ / ١٥٠٢م) إلى سنة (٩٣٠هـ / ١٥٢٤م).

طهماسب^(١) بجيش جرار سنة (٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م) على بغداد وحاصرها وضيق الحصار عليها ردحاً من الزمن. ولكنه لم ينل منها مأرباً فعمد إلى الحيلة والغدر واتصل بأخوي الأمير ذي الفقار خان «علي بك» و«أحمد بك» وأغراهما بقتل أخيها ذي الفقار خان. فانخدع هذان الغران وقتلاه وهو في غفلة من النوم، ثم بادرا إلى فتح أبواب المدينة لجيوش الشاه. وأخيراً لم ينالا شيئاً من عطف الشاه سوى تعرض المدينة للمذابح العامة وارتكاب أفظع الجرائم وأعمال القسوة.

فحادثة الاستيلاء على «بغداد» من قبل الإيرانيين على هذا المنوال، وبعض مسائل أخرى مثل التجاء «شرف خان» أمير بدليس إلى الإيرانيين و«اولامه بك» إلى العثمانيين- أثارت الخلاف من جديد بين الحكومتين فأدى إلى سلسلة من الحروب الطاحنة والمعارك الدامية.

هذا وأن «شرف خان» الوارث إمارة «بدليس» كابرًا عن كابر من أجداده -وهو جد مؤلف كتاب شرفنامه- كان قد لجأ إلى الشاه طهماسب، لشبهات قامت في نفسه من جراء سعاية بعض المفسدين ووشاية المنافسين لدى السلطان سليمان خان الأول، ومن جهة أخرى كان «اولامه بك» التكه لو الذي كان التجأ إلى الإيرانيين، قد التجأ أخيراً إلى العثمانيين وظفر بمنصب بكربكية «إمارة» «بدليس» و«حصن كيفا» من السلطان سليمان، في حين أن هذا المنح السلطاني، كان ينقض عهد السلطان سليم الأول مع الأمراء الأكراد. لأن هذين السنجقين كانا يتمتعان بنظام الحكومات الوطنية التي يتوارثها الأمراء الأكراد المحليون. وهذا هو أهم الأسباب التي أثارت غضب «شرف خان» واستيائه، وحمته على الالتجاء إلى الإيرانيين، بعد أن ألحق بأولامه بك هذا هزيمة منكرة عندما أراد الدخول إلى «بدليس» عاصمة إمارته الموروثة وردّه خائباً عنها.

(١) هو طهماسب الأول، تولى السلطنة من سنة (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) لغاية سنة (٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م).

وخلاصة القول: أن الحكومة العثمانية أعلنت الحرب على الإيرانيين من جراء هذه الأسباب، وزحف الشاه طهماسب بجيوش جرارة على «وان» وحاصرها أشد الحصار. وأرسل الصدر الأعظم القوات والنجادات مرتين لرفع الحصار وإمداد المحصورين؛ ولكن كلا القوتين باءتا بالفشل ولم تتمكنوا من دخول القلعة. فاضطر الصدر الأعظم إبراهيم باشا أن يغادر الأستانة على رأس جيش عظيم في خريف سنة (١٥٣٣هـ/ ١٥٣٣م) وأمضى الشتاء في مدينة «حلب». وفي الربيع توجه نحو «تبريز» فعلم وهو في الطريق بمقتل «شرفخان» أمير بدليس فأقام مكانه ابنه «شمس الدين» في الإمارة. ودخل الجيش العثماني الزاحف بعد مشقات جمة وحروب طاحنة مدينة «تبريز» في (غرة المحرم سنة ٩٤١هـ/ ١٣ تموز سنة ١٥٣٤م). وبعد مدة جاءها السلطان سليمان بنفسه وأمضى فيها فترة من الزمن، مستريحاً من وعثاء السفر وعناء الحروب والقتال ومتاعب الزمهرير من هطول الأمطار ونزول الثلوج الكثيرة. ثم توجه السلطان عن طريق «همدان» إلى ناحية «بغداد» فتحمل فيها كثيراً من المشاق، ولا سيما في الطريق بين «همدان» و«كرمانشاه» حيث اضطر لترك كثير من مدافع وأثقال جيشه في الطريق. وأخيراً تمكن السردار الأكرم إبراهيم باشا من دخول «بغداد» في (جمادى الآخر سنة ٩٤١هـ/ ديسمبر سنة ١٥٣٤م) حيث كان محمد بك والي بغداد من قبل العجم، قد أخلاها قبل وصول جيش السردار الأكرم بالجيش التركي. وهكذا تم استرداد «بغداد» من غير قتال وإراقة دماء. ثم حضر السلطان بحاشيته فدخلها بالأبهة والجلال. وقد أقام السلطان، والي ديار بكر سليمان باشا ومعه الحامية الكافية، والياً على «بغداد» فكان أول وال عثماني فيها. ثم غادرها السلطان إلى «تبريز» في (٢٨ رمضان سنة ٩٤١هـ/ مارس سنة ١٥٣٥م) عن طريق كردستان ومراغة.

ومن غرائب حوادث هذه الغزوة التركية وفضائعها النادرة، مقتل أمير كردي يدعى «شفقت بك» ومعه سبعة من رجاله. وعلى رأي المؤرخ «هامر»^(١) لعل السبب الذي حمل السلطان على قتل هؤلاء المنكوبين ظلمًا وعدوانًا، هو أنه نال هذه الفتوحات العظيمة من

غير إراقة دماء. فأراد أن يقدسها بدماء هؤلاء المظلومين، وأقدم على ارتكاب هذه الجناية الفظيعة. ثم عاد السلطان إلى الأستانة فوصل إليها في (١٠ شعبان سنة ٩٤٤هـ / ٨ كانون ثاني (يناير) سنة ١٥٣٨م).

واستولى هذا السلطان في حرب سنة (٩٥٥هـ / ١٥٤٨م) على قسم من كردستان الإيراني ثم توجه نحو «تبريز». ولما كانت الحكومة الإيرانية قد دمرت أطراف هذه المدينة تدميرًا كاملاً منعًا لاستفادة العثمانيين من خيراتها اضطر السلطان سليمان إلى العدول عن التقدم ومواصلة السير، والرجوع إلى ضرب نطاق الحصار على قلعة «وان» الحصينة التي كانت لا تزال في أيدي الأعجم، وكان محافظها وقائد حاميتها الإيرانية أميرًا كرديًا من أكراد عشيرة «جكني» يدعى «علي سلطان» الجكني وبادر السلطان إلى جلب المدافع الضخمة من قلعة «أرضروم» واستخدمها في ضرب القلعة فسقطت بعد تسعة أيام. ولشدة الشتاء والبرد القارس في تلك الآونة اضطر الجيش العثماني إلى العودة سريعًا. فانتهاز الشاه طهماسب فرصة ذلك وأرسل في خلالها جيشًا على مدينة وقلعة «قارص»، كما أنه أرسل كلا من «بهرام ميرزا» و«إسماعيل ميرزا» على قلعة «بايبورد» وجرد جيشًا آخر على «خلاط» و«عادلجواز» وتوجه هو بنفسه نحو «موش».

وكان السلطان سليمان في هذا الوقت يمضي الشتاء في بلدة «ديار بكر» فبادر بإرسال جيش بقيادة «أحمد باشا» لصعد تقدم الأعجم في داخلية البلاد والتقى أحمد باشا بفريق من الجيش الإيراني الزاحف عند «كماخ» وكسره شر كسرة. كما أن الأمير العجمي «إلqاص ميرزا»^(١) أخا الشاه طهماسب، الذي كان مع السلطان لاجئًا إليه، زحف على رأس قوة

(١) كان القاص ميرزا هذا حاكمًا على ولاية «شيروان». وفي الوقت الذي كان الشاه طهماسب، مشغولاً بمحاربة الكرج، أعلن هذا الأمير استقلاله عن حكومة أخيه الشاه وضرب السكة باسمه. فزحف الشاه عليه بجيش جرار اضطره للفرار نحو داغستان، ثم تمكن من ركوب سفينة من ميناء «كفه» إلى الأستانة لاجئًا إلى السلطان سليمان، فكان في معية السلطان في هذه الحروب على أمل أن يستولي على عرش إيران. المؤلف

مؤلفة من خمسة آلاف كردي، عن طريق «كركويه - كركوك» و«شهرزور» على العراق العجمي «همدان» وتوجه في الوقت نفسه «أولامه بك» بجيش عثماني آخر نحو بلاد «أرضروم» وكان غرض السلطان من كل هذه الحركات العسكرية المختلفة إحداث ثورة في البلاد الخاضعة لحكومة الشاه.

وفعلاً ظهر الأمير «القاص ميرزا» فجأة بجوار «همدان» واستولى على مدينة «قم» وأرسل قوة مؤلفة من الكرد إلى الري. وتوجه هو بنفسه إلى «كشان» و«أصفهان» ولما وصلت الأنباء إليه بأن قوة إيرانية كبيرة جردت عليه، بادر إلى التوجه نحو «فارس». ولم يستقر له قرار في ذلك الإقليم أيضاً. وعاد إلى بغداد بعد عقد الصلح بين الطرفين.

ودعا السلطان سليمان، الأمير الإيراني للذهاب إلى استانبول فرفض ذلك وشقَّ عصا الطاعة على السلطان، فاضطرت الحكومة العثمانية سنة (٩٤٨هـ / ١٥٥١م) لتجريد حملة عليه مؤلفة من قوات أمراء «العمادية» و«حكاري» و«برادوست». وأخذت هذه القوات تطارده من مكان إلى آخر حتى أُلجأته إلى الفرار والخروج من أراضي الدولة العثمانية، والالتجاء إلى أراضي إمارة «أردلان» الكردية في أراضي إيران، محتماً بأمرها «سرخان بك» غير أن الجيش الإيراني ضايقه في جهة «مريوان» وحاصره في قلعتها، حتى اضطر «سرخاب بك» لتسليمه إلى الجيش المحاصر. (تاريخ عالم آري عباس).

وفي سنة (٩٦١هـ / ١٥٥٤م) زحف الشاه طهماسب مرة أخرى على كردستان الأوسط، وواصل سيره وإغارته حتى «أرزنجان» و«ديار بكر» فلم يترك في الطريق الذي سلكه عامراً إلا دمره.

وبعد بضعة شهور، أعلنت الدولة العثمانية الحرب على إيران، فزحف الشاه مرة أخرى على كردستان من أربع جهات ودمر بلاد «وان» و«بدليس» و«عادجواز» و«أرجيش» و«موش» تدميرًا كاملاً، وقتل من أهاليها مقتلة عظيمة. واستولى على «خلاط» ثم على «أرجيش» بعد حصار دام أربعة شهور. وبعد ذلك حاصر «باركرى».

ومن جهة أخرى زحف «إسماعيل ميرزا» بجيش جرار على «أرضروم» فكسر فيها جيش «إسكندر باشا» شر كسرة، ثم أطلق يده في نهب وسلب تلك الجهات وتدميرها. وبعد ذلك قفل راجعاً إلى الشاه فانتدبه هذه المرة مع «سوندك» رئيس الحرس الشاهاني، لتدمير باقي بلاد كردستان، فقاما بذلك على أفضع وجه وأشنع صورة؛ حيث ارتكبا من الأعمال الوحشية وضروب القسوة والفظاعة، ما أنسى الناس هول الأعمال البربرية التي اجترحتها في هذه البلاد، كل من «هلاكو» و«تيمورلنك».

والخلاصة: أن السلطان سليمان القانوني، حارب الإيرانيين عدة مرات فكان نصيبه من هذه الحروب الدموية كلها، أن بقي في حكمه إقليماً «العراق» و«شهرزور» ومنطقة «بالكي»^(١) فقط، في حين أن كردستان الذي كان في كل هذه الحركات والحروب مسرحاً للقتال وداراً للحركات الحربية، قد دمر تمام التدمير، من جراء هول الحرب وفظائع الجيشين الإيراني والتركي على السواء، وأصبحت البلاد جمعاء بخسائر فادحة، وأضرار في الأنفس والأموال بالغة.

ثم جردت الحكومة العثمانية جيشاً لجباً بقيادة الصدر الأعظم والسردار الأكرم «عثمان باشا» على إيران بسبب تعدي الأمير الإيراني «ميرزا حمزة» على الحدود العثمانية. فتصدى هذا الأمير لقائد الطلائع العثمانية في «صوفيان» وكسره شر كسرة، وهزم فريقاً آخر من الجيش العثماني ثم وصل عثمان باشا إلى «تبريز» فدخلها عنوة وقهرًا وأباح فيها القتل العام ثلاثة أيام.

وفي (١٢ ذو القعدة سنة ٩٩٤هـ / ٢٥ أكتوبر سنة ١٥٨٥م) هزم «حمزة ميرزا» جيش «جغاله زاده سنان باشا» أيضاً وأسر منه خلقاً كثيراً. ثم التقى بعد أربعة أيام بجيش الصدر الأعظم فألحق به هزيمة منكرة. والخلاصة أن هذا الأمير الإيراني الباسل بعد أن انتصر في

(١) اسم لعشيرة كردية على مقربة من «رواندز» بشمال العراق الحالي.

أكثر من أربعين معركة انتصارًا باهرًا، قتل غيلة وهو نائم، على أيدي رجال عشيرة تركمانية موالية للعثمانيين.

وفي سنة (٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م) زحف «سنان باشا جغالة زاده» من بغداد على إيران واجتاحها حتى همذان، مما اضطر الشاه عباس^(١) إلى انتداب الميرزا حيدر للسفر إلى الأستانة وطلب الصلح مع العثمانيين، لوضع حد للحروب الطويلة التي دارت معاركها بين الطرفين عدة سنين. فعقدت معاهدة صلح في نوروز سنة (٩٩٨هـ/ ٢٢ مارس سنة ١٥٩٠) فكان من مقتضاها خضوع ولايات آذربيجان، شيروان، كرجستان، لرستان، شهرزور للدولة العثمانية وإلغاء مذهب الشيعة والقضاء عليه في جميع بلاد إيران. ولكن هذا كان حلماً لا يمكن تحقيقه قط.

وقد دام الصلح بين الطرفين هذه المرة ثلاث عشرة سنة، حيث ظهرت بوادر الشر فتوترت العلاقات بينهما من جديد في أوائل سنة (١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م) لأن حامية «تبريز» العثمانية تذرعت بأحد الأسباب فأغارت على «غازي بك» حاكم «سلماس» وأطلقت يد النهب والسلب في بلاده، فالتجأ «غازي بك» إلى الشاه عباس فشمّله بعطفه وجرّد جيشاً لجبا بقيادته على «تبريز» والتحم بالجيش العثماني الذي فيها وكسره شر كسرة، واستولى على المدينة ثم انشئ نحو «روان- آريوان- آريغان» وقضى في الطريق على ما مر به من آثار العمران من القرى والبلدان فدمرها تدميرًا تاماً. وكان في جيش الشاه في هذه الغزوة، عدد غير قليل من الأكراد بقيادة كل من مصطفى بك أمير «ماكو» ومن حاكم «آلشکرد». واستمرت الحرب بين الطرفين حتى السنة التالية^(٢). فأرسل السردار العثماني «جغاله زاده» جيشاً مؤلفاً من الكرد والترك إلى نواحي «خوى» و«مرند» بقيادة «مصطفى باشا»

(١) هو عباس الأول تولى السلطنة من سنة (٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م) لغاية سنة (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م) المترجم

(٢) ورد في (دائرة المعارف الإسلامية) أن تاريخ هذه الحادثة هو سنة (١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م) ولكن كتاب

(تاريخ عالم آراي عباس) الفارسي ينص على أنها كانت سنة (١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م). المؤلف

الذي وصل لغاية «خوى» فأرسل منها «سليمان بك» رئيس عشيرة «محمودي» إلى جهة «مرند» لتدمير تلك الجهات والنهب والسلب فيها.

وفي هذه السنة نفسها أرسل الشاه عباس جيشاً آخر بقيادة «الله ويردى خان» على قلعة «وان» حيث كان بها السردار التركي، فقام هذا الجيش الإيراني بتدمير تلك الأنحاء ونهبها ثم قفل راجعاً، كما أن الشاه عباس نفسه قام بجيش جرار من «خوى» بالزحف على منازل عشيرة «محمودي» الكردية. فدافع رئيسها مصطفى بك عن قلعة «ماكو» دفاع الأبطال، ولكن الجيش الإيراني عاث في أرض تلك البلاد فساداً، وغالى في النهب والسلب والتدمير وقتل من الأهالي مقتلة عظيمة^(١).

وفي آخر خريف هذه السنة زحف الصدر الأعظم «جغاله زاده» بجيش عظيم على «أذربيجان» ومعه الأمير «شرف» حاكم الجزيرة، وأمراء «محمودي» و«بهسني» و«حكاري» و«زكريا خان» وإخوته، وباقي الأمراء والحكام الأكراد، فبلغوا «سلماس» والتقوا بالجيش الإيراني، على ستة فراسخ من «تبريز» فانكسروا شر انكسار في المعركة التي دارت رحاها في (٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٠١٤هـ/ ٧ نوفمبر سنة ١٦٠٥م).

وبعد هذه المعركة غارد المعسكر العثماني بعض من الأمراء الكرد إذ عاد «ابن جانبلاط» إلى «وان» والأمير «شرف» الجزيري إلى مقر إمارته بالجزيرة.

وفي ٤ صفر سنة (١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م) عين «دلي فرهاد باشا» سرداراً للجيش الشرقية، حيث كان «جغاله زاده» قد ارتحل إلى دار البقاء بعد معركة «تبريز» ونظراً

(١) يقول إسكندر منشى (وهو صاحب كتاب تاريخ عالم آراي عباس الفارسي): إن الغنائم كانت كثيرة جداً حتى أن الشاة كانت تباع في الجيش الإيراني بثمن قدره (٥٠ ديناراً - واحد من عشرين) من القران، والبقرة بثمن قدره (٢٠٠ ديناراً). وأن الإيرانيين أخذوا بضعة آلاف من النساء والأطفال وعاملوهم معاملة الأسرى. (ج ٢). المؤلف

لعصيان «ابن جانبلاط» وقيام ثورة الجلالين بالأنضول، لم يكن في إمكان الحكومة العثمانية أن تواصل الحرب مع الإيرانيين.

ثورة ابن جانبولاد «جانبلاط»^(١): كانت الأسرة الجانبلاطية الكردية تتوارث الحكم من قديم الزمن في «كلس» وكان عميدها في عهد «جغاله زاده سنان باشا» هو «الأمير حسين» الذي كان قد نصب بكلربكيا لايالة حلب من قبل الصدر الأعظم. ولما توجه الصدر الأعظم لغزو البلاد الإيرانية، تعلق الأمير حسين بالأعداء وامتنع عن الذهاب مع الصدر الأعظم إلى الحرب الإيرانية، فتغير عليه الصدر وأسرها في نفسه ولما عاد من إيران بعد هزيمة «تبريز» دعاه إليه وقتله. ولما وصل نبأ وفاة الأمير حسين إلى أخيه الأمير علي؛ ذهب هذا إلى حلب فأعلن فيها ثورته على الحكومة العثمانية. ثم زحف على طرابلس الشام، واستولى عليها وأغار على أطراف الشام وقرائها مطلقاً يده في النهب والسلب فيها. فلما علا شأنه وقوي نفوذه في تلك الربوع أخذ يحكم البلاد مستقلاً. إذ تم له تكوين جيش كبير، وسك باسمه النقود كما ألقيت الخطب في الجوامع باسمه. وفي (١٠ جمادى الآخرة سنة ١٠١٦هـ/ أكتوبر سنة ١٦٠٧م) عقد معاهدة مع «الآرشيديوق فرديناند» ملك حكومة «طوسكانا»^(٢) وحاول عقد مثلها مع سائر الحكومات.

وكان «قويوجي مراد باشا» الصدر الأعظم الشهير، قد نصب قائداً عاماً للجيش المكلف بإطفاء ثورة الأناضول. فأراد هذا الوزير، قبل الشروع في مهمته هذه، الخلاص من غائلة أسرة «جانبلاط» بينا كان «ابن جانبلاط» هذا قد استعد لذلك. فعسكر بجيشه البالغ عشرين ألفاً من الخيالة ومثله من المشاة، في مضيق «بغراس» منتظراً قدوم الجيش العثماني لمنازلته.

(١) جانبلاط تحريف «جان بولاد» ومعنى «جان» الروح و«بولاد» هو الفولاذ فيكون معنى «جانبولاد» ذا الروح الحديدي.

(٢) إحدى الدويلات الإيطالية قبل الوحدة الإيطالية. المترجم

وقد توجه «قويوجي مراد باشا» بجيش جرار نحو معسكر «ابن جانبلاط» ومعه أربعون ألفاً من أكراد دلقادر^(١) «ذو القدرية» بقيادة ذي الفقار باشا، علاوة على الجيش العثماني الأصلي. ورأى «مراد باشا» أن المحل الذي عسكر فيه جيش «ابن جانبلاط» غير صالح للقتال، فتحول بجيشه إلى مضيق «أرسلان بلي» فأحاط بجيش ابن جانبلاط. ثم التقى الجيشان في سهل «أورج» في (٣ رجب سنة ١٠١٦هـ / ٢٤ أكتوبر سنة ١٦٠٧م) فدارت بينهما رحا معارك دامية قضت على نصف جيش ابن جانبلاط، فانكسر شر كسرة، واضطر إلى التفهقر والانسحاب إلى «حلب» إلا أنه لم يتمكن من البقاء والاستقرار في هذه المدينة أيضاً. فسافر إلى الأستانة لاجئاً إلى السدة السلطانية، فعفا عنه السلطان أحمد^(٢) وعينه بكلربكيا (أمير أمراء: محافظ) لولاية «طمشوار»^(٣) وأدخل أخاه الصغير في المدرسة السلطانية الخاصة التي في داخل السراي. ولكن هذا العفو السلطاني لم يرق «مراد باشا» السفاح بل أغضبه فأرسل من يقتل «ابن جانبلاط» في قلعة «بلغراد» وهو ذاهب إلى مقر عمله الجديد.

موقعة «دمدم قلا»: إن هذه القصة الواقعية، لمنقبة بطولة رائعة وتضحية بالغة لعشائر «برادوست» المكرية التي تألفت منها حامية قلعة دمددم الشهيرة، غير أنه ليس في إمكاننا الآن الإسهاب في ذكر وقائعها الملاء بصفحات خالدات من البسالة الفائقة، والتضحية النادرة؛ لأن حجم كتابنا هذا لا يسمح بذلك.

حقاً أن هذه الصفحة الخالدة من تاريخ الكرد، لجديرة بالذكر والتنويه في كتاب مستقل، يقرأه الجيل الحالي والأجيال القادمة من شباب الأمة الكردية وكهولها؛ لأن آيات

(١) أو «دولغادر» كما ورد في «ابن الوردي» إمارة تركمانية كانت قائمة في مرعش والبستان: من سنة (٧٤٤هـ / ١٣٣٩م) إلى سنة (٩٢٨هـ / ١٥٢١م) كانت محمية لدولة المماليك بمصر ففضى عليها العثمانيون.

(٢) هو السلطان أحمد الأول تولى من سنة (١٠١٢هـ / ١٦٠٣م) لغاية سنة (١٠٢٦هـ / ١٦١٧م).

(٣) إحدى مقاطعات بلاد النمسة الخاضعة للدولة حينذاك. المترجم

وخوارق هذه الوقعة لكثيرة ومثيرة جداً حتى أن «إسكندر منشى»^(١) على خلاف ما يقضي عليه التعصب المذهبي والنزعة الشيعية الرسمية، اضطر إلى تمجيد هذه الصفحات الخالدة وإلى الثناء على الأبطال الذين سطروها بدمائهم الزكية، كما أن روعة هذه البطولة والتضحية العظيمة حملت العلامة المستشرق المسيو «و.مان - O.man» على أن يذكرها بشيء كثير من الإجلال والإعجاب، وأن يصفها بالروعة والجلال.

وبطل هذه المنقبة الخالدة هو «أمير خان يكدست»^(٢) من أمراء وزعماء عشيرة «برادوست» الكردية الشهيرة، كان قد حارب «عمر بك» حاكم «سوران - سهران» فقطعت إحدى يديه في تلك المحاربة. وبعد استيلاء الشاه عباس على أذربيجان، ذهب إليه أمير بك مغضباً ومستاءاً من الترك الذين لم يقدروه حق قدره. فنال الخطوة لدى الشاه إذ بالغ في إكرامه والعطف عليه وصنع له يدًا من الذهب الخالص بدل يده المقطوعة. وأنعم عليه بلقب «خان» مع إسناد منصب حكومة «تركور» و«مركور» و«اورمي - أرميه» و«اشنو - أشنه» ورياسة عشيرة «برادوست» إليه فعاد «أمير خان» إلى مقر حكومته وأخذ في بناء قلعة حصينة في محل قلعة «دمدم»^(٣) القديمة.

وكان الأمراء الشيعيون، نظرًا للاختلاف المذهبي والتعصب الجنسي، يكرهون «أمير بك» أشد الكراهة. وما كانوا يكفون قط عن الدس له لدى الشاه. فإقدامه على إنشاء القلعة المذكورة بعد أن استأذن الشاه في ذلك، أفسح المجال لديهم لحبك خيوط الدسائس وترويج الإشاعات السيئة عن نيات هذا الأمير الكردي السني. حتى أن «بيربوداق» بك حاكم «أذربيجان» تدخل في الأمر أيضا وتمكن من حمل الشاه على استرداد الإذن بإنشاء القلعة، وأراد بذلك أن يمنع «أمير خان» من إتمام القلعة، فغضب أمير «برادوست» هذا

(١) مؤلف كتاب (تاريخ عالم آري عباس) كان مؤرخ الدولة الإيرانية في عهد الشاه عباس. المؤلف

(٢) أي «أمير خان» ذو اليد الواحدة. المترجم

(٣) يؤخذ من الروايات والأقوال الشائعة في تلك الجهات، أن هذه القلعة القديمة كانت عامرة في عهد الساسانيين. وهي على مقربة ثلاثة فراسخ من مدينة «أرمية» الحالية. المؤلف

أشد الغضب، ولم يصغ للأمر وواصل بناء القلعة حتى أتمها. وفي هذه الأثناء كان قد وصل إلى البلاد الإيرانية زهاء عشرين ألفاً من الأشقياء الجلاليين الفارين من البلاد العثمانية من جراء مطاردة «قويوجي مراد باشا» لهم. فأراد الشاه أخيراً إسكان زهاء ثمانية آلاف من هؤلاء الأشقياء اللاجئين، بين أكراد عشيرة «برادوست» وفعلاً أرسلهم مع جيش غير قليل بقيادة «حسن خان» إلى «أمير خان» طالباً إليه أن يقوم بنفسه أو يندب ابنه لمرافقة هؤلاء الوافدين، ومعه بعض رؤساء عشيرته ومائتا خيال من رجاله، وأن يعملوا جميعاً على تنفيذ أمر سكنى هؤلاء الجلاليين. فخاف «أمير خان» العاقبة وخشى انتقاض عشيرته عليه، فلم ينفذ الأمر الشاهاني، وحدث صدام شديد بين الكرد وبين القزلباش^(١) ومعهم الأشقياء الجلاليون^(٢) أسفر عن انهزام جيش «حسن خان» واستحال تنفيذ الأمر الشاهاني. فأرسل الشاه جيشاً آخر بقيادة الوزير الأعظم معتمد الدولة على «أمير خان»، وطلب إليه التسليم والرضى بسكنى هؤلاء الأجانب بين أفراد عشيرته، فلم يرض «أمير خان» بذلك فضرب الوزير الإيراني حصاراً على قلعة «دمدم» التي كان «أمير خان» متحصناً بها. (٢٦ شعبان سنة ١٠١٧هـ/ ٥ ديسمبر سنة ١٦٠٨م).

ويؤخذ من رواية «إسكندر منشى» الذي كان شاهد عيان في هذه المحاصرة، أن القلعة كانت على جانب عظيم من المناعة والحصانة، ولم يكن فيها موطن ضعف، سوى ندرة المياه بها حيث كان ثمة صهريج واحد يملأ من مياه الأمطار، وخزان يكبس فيه الثلج عند نزوله، كما أنه يوجد بجوارها منبع واحد للمياه يصله بالقلعة طريق واحد من أسفل الأرض.

(١) القزل باش، معناه بالتركية أصحاب الرؤس الحمر. وهذا لقب أطلق على الإيرانيين في عهد الصفويين للبسهم أغطية رؤس حمراء. ثم صار لقباً على جميع الشيعة ولا سيما الروافض المتغالين.

(٢) الجلاليون هم الاشقياء الذين ثاروا مدة من الزمن، بالأنضول تحت رئاسة زعيم لهم يدعى جلال الدين. المترجم

تمكن الجيش الإيراني -الذي كان أكثر من المدافعين بثلاثة وعشرين مرة- من الاستيلاء على الطريق المؤدي إلى النبع الخارجي المذكور، بعد حروب وأهوال دامت أربعة شهور، أصيب خلالها الجيش الإيراني بضحايا كبيرة وخسائر فادحة، من جراء مهاجمة الكرد لهم ومباغتتهم لهم ليلاً في معسكراتهم المنبثة حوالي القلعة. ومات الكثيرون من مشاهير رجالهم الحربيين. في حين أن الأشقياء الجلالين الذين كانوا سبب نشوب هذه المعارك الدامية، قد تشتتوا شيئاً فشيئاً وتسربوا إلى البلاد العثمانية، حاملين كثيراً من الأسلاب والغنائم التي أخذوها من القزلباشية، بعد الفتك بهم فتكاً ذريعاً في المعارك المتقدمة.

وقد أمضى المحصورون المدافعون، بعد الاستيلاء على النبع الوحيد الذي كانوا يستقون منه، واحدًا وعشرين يومًا بكل صعوبة ومشقة، مكتفين بشرب مياه الأمطار والثلوج المخزونة الأسنة، ومستمتين في الدفاع عن القلعة من الداخل. فقاوسوا من جراء ذلك أهوالاً كثيرة ومشقات عظيمة. ومن لطف الله وعنايته، أن أمطرت السماء مدراراً في تلك الأيام الشداد، مع أن الموسم كان أول الشتاء، ودامت الامطار تهطل شهراً كاملاً، فملأت صهريج القلعة من المياه ما يكفي لمدة ستة شهور. ولما رأى القائد العام الإيراني ذلك، اضطر لإصدار الأمر بالزحف على القلعة والاستيلاء عليها عنوة مهما كلفهم ذلك. فتقدم الجيش الإيراني بنظام إلى الأمام ووصلوا إلى أسوار القلعة وأبراجها فدارت معارك دموية بين المهاجمين والمدافعين بضعة شهور، تكبد فيها الجيش الإيراني خسائر فادحة وتضحيات عظيمة ولكنه تمكن أخيراً من الاستيلاء على أحد الأبراج، وكان فيه «قرباك» ورجاله فأبادهم عن آخرهم. فهذا الانتصار الجزئي، سهل الأمر للمهاجمين كما أقلق بال المدافعين. ومن المصادفات الغريبة أن الوزير الإيراني القائد العام، مات عقب هذه الحادثة مباشرة، فعين الشاه بدله «محمود بك» البيكدي سرداراً. فجاء هذا القائد وتسلم العمل فواصل القتال والحصار ردحا من الزمن إلى أن تمكن من فتح ثلثة في حصن آخر من حصون القلعة وأسوارها فازدادت الحرب شدة. واستمات المحصورون في الدفاع، والمهاجمون في الهجوم واقتحام المهالك إلى أن قتل المدافعون على بكرة أبيهم. فاستولى

القرلباش على هذا الحصن أيضا. وبعد مدة سقط حصن آخر في يد «بيربوداق» حاكم أذربيجان وهو البرج الذي كان يدافع عنه ابن أمير خان نفسه. وهكذا ضعف الدفاع رويدًا رويدًا إلى أن تلاشى وانتهى، أمام وابل من قذائف المدافع ورصاص البنادق الموجهة إليهم من كل صوب. وأدى الحال بالمحصورين إلى أن يتلاحقوا وينحسروا في بقعة ضيقة لا تمكنهم من الحراك إلا بكل صعوبة. وفي هذا الوقت كان القزلباش قد استولوا على كل حصون القلعة وأبراجها ما عدا «حصن نارين» الذي كان فيه قصر «أمير خان» حيث اجتمع به بقية المدافعين المحصورين. فإزاء هذه الحالة اضطر «أمير خان» للعدول عن الاستمرار في الدفاع إلى النهاية إذ لا فائدة منه. وأرسل إلى قائد القزلباش يعلمه باستعداده للتسليم، ولكن الأعجام بعد التسليم أرادوا الغدر بهم وقتلهم عن آخرهم. فاضطروا إزاء ذلك لأن يمتشقوا الحسام مرة أخرى دفاعا عن أنفسهم فدارت معارك حامية بينهم وبين قواد الأعجام وجنودهم جنبًا لجنب ووجهًا لوجه. وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، حتى أبيدوا عن آخرهم وماتوا جميعًا ميتة الأبطال والشهداء الصديقين. ولم يترك الأعجام من المقاتلة أحدًا ولا من غير المحاربين إلا وقتلوه شر قتلة.

وخلاصة القول: أن حصون وأبراج قلعة «دمدم» التي شهدت مبلغ دفاع أبطال «مكرى» وبسالتهم الرائعة، قد احتضنت أخيرًا جثث هؤلاء الشهداء الطاهرة التي لا تزال مدفونة تحت ترابها المقدس مكفنة بثيابهم المزرقة بدمائهم الزكية.

وبعد ست سنوات استعاد أكراد «برادوست» قلعتها المقدسة مرة أخرى، وقبل أن يتمكنوا من الاجتماع والاستعداد للدفاع قوي يضمن لهم النصر أصيب كبارهم وزعمائهم بنكبات منعتهم من الاشتراك جميعًا في الدفاع، وكان بطل الدفاع هذه المرة عن قلعة «دمدم» هذه، هو «ألوغ بك». وكان الشاه عباس قد أقطع القلعة وما يجاورها لمحمد بك البيكدي الذي أناب عنه أخاه (قباد بك) في المحافظة عليها. وكان دخول (ألغ بك) إلى هذه القلعة بواسطة بعض من الأكراد الذين بالداخل، إذ تمكن هو ومن معه، في ليلة غاب «قباد بك» عن القلعة، من التسلل إليها من إحدى فتحاتها السرية، وقتل جميع المحافظين

القلزباش فيها واستولى عليها بكل سهولة. ولما علم «أفاسلطان» حاكم «مراغة» بذلك بادر إلى نجدها حالاً بجيش قليل فمرّ وهو في الطريق بقوة كردية مؤلفة من (١٥٠) جندياً كانت قادمة لنجدة «ألغ بك» فهزمها، وتمكن من اللحاق بقباد بك وبادر كل من «يربوداق»^(١) حاكم «تبريز» و«شيرسلطان» المكري إلى النجدة واشتركا في حصار القلعة المذكورة. وقد حدث بحكمة الله وقدره أن «ألغ بك» بينما كان يوزع البارود على رجاله في القلعة استعداداً للدفاع عنها اشتعلت النار في البارود وأصابته شرارة في عينه ووجهه وجرح بعض من كان معه بجروح مختلفة، فلم يبق هناك من يتولى الدفاع. واضطر «ألغ بك» لمغادرة القلعة سراً في جنح الظلام. وكانت مدة إقامته بها تسعة أيام فقط.

مذبحة العشائر المكريّة: في عهد السلطان مراد الثالث^(٢) سنة (٩٩١هـ/ ١٥٨٤م) كان «أمير باشا» حاكماً على مقاطعة «مكري» وكان الجيش العثماني المعسكر بأطراف «تبريز» قد أحدث مظالم كبيرة بين الأهالي من الشيعة بجوار «سلدوز» و«ميان دوآب» و«مراغة» كما أنه قام بإغارات شعواء على ناحية «قراچوق» التي كانت من إقطاعات الخاصة الشاهانية، فأعمل فيها شيئاً كثيراً من النهب والسلب. وكان في عهد «أميره باشا» نفسه تعيين ابنه «الشيخ حيدر» الذي كان رئيس قسم من العشائر المكريّة، بكلربكيا من قبل الدولة العثمانية، فاختلف الشيخ حيدر هذا أخيراً مع «جعفر باشا» الحاكم العثماني لتبريز. فاغتاظ من العثمانيين وجانبهم والتحق بالشاه عباس الذي كان زاحفاً حينئذ على «أذربيجان» لإنقاذها من أيدي العثمانيين، وقدم له خضوعه وطاعته، فأضيفت إلى عهده من قبل الشاه حكومة «مراغة» علاوة على ما في إمرته من البلاد. وكان الشيخ حيدر في معية الشاه في الحل والترحال ملازماً له حتى قتل في غزوة شاهانية على «روان». فعين الشاه عباس ابن الشيخ حيدر بدله، وكان لا يزال صغيراً فنابت والدته عنه في إدارة شئون الإمارة، إلا أن

(١) «يربوداق» كان من ألد أعداء السنيين والكرد، فشأت الأقدار أن يقتله في (١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)

«زينل خان» أمير أكراد «محمودي» وأن يأخذ منه ثأر «أمير خان» اليكدستي. المؤلف

(٢) تولى السلطة من (٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م) لغاية (١٠٠٣هـ/ ١٥٩٥م). المترجم

عقارب الشقاق والخصام دبّت بين الأقارب فأخذوا يدسون الدسائس للأمير الشاب واستاء الشاه من «قباد خان» ابن الشيخ حيدر؛ لأن الشقاق كانا قد استحكم بينه وبين الأمراء والقواد الأعجام، نظرًا للاختلاف المذهبي والتعصب القومي الأمر الذي أفضى إلى خلق جو مشبع بالمفتريات والدسائس ضد الأمير الشاب، ومن جهة أخرى كان عصيان «عبدال خان» المامشي، والتجائه إلى «أمير خان» البرادوستي في هذا الوقت وتقاعس الأمير الشاب «قبادخان» عن الاشتراك في حصار قلعة «دمدم» مع الأعجام، مخالفًا بذلك لأوامر الشاه عباس فلهذه الأسباب والعوامل، ونظرًا لدسائس أخرى حبك خيوطها هؤلاء الشيعة، قرر الشاه عباس أخيرًا القضاء على العشائر المكرية نهائيًا. فرحف هو بنفسه نحو «مراغة» سنة (١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) وفي الوقت نفسه أظهر شيئًا كثيرًا من التعطفات الشاهانية نحو «قباد خان» الذي انخدع بهذه المظاهر الخلابية وغفل عما يخبئه له القدر، فتقدم هو وبعض الزعماء المكرين ومعهم قوة مؤلفة من (١٥٠) فارسًا إلى الشاه مسلمين عليه. فما أن وصلوا إلى الديوان الشاهاني حتى أطبق الشاه عليه وعلى من معه من الزعماء، وأراد قتل الباقين في معيته من الفرسان بتدبير مكيدة لهم، وقد شعروا بها قبل التنفيذ وبادروا إلى سلاحهم وقاوموا مقاومة شديدة، حتى قتلوا عن آخرهم. فتوجه الشاه بعد ذلك إلى قلعة «كادول» وحاصرها حصارًا شديدًا، ثم أحدث مذابح عامة في العشائر المكرية وأسر آلافًا من النساء والأطفال، بعد أن قتل من أفراد العشيرة مقتلة عظيمة وارتكب فظائع كثيرة.

وكان فريق من الجيش العجمي قد توجه نحو «كرمرو» الذي كان مركز «أمير خان بك» أخي الشيخ حيدر، فأجهز عليه ومن معه من الأمراء أيضًا، وارتكب من الأعمال الوحشية والأفعال البربرية ما يقشعر منه جلد الإنسان. لأن الشيعة لم تستثن أحدًا من القتل العام فكانوا متربصين لأهل السنة ومنتظرين بفارغ الصبر حلول مثل هذا اليوم. وقد قتل في خلال هذه الأيام السود كثير من الذين ليسوا من عشيرة «مكري» المغضوب عليها، من جراء المذابح العامة، وبعد بضعة أيام سكنت ثائرة الغضب الشاهاني فانتهت بذلك المذابح العامة والفظائع الشاملة.

ولم يبق في الحياة من الأمراء المكريين سوى «شيربك» الذي يرجع الفضل في تحلصه من القتل الشنيع إلى سابق انتهائه إلى البلاط الشاهاني، وإلى كونه أخا لمقصود بك الذي كان آنئذ في المعية الشاهانية في منصب «أيشيك أغاسى - رئيس السدة». إذ تناوله العفو الشاهاني فنجاً من عقوبة القتل. وهكذا انتهت هذه المأساة التاريخية، بكل ما فيها من فظاعة وشناعة.

في (١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) كان «قويوجي مراد باشا» قد أتم إصلاحاته الداخلية واستعداداته العسكرية فتوجه بجيش لجب إلى «تبريز» فوصل إلى أطراف هذه المدينة وأخذ ينهب ويسلب فيها حسب عادات ذلك الزمن فترك البلاد خراباً بلقاً ثم قفل راجعاً من حيث أتى. وفي (٢٥ جمادى الأولى سنة ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م) طلب الشاه عباس الصلح، وكان مراد باشا هذا قد ارتحل إلى دار البقاء وتولى نصوح باشا^(١) منصبي السردار والصدر الأعظم، وبعد سنة من هذا التاريخ تم إبرام الصلح على الحدود القديمة التي كانت بين الطرفين في عهد السلطان سليم الأول، وعلى شرط ألا تقدم الحكومة الإيرانية على مساعدة «هلوخان» حاكم إقليمي «شهرزور» و«أردلان».

ولم يدم هذا الصلح طويلاً، إذ أعلنت الحرب مرة أخرى بين الدولتين في (٢٣ ربيع الأول سنة ١٠٢٤هـ/ ٢٢ أبريل سنة ١٦١٥م) فتوجه الصدر الأعظم والسردار الأكرم الداماد «محمد باشا» في أوائل فصل الربيع إلى البلاد الإيرانية. ووجه الأمير الكردي «سيد بك» بجيشه نحو «نخجوان» فمضى هذا إليها وحاصرها مع بلدة «روان - أريفان» حصاراً شديداً ولم ينقض كبير وقت على هذا الحصار، حتى أصيب جيشه بخسارة باهظة اضطرتّه

(١) كان هذا الباشا سفكاً فتاكاً لا يخاف الله ولا يتقيه، فقد حدث إذ كان والياً على ديار بكر، أن استولى على إحدى قلاع عشيرة الآشتى الكردية، فما كان منه إلا أن حشد أربعة آلاف كردي مع أولادهم الصغار والنساء في بقعة ذات أخاديد وأماتهم خنقاً مرة واحدة بإطلاق الدخان عليهم. وشاءت العدالة الإلهية أن يجازى هذا الظالم بنفس الجزء الذي نفذه في هؤلاء الأبرياء، حيث صدر أمر السلطان أحمد بخنقه في ١٣ رمضان سنة ١٠٢٣هـ. المؤلف

إلى الرجوع من حيث أتى. وقد طالت وقائع هذه الحروب وتعددت معاركها كثيرا واستمرت حالة الحرب بين الدولتين هذه المرة ردحا طويلا.

وفي (١٠٢٥هـ/١٦١٦م) كان «ابن غازي بك» الكردي رئيس عشيرة «مليان» قد أفلق راحة سكان جهة قلعة «قارني ياريق - قارنيارق» التي كانت مركز قضاء «سلماس» بالغزو المتواصل والإغارات الدائمة مما أفضى إلى توجه «بيربوداق خان» حاكم «تبريز» بجيشه الجرار نحو منازل أكراد «مليان» فاستمد «ابن غازي بك» بمحمد باشا بكلمبكي «وان» وبسائر الأمراء الأكراد في تلك النواحي والجهات، وأسرع محمد باشا بجيشه، وكل من «زينل خان» المحمودي حاكم «خوشاب» وغيره من الأمراء الأكراد بقواتهم الخاصة البالغة نحو بضعة آلاف من المقاتلة، إلى نجدة «ابن غازي بك» ولما التقى الجيشان دارت بينهما معركة دامية لم تدم كثيرا، حتى أسفرت عن اندحار جيش «تبريز»، وسقوط «بيربوداق خان» جريحاً في يد «زينل بك»، فمات متأثراً بجراحه بعد مدة وجيزة. ودب الذعر في جميع أنحاء بلاد «أذربيجان» ثم رجع الأمراء والزعماء الأكراد إلى بلادهم ظافرين.

وفي سنة (١٠٢٦هـ/١٦١٧م) أرسل الشاه عباس حملة عسكرية بقيادة «قرجقاي خان» على ثغر «أرضروم» فدمرت تلك الجهات تدميراً يكاد يكون تاماً. فأراد «محمد باشا» محافظ «وان» أن يثأر لنفسه من الأعجام فجمع الزعماء الكرد واتفق معهم على تجريد حملة مؤلفة من جيشه الخاص وقوات كردية كبيرة للزحف بها جميعاً على «أذربيجان» غير أن وصول الأنباء بزحف القوات الإيرانية التي بقيادة «قرجقاي خان» على «وان» وما حواليا من البلدان، أفلق بال الزعماء الكرد وأقضى مضاجعهم لتعرض إماراتهم وبلدانهم للنهب والدمار؛ فصار من أوجب واجباتهم الاهتمام بالدفاع عن إماراتهم، والاحتفاظ بمصالح عشائريهم وأسرههم المختلفة. فلذا عاد «ضياء الدين خان» ابن «شرف خان» البديلي بحاشيته وجنوده الخاصة إلى «بدليس» من غير أن يستأذن «محمد باشا» في ذلك كما أن «يحيى خان» ابن «زكريا خان» رئيس العشائر الحكارية، أراد العودة إلى مقر إمارته

فمنعه محمد باشا من ذلك ودعاه إليه بنية الفتك به فحدثت بينهما معركة دامية أسفرت عن جرح الاثنين معًا ثم وفاتها متأثرين من جراحهما؛ الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقات بين الكرد والترك وإهراق الدماء مدرارًا حينًا من الدهر. وفي هذا الوقت الذي التحم الكرد والترك فيه في القتال، كان قد وصل الجيش الإيراني إلى أطراف «وان» وأخذ يعمل في تلك الجهات التقتيل والتشريد والنهب والسلب.

وفي نفس هذه العام أمضى الصدر الأعظم وجيش من التتر فصل الشتاء في بلاد «ديار بكر» فتعرضت هذه البلاد أيضًا للخراب والدمار بطبيعة الحال وأخيرًا في (٦ شوال سنة ١٠٢٧هـ / ٢٧ سبتمبر سنة ١٦١٨م) انعقد الصلح للمرة الثانية بين الدولتين، وفي أثناء مذكرات الصلح عمد الشاه عباس إلى نقل خمسة عشر ألف أسرة كردية وإجلائها إلى بلاد «خراسان» للاستعانة بهم على التركمان ومنعهم من التسلط والتعدي على الحدود الإيرانية في الشرق الشمالي.

هذا ولم تكن استفادة الإيرانيين وبالأخص حكومتهم من الشعب الكردي قاصرة على مسائل الدفاع عن الحدود والمحافظة على الثغور والقلاع فقط، بل استفادت منه في جميع الحروب العامة والغزوات الشاملة الدائمة. فكان الشاه عباس وخلفاؤه من الملوك من بعده يجنون فائدة كبيرة من معاضدة الأكراد لهم في الحروب والغزوات، إذ كانت العشائر المكرية رداً للجيش الإيراني دائماً. وكان اعتزاز «الشاه عباس» بالأكراد المكرية كبيراً جداً حتى إنه أفرد لهم مكاناً هاماً في الجيش الإيراني العامل الذي كان يتألف من وحدات كردية عظيمة. فنشأ منهم كثير من الضباط والقواد، أمثال «علي جان سلطان» الشكاكي و«كدائي سلطان» الكولاني و«قلندر سلطان» الكله كيري و«إمام قلى سلطان» الجكني... إلخ (كتابي: مشاهير الكرد)

وفي (١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م) أعاد «الشاه عباس» تأليف الجيش الإيراني فكان معظم وحداته المهمة من أكراد العشائر المكرية. وقد انتصر بهذا الجيش القوي مرات عديدة على الحكومة العثمانية. (دائرة المعارف الإسلامية).

كما أن معظم الجيش الذي توجه بقيادة «حافظ باشا» إلى بغداد لاستردادها من «بكر صوباشي» المتغلب عليها كان من الأكراد^(١).

ثم إن الشاه عباس الذي كان جرد حملة عسكرية قوية على بغداد وحاصرها حصاراً شديداً ولم يتمكن من الاستيلاء عليها إلا بالخدعة والمكر، كان في الوقت نفسه قد أرسل جيشاً آخر على الموصل بقيادة «قرجقاي خان»^(٢) فحاصرها حصاراً شديداً. ثم واصل السير إلى نواحي «ديار بكر» و«ماردين» فدمر تلك البلاد تدميراً كلياً بالنهب والسلب والتقتيل والتشريد. وبعد ذلك قفل راجعاً إلى «الموصل» ونازلها حتى استولى عليها عنوة. وأغار «خان أحمد خان» الأردلاني على إقليم «شهرزور» في هذه الأثناء، وتوغل في البلاد حتى وصل إلى قلعة «كركويه - كركوك» واستولى عليها.

ثورة العشائر المكرية: بعد ثورة «قباد خان» ومذبحة مكرى في سنة (١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) نصب «شير بك» رئيساً للعشائر المكرية. ونظراً لسوء الإدارة

(١) كانت بغداد في سنة (١٠٣١هـ/ ١٦٢١م) قد تغلب عليها «بكر صوباشي» الأنكشاري الذي لما علم أن «حافظ أحمد باشا» زاحف عليه بجيش جرار لاسترداد «بغداد» منه اتصل سراً ببلاط الشاه عباس طالباً منه تعضيده في الدفاع عما في يده. وعندما وصل نبأ ذلك يحافظ أحمد باشا، أسقط في يده وخاف أن يستولي الأعجام على بغداد. فرأى من حسن السياسة الاعتراف بولاية «بكر صوباشي» على بغداد وإعلان ذلك. ثم قفل راجعاً عنها، ولكن الشاه عباس أرسل جيشاً جراراً على بغداد ثم حضر هو بنفسه وحاصرها حصاراً شديداً حتى تمكن بدهائه من خداع ابن «بكر صوباشي» واستأثنته إليه، فمكن هذا الإيرانيين من القلعة فدخلوها وقتلوا والده. المؤلف

(٢) تقول (دائرة المعارف الإسلامية) - على خلاف رأي (عالم آراء) -: إن الجيش الإيراني الذي زحف على الموصل كان بقيادة «قاسم خان». ولكن اسكندر منشي صاحب تاريخ عالم آراء عباس يقول: إن القائد العام كان «قرجقاي خان» وأما الثاني فكان قائد فرقة. المؤلف

الإيرانية، والنفور المستحكم بين الشيعة وأهل السنة والاضطهادات المنبعثة من التعصب المذهبي والقومي، ثار «شير بك» في وجه الأعجام سنة (١٠٣٤هـ / ١٦٢٥م) ثورة شديدة وتعرض لبلاد «مراغه» وقتل من الشيعة مقتلة عظيمة. فقابله «الشاه عباس» بتجريد حملة عسكرية عليه بقيادة «زمان بك» فانسحب «شير بك» ومن معه من العشائر الكردية إلى الجبال وتوغلوا فيها. ولم يتمكن الجيش الإيراني الزاحف من عمل شيء سوى نهب بعض البلاد والقرى وتدميرها بالحرق والهدم.

وبعد وفاة الشاه عباس سار الصدر الأعظم «خسرو باشا» بجيشه نحو العراق فأمضى شتاء سنة (١٠٣٩هـ / ١٦٢٩م) في مدينة «الموصل» فوفد عليه في خلال ذلك كل من «سيد خان» أمير العمادية و«ميره بك» أمير السوران بقواتهما، وقدم رئيس عشيرة «باجلان» إلى المعسكر العثماني ومعه أربعون ألف كردي من الجنو، وثلاثون ألف رأس من الغنم كهدية للجيش. (تاريخ نعيما: ج ٣).

واستقر رأي «خسرو باشا» بعد المشاورة مع الأمراء الأكراد وذوي الكلمة منهم، على الزحف أولا إلى بلاد «أردلان» وهزم أميرها والاستيلاء عليها، ثم يزحفون جميعا إلى بغداد. وتنفيذا لهذا القرار، زحف الجيش العثماني عن طريق «شهرزور» على إمارة «أردلان» الكردية. ولما وصل إلى إقليم «شهرزور» بادر «خسرو باشا» إلى تجديد وتحصين قلعة «خورمال» التي بناها السلطان سليمان. وفي هذه الأثناء قدم عليه من أمراء الأكراد، الشيخ عبد الله الشهير بـ«شيخو» صاحب قلعة «ظالم علي» الكائنة على منابع «زلم» وكذا بعض رجالات الكرد وزعمائهم في تلك الجهات فقدموا جميعا طاعتهم وولائهم للجيش العثماني.

ثم واصل «خسرو باشا» سيره إلى «حسن آباد» مركز «أردلان» واستولى في طريقه على قلعة «مهربان - مريوان» حيث هزم بها جيشا للإيرانيين بقيادة «زينل خان» ثم تابع الزحف حتى وصل «همذان». وعاد في سنة (١٠٤٠هـ / ١٦٣١م) من البلاد الإيرانية، فمر

في طريقه بجيش إيراني فكسره في نواحي بلدي «جمجمال - جم جمال» و«درتنك» ثم واصل سيره إلى «بغداد» فحاصرها وضيق الحصار عليها أربعين يوما فلم يتمكن في خلالها من الاستيلاء عليها، فقفل راجعا من حيث أتى. ولكن «أحمد خان» الأردلاني تعقب أثره وطارد الجيش العثماني حتى استولى على بلاد «شهرزور» (تاريخ نعيميا. وتاريخ فون هامر).

وفي سنة (١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م) استرد السلطان مراد ^(١) الرابع «بغداد» من الأعجام، فكان «قباد بك» أمير العمادية ومعه جيش مؤلف من البهدينانيين وزعماء ورؤساء العشائر الكردية ببلاد الموصل و«أربل» و«كركوك» و«شهرزور» بقواتهم الخاصة، في معية السلطان مراد لفتح واسترداد «بغداد» ثم انعقد الصلح بين الدولتين بعد عام.

هذا والحدود التي أقيمت واستقرت في هذا الصلح دامت لغاية أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. فقصت على النفوذ الإيراني في غربي جبال «زاغروس» وحصرته في شرقها. وبقي قسم من عشيرة الجاف الكردية الشهيرة ضمن البلاد الإيرانية بموجب خط هذه الحدود الجديدة.

وحتى هذا التاريخ كانت كل من «بدليس» و«العمادية» و«حكارى» مستقلة تحت إدارة أمراء أكراد. ولم تخضع للتابعة العثمانية إلا في سنة (١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م) (انظر: تقرير الميجرسون عن لواء السليمانية)

وصفوة القول: أن هذه الحروب الشديدة والنضال المستمر بين سلاطين آل عثمان، وبين ملوك إيران الصفويين اظهرت ظهوراً بيناً القيمة السياسية والجغرافية للكرد وكردستان. (دائرة المعارف الإسلامية). ومن دواعي الأسى والأسف، أن الكرد لم يعتبروا بعبر هذه الدروس التاريخية البليغة ولم يعرفوا كيف يستفيدوا من مركز بلادهم الممتاز، بين الدولتين المتنافستين بتكوين جبهة متحدة وجموع متراصة تقاوم بكل إخلاص تلك الإغارات الأجنبية على بلادهم المرة بعد الأخرى. ولا يخفى أن من الأسباب والعوامل التي حالت

(١) تولى السلطنة من سنة (١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م) لغاية سنة (١٠٤٩هـ/ ١٦٤٠م) المترجم

بين الكرد وبين اتحادهم المنشود ووحدتهم الضرورية، ما هي إلا تفشي الجهل والفقر وتغلغل بذور الشقاق وأسباب التفرقة في الحياة الكردية العامة؛ فالشعب الكردي -الذي كان ينوء تحت أثقال هذه الأمراض الاجتماعية الفتاكة والنكبات القومية القتالة، والذي كان ضحية التيارات السياسية القاسية، وأهواء وأغراض أولياء الأمور الخداعة- بدل أن يتكاتف أمام هذه الأعداء الداخلية والخارجية ويتحد قلباً وقلباً، فيسعى سعياً حثيثاً، لإنقاذ وطنه من براثن المغيرين المدمرين، كان يحترب ويقتل بكل قسوة وتهور. نعم أن حيوية الشعب قد أفضت أحياناً إلى تمكن الكرد -رغم الأحوال والظروف- من تأسيس عدة حكومات قوية، علاوة على الإمارات الصغيرة العديدة. ولكن من دواعي الأسف الشديد أن جميع هذه القوى الوطنية من حكومات كردية وإمارات محلية قضت عليها الحزازات الشخصية الداخلية والعداوات التي بين القبائل والعشائر، كما سنفصلها في المجلد الثاني من هذا الكتاب^(١).

هذا وقد سعى «شرف خان البدليسي» رحمه الله، سعياً حثيثاً لبث روح الاتحاد والوئام في الشعب الكردي أفراداً وجماعات، إمارات وحكومات، إذ أرشدهم جميعاً إلى أقوم سبيل مؤد إلى سعادة الشعب ورخاء البلاد، وقاض على أسباب الشقاق والتخاذل بين الإمارات وسائر القوى الوطنية. فدعا -رحمه الله تعالى- على قدر ما سمحت له الظروف والأحوال حينذاك، إلى تأسيس وحدة سياسية وتكوين جبهة مشتركة بين الحكومات والإمارات الوطنية من نوع الفدراسيون (الحكومات المتحدة) يكون مركزها مدينة «جزيرة ابن عمر» ولكن هذه الفكرة السديدة حقاً، لم تلق آذاناً صاغية من زعماء الكرد وأمرائهم، بدسائس السلطات الأجنبية المتحكمة في البلاد، واتقان تدابيرها الإدارية والسياسية التي كانت ترمي دائماً إلى بذر بذور الشقاق والتفرقة بين الشعب الكردي عامة، تطبيقاً للسياسة المكيافيلية القائلة: (فرق تسد). وهكذا عاش الكرد على ما هم عليه من التخاذل والتقاتل، إلى أن قضى عليهم جميعاً الغاصب الماكر واحداً فواحداً حسبما نرى فيما يأتي.

(١) صدر هذا المجلد أخيراً وهو يحتوي على تاريخ الحكومات والإمارات الكردية العديدة من أقدم العصور حتى العهود الإسلامية الأخيرة. المترجم

الفصل السادس

الكرد لغاية اليوم

١ - الكرد لغاية دور «نادر شاه»:

كان كردستان، حسب تعريف وتحديد (شرفنامه) إقليمًا كبيرًا وصقًا واسعًا. وكان يشمل كثيرًا من الحكومات والإمارات الكردية، ولكن السياسة التركية فيما بعد انتقصت من أطراف هذا الإقليم وجعلته شيئًا فشيئًا إقليمًا صغيرًا جدًا.

نعم! إن معاهدة سنة (١٠٤٩هـ/١٦٣٩م) لم تمنع إيران تمامًا من تخطي جبال «زاغروس» إلى الغرب، غير أن الحكومة العثمانية استولت تدريجيًا في عهد الصفويين، على المقاطعات الغربية الإيرانية، وعلى البلاد القوقاسية (فون هامر). وكان من نتيجة هذا التبدل في الحدود السياسية أن دخل معظم الكرد وكردستان في الحكم العثماني. ولما لم يعد للحكومة العثمانية بعد ذلك كبير اهتمام ومبالاة بالحكومة الإيرانية فقد أخذت تطبق في «كردستان» السياسة المركزية بكل شدة وحرص؛ تلك السياسة التي كانت ولا شك ترمي إلى كسر نفوذ الإمارات الوطنية، والقضاء عليها بالتدريج لإحلال النفوذ التركي، وتثبيت الإدارة المباشرة.

فكان من أهم أركان هذه السياسة التركية والمتحمسين لها «ملك أحمد باشا» صهر السلطان مراد الرابع، وقد نصب هذا الوزير بعد فتح «بغداد» واليًا على «ديار بكر» فكان لا تفوته الفرصة في تطبيق السياسة التركية القاضية بكسر نفوذ الإدارات الوطنية والإمارات الكردية، فمن ذلك أنه زحف من «ديار بكر» سنة (١٠٤٨هـ/١٦٣٨م) بجيش كبير على «يوسف خان» أمير «مزوري» و«العمادية» وأطلق لجيشه الحرية في نهب البلاد وسلب العباد، حتى استولى على بلاده وقبض عليه واصططحبه معه إلى «ديار بكر»

فزجه في السجن، وبعد وفاة السلطان مراد الرابع أطلق سبيله بعد تغريمه بمبلغ من المال قدره مائة كيس. (اولياجلبي).

وفي هذه السنة نفسها تعلق ببعض الأسباب الواهية وساق جيشًا على أمير «بدليس» وكادت الحروب تقع بينهما لولا توسط بعض الأمراء في الأمر والعمل على إرضائه بتقديم رشوة كبيرة إليه^(١)، فعند ذلك عدل عن محاربة الأمير وزحف بهذا الجيش نفسه على قلعة «سنجار» وضيق الحصار عليها وقتل من الأهالي خلقًا كثيرًا. ودمر البلاد تدميرًا.

وفي سنة (١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م) قام والي «أرضروم» التركي تحت تأثير هذه السياسة التركية نفسها، وبحجة شكاوي الحكومة الإيرانية، بالزحف على «مصطفى بك» أمير «شوشيك»^(٢) واستولى على قلعته بتعزيد من أكراد تلك الجهات ودمرت تلك البلاد تدميرًا تامًا (اولياجلبي: ٢-ج).

وفي سنة (١٠٦٦هـ/ ١٦٦٦م) عين «ملك أحمد باشا» واليا على إيالة «وان» فذهب إلى مقر عمله الجديد عن طريق «بدليس» فأكرم أميرها وفادته واحتفى به وبمن معه احتفاءً عظيمًا لم يسبق له مثيل. حيث أغدق عليهم الهدايا والخلع، ولكن كل هذا لم يجد نفعًا. فانتحل بعد مدة وجيزة بعض الأسباب وتذرع بها وزحف على «عبدال خان» أمير «بدليس» هذا بجيش جرار، بالرغم من خضوع الأمير له وتقديمه الطاعة وتوسط الوسطاء من الأمراء لديه. وكان السبب الرسمي الظاهر لهذا التعدي، ادعاؤه أن السلطان مراد كان مستاءً منه، وحناقا عليه لعدم حضوره، أي الأمير «عبدال خان» إلى الركاب السلطاني لتقديم فروض التهئة التبريك له بمناسبة فتح بغداد.

(١) كانت هذه الغرامة على رواية «اوليا جلبي» تقدر بثمانين كيسًا، بدل نفقة الطريق و ١٠ قطر من البغال و ٦ طويلات من الخيول و ١٠ من الغلمان والجواري. وهذا غير ما أعطى لقواد وضباط الجيش الزاحف من الهدايا والرشاوي. المؤلف

(٢) كانت قلعة شهيرة في لواء بايزيد الحالية شرقي أرضروم. انظر المصدر المذكور في ص ٢١٩. المترجم

هذا، وكان معظم جيشه أيضا من جنود الأمراء الأكراد، فحاصروا قلعة «بدليس» ومدينتها أشد حصار ودارت معارك حامية حولهما إلى أن استولى الوالي على القلعة ونهب المدينة وصادر أموال الأمير الكثيرة، ووضع يده على خزائنه العديدة التي كان الترك طامعين فيها منذ أمد بعيد. وقد نجا «عبدال خان» وأولاده وحرime من هذه الطامة الكبرى بكل صعوبة بل وبأعجوبة. (اولياجلي: ج-٤)^(١). ومن الغريب أن أكثر المتحمسين في هذه الحروب الشديدة والساعين فيها وفي قتل الأمير نفسه والفتك به أينما وجد كانوا من الأكراد المحموديين.

وهكذا أنزل «ملك أحمد باشا» بفعل هذه السياسة «كردستان الكبير» إلى درجة من الضلالة والصغر بحيث أصبح عبارة عن مقاطعة «وان» فقط. (دائرة المعارف الإسلامية)

ومن غرائب هذا العهد أن ظهر مهدي كردي سنة (١٠٦٦هـ/ ١٦٦٦م) في ولاية الموصل وكان نجل شيخ من مشائخ الطرق الصوفية فيها. فلما نادى بنفسه مهديا اجتمع حوله أناس كثيرون. فما كان من حاكم «الموصل» وحاكم «العمادية» إلا أن تعقباه وقبضا عليه فأمر السلطان «محمد» الرابع بمعاملته بالحسنى والعطف، ثم استقدمه إلى الأستانة العلية، واستتابه وأدخله في خدمته. (هامر).

(١) كان «اولياجلي» نفسه حاضرا في اللجنة التي تولت ضبط مخلفات الأمير «عبدال خان» فيقول: إن مخلفات الأمير هذه -سبعة أجمال من الكتب النادرة- كانت تشتمل على مكتبة خاصة للأمير فيها أكثر من أربعة آلاف نسخة من الكتب القيمة من نوادر المخطوطات في العلوم الدينية والتاريخية واللغوية وفي علم الحيوانات والنباتات والطب والتشريح والشعر والقافية والدواوين وأنواع من الخرائط والصور واللوحات النادرة وأغلبها مجلدة بغاية من الزخرفة وإتقان الصنعة. وكان يبلغ عدد تأليفاته الخاصة (٧٦) كتابًا و(١٠٥) رسائل كتبها بالعربية والفارسية (ج-٤). فيظهر أن هذا الأمير المنكوب بقدر ما كان حاكما إداريًا مشهورًا بالحزم والعزم كان مشهورًا بالعلم والأدب والشعر فكان ينتظر منه خدمات جليلة لترقية العلوم والفنون مثل جد شرف خان ولكن أحمد باشا لم يمكنه من ذلك.

هذا وقد أسست الإمارة البابانية الكردية في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي في بلدة «شاربازير» من قبل «سليمان بك» الشهير بـ«بابا سليمان» حفيد «الفقيه أحمد» وتفصيلات أخبار هذه الإمارة مذكورة بإسهاب في كتابي (تاريخ السليمانية) وفي المجلد الثاني من كتابي هذا.

وفي عهد «الشاه حسين الشهير» بيهيز، سنة (١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م) قامت أكراد العراق بمحاصرة «همدان»، وصاروا على أبواب عاصمة الإيرانيين نفسها.

وفي عهد الشاه «طهماسب» الثاني سنة (١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م) كان الجيش الإيراني الذي أرسل على أصفهان لاستردادها من «محمود خان» الأفغاني، بقيادة الأمير «فريدون» الكردي الذي كان على جانب عظيم من الجراءة والبراعة النادرة، مما حمله على اقتحام المهالك والوقوع أسيراً في أيدي الأفغانين، ثم أطلق سبيله بعد أن أخذوا عليه الموائيق، والعهد بعدم الرجوع لمحاربتهم. فعاد إلى مقره. ثم بعد مدة لحق بالعثمانيين (فون هامر)

وفي سنة (١١٢٧هـ/ ١٧١٥م) أرسل «حسين باشا» والي بغداد حينئذ قوة عسكرية على عشائر «بلباس» الكردية فنكلت بها أشد التنكيل. وقتل «بكر بك الباباني» الذي كان مشغلاً بالاستيلاء على «كركوك» بعد أن قبض عليه في أثناء المعركة. وهكذا سقطت الإمارة البابانية كلها في أيدي الولاة العثمانيين، كما أن إمارة «سوران» نهبت ودمرت تدميراً بالغاً، من قبل هذا الوالي الذي كان متشعباً بسياسة القضاء على الإمارات الوطنية. ولم يكتف بذلك فقط، بل أرسل قوة أخرى على «سنجار» وأحدث فيها هذه المرة مذابح عامة.

وفي سنة (١١٢٩هـ/ ١٧١٧م) استولى الأكراد الإيرانيون على لواء «باجلان»^(١). وفي سنة (١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م) أعلنت الحرب بين الدولة العثمانية والدولة الإيرانية فتوجه

(١) (أي قضاء خانقين و طوز خور ماتو) الحالي. المترجم

جيش «حسن باشا» ومعهم جميع القوات الكردية إلى «كرمانشاه» فاضطر «عبد الباقي خان» الوالي الإيراني بها لمبارحة المدينة وإخلائها بلا حرب ولا قتال.

ونظرًا لعزل «علي قلي خان» والي «أردلان» من قبل إيران فقد غضب واستاء من حكومته فأرسل إلى والي «بغداد» يعلن انضمامه إلى العثمانيين، ويطلب مساعدتهم له، في حين أن «خان باشا» الباباني كان قد عين من قبل القيادة العليا للجيش العثماني للاستيلاء على ولاية «أردلان» فجاء «علي قلي خان» بجيشه وحاشيته وقدم الطاعة للعثمانيين. وهكذا خضعت جميع إمارة «أردلان» للحكومة العثمانية.

وكان الوالي والقائد العثماني هذا قد أرسل قوة عسكرية أخرى على ولاية «لرستان» التي كان واليها «علي مردان خان» معترزا بـ«طهماسب» شاهنشاه إيران ووثاقًا بتعصيده إياه. فلهذا لم يبال قط بالعثمانيين، ولكن القائد العثماني «عبد الرحمن باشا» المكلف بالزحف على «لرستان» استولى عليها، بعد أن كسر واليها «علي مردان خان» شر كسرة واضطره للفرار ولكنه جاء أخيرًا وقدم الطاعة هو أيضًا.

هذا وقد أمضى الجيش العثماني فصل الشتاء في «كرمانشاه» وبعد عام من ذلك توجه نحو «همدان» وحاصرها حصارًا شديدًا حتى استولى عليها عنوة فقتل من الأهالي والجنود مقتلة عظيمة. وقد حاولت قيادة الجيش الإيراني عبثًا استرداد هذه المدينة، لأن جميع القوات التي أرسلتها لمحاربة العثمانيين واسترداد البلاد منهم، انكسرت شر انكسار، حتى أن الجيش الإيراني الكبير الذي كان بقيادة الأمير «لطف ميرزا» اندحر أمام قوات العثمانيين بقيادة «خان باشا» و«إبراهيم باشا» تمام الاندحار، ووقع الأمير نفسه أسيرًا في أيدي العثمانيين.

وهكذا أدى هذا الانتصار الباهر إلى خضوع جميع عشائر جبال «زاغروس» الشهيرة إلى الخليفة العثماني. وتتميمًا لفوائد هذا الانتصار العظيم أرسلت القيادة العليا للجيش العثماني جيشًا آخر بقيادة والي الموصل على العشائر البختيارية.

وفي سنة (١١٣٩هـ/١٧٢٦م) تمتعت البلاد بفترة راحة وهدنة من القتال. وفي خلالها نصب «أحمد باشا» والي بغداد سر عسكرا عاما على الجيوش العثمانية في الشرق. فأخذ يضاعف الجهود في تقويته هذه الجيوش حتى بلغ عددها نحو مائة ألف جندي كامل العدد العدد، فتوجه بها نحو عاصمة إيران. وكانت البلاد الإيرانية أثناء ذلك خاضعة للأفغانين، إذ كان «أشرف خان» الأفغاني صاحب الحول والطول في جميع بلاد إيران يقود بنفسه الجيش الإيراني الأفغاني، ضد العثمانيين. وكان هذا القائد المحنك قد قام بدعاية واسعة بين الجنود والقوات العثمانية المعسكرة في إيران، ولاسيما بين العناصر الكردية من أمراء وجنود وطنيين فخدع كثيرا منهم باسم عدم جواز الحرب والقتال بين الطرفين اللذين ينتميان إلى مذهب أهل السنة والجماعة. ثم أغدق على كثير من أمراء الأكراد وقوادهم بالرتب والنياشين والخلع وأطمعهم في إعادتهم إلى إماراتهم ومناصبهم الموروثة، حتى تمكن بذلك من ضم جانب كبير منهم إليه، فصاروا لا يودون قتاله. وفعلا لما اشتبك الطرفان في القتال انحاز قسم من الأكراد إلى الأفغانين فانضموا إليهم، كما أن الميمنة العثمانية التي كانت بقيادة أحد أمراء «بابان»^(١) الكردية لم تحرك ساكنا ولم تقاوم الأفغانين وانسحبت بانتظام بجميع قواتها إلى الوراء فأفضى كل هذا أخيرا إلى تدهور الجيش العثماني تدهورا عاما، وانهمزاه شر هزيمة، فمات أكثر من اثني عشر ألف مقاتل من الترك، وتشتت الباقون منهم في البلاد، وعند ذلك انضم المترددون من القوات الكردية الباقية إلى الأفغانين، فاضطر «أحمد باشا» القائد العثماني العام أن يترك جميع أثقاله وأمواله غنيمة باردة في أيدي خصومه، وأن يسرع في العودة إلى «كرمانشاه» فوصل إليها، ولكن «أشرف خان» تعقبه إلى أبواب هذه المدينة.

وتمكن «أحمد باشا» أخيرا من جمع ستين ألفا من الجنود استعدادا للحرب في السنة التالية، ولكن انعقاد الصلح بين «أشرف خان» وبين الحكومة العثمانية حال دون الاشتباك

(١) هذا الأمير الباباني هو «خان» باشا ابن أو أخو «بكر بك» كان قد ذهب لمعاونة أحمد باشا بجنود يبلغ عددهم عشرين ألف. المؤلف

في القتال مرة أخرى. وكان هذا الصلح يقضي باحتلال الدولة العثمانية لولايات «همدان، كرمانشاه، أردلان، لرستان» في مقابلة اعترافها بملكية «أشرف خان» والمناداة به شأها على البلاد الإيرانية^(١). ولم ينل الأمراء الكرد من هذه الأحوال كلها سوى الخجل والخيبة حيث سلمهم «أشرف خان» جميعاً إلى الحكومة العثمانية تأييداً لمركزه إزاءها.

٢- الكرد إلى أواسط القرن الثالث عشر الهجري:

(نادر شاه)

في أواخر عهد السلطان العثماني «أحمد الثالث» تغيرت الأوضاع الداخلية والسياسية في بلاد إيران تغيراً تاماً. وكان العامل الأساسي في ذلك هو شخص «طهماسب قلي خان» أعني «نادر»^(٢) حيث تمكن «طهماسب قلي خان» بعد استرداده «أصفهان» من التضييق على «أشرف خان» في «شيراز» والقبض عليه وقتله. وهكذا نجح في بعث الحكومة الصفوية من جديد بفضل قواته الخاصة ومقدرته. وبعد ذلك جاءت حكومة الشاه «طهماسب» الثاني، فادعت حقوق إيران على الولايات الغربية الإيرانية التي كان «أشرف خان» قد تركها للدولة العثمانية فيما مضى.

(١) إن المعلومات الواردة هنا والمباحث الخاصة «بنادر شاه» مقتبسة من كتاب (الأربعة قرون الأخيرة للعراق) لمؤلفه الميجر لونكريك طبع اكسفورد سنة ١٩٢٥.

(٢) ولد «نادر» سنة (١٠٩٩هـ/١٦٨٨م) في خراسان من أسرة متوسطة الحال من عشيرة «افشار» الشهيرة فأمضى سني صباه الأولى راعياً، ثم قاطع طريق. وفي سنة (١١٣٩هـ/١٧٢٧م) جمع حوله في أطراف بلدة «خوى» زهاء (٥٠٠٠) شخص من الكرد والأفشار وثار ضد الأفغانيين طالباً بإعادة حقوق الأسرة الصفوية. ولم يمض على ذلك كبير مدة حتى تمكن من إعلانه الأمير «طهماسب» شاهاً على إيران وملكاً نفسه هو «طهماسب قلي خان» أعني عبد الطهماسب خان وفي سنة (١١٤١هـ/١٧٢٩م) تمكن من كسر أشرف خان مرتين، إلى أن قضى عليه بعد محاصرته في شيراز والقبض عليه ثم الفتك به، مما أدى إلى زوال الحكومة الأفغانية القصيرة العمر في إيران، وقيام الحكومة الصفوية في الظاهر وظهور حكومة «نادر شاه» في الحقيقة. المؤلف

وفي سنة (١١٤٣هـ / ١٧٣٠م) قام «طهماسب قلي خان» بالزحف على الجيش العثماني المعسكر بقيادة «عثمان باشا» في «همدان» أثناء وجوده في المعسكر. فتمكن من كسره شر كسرة واستولى على جميع معداته الحربية ولوازم الدفاع من مدافع ومدفعيين، مما يسر له الاستيلاء على «همدان» أيضاً، ثم توجه نحو «كرمانشاه» وخدع محافظها فاستولى عليها أيضاً بجميع ما فيها من الأثقال والمهمات. فاضطر الجيش التركي للرجوع إلى ما وراء الحدود القديمة، أعني إلى «زهاب = زهاو» و«خانقين» بعد أن تكبد خسائر فادحة في الأنفس والأموال.

وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه الأحوال إلى إعلان الحرب بين الدولتين، فنصب «أحمد باشا» والي «بغداد» مرة أخرى قائداً عاماً للجيش العثماني التي تحركت حالا نحو بلدة «زهاو» فاتخذها قاعدة للأعمال العسكرية والحربية. وبعد بضعة أيام تمكن من الاستيلاء على «كرمانشاه» وقد انحاز أمير «أردلان» الكردي إلى الترك مرة أخرى، وأخيراً تقدم «أحمد باشا» بجيشه إلى مقربة من «همدان» فتقابل جيشه بجيش الشاه طهماسب في «قوريجان» على مسافة مرحلة من «همدان» فاشتبكوا في القتال ودارت معركة حامية بينهما أسفرت عن اندحار نصف الجيش الإيراني ووقعت جميع أثقاله ومعداته الحربية غنيمة في أيدي العثمانيين. وعلى الرغم من هذا الانتصار العثماني الباهر اضطر «أحمد باشا» لطلب الصلح لبعض ظروف وأسباب. ولكن «طهماسب قلي» لم يرض بهذا الصلح إذ كان يقضي بإعادة «تبريز» و«أردلان» و«همدان» و«كرمانشاه» و«حويزه»^(١) وجميع «لرستان» إلى الحكومة الإيرانية.

وفي هذا العام نفسه قام «طهماسب قلي» بجيش عرمرم يبلغ عدده مائة ألف بالزحف على الحدود العثمانية مرة أخرى، وكان هو نفسه على رأس قوة إيرانية كبيرة تهدد «بغداد». كما أنه أرسل قوة أخرى بقيادة «نركس خان» إلى ناحية «كركوك» فسلكت هذه القوى

(١) بلدة على غربي مدينة الأهواز الشهيرة في مقاطعة خوزستان من البلاد الإيرانية، على مقربة من الحدود العراقية الحالية.

الأخيرة طريق (طوزخورماتو) حتى وصلت إلى كركوك بعد أن دمرت في طريقها إليها كل ما مرت به من البلاد والقرى، وأحدثت فيها كثيرًا من المظالم والمذابح العامة. ولم يكتف «نركس خان» هذا بهذه المظالم فقط، بل صب جام غضبه وأنزل صارخ ظلمه على النساء والأطفال أيضًا. وارتكب مثل هذه الأعمال في أطراف «كركوك» ثم سار نحو «الموصل» وضيق الحصار عليها وارتكب في أطرافها كثيرًا من الأعمال الوحشية القاسية. على أنه عاد عنها خائبًا خاسرًا من غير أن ينال منها منالًا. والجيش الإيراني الأصلي الذي كان بقيادة «نادر»^(١) تقدم في سنة (١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م) من «بهروز» مجتازًا نهر «سيروان»^(٢) حتى وصل إلى «بغداد» وأحاط بها.

وكان «أحمد باشا» أمير «كويسنجق والحريز» مخصصًا لقتال الجيش الإيراني الزاحف على «كركوك» فاصطدم به. ولكن قوته كانت قليلة بالنسبة لأعدائه فانكسر شر انكسار وقتل في المعركة.

غير أن «طوبال عثمان باشا» الذي كان قد أرسل نجدة لحامية «بغداد» العثمانية، التقى «بنادر قلي» على مقربة من مصب «شط الأدهم» في دجلة في (١٩ تموز (يوليو) سنة ١٧٣٣م، ١١٤٦هـ) فكسر شر كسرة، وألحق به خسارة كبيرة جدًا قدرت بـ (٣٠٠٠٠) قتيل وثلاثة آلاف أسير.

وفي الوقت نفسه خرج «أحمد باشا» والي «بغداد» من القلعة بعد هذا الانتصار الباهر إلى ميدان المعركة وكرَّ على القوات الإيرانية المحاصرة فشتتها شذر مذر.

إلا أن «نادر قلي» جمع شمله ثانية، وتمكن من حشد قوة كبيرة أخرى بعد مدة وجيزة، وتوجه بها نحو «العراق» في الوقت الذي كان السر عسكر التركي «طوبال عثمان باشا» مع

(١) يعني، نادر شاه، الذي كان يلقب في بادئ أمره بـ «طهاسب قلي» وتفسيره عبد الطهاسب باللغة التركمانية.

(٢) اسم لنهر الديالى في المناطق الكردية. المترجم

جيشه في أطراف «كركوك». وأخيرًا التقى هذان الجيشان على مقربة من «ليلان» وجهاً لوجه في (٢٦ تشرين الأول سنة ١٧٣٣ م / ١١٤٦ هـ) ودارت رحى معركة حامية دامية. وكان الجيش الإيراني قوياً غير متعب، في حين أن جيش «عثمان باشا» كان تعباً وضعيفاً جداً بالنسبة لخصمه، أضف إلى ذلك سقوط «عثمان باشا» عن ظهر جواده ووفاته في معمرة الحرب أثناء اشتداد وطيس القتال، مما أدى إلى خور عزيمة جيشه واندحاره تماماً. وسقطت جميع مدفعية الجيش التركي وسائر أثقاله وعتاده في أيدي الأعجام، ومع هذا كله لم يتمكن «نادر قلى» من الاستفادة من هذا الانتصار الباهر المنقطع النظير، لاضطراره إلى العودة إلى «فارس» لإخماد ثورة داخلية نشبت فيها. لذلك بادر إلى عقد الصلح مع «أحمد باشا» والي «بغداد» على أساس خط الحدود الذي كان نافذاً في عهد السلطان «مراد الرابع» وأسرع في العودة إلى «إيران». وكان ذلك في سنة (١١٤٦ هـ / ١٧٣٣ م).

وفي سنة (١١٤٧ هـ / ١٧٣٤ م) زحف «نادر قلى» على البلاد القوقاسية، فاستولى على «تفليس» وكان ضمن حاميتها (٦٠٠٠) من مقاتلة الأكراد. (دائرة المعارف الإسلامية). وفي نفس هذه السنة كان (نادر قلى) قد أرسل قوة أخرى على العراق، ولكنها اضطرت إلى التقهقر إلى «سنه»^(١) أمام القوات الكردية والعربية المعاضدة للجيش التركي، ثم قضى عليها أخيراً في تلك الجهات. ولما مات «الشاه طهماسب الثاني» سنة (١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م) نصب «نادر قلى» مكانه، نجله الطفل «الشاه عباس الثالث»^(٢) وجعل نفسه قيماً عليه. وفي سنة (١١٥٤ هـ / ١٧٤١ م) زحف جيشان إيرانيان على الممالك العثمانية من ناحيتي «مندىل» و«شهرزور».

(١) عاصمة ولاية كردستان في البلاد الإيرانية الحالية. المترجم

(٢) وقد بقي الشاه عباس هذا ثمانية أشهر في الحكم إلى أن خلعه «نادر قلى» الذي أعلن نفسه ملكاً على إيران، والقضاء على الأسرة الصفوية بها.

وفي سنة (١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م) زحف «نادر شاه» مرة أخرى على العراق ولكن والي بغداد عمد إلى طريق السياسة والمكر^(١). فانخدع «نادر شاه» بأقواله، فعطف عنان عزيمته نحو «الموصل» زاحفًا عليها بجيشه الجرار عن طريق «شهرزور» ودمر كل ما صادفه في طريقه من القرى والبلدان العامرة تدميرًا. ولم يتمكن الجيش العثماني أو قوة من قوات الأمراء والعشائر المحليين من إيقاف سيل هذا الزحف الإيراني الجارف، وصد هذه الإغارة الهوجاء، بل تشتتوا كلهم أمامها شذر مذر. حتى وصلت القوة الإيرانية هذه -بعد تدميرها بلاد شهرزور تدميرًا تامًا- إلى كركوك فضيق «نادر شاه» الحصار عليها، حتى سقطت في يده بعد أسبوع. ولم تنج هذه المدينة ولا أطرافها من التخريب والتدمير وأعمال النهب والسلب، وقتل من الأهالي والحامية خلق كثير. ثم اجتاز «نادر شاه» بجيشه نهر الزاب الصغير «زى كويه» واستولى على أربل «هولير» وأسر حتى وصل إلى «الموصل» بعد أن دمر كل ما صادفه في طريقه من القرى والساكنين تدميرًا كاملاً. واتخذ قرية «يارمجه» معسكرًا له وشرع في محاصرة المدينة في سبتمبر سنة (١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م). وفي هذه الأثناء كان جيش إيراني آخر مؤلفًا من (٤٠٠٠٠) مقاتل يدمر وينهب ويسلب في أطراف بغداد. وقد دافع «الحاج حسين باشا الجليلي» والي الموصل دفاع الأبطال عن عرينه، وبالرغم من تشديد «نادر شاه» الحصار على «الموصل» وصرف كل ما في مكنته من القوى والنفوذ لم يتمكن من الاستيلاء عليها. حتى اضطر أخيرًا لفك الحصار مؤقتًا والرحيل عنها إلى ناحية «جزيرة ابن عمر» قاصدًا بذلك خداع والي الموصل. فاستولى على البلدة المذكورة وأحدث فيها مذابح عامة لم ينج منها أحد حتى النساء والأطفال. وبعد ارتكاب هذه الفظائع والفجائع في تلك المنطقة، عاد «نادر شاه» بجيشه مرة أخرى فحاصر «الموصل» وهجم مرارًا على قلعتها، لكنه ارتد عنها خائبًا في كل مرة. وأراد أخيرًا أن يحتال على أخذ القلعة بالوسائل السلمية. فعرض شروطًا طيبة للتسليم. ولكنها لم تنل القبول من المدافعين فلذا

(١) وعد «أحمد باشا» هذا «نادر شاه» بتسليم بغداد حينما يتم له الاستيلاء على الموصل قاصدًا من ذلك عدم الاشتراك في القتال مع نادر شاه لئلا يتعرض جيشه الخاص للهلاك. المؤلف

عاد بجيشه نحو «بغداد» خائبًا خاسرًا. وفي أثناء هذه المعارك الدائرة في إقليم العراق وشهرزور، كانت معارك أخرى تدور بين الإيرانيين والعثمانيين في «أذربيجان».

وخلاصة القول: أن هذه الحروب الطويلة قد وقفت رحاها هذه المرة بالشروع في المفاوضات للصلح. حيث عاد «نادر شاه» إلى إيران بعد أن أرسل وفدًا للقيام بمفاوضات الصلح في بغداد.

ولا يخفى أن معاملة «نادر شاه» للكرد لم تكن طيبة قط، فلهذا كان الكرد يكرهونه أشد الكراهية، حتى إنهم ألفوا القصائد باللهجة الكورانية الكردية في هجو «نادر شاه» ونعتوه بالقسوة والغدر. فكان من جملة مظالمه وأعمال الغدارة أنه عزل «سبحان ويردى خان» حاكم «أردلان» وأحل أخاه محله في الحكم، مما أفضى إلى ثورة أكراد تلك المناطق ضد الإيرانيين.

وفي سنة (١١٣٩هـ/١٧٢٧م) أراد «نادر شاه» أن يثير الأكراد (عشيرة جمشكزك وقره جورلو) في خراسان ضد التركمان، وأن يوقع بينهم الشقاق، فلم يصغوا إليه فيما أراد. فغضب الشاه عليهم من جراء ذلك ونقلهم إلى منطقة «مشهد» جزاءً لهم وانتقامًا منهم.

هذا وقتل «نادر شاه» في (٢٣ يونيو أو ١٩ منه سنة ١٧٤٧م / ١١٦٠هـ) في الطريق أثناء زحفه على أكراد خراسان للتنكيل بهم، (دائرة المعارف الإسلامية). فبعد مقتل «نادر شاه» اضطربت الأمور في البلاد الإيرانية، وظهر نشاط أكراد إيران في هذه الآونة ظهورًا تامًا، فتأسست الحكومة الزندية الكردية ودامت من سنة (١١٦٦هـ/١٧٥٣م) إلى سنة (١٢٠٩هـ/١٧٩٤م) أي مدة إحدى وأربعين سنة.

وقد اضطرت الحكومة الزندية الكردية هذه من جراء لجوء الأمراء البابانيين إليها وطلبهم حمايتها، إلى محاربة العثمانيين مرارًا، والاشتباك معهم في القتال في إقليم «العراق، وشهرزور». وتفصيل هذه الحروب والمعارك المذكورة في كتابي (تاريخ السليمانية).

ومن جملة العوامل التي أدت إلى سقوط الحكومة الزندية بهذه السرعة ضعف عشيرة الزند وقلة عددها، مما أفضى إلى عجزهم عن حماية أحفاد «كريم خان» مؤسس الأسرة الزندية. وتلافياً لهذا النقص كان «كريم خان» قد نقل بعض العشائر الكردية إلى حوالي «شيراز» منها عشيرتا «أحمده وند، وكوروني».

وبعد انقضاء أيام الحكومة الزندية، اضطهد «أغا محمد خان القجاري» أكثر العشائر الكردية. ولاسيما العشيرة الزندية، حيث أنزل بها كثيرا من الولايات والمظالم وفتك بكثير من زعماء الأكراد ورؤسائهم، فلم ينج سوى «عبد الله خان» من الزندية، من بطش هذا القجاري الذي لم يكتف بكل هذا، بل عمد إلى نقل وتشتيت الأكراد إلى أنحاء إيران وإحلال قبائل التركمان في محالهم (تاريخ إيران لسير مالکوم).

وفي سنة (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م) قام والي الموصل «عبد الباقي باشا» -وهو من ممالك بغداد، وموصوف بالظلم والغدر- بإغارة شعواء على «العمادية» لمجرد النهب والسلب، وساق أمامه جميع من وقعت عليه يده من أهالي «العمادية» وأجبرهم على الإقامة في الموصل. فوقع هؤلاء المساكين في ضيق شديد وكرب مديد. ومات وقتل منهم خلق كثير.

ومن جهة أخرى كانت الحكومة القجارية التي تأسست في إيران بعد الزندية، تناوش الحكومة العثمانية في القتال بين حين وآخر فتغير على البلاد الكردية الخاضعة للعثمانيين إغارة شعواء للتدمير والنهب.

وقد قامت عشيرة «شكاك» الكردية تحت قيادة رئيسها «صادق خان» بمساعدات قيمة وخدمات جمة في تأسيس الحكومة القجارية. وهذا الرئيس نفسه هو الذي شق عصا

الطاعة على الحكومة الإيرانية في أوائل عهد فتح «علي خان» سنة (١٢١١هـ/ ١٧٩٦م) ولكنه باء بالفشل وأخفق في مسعاه.

٣- الكرد في أواخر القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين:

لا شك في أن والي بغداد استفاد فائدة جلية من قوات الكرد في حركاته العسكرية على «المتنك». وقد كانت مسرحاً للفتن والثورات التي قام بها «آل الشاوي» في سني (١٧٨٧/ ١٢٠١، ١٧٨٨/ ١٢٠٢، ١٧٩٢/ ١٢٠٦)^(١).

هذا، وفي سنة (١٨١٢م/ ١٢٢٣هـ) اشتبك «عبد الرحمن باشا» الباباني في قتال شديد مع والي بغداد^(٢) في «كفرى» فانكسر شر انكسار وأصيبت أكراد «شهرزور» من جراء هذه الهزيمة بمصائب وويلات عظيمة. وأفضى لجوء «عبد الرحمن باشا» هذا إلى الحكومة الإيرانية وطلبه حمايتها له، إلى تدخل هذه الحكومة في الأمر وشنها الغارات على الحدود العثمانية وإطلاق يدها في أعمال النهب والسلب وقد دامت هذه التعديات والتدخلات الإيرانية بسبب الأمراء البابانيين مدة طويلة من الزمن. ثم ظهرت ثورة تيمور باشا^(٣) وإليك تفصيلها:

كانت الحكومة العثمانية نظراً لبعض الأسباب الإدارية قد ألحقت لواء «ماردين» بولاية «بغداد». وكانت أهالي هذا اللواء تتألف من ثلاثة عناصر «الكرد، التركمان، العرب» فسكان المدن والبنادر كانوا من التركمان والمتركين، وأما سكان جبل «طور

(١) انظر: تفاصيل هذه الوقائع والحروب في كتاب (مختصر تاريخ بغداد المسمى بـ(مطالع السعود بأخبار الوالي داود) لمؤلفه الشيخ عثمان بن سند البصري، اختصره أمين ابن حسن الحلواني المدني سنة ١٢٩٠هـ وطبع في يوميات سنة ١٣٠٤هـ.

(٢) وكان يدعى «سليمان باشا» تاريخ جودت باشا التركي: ج ٩، ص ٢٢٦.

(٣) ابتدأت هذه الثورات والقتال في سنة (١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م) كما في جودت باشا. وراجع سجل عثماني (ج ٤، ص ٣٧٧) و(مختصر مطالع السعود) المتقدم ذكره ص ٢١ في أخبار سنة ١٢٠٥هـ. المترجم

عابدين» و«قره جه طاغ» فكانوا من العشائر الكردية القوية الشكيمة، وأما العرب فكانوا يسكنون الصحارى والسهول في تلك الجهات. ولكن النفوذ الكردي كان غالبا على العنصرين الآخرين، بالرغم من أن الأكراد هنالك لم يكونوا كلهم من عشيرة واحدة. ولكنهم بفضل عدم اختلاطهم بالأجانب، كانوا محافظين على نقاء دمائهم وامتانة أخلاقهم وعاداتهم فكانوا يعدون أنفسهم جميعا كأهم من عشيرة واحدة «ملى»، فلهذا كان التفاهم حول رئيس واحد سهلا وميسورا، وبفضل هذا الاتحاد والتضامن التام تسنى هؤلاء الأكراد أن يكونوا دائما خطراً على البيئة التي يكونون فيها أو على الأقل في أوقات الحرج والشدة مثل الثورات والاضطرابات، وما كان ينقصهم أن يكونوا كذلك فعلا سوى وجود رئيس إداري قدير وقائد محنك على رأسهم. وقد قيض لهم هذا الرئيس، وكان يدعى «تيمور باشا» في أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

كان هذا الباشا من أسرة كردية شهيرة أقام بالأستانة مدة من الزمن تقلب خلالها في مناصب عديدة ثم أخذ يتحين الفرص لمغادرة الأستانة إلى أن قيضها الله له فوصل إلى العشيرة المليية وصار رئيسها الأوحد^(١).

يقول «السير بوكينغام» في كتابه (بين النهرين ص ٢٩٣): «كان يتمور باشا قد حشد في جيشه كثيرا من الأشرار، والعتاة القساة في تلك الجهات، فتألفت عنده قوة غير قليلة من الجنود الفتاكة المجهزين تجهيزا حسنا، بفضل ذكائه الطبيعي، وتعوده على حياة النضال والعصيان من القديم، الأمر الذي جعله يشتهر في مدة قليلة من الزمن في تلك المنطقة؛ فهابه واليا «حلب» و«ديار بكر» وخافا مغبة أمره».

فقد كان هذا الرجل يقطع الطريق على السابلة بين «ديار بكر» و«حلب» و«الموصل» وذهبت مساعي الحكومة في بادئ الأمر عبثاً في فتح هذا الطريق، حتى عين أخيراً سنة

(١) هذا البحث منقول من كتاب (أربعة قرون العراق الأخيرة) ومن كتاب (تاريخ جودت باشا).

(١٢٠٥هـ) «سليمان باشا» الكبير والي «بغداد» قائدا عاما من قبل الأستانة للقضاء على هذا الخطر الداهم، فوصل بجيشه إلى الموصل سنة (١٢٠٦هـ / ١٧٩١م) وضم إلى جيشه زهاء ثلاثين ألفا من الخيالة من أهالي تلك الجهات معظمهم من الكرد. وكان «كوسه»^(١) مصطفى باشا والي حلب و«أوزون»^(٢) إبراهيم باشا والي الرقة و«رشوان زاده»^(٣) عمر باشا متصرف ملطية، مشتركين بقواتهم الخاصة مع هذا الجيش الزاحف فتوجه «سليمان باشا» أخيرا بهذه الجيوش الجرارة نحو «ماردين» ونازل «تيمور باشا» الذي عجز عن مقاومة هذا الجيش الكبير فاضطر بكل صعوبة ومشقة لإخلاء قلعة «بوك» والذهاب إلى ناحية «حلب». وبعد ذلك أخذ «سليمان باشا» ينزل عقوبات شديدة بالعشائر المليية بكل قسوة. وعزل حاكم «ماردين» من منصبه لارتياحه به. وأعدم كثيرا من الزعماء والرؤساء من أنصار «تيمور باشا» ورجاله منهم «سعدون بك» أخوه و«محمود بك» ابن عمه (تاريخ جودت ص ٣٤٠، ج ٥) ثم عين سليمان باشا أخا لتيمور باشا رئيسا للعشيرة المليية وهو «إبراهيم بك». هذا وكان العامل الأكبر في قيام هذه الثورات والاضطرابات الداخلية، ضعف الإدارة الحكومية وسوء تصرفها إذ كانت ألحقت منطقة كمنطقة «ماردين» بجوار «ديار بكر» بحكومة ولاية بغداد البعيدة، فكانت الرشوة والمظالم وأنواع من سوء الإدارة متفشية في دوائر الحكومة، حتى أن مدينة «ماردين» نفسها كانت مسرحا للفتن والاضطرابات. إذ قامت مرارا ثورات من الأهالي ضد المتسلم وضد الشرطة والحاكم الإداري. فهذا مع أسباب أخرى - مثل الاستعانة بالعشائر لإخماد ثورة الأهالي، واستغلال ما بينهم من أسباب الشقاق والنزاع، في كتم أنفاسهم المتصاعدة ضد الظلم وسوء الإدارة في الموصل وبغداد، وما بين الترك والماليك والعشيرة المليية من تناوذ وشقاق وعداوة وخصام - أفضى إلى سلب راحة الأهالي واختلال أمور الحكومة وضياع حقوق الناس.

(١) هذه الأسماء لم تكن مذكورة في الأصل فنقلتها من تاريخ جودت باشا. المترجم

(٢) هذه الأسماء لم تكن مذكورة في الأصل فنقلتها من تاريخ جودت باشا. المترجم

(٣) هذه الأسماء لم تكن مذكورة في الأصل فنقلتها من تاريخ جودت باشا. المترجم

عاد «سليمان باشا» إلى بغداد، من غير أن يتمكن من إلقاء القبض على «تيمور باشا» وبعد مضي ثلاث سنوات على ذلك في سنة (١٢٠٩هـ / ١٧٩٤م) جاء «تيمور باشا» بنفسه إلى «بغداد» ولجأ إلى «سليمان باشا» طالباً عفوه فناله، ثم عين بعد مدة أي في سنة (١٢١٥هـ / ١٨٠٠م) (تاريخ جودت: ج ٧) والياً على «الركة» غير أنه لم يتمكن من أداء وظيفته كما هي، نظراً لكثرة أعدائه القدماء بها ودخولهم معه في نزاع وخصام مما أدى إلى عرقلة أعماله الحكومية. فنقل والياً على «سيواس» في شعبان سنة (١٢١٨هـ / ١٨٠٣م).

هذا وانتقلت رئاسة العشيرة المليية بعد «إبراهيم بك» إلى «أيوب بك» الذي دامت رئاسته مدة كبيرة وهو يتمتع بالاستقلال بجميع الشؤون لا يكثر بأوامر الحكومة العثمانية قط، واستمر على ذلك إلى أن زحف عليه جيش عثماني دارت بينه وبين قواته معارك دامية، أسفرت أخيراً عن القبض عليه وحبسه في قلعة «ديار بكر» وبقي فيها إلى أن أدركته المنية فانتقلت الرئاسة إلى «تياوي بك» حفيد^(١) «تيمور باشا» وانتهز هذا الزعيم الكردي فرصة الخلاف والقتال بين الحكومة العثمانية وبين مصر فقدم مساعدات قيمة لإبراهيم باشا^(٢) وتمكن من مد سلطانه في هذه الأثناء لغاية «ماردين» حيث استولى عليها. ولكن الأمر لم يدم له طويلاً إذ قتل في معركة بعد ذلك بقليل، وبعد وفاة هذا الرجل وجلاء الجيش المصري من البلاد المفتوحة عادت الحكومة العثمانية فبسطت حكمها على هذه البلاد مرة أخرى، ونظراً لفقد العشيرة المليية هذه، زعيمها الأوحده نزلت بها مصائب وويلات عظيمة حيث أغارت عليها عشيرتا طى وشمير العربتين واستولتا على كثير من القرى والبلدان التي كانت منازل ومأوى للأكراد. هذا وبعد مدة شاء «محمود بك» ابن «تمو بك - تياوي بك» أن يلم شعث عشيرته فساعدته على ذلك والي الشام فأسعفه بشرذمة

(١) والظاهر أن كلا من «تياوي» و«تمو» تحريف «تيمور» لأن الأكراد يختصرون فيكردون الأعلام الأجنبية غالباً بلهجاتهم الخاصة فيقولون في محمد «محو» وفي تيمور «تمو» وعثمان «اوسو» وأحمد «احمو» وموسى «موسو وموسك».

(٢) أي سر عسكر الجيوش المصرية التي استولت على الشام والأنضول في عهد ولاية والده محمد علي باشا على مصر.

من جنوده، فتمكن «محمود بك» بذلك من إعادة الأمور إلى مجاريها وتوطيد سلطانه وإخراج العشائر العربية من منازل ومناطق عشيرة «الملى» الكردية تدريجياً، حتى اجتمعت كلمة عشيرته حوله وتوحدت كلمتها تحت رياسته، فاتخذ «ويران شهر»^(١) مركزاً له. وبنى بها قلعة حصينة. ولم يمض على ذلك كثير من الزمن حتى زحف عليه «عمر باشا» والى «ديار بكر» واشتبك معه في القتال فقبض عليه واستاقه إلى «ديار بكر» وزجه في السجن فالتجأ ابنه «إبراهيم بك» إلى مصر وسعى فيها لنجاة والده فلم يفلح في مسعاه، فاضطر للذهاب إلى الأستانة واستعان هنالك بنفوذ الخديو «إسماعيل باشا» حتى استصدر من السلطان «عبد العزيز» فرماً بالعفو عن والده، فجاء إلى «ديار بكر» وهو يحمل الفرمان فأطلق سبيل والده الذي مات بعد مدة قليلة تاركاً لابنه «إبراهيم باشا» في أوائل سلطنة عبد الحميد الثاني إمارة قوية جداً.

هذا وكانت الإدارة في هذا الوقت بكردستان في غاية من التأخر والتقهقر، فكانت أرواح وأموال الأهالي معرضة دائماً للخطر والهلاك. إذ كان الحكام والموظفون لا ينظرون إلا إلى إشباع نهم بطونهم وتحقيق شهواتهم بابتزاز أموال الأهالي، وسلب مقتنياتهم حتى أن الولاة والمتصرفين المتجاورين كانوا يتبارون ويتنافسون في ذلك أشد المنافسة. فمن ذلك أن «محمد درويش باشا» والي ومحافظ «وان» الذي كانت بينه وبين «سليم باشا» متصرف «موش» منافسة وعداوة شديدة عمد سنة (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م) إلى عشيرة «سبكي» وبعض عشائر أخرى فأثارهم ضد «سليم باشا» فأغاروا على عدة نواحي من مقاطعة «موش» الخاضعة لسليم باشا الذي اضطر إزاء هذه الحالة إلى سوق قوة كردية تحت قيادة المدعو «جبالق شيخ» على «عاد لجواز» وإطلاق يدها في أعمال النهب والسلب في تلك

(١) معناها المدينة الخربة وهي الآن بلدة في منتصف الطريق بين الرها وماردين في الجزيرة العليا من بلاد

الجهات وهكذا كان هذان الواليان الشقيان يتسابقان في تدمير البلاد وإذلال العباد. (جودت: ج ١١، ص ٢٠)^(١).

ثم إن «درويش باشا» هذا لم يكن يخضع تماماً للحكومة المركزية، ففي غالب الأوقات كان يغير على بلاد مجاوريه وجيرانه من الولاية لمجرد تحقيق مصلحته الشخصية التي كانت تفضي في كثير من الأحيان إلى المشاكل السياسية بين حكومته والحكومة الإيرانية حتى بلغ به الأمر أن سك نقوداً خاصة باسمه في مدينة «وان» فأدت أعماله هذه أخيراً إلى صدور الأمر بنقله إلى «قيرشهر» فعصى الأمر ولم ينفذه وتسبب في القضاء على «يمنى باشا» الذي عين خلفاً له وأخيراً حضر «حافظ علي باشا» السر عسكر بقوة عسكرية كبيرة وقاتله في «وان» قتالاً شديداً، حتى استولى عليها وقبض على «درويش باشا» الثائر ونفذ فيه حكم الإعدام.

وكانت ثورة أهالي «ديار بكر» ضد واليها «بهرام باشا» في هذه الآونة حيث اضطّر «بهرام باشا» في إخماد الثورة للاستعانة بأيوب بك^(٢) رئيس عشيرة الملى الكردية ثم تلقى نجدات عسكرية من «أطنه» و«سيواس» فتمكن بها من إخماد الثورة.

وفي سنة (١٢٣٦هـ / ١٨٢١م) كانت الحدود العثمانية الشرقية في اضطراب وقلق من جراء إغارات العشائر والأشقياء الإيرانيين وكان الطريق مقطوعاً بين «بايزيد» و«أرضروم»؛ ومن جهة أخرى فقد قدم خمسمائة عائلة من عشيرة «حيدر انلو»^(٣) الكردية

(١) والظاهر أن هذا في الطبعة الجديدة من المصدر المذكور. وأما في الطبعة القديمة فالمذكور في ص ٦٤ من ج ١١ أن هذه الأخبار والحوادث من وقائع سنة ١٢٣٤هـ / ١٨١٩م. المترجم

(٢) راجع (تاريخ جودت: ص ٨٣، ج ١١) الطبعة القديمة. المترجم

(٣) ورد في (تاريخ جودت: ج ١٢، ص ٤) أن هذه العشيرة الكردية كانت في الأصل بطناً من عشيرة «شفاق - شكاكي» المقيمة بأطراف ميافارقين بولاية «ديار بكر» ثم هاجرت إلى جهات «موش» و«ملاذ كرد» وأخذت تتراد الحدود الإيرانية وتسرح فيها في شهور الصيف حسب عادة العشائر الكردية.

في إيران، واستوطنت حوالي «موش» وكانت الحكومة الإيرانية تلح في إعادة هذه العائلات اللاجئين، إلى بلادها الأصلية. فحدثت مشكلة سياسية بين الحكومتين، وكانت الأحوال الداخلية في إيران في هذه الأونة على غاية من التقلقل والاضطراب. إذ كان كل من «محمد علي ميرزا» حاكم «كرمانشاه» و«عباس ميرزا» حاكم «أذربيجان» لا يعترف بسلطان الحكومة المركزية، ويدعي لنفسه الاستقلال والانفراد في الحكم. وكانا يخلقان أسباباً واهية للتعرض للحدود العثمانية. فمثلاً كان «الميرزا محمد علي» يجد دائماً في حركات الأمراء البابانيين وسيلة للتدخل والتعرض، كما أن «الميرزا عباس» ولي عهد المملكة الإيرانية كان يسير على سياسة سيئة جداً ضد الترك، فما كان يبالي قط بالمعاهدات ولا يراعي حقوق الجوار. ومن ذلك نجد، أن قوة إيرانية تجتاز الحدود في جهة «وان» فجأة وتتوغل في البلاد العثمانية بدون سابق إنذار حتى تحاصر قلعة عثمانية مثل «جاري»^(١) ثم قوة أخرى من الأشقياء الإيرانيين تتخطى الحدود، وتتسلل في البلاد وتصل إلى «موش» وتتصطدم بقوات «سليم باشا» فتحدث بينهما معارك دامية (تاريخ جودت: ج ١١)^(٢).

ثم انتهاز «عباس ميرزا» فرصة انشغال الحكومة العثمانية بالمسألة اليونانية فتجاوز الحدود على حين غرة في (١٢ ذي الحجة سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢١م) واستولى على «طبراق قلعة» و«بايزيد». وتأثرت قوة عسكرية إيرانية أخرى عشيرة «حيدرانلو»^(٣) لغاية «ديار بكر» واستولت على «بدليس» ودمرت البلاد وأسرت منها خلقاً كثيراً. وأكرهت «سليم باشا» متصرف «موش» على الطاعة، وفي الوقت نفسه كانت قوة إيرانية أخرى قد توجهت نحو «أرجيتس» واستولت عليها.

(١) تقع على مسافة ١٢ ساعة في جنوب «وان» في نفس قضاء حكارى بولاية وان.

(٢) وفي النسخة المطبوعة في الأستانة سنة ١٣٠١ هذه الحوادث مذكورة في المجلد الثاني عشر (ص ١ -

١٢). المترجم

(٣) تقول دائرة المعارف الإسلامية إن هذه الوقائع حدثت من جراء عشيرتي (خضر انلو وسبيكان).

هذا، ومن جهة العراق كان الأمير «محمد علي ميرزا» قد زحف على «بغداد» ووصل في زحفه حتى «شهربان». ولكن والي بغداد «داود باشا» الشهير بفضل سياسته الرشيدة وحسن تدبيره حال دون إلحاقه الأضرار ببلاده. وأخيرًا حل الشتاء وقفل الجيش الإيراني عائداً إلى بلاده.

وبعد سنة عاد «عباس ميرزا» فأغار مرة أخرى على الحدود العثمانية، والتقى بجيش «جلال باشا» الذي كان قادماً لاسترداد «طبراق قلعة» فقاتله وكسره. وبعد ذلك تفشى المرض بين الجيش الإيراني فاضطر للعودة إلى بلاده.

والخلاصة: أن الصلح انعقد بعد سنة ^(١) من ذلك، في مدينة «أرضروم» وتقرر أن تكون الحدود بين البلدين حسب الحدود المقررة في عهد السلطان «مراد» الرابع. ولكن الحكومة الإيرانية لم تخل منطقة «زهاو». كما أن مسألة تدخلها في منطقة «السلمانية» بقيت كما هي من غير اتفاق بشأنها.

وفي سنة (١٢٤٦هـ/١٨٤٧م) ابتدأت الحروب أيضاً بين الحكومتين العثمانية والإيرانية، ولكنها لم تدم كثيراً، بفضل تدخل الحكومتين الإنجليزية والروسية وتوسطهما بين المتحاربين. فانعقدت معاهدة صلح جديدة في مدينة «أرضروم» وبموجب هذه المعاهدة شطرت منطقة «زهاو» المختلف عليها بين إيران وتركيا إلى قسمين قسم بقي تحت حكم إيران، والقسم الآخر مع «السلمانية» ألحق ببلاذ الدولة العثمانية.

وفي المدة بين سنة (١٢٦٤هـ/١٨٤٨م-١٢٦٨هـ/١٨٥٢م) الميلادية تألفت لجنة مختلطة من ممثلي الحكومات الأربع وحددت الحدود بين الدولتين، ولكن عناد «درويش باشا» ممثل تركيا أفضى إلى عدم إصدار قرار نهائي. إذ كان يصر على تحلي إيران للحكومة العثمانية لا عن قضاء «قطور» فقط، بل عن جميع البلاد الواقعة جنوب بحيرة «أرمية».

(١) أي في سنة (١٢٣٨هـ/١٨٢٢م) تاريخ جودت: ج ١٢، ص ٨٨.

يقول الميجر «سون» في كتابه (سياحة متنكرة في ما بين النهرين وكردستان ص ٣٧) ويؤيده في ذلك «الفون مينورسكي» إن من بين وقائع القرن التاسع عشر، جملة حوادث وحركات قامت بها بعض الإمارات الكردية عدة مرات تحت تأثير العاطفة الوطنية، والأمل في نيل الاستقلال القومي. وخلاصة هذه الحركات والثورات موضحة كما يأتي:

أكثر هذه الحركات قام بها الأمراء البابانيون. فمن ذلك أن «بكر بك» ابن «بابا سليمان» قام في سنة (١١٢٨هـ/ ١٧١٦م) بثورة ضد حكومة «بغداد» فأخفقت وفشلت بمجرد قتل موقد نارها. ثم جاء «سليمان باشا» ابن «خالد باشا» وزحف بجيش جرار على «بغداد» بعد وفاة واليها «أبي ليلة» واشتبك في القتال في جوار «كفرى» ودارت معركة حامية بينه وبين المدافعين عن «بغداد» دون جدوى. وبالرغم من ذلك فإنه حكم بلاده مستقلاً طول عمره، ثم أعقبه «عثمان باشا ابن محمود باشا» وبالرغم من أن مساعي هذا الرجل وأطماعه لم تخرج أحلامه من حيز القوة إلى الفعل ولم تتحقق يوماً من الأيام، إلا أنها كانت واسعة جداً. فقد اتفق مع كل من مصطفى أغا متسلم البصرة والشيخ الثويني على أن يستولوا على ولايتي «بغداد» و«البصرة» ولكن «سليمان باشا» والي «بغداد» عرف ذلك الاتفاق المثلث فأفسد عليهم خططهم سنة (١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م).

عبد الرحمن باشا البابان

هو ابن محمود باشا البابان، تولى إمارة البابان سنة (١٢٠١هـ/ ١٧٨٨م) وكان على جانب عظيم من الذكاء وسداد الرأي والنباهة، تولى الإمارة ست مرات فبلغت مدة حكمه كلها أربعاً وعشرين سنة تقريباً، وكانت أطماعه السياسية ومطامحه القومية ترمي دائماً إلى تأسيس حكومة مستقلة كبيرة، فاجتهد في سبيل ذلك كثيراً حيث ثار ضد الحكومة العثمانية مراراً فاشتبك مع قوات «بغداد» في مضيق «بازيان» مرتين في القتال ودارت بينهما معارك حامية أسفرت في كليتيهما عن انهزامه، لاتفاق أخيه «خالد باشا» مع والي «بغداد» سرّاً. وللمرة الثالثة في عهد «عبد الله باشا» والي «بغداد» زحف عليها أيضاً بجيش جرار

واشتبك بجوار «كفرى» مع قوات «بغداد» ودارت بينهما رحى معارك دامية وقاربت الحرب أن تنتهي بانهزام خصومه، ولكن طالع الحرب تغير في آخر ساعة فلحق به الفشل التام. هذا ولولا الانشقاق العائلي بينه وبين أخيه وسائر أقربائه لكان من المحتمل جدًا أن يفوز هذا الرجل على قوات «بغداد» ويتمكن من تحقيق برنامجه الواسع الذي كان يرمى إلى تأسيس حكومة عظيمة في العراق. (تاريخ السليمانية).

محمد باشا الرواندي

حصلت محاولة أخرى من قبل محمد باشا الذي كان أميرًا لروانديز. فهذه الإمارة الصغيرة التي تأسست حوالي سنة (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م) دخلت في طور قلق واضطراب في عهد «مصطفى بك» الذي تولى الحكم بعد «أوغوز بك» وذلك أن مصطفى بك نفسه كان شيخًا مسنًا وأن البابانيين كانوا يطعمون في ولايته فافلقوا راحته وقام ابن له يدعى «محمد بك» يحاول الاستئثار بالحكم وانتزاع السلطة من يد والده، فمات الشيخ بعد ذلك سنة (١٢٤١هـ / ١٨٢٦م) وخلا الجو للأمير محمد الذي اشتهر فيما بعد بلقب الأمير الكبير. والحق أن هذا الأمير كان على جانب عظيم من النباهة وسداد الرأي وقوة العزيمة وسعة الحيلة، مما جعله حاكمًا مهيبًا وأميرًا محترمًا نافذ الكلمة. فأخذ أولاً وقبل كل شيء يخضع الإمارات الصغيرة المجاورة له مثل إمارة «شيران» و«برادوست» فتمكن من ذلك. ثم أعلن استقلاله سنة (١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م) وضم بلدي «سورجى» و«خوشناو» إلى إمارته، وألجأ حاكم «حرير» الباباني إلى الفرار فاستولى على بلده. وبعد ذلك زحف بجيش جرار على «أربيل» واستولى عليها بعد أن ضيق عليها الحصار. ثم سار إلى بلدة «كوبرى - النون كوبرى» فاستولى عليها أيضًا، وعمد إلى تنظيم أمور هذه البلاد المفتوحة فنظمها تنظيمًا حسنًا ووكل أمرها إلى من وثق به من رجاله ثم أخذ بلدي «كوى» و«رانيه» من الحكومة البابانية وبذلك اتسعت حدود مملكته لغاية نهر زى كويه «الزاب الأسفل».

ولما كان والي بغداد «علي رضا باشا» عاجزاً عن مقاومة هذا التيار الشمالي، تيار «مير محمد الكبير» بالقوة المسلحة فكان يعامله بالمدارة والمصانعة؛ حتى إنه اضطر للاعتراف بحكومته رسمياً مع الإنعام عليه برتبة الباشوية.

وفي (١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م) زحف «محمد باشا» على اليزيديين القاطنين في شرقي الموصل، وكان الباعث على ذلك أن أمير الطائفة اليزيدية غدر بـ«علي أغا الباطي» وقتله غيلة. وكان علي أغا هذا كبير عشيرة ألقوشى وكان له ابن أخ يدعى «ملايحيى» اشتهر بين عشيرة «مزورى» بالفضل والعلم فجاء إلى «محمد باشا» وطلب دم عمه وأصر على ذلك، فاضطر أمير «رواندز» إلى إجابة طلبه فزار بجيش كبير واجتاز «الزاب الأكبر- زبي بادينان» إلى منطقة اليزيديين فهجم عليهم هجوماً شديداً وأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وشتت من بقي منهم. فالتجأ قسم منهم إلى جبال «الجودى» و«طور عابدين» و«سنجار» واعتصم قسم برءوس الجبال وأعماق الوديان، وقسم آخر توجه نحو الموصل، ولكن واليها خوفاً من جيش أمير «رواندز» كان قد قطع الجسر، فلم يتمكن اليزيديون اللاجئون من دخول المدينة وبقوا في الخارج فلحق بهم الجيش الزاحف وحاصروهم في تل «قويونجق» بضعة أيام حتى تمكن منهم فقتلهم عن آخرهم. وبعد سنة توجه «محمد باشا» نحو «جزيرة ابن عمر» فخرب تلك الجهات ثم زحف على قلعة «أروخ» وجرت بينه وبين حاميتها معركة دامية. ثم عاد إلى اليزيديين بأطراف الموصل فأحدث فيهم مذابح كبيرة وكان حاكم الموصل في خوف مستمر وقلق دائم نظراً لما عليه من الضعف وقلة الجنود، وما عليه «محمد باشا» من الشدة والإرهاب.

وبعد سنة من ذلك توجه «محمد باشا» نحو «العقره» وبعد محاصرته لها بضعة أيام تمكن من الاستيلاء عليها وطردها حاكمها «إسماعيل باشا» ثم سار إلى «زيبار» التي كانت خاضعة لـ«سعيد باشا» أمير «العمادية» فحارب «سعيد باشا» حتى كسره شر كسرة،

فأخرجه من تلك البلاد أقام مكانه في الحكم «موسى باشا»^(١) الذي كان لاجئاً إليه وكان من أسرة أمراء «بادينان» ومنافساً لسعيد باشا.

وبعد أن فرغ «محمد باشا» من الاستيلاء على «العمادية» و«دهوك» استولى على «زاخو» ثم عمد إلى الأمور الإدارية في هذه البلاد فنظمها أحسن تنظيم بواسطة رجاله، واستتب الأمن في جميع بلاد «بادينان» استتباً لم يسمع بمثله في تلك الجهات. فما كان أحد يجرأ على الإخلال بالأمن خوفاً من شدة الأمير «محمد باشا» الذي كان على جانب عظيم من التقوى والصلاح والتمسك بالشرع الشريف، حيث لم يكن يقدم على تنفيذ شيء من مهام الأمور إلا باستصدار فتوى من العلماء، والعمل بآرائهم، فكان القانون المعول عليه لديه هو القرآن الكريم وقواعد الشرع الشريف، وكانت إدراته - كما يقول الميجر لونجريك - من أحسن الإدارات، ولم يكن لها مثل في تلك الأوقات، من جهة المحافظة على الأمن ونشر ألوية السلام وتحقيق العدالة في دائرة الشريعة الإسلامية. بخلاف إدارت جيرانه حكام «بغداد» وغيرها التي كانت في الحقيقة بعيدة عن الحق ومبادئ العدل والقانون.

هذا وتوجه «محمد باشا» بعد الاستيلاء على «زاخو» إلى «الجزيرة»، و«حصن كيفا» فأوقع البدرخانين في حيص بيص، وأوجد فيهم قلقاً واضطراباً. وهدد قلعتي «ماردين» و«نصيبين» بالاستيلاء عليهما.

وفي عودة «محمد باشا» من هذه الحروب والإغارات وجد أن أهالي «العمادية» ثاروا ضد «موسى باشا» الحاكم المولى من قبله، وأخرجوه من البلد وأعادوا مكانه «محمد سعيد باشا» فثارت ثائرة الباشا من جراء ذلك وزحف بجيش عرمرم على أطراف الموصل فدب

(١) يقول الميجر لونجريك في كتابه (أربعة عصور العراق الأخيرة ص ٢٨٦) إن محمد باشا عين أخاه رسول بك حاكماً على «العمادية» في حين أن صاحب تاريخ الموصل يقول إنه كان موسى باشا، والصحيح هو الأخير. لأن رسول بك عين حاكماً في المرة الثانية. المؤلف

الرعب في قلوب أهاليها، وانتشر الذعر بينهم انتشاراً مريعاً. ولكن الباشا لم يتعرض لتلك المدينة، وتوجه نحو «العمادية» وحاصرها مدة دامت ثلاثة شهور حتى سقطت في يده وتسلم الباشا الكبير، واليها «سعيد باشا» وأخذ يصب على الأهالي جام غضبه فقتل منهم خلقاً كثيراً، ثم عين أخاه «رسول بك» حاكماً على «العمادية» وألحقها بمدينة «رواندز». وفي أثناء ذلك أراد «محمد باشا» والي الموصل أن ينتهز فرصة غياب الباشا الكبير عن مركز إمارته فزحف قاصداً القضاء عليها. واضطر «رشيد بك» وكيله لمغادرة مركز الإمارة والاعتصام بـءوس الجبال، غير أن جيش والي الموصل انسحب من غير أن يعمل شيئاً.

وفي هذا الوقت كانت الحكومة العثمانية قد كلفت «رشيد باشا»^(١) الصدر الأعظم السابق ووالي «سيواس» بمهمة توطيد الأمن في هذه الجهات وأصدرت الأوامر لوالي «بغداد» ومتصرف الموصل بأن يكونا تحت أمر الصدر المشار إليه ويقمدا له كل المساعدات اللازمة فجاء «رشيد باشا» وأخذ في حشد الجنود وإعداد المعدات للقيام بعمل حاسم فانسحب «محمد باشا» إلى مركزه وانتظر يرقب الأمر عن كثب. فوصل جيش «رشيد باشا» إلى الموصل عن طريق «الجزيرة» و«زاخو» واجتمع هنالك بجيش «اينجه بيراقداراوغلي» فتوجهوا معاً نحو «رواندز»، ثم وصل جيش «بغداد» سهل «حريز» فاجتمعوا كلهم هنالك وكان نجل «محمد باشا» قد احتل مضيق «كه لي علي بك» وكان اجتياز هذا المضيق والحالة هذه من الصعوبة بمكان فلذا اضطر «رشيد باشا» لإرسال كتاب إلى «محمد باشا» يدعوه إلى الصلح ويعطيه تأمينات قوية بالعفو عنه وإعادةه إلى محله فيما إذا قدم خضوعه وطاعته^(٢) فحققنا للدماء واعتماداً على تأمينات وموathيق «رشيد باشا»

(١) هو «رشيد محمد باشا» الكرجي الأصل وسر عسكر الشرق وقائد جيش الترك في معركة «قونية» التي حدثت بينه وبين الجيش المصري سنة (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م) بقيادة إبراهيم باشا، وأسر هو فيها ثم أطلق سبيله بعد ذلك وتوفي بديار بكر سنة (١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م) قبل معركة «نزيب- نصيب»

لتي حدثت بين الجيشين المذكورين سنة (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م). المترجم

(٢) وفي رواية أخرى أنه في ذات يوم من أيام الجمعة تعرض أحد علماء كردستان المشاهير في الخطبة التي كان يلقيها في الجامع لعدم شرعية مقاومة جيش خليفة المسلمين والاشتباك معه في القتال فأثرت هذه

هذه، حضر «محمد باشا» إلى المعسكر العثماني وقدم طاعته فأخذه «رشيد باشا» وأرسله مكرماً إلى الأستانة. وفعلاً تمكن من استصدار العفو عنه والإذن له بالرجوع إلى وطنه ولكن القدر أراد غير ذلك، فمات «رشيد باشا» في هذه الآونة فلم ينفذ شيئاً من هذا. إذ كان «علي رضا باشا» والي «بغداد» منافساً لرشيد باشا وخصماً لدوداً لمحمد باشا، فأرسل سراً إلى الأستانة يقول إنه إذا سمح لمحمد باشا بالعودة إلى «رواندز» تعذر ضبط الأمور ونشر ألوية السلام في تلك الربوع، فاضطرت الأستانة إزاء ذلك أن تصدر فرماً بتنفيذ حكم الإعدام في «محمد باشا» وأن ترسله سراً إلى والي سيواس عقب مغادرة «محمد باشا» الأستانة وقد وصل هذا الفرمان إلى يد والي سيواس ومحمد باشا نازل بها، فنفذ حكم الإعدام فيه فوراً^(١).

وبعد انقضاء أيام «محمد باشا» سقطت بلاد إمارته شيئاً فشيئاً في أيدي الحكام الترك إلى أن زالت إمارة «رواندز» من الوجود. وهكذا أصيبت هذه البلاد بالنعس، وانطفأت تلك الشعلة المتقدة، شعلت الرغبة الملحة في تأسيس الحكومة والنزوع إلى الاستقلال التي جعلت الأمير الكبير يمد سلطان حكمه في مدة أربع سنين فقط من حدود إيران حتى «سنجار» و«حصن كيفا». وجلي مما تقدم أن هذا الأمير الشجاع والبطل المغوار لو راعى جانب السياسة في أموره العامة؛ مثل ما كان يراعي مقتضيات الشرع فيها لكان بلا شك من الموفقين في محاولاته ومساعيه لتأسيس حكومة مستقلة قوية.

الخطبة في جيش محمد باشا الذي بادر بالذهاب إلى المعسكر العثماني وتقديم الطاعة للخليفة حسبما أوحى إليه صلابته في العقيدة الدينية. وورد في رسالة خطية منقولة عن مذكرات (أسعد أفندي خيلاني الحاج عمر أفندي زاده) أن جد هذه الأسرة الذي كان يدعى «خطي أفندي» كان رجلاً محترماً ومقرباً لدى محمد باشا أشار إليه بالتسليم وتقديم الطاعة. وفعلاً ذهباً معاً إلى الصدر الأعظم في الساعة السادسة من الليل وقدم الطاعة. المؤلف

(١) وفي رواية أخرى أن «محمد باشا» لما وصل عن طريق البحر إلى طرابزون ألقى القبض عليه ونفذ فيه حكم الإعدام. المؤلف. في كتاب (سجل عثماني) التركي أنه عزل سنة ١٢٥٢ ومات في نفس السنة. المترجم

حركة إسماعيل باشا البهاديناني

إن إسماعيل باشا هذا هو الذي استولى على «العمادية» والبلاد المحيطة بها بعد «رسول بك» أخي محمد باشا، حيث أخذ يحكم هذه البلاد حكماً مستقلاً وبعد مدة زحف «محمد باشا اينجه براقدار» متصرف الموصل في سنة (١٢٥١هـ / ١٨٣٥م) بجيش على «العمادية» وحاصره فيها مدة طويلة ثم تمكن من الاستيلاء عليها، غير أن إسماعيل باشا نجاً بنفسه وبالحامية التي كانت فيها فوصل بها إلى قلعة «نيروا» الواقعة في الشمال الشرقي من «العمادية».

وأما متصرف الموصل فقد عمد إلى تنظيم الأمور وتوزيع المناصب العسكرية والإدارية في القلعة التي استولى عليها ثم قفل راجعاً إلى الموصل وفي الطريق جمع رؤساء وزعماء «شيخاني» في قرية «كر محمد عرب» وفتك بهم فتكاً ذريعاً حتى أبادهم عن بكرة أبيهم. وتمكن إسماعيل باشا بعد مدة من جمع جيش لجب وتوجه به نحو الموصل؛ وأرسل خطاباً إلى محمد باشا يطلب منه إعادة «العمادية» إليه؛ فلم يعره المتصرف سمعاً فتوجه إسماعيل باشا إلى الجزيرة وبقي فيها مدة، اتصل في أثناءها بزعماء «العمادية» وذوي الكلمة ثم تمكن من الزحف إلى «العمادية» فدخلها سنة (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م) سلباً. وما إن وصل هذا النبأ إلى متصرف الموصل حتى أخذ في جمع الجيوش وحشد الجحافل، وتوجه بها نحو «العمادية» وقد التقى بجيش إسماعيل باشا على مقربة من قرية «عين توثا» فاشتبك في القتال الشديد وقد أسفر عن تشنت جيش «العمادية» -الظاهر أن ذلك قد حدث بفعل الدسائس- وعن انهزامه. وبعد ذلك تجمع جيش الموصل وتوجه عن طريق الجبال والوهاد فأحدثوا في الطريق أنواع المذابح وأعمال النهب والسلب ولا سيما في قرية «ألقوش» أما إسماعيل باشا فقد عاد إلى «العمادية».

وبعد تسليم محمد باشا الرواندي زحف «محمد رشيد باشا» على «العمادية» وضيق الحصار عليها مدة من الزمن حتى تمكن من تسلّم القلعة والقبض على «إسماعيل باشا»

فأرسله إلى بغداد وزجه في سجنها. وانتهى عهد هذا الأمير البهديني أيضاً. وتخلصت الدولة العثمانية من هذه الحركات الاستقلالية المنقطعة، الواحدة بعد الأخرى، وكانت الحكمة تقضي على هؤلاء الأمراء بأن يتحدوا قلباً وقالباً ويوفقوا بين آرائهم وأغراضهم حتى يتمكنوا من تأسيس جبهة مشتركة للدفاع عن مصالح الجميع.

وبعد سقوط «العمادية» أخذ الترك يستولون شيئاً فشيئاً على القلاع المستقلة الأخرى مثل «القعة» و«دهوك» واضطر حاكمها هاتين القلعتين الوارثان للحكم فيهما كابراً عن كابر للإقامة بالموصل وبغداد. وتوطدت إدارة الترك المباشرة في بلاد إمارتي «البهادينان» و«السوران - السهران».

وفي هذه الآونة لم يكن بقي شيء من الإمارات الوطنية محتفظاً بكيانه واستقلاله سوى الإمارة البابانية التي كانت هي أيضاً قاربت الزوال، لما كان بين أمرائها من الشقاق والتنافس الممقوت.

أحمد باشا الباباني

لم نعثر على معلومات كافية وتفاصيل وافية عن هذه الحركة، غير أن الميجر سون يقول: كان في نية «أحمد باشا» القيام بثورة ضد الأتراك، حيث مهد السبيل لذلك بتأسيس آلاي من الجنود النظامية مجهزاً تجهيزاً كاملاً على أحدث طراز، ومؤلفاً من أربعة طوابير، كل طابور مؤلف من ألف مقاتل. بقوة لا بأس بها من المدفعية. ثم أعلن استيائه من حكومة بغداد، وتوجه نحو بلدة «كوى - كوى سنجق» فشق عصا الطاعة هنالك. غير أنه لم يوفق فيما رمى إليه من الأغراض إذ يؤخذ من سير الوقائع العامة أن السبب الوحيد في إخفاقه في المهمة التي أخذ على عاتقه تنفيذها هو اتحاد عمه «محمود باشا» مع جيش من الأعجام، وانقضاضه على «السليمانية» والاستيلاء عليها في الوقت الذي كان أخوه «عبد الله باشا» متفقاً مع نجيب باشا والي بغداد.

حركة بدر خان باشا^(١)

تولى هذا الأمير حكومة جزيرة «بوتان- بهتان- بختان» سنة (١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م) وهو يبلغ من العمر ثمانية عشر ربيعاً، فأخذ من جهة يسعى سعيًا حثيثاً في قطع دابر الدسائس التركية من داخل إمارته، ومن جهة أخرى يعد وسائل وأسباب إنقاذ جميع البلاد الكردية الخاضعة للترك ويعمل على تحريرها، واستقلالها بفضل اتحاد الزعماء والأمراء الأكراد، وتأسيس رابطة أخوية قوية بينهم. والحق أن أمراء العشائر الكردية وزعمائها في بلاد «وان، حكارى، خيزان، موش» وبعضاً من شيوخ الدين المشاهير كانوا متفقين معه في هذا الأمر العظيم.

وعلى هذا المنوال شرع الأمير «بدرخان» في أخذ الأهبة والاستعداد فأنشأ أولاً معملاً للذخيرة والبنادق في مدينة «الجزيرة» ثم أخذ يعمل على إخراج مشروعات قيمة أخرى إلى حيز الوجود.

وحدث في الوقت نفسه أن شقت النساطرة في بلاد «بوتان» من بلاد الأمير عصا الطاعة على حكومته وامتنعت عن دفع الضرائب الأميرية المعتادة، فاضطر الأمير إلى تجريد حملة كبيرة يبلغ عددها زهاء عشرة آلاف مقاتل لإخضاعهم والتكليف بهم^(٢)، وقد أفلقت أعمال الأمير بال الحكومة العثمانية، وأخذت تحسب لها الحساب، فأرسلت إلى الأمير مندوبين من قبلها يبذلون له الوعد والوعيد، لكي يصرف النظر عما اعتزمه من السعي لتوحيد قوى الأكراد واتحادهم القومي، غير أن الأحوال تطورت فأدت إلى تدخل أوربا سياسياً لدى الباب العالي بصدد تأديب النساطرة والتكليف بهم على المنوال السابق الذكر.

(١) من كتاب القضية الكردية المطبوع في القاهرة سنة ١٩٣٠. المؤلف

(٢) يقول الميجر «سون» في هذا الشأن: إن الذي حرك بكل تأكيد، هؤلاء النساطرة ثم دفع الأمير لمقاتلتهم والانتقام منهم شر انتقام، هم الترك ليس إلا بقصد القضاء على النساطرة قضاءً مبرماً، لأن الشعب الكردي لم يكن ليسيء معاملة هؤلاء النصارى في يوم من الأيام. بل كانوا متفقين ومتمزجين مع أكثرهم. (سباحة متكررة وخفية في كردستان والجزيرة ص ١٥٦).

فانتهاز الباب العالي هذه الفرصة واعتزم القضاء على إمارة «بدر خان» القوية فأصدر أوامره إلى «حافظ باشا» مشير الأنضول بأن يتخذ الإجراءات والمسايعي لإحضار الأمير إلى الأستانة، وبادر «حافظ باشا»^(١) بإرسال مندوب خاص من قبله إلى الأمير ليعرض عليه ذلك. إلا أنه لم ينجح في مهمته هذه، وبعد ذلك جردت الحكومة حملة عسكرية قوية على الأمير لإخضاعه فنجح الأمير في تشتيت شمل هذه الحملة وإلحاق الهزيمة المنكرة بها. وقد خطا الأمير خطوة أخرى بإعلان استقلاله بلا تردد ولا وجل^(٢).

وفي سنة (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م) ضرب النقود باسمه ووسع من دائرة سلطانه وحكمه إلى حدود بلاد «وان، سابلاخ، رواندز، الموصل» حتى استولى على قلاع «سنجار، سعرد، ويران شهر، سيورك» وأوصل سلطانه إلى قلعة «ديار بكر» وبعد أن أخذ الفتنة التي قامت ضده في أطراف «الموصل» تمكن من الاستيلاء على بلدي «اشنه» و«أرمية».

وتمكنت الحكومة العثمانية في هذه الأثناء من حشد قوة عسكرية كبيرة وإرسالها بقيادة «عثمان باشا» على الأمير فالتقى الجيشان على مقربة من «أرمية» وفي هذا الوقت الحرج انضم «الأمير عز الدين» من أقرباء الأمير الكبير وقائد ميسرة الجيش الكردي بمن معه من الرجال والسلاح إلى الجيش التركي فساعده على الاستيلاء على «الجزيرة» مركز الإمارة. ولما اتصل نبأ ذلك بالأمير «بدرخان» ترك قسمًا من جيشه أمام جيش «عثمان باشا» في المعسكر المذكور وبادر هو وفريق من جيشه متجهًا نحو الجزيرة، فاشتبك بمن فيها من جنود الترك وجنود «عز الدين شير» في القتال وبعد أن دارت معارك شديدة بينهم تمكن من استرداد الجزيرة -مركز الإمارة-.

(١) هو «حافظ محمد باشا» الشركسي قائد الجيش التركي في معركة «نزيب - نصيب» الشهيرة التي حدثت في ربيع ثاني سنة (١٢٥٥هـ / يونيو سنة ١٨٣٩م) بين الجيش التركي والجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا والي مصر فيما بعد. المترجم

(٢) وعلى رأي كتاب (أربعة قرون العراق الأخيرة) كان إعلان استقلال الأمير بدر خان سنة (١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م) فإذا كان هذا صحيحًا فالظاهر أن القول بأن مبدأ جلوس هذا الأمير على عرش الإمارة هو في سنة (١٢٢٧هـ / ١٨١٢م) يكون غير صحيح. المؤلف

وصفوة القول: أن خيانة «عز الدين شير» هذه أدت في النهاية إلى انكسار جيش الأمير بدر خان أمام جيش «عثمان باشا» وإخلاء الأمير مدينة «الجزيرة» والالتجاء إلى قلعة «اروخ» التي حاصرها الترك وعز الدين شير، مدة ثمانية شهور نفدت خلالها المؤن من لدن المدافعين، مما اضطر الأمير «بدر خان» لأن يخرج بمن معه من المدافعين من القلعة ويقتحم صفوف المحاصرين مستبسلًا في القتال، إلى أن انكسر جيشه شر انكسار وقبض عليه وعلى اثنين من أولاده. وأرسلوا جميعًا إلى الأستانة سنة (١٢٦٣هـ/ ١٨٤٨م) وقد أصدرت الحكومة العثمانية (مدالية حرب كردستان)^(١) تذكيرًا لانتصارها في هذه المعارك الدامية.

ثورات البدرخانين بعد الأمير بدر خان

١- في سنة (١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م) التي قامت فيها الحرب التركية الروسية، عمدت الحكومة العثمانية إلى حشد جموع كبيرة من المجاهدين المتطوعين بكردستان تحت قيادة أنجال الأمير بدر خان المذكور. فانتهاز الفرصة من هؤلاء القواد كل من «عثمان باشا» و«حسين كنعان باشا» واتفقا سرًا مع بعض الضباط والزعماء على أن يذهبوا جميعًا إلى كردستان ويعملوا على تحقيق الغاية التي كان يعمل لأجلها جدهم «الأمير بدر خان» وفشل فيها.

وتنفيذًا لما اعتمزمه من الأمر سافر هذان الأميران إلى كردستان سنة (١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م) وتمكنا من التسلل إلى «الجزيرة» وأعلننا فيها استقلال إمارتهما الموروثة. فسأقت الحكومة عليهم الجيوش عدة مرات. وكانت تحفّق كل مرة، حتى زاد نفوذهما وبلغ سلطانهما إلى «جولريك، زاخو، العمادية، ماردين، مديات، نصيين» وأعلن رسميًا تتويخ الأخ الكبير «عثمان باشا» أميرًا على البلاد وخطب باسمه على المنابر.

(١) ومما يؤيد أن هذه المدالية صدرت ذكرى لهذه الحروب، ما ورد في (ص ٤٠ من سالنامه الدولة العثمانية لسنة ١٣٢٢هـ) أن مدالية «كردستان» أنشئت في سنة (١٢٦٣هـ/ ١٨٢٧م) وهذا على خلاف ما سيرد في الحاشية نقلًا عن (دائرة المعارف الإسلامية) من أنها كانت تذكارة لثورة «عز الدين شير» التي حدثت في سنة (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م). المترجم

ولا شك أن توالي انكسار الجيوش العثمانية، الواحد تلو الآخر وانتشار نفوذ وسلطان الأمير «عثمان باشا» في كردستان، قد حملا السلطان عبد الحميد الثاني على تغيير سياسة حكومته نحو الكرد وكردستان، وعلى الأخص نحو الأسرة البدرخانية. فأطلقت حكومة جلالتة سراح جميع أعضاء هذه الأسرة الذين كانوا محبوسين أو معتقلين. وأرسلت مندوباً خاصاً من قبلها إلى «الأمير عثمان» يعرض عليه الصلح واستعدادها لتلبية مطالب الكرد سلماً من غير إراقة دماء المسلمين. فأغتر الأمير عثمان وأخوه الأمير حسين بهذه المظاهر والأقوال، تحت تأثير وتأکید أقربائهما من البدرخانيين المقيمين بالأستانة فدخلوا مع المندوبين الأتراك في المفاوضات السياسية التي دامت مدة من الزمن. وأبدى الترك خلالها كثيراً من التساهل وحسن التقدير للمطالب الكردية. إذ تظاهروا بمنح كردستان امتيازات قيمة في الإدارة الداخلية وفي الواقع كان كل هذا من قبيل خداع الأمير عثمان وأخيه الأمير حسين واكتساب ثقتهم ليركوا الحيلة والحذر في المحافظة على أنفسهم في الحضور والأنصراف إلى مركز المفاوضات، وفعلاً انتهز الترك يوماً من الأيام الفرصة وألقوا القبض عليهما فجأة وأرسلوهما إلى الأستانة مخفورين وزجوا بهما في أعماق السجون. وبعد ذلك بزمان غير قليل أطلقوا سبيلهما وأجبروهما على الإقامة في الأستانة لا يغادراها أبداً.

٢- في سنة (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م) كان كل من «أمين عالي بك» و«مدحت بك» من أنجال الأمير الكبير «بدر خان» يذهبان معاً إلى الأستانة فانتهزا الفرصة في الطريق وتوجها نحو «طرابزون» وأخذوا من هنالك يرسلان الرؤساء والزعماء الكرد بأنحاء كردستان، حتى استقر رأيهم على أن تحضر قوة كردية مسلحة إلى المكان المسمى بـ«جوزلك» -على مقربة من مدينة طرابزون- وتجتمع بهذين الأميرين هنالك وفعلاً حضرت القوة المتفق عليها إلى الجهة المشار إليها وتسلل الأميران من مخبئتهما بطرابزون واتصلا بالقوة المذكورة. غير أن أنباء هذه الحركات قد وصلت إلى أسماع الحكومة التي كنت قد احتاطت لجميع الاحتمالات والمفاجآت وكانت هناك قوات تركية كبيرة قطعت الطريق على الأميرين لمنع وصولهما إلى كردستان. وفعلاً وقع الأميران ومعهما القوة الصغيرة التي جاءت إليهما

خصيصاً، في جنوبي بلدة «بابورد» بين قوتين تركيتين فدارت رحى معارك دامية أسفرت عن اندحار القوة الصغيرة التي كانت مع الأميرين فاضطرا إلى الفرار واللجوء إلى جبال «أرغنى» و«معدن» فتعقبتهما القوات التركية في تلك الجبال والوهاد ودارت بينهما مصادمات عنيفة إلى أن اضطرا إلى التسليم في النهاية إلى الحكومة.

حركة عز الدين شير البوتاني^(١)

كان هذا الرجل أميراً لمقاطعة «بوتان- بهتان» ومنافساً للأمير بدر خان الذي ذهب ضحية خيانتته فزال ملكه المستقل. فقام هذا الأمير أيضاً بشق عصا الطاعة على الحكومة العثمانية ببضع سنين بعد حرب القرم في سنة (١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م) حيث كانت الحكومة العثمانية قد أخلت كردستان الأوسط من الجنود والمقاتلة لانتهائها من إخماد ثورة الأمير «بدر خان» وبقي ردحاً من الزمن مستقلاً في أموره ببلاد «بوتان» إلى أن جردت الحكومة جيشاً لإخضاعه فألحق الأمير «عز الدين شير» الهزيمة بهذا الجيش واضطرت الحكومة لإرسال حملة كبيرة أخرى عليه. فدارت بينهما رحى معارك دامية وأدت إلى انطفاء نار الثورة والعصيان في سنة (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م)^(٢).

(١) إذا كان «عز الدين شير» هذا من أقارب الأمير بدر خان فلا تتفق معلومات (دائرة المعارف الإسلامية) والحالة هذه مع معلومات (بليج شيركوه) التي ذكرها في القضية الكردية. المؤلف
(٢) تقول دائرة المعارف الإسلامية أن مدالية كردستان تذكّر هذه الثورة.

حركة الشيخ عبيد الله^(١)

بعد الحرب الروسية التركية سنة (١٢٩٤-١٢٩٥هـ/ ١٨٧٧-١٨٧٨م) اندلع هيب ثورة كردية أخرى في قضاء «شمدينان» حيث كان بطلها وموقد نارها المرحوم الشيخ «عبيد الله» النقشبندي المشهور. ولم تكن هذه الحركة كسائر الحركات الكردية السابقة بل كانت من جهة المبدأ والغاية تشبه تمام الشبه حركة الشاه «إسماعيل» الصفوي مؤسس الأسرة الصفوية ببلاد إيران. وإليك البيان:

أ- كانت هذه الحركة مثل حركة الشاه «إسماعيل» تستمد نفوذها وقوتها من الخلاف المذهبي والنزعة الدينية.

ب- الدعاة والقائمون بالأمر في كلا الحركتين كانوا هم الأتباع والمريدين من الدراويش والفقهاء.

(١) كان البيت الشمديناني القديم يرجع نسبه إلى أمير عباسي. وكان المؤسس الأول لهذه الإمارة يدعى «الشيخ شمس الدين» فلذا سماه الكرد على طريقتهم بالـ «شمديني - شمديناني». وبعد انقراض الأسرة الشمدينية هذه، حل أشراف وسادة بلدة «نهرى» محلها في الحكم والسلطان. فأحد أعضاء هذا البيت القديم كان يدعى «الشيخ عبد العزيز» وكان مقيمًا في «العقره» ويقال إنه كان حفيدًا لشيخ عبد القادر الجيلاني. وبعد مدة ذهب الشيخ أبو بكر بن الشيخ عبد العزيز إلى بلدة «شمدينان» وأقام بقرية «استوني» التي كانت الموطن الأصلي لهذا البيت القديم. فأمضى من يدعى «الشيخ حيدر» من أحفاد الشيخ أبي بكر المذكور ومعه بعض أتباعه ومريديه ردًا من الزمن في القرية المذكورة. وفي عهد «ملاحجيجي» الشهير نزع أحفاد وذرية هذه الأسرة القديمة إلى جهة «همارو» ومكثوا بها إلى عهد «ملا صالح» الذي كان له ولدان يدعى أحدهما «السيد عبد الله» والثاني «السيد أحمد» هذا والسيد عبد الله بعد أن تعين خليفة لمولانا «الشيخ خالد» قدس الله سره، وانتمى إلى الطريقة النقشبندية، أقام هو وأولاده وأحفاده في بلدة «نهرى». فكان نفوذ هذا البيت كأمثاله من البيوتات القديمة بكردستان دينيًا بحثًا. ثم اتسع سلطانهم المادي أيضًا وامتد، حتى بلغ نهايته في عهد «الشيخ عبيد الله» المذكور. (دائرة المعارف الإسلامية: ج ٤، ص ٣٠٦). المؤلف

ج- غاية كل من الدعوتين كانت ترمي إلى تأسيس حكومة مستقلة.

د- العامل الأكبر في الحركة الأولى كان دهاء الشاه وجرأته النادرة. وفي الحركة الثانية كان مزايا الشيخ «عبيد الله» الفائقة.

فلو كانت الأقدار ساعدت الشيخ عبيد الله على النجاح، وكان في الوقت نفسه يتمتع بمثل الشجاعة النادرة والذكاء البالغ اللذين كان الشاه إسماعيل متصفاً بهما؛ فلا مرء في أن حركة الشيخ كذلك، كانت تفضي إلى مثل النتيجة التي أفضت إليها حركة الشاه إسماعيل. ولكن هيهات!..

ابتدأت حركة الشيخ عبيد الله في سنة (١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م) في الوقت الذي كانت الحكومة العثمانية، في غاية من الضعف والانحلال. فلذا لم تقابلها في بادئ الأمر بقوات عسكرية كبيرة، مثل حركتي «محمد باشا» الرواندي والأمير «بدر خان» الجزيري، الأمر الذي أدى إلى اتساع نطاق الثورة وامتداد نفوذها إلى مناطق كبيرة^(١) إذ كان جميع أهالي منطقة «شمدينان» من أخلص مريدي الشيخ وأنصاره المتفانين في حبه والمضحين في سبيله كل مرتخص وغال، تلك المنطقة التي لم تكن شجاعة أهاليها وسكانها الحاليين لتقل يوماً ما عن بسالة وبطولة أجدادهم القدماء المعروفين في التاريخ السحيق في القدم باسم قوم «نايري». فإشارة واحدة تصدر من الشيخ كانت كافية لحملهم على أن يقتحموا المهالك و الأهوال بلا مبالاة. وهكذا زحف هؤلاء المريدون والأنصار وتدفقوا كالسيول الجارفة بكل سرعة وشدة، على بلاد «أرمية» و«مكرى- صابلاخ- صاو جبالق» فاحتلوا بكل سهولة بلاد «مكريان» التي كان أهاليها جميعاً من الأكراد السنيين المتفانين في حب الشيخ والمعتقدين فيه، فلهذا بذل سكان هذه البلاد أيضاً في سبيل نصرة الشيخ النفس والنفيس واشتركوا معه في إعلان الجهاد الديني ضد الشيعة، الأمر الذي أفضى إلى انتشار روح

(١) يقول الدكتور بليج شريكوه في (ص ٤٨ من رسالته القضية الكردية) أن الشيخ عبيد الله كان يطلب الاستقلال الداخلي تحت الإدارة العثمانية لجميع البلاد الكردية. المؤلف

الحقد والانتقام بين السنيين والشيعة في بلاد «مراغه» أيضًا. فحدثت مذابح عامة بينهم وقتل خلق كثير من الطرفين ولحقتها أضرار بالغة في الأنفس والأموال، ولا سيما الشيعة. وقد بلغ الأمر إلى أن أصبحت العاصمة نفسها «تبريز - توريز» مهددة من قبل قوات الشيخ.

هذا وقد حشدت الحكومة الروسية قوة من جنودها على الحدود لمنع قوات الشيخ من تخطيها والعيث فيها، كما أن الحكومة الإيرانية كانت قد حشدت قوة كبيرة من الفرسان من «تراكمة ماكو» ضد الشيخ، فضلاً عن حشدها قوات كبيرة أخرى، وطلبها إلى الحكومة العثمانية إرسال قوة من قبلها إلى الحدود للتعاون مع القوات الإيرانية على كبح جماح المريدين من قوات الشيخ والتعجيل بقمع حركاتهم. والخلاصة: أن قوات الشيخ بعد مدة وجيزة أحيطت من ثلاث جهات بالقوات المناوئة. فدارت معارك دامية ردحاً من الزمن. وأخيراً اضطر الشيخ أن يتفقهق مع حاشيته وأخصائه إلى موطنه «شمدينان» وأن يسلم نفسه إلى الحكومة العثمانية التي نقلته فوراً إلى الأستانة، حيث بقي فيها مدة من الزمن لا تفارقه فيها الفكرة التي قام لأجلها متحيناً الفرص لتحقيق ذلك. ولم يمض كبير وقت على ذلك حتى تهيأت له الفرصة المناسبة. ففر من الأستانة بطريق القوقاس ووصل «شمدينان» غير أن الحكومة العثمانية بادرت إلى تجريد حملة عسكرية على الشيخ فأجبرته على التسليم وتقديم الطاعة لها في سنة (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م) وبعد مدة سافر الشيخ إلى الحجاز وتوفي في مدينة الطائف^(١).

هذا ويمكننا أن نقول بصفة عامة، إن كل هذه الثورات والحركات التي ذكرناها الآن، مع الثورات التي قام بها كل من «ابن جانبلاط» (الفصل ٥، المادة ٢) و«أمير خان» البرادوستي و«تيمور باشا» الملي وأحفاده. (الفصل ٦، المادة ٣) والثورة الأخيرة التي قام بها «إبراهيم باشا» الملي كانت ترمي دائماً إلى غرض واحد ولغاية واحدة. إذ يذكر الميجر ميلينغن في مؤلفه الشهير ما يؤيد ما ذهبنا إليه فيقول: إن الشعب الكردي عاش من قديم

(١) في رسالة الدكتور بليج، أن الشيخ توفي في المدينة المنورة. المؤلف

الأزمان محتفظاً بكيانه القومي وعاداته الموروثة بالرغم من تطور الحوادث والظروف، حيث بقي بمعزل عنها وقد أظهرت الحوادث والوقائع التي نشأت بكردستان في القرن التاسع الميلادي وجود العاطفة القومية الكردية هذه بأجلى مظاهرها. وهذه الحوادث هي محاولات وحركات «محمد باشا» الرواندي و«أحمد باشا» الباباني و«بدر خان بك» وقد اجتمعت شخصياً بكل من أحمد باشا الباباني ورسول باشا الرواندي وغيرهما من أمراء الكرد وتداولنا الرأي حول هذا الموضوع فعرفت أن نار العاطفة القومية والنزوع إلى الاستقلال بين الشعب الكردي لم تتمد بعد. (حياة بدائية بين الكرد ص ٢١٦).

ومع ذلك فلا ينكر أن جميع هذه الثورات والمحاولات كانت مبتسرة حدثت قبل أوانها من غير جدوى. لأن الشعب الكردي لم يكن قد استعد بعد لمثل هذه الغاية الشريفة. ولا يخفى أن التقدم العلمي والاقتصادي والاجتماعي وسائر نواحي النشاط الإنساني هو مدار هذا الاستعداد والاستحقاق لمثل هذه الغاية الشريفة. وكل محاولة بدون هذا الاستعداد لا توصل إلى النتيجة المرومة، بل قد تؤدي إلى الإضرار بالشعب الكردي إضراراً بليغاً ودليلنا الظاهر على ذلك ما أنتجته محاولات وثورات القرن التاسع عشر وحوادث سنة ١٩٢٧م وما تلاها من الثورات المحلية والانفرادية التي تظهر بين آن وآخر. ويجب علينا أن نذكر ضمن العوامل التي أدت إلى إخفاق تلك الحركات والثورات، ما كان بين الإمارات الكردية من التناوب والشقاق وما بين أفراد الإمارة الواحدة من الغيرة والحسد. وفي الواقع إذا أنعمنا النظر في هذه الثورات والحركات وفي أسباب قيامها وعوامل سقوطها وإخفاق كل واحدة منها، نجد أن السبب في ذلك كله يرجع إلى عوامل داخلية أكثر منها إلى أسباب ومؤثرات خارجية. وتتلخص تلك العوامل في أن القائمين بها لم يكونوا يحسنون الاطلاع بهذه المهام الجسام ولا مدركين العوامل والظروف السياسية المحيطة بهم.

نعم، إن ابن جانبلاط «ميرعلى» قد حالفه التوفيق وقتاً ما فتمكن في مدة وجيزة من تأسيس حكومة قوية، ولكن اصطدامه في بادئ الأمر بجيش الصدر الأعظم «قويو جي

مراد باشا» الشهير البالغ قدره أربعين ألف جندي ومؤلف من نفس الأكراد قضى على حكومته الفتية هذه قضاءً مبرماً. كما أن انهزام «عبد الرحمن باشا الباباني» شر انهزام في مضيق «بازيان» كان من جراء اتفاق أخيه «خالد باشا» مع والي «بغداد» حيث انتهز الفرصة وعمل فيها على فصل قسم كبير من جيش أخيه وضمه إلى جيش والي بغداد الذي كان من المماليك، فأل الأمر إلى انكسار جيش «عبد الرحمن باشا» ونزول الولايات والمصائب على بلاده. وقد تكررت هذه المآسي والفواجع ثلاث مرات خلال السنوات (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م و١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م) في عهد ولاية بغداد «علي باشا، سليمان باشا اللاظ، عبد الله باشا» إذ حدث ذلك في مضيق «بازيان» مرتين وفي جوار «كفرى» مرة واحدة.

هذا ولحركة «محمد باشا» الرواندي من هذه الحركات الاستقلالية والثورات مكانة ممتازة وقيمة خاصة. فإذا أنعمنا النظر فيها نجد أن أسباب فشلها ترجع إلى العوامل الآتية:

أ- التعصب الممقوت، والإفراط في الاعتماد على علماء الدين الجاهلين بالشئون والظروف السياسية.

ب- عدم الاهتمام بفكرة الاتفاق مع الأمراء المجاورين لتوحيد العمل.

ج- التحاسد والتنافس الشديدين بين أمراء البابان والبهادينان والعزيران بالجزيرة.

ولا غرو فإن «محمد باشا» لو لم يكن مغروراً كثيراً، وكان الأمراء المجاورون خالين من التحاسد والتنافس الممقوت، وممتنعين عن التباغض والعداوة، وعاملين على وحدة الفكرة وتوحيد القيادة فيما بينهم؛ للقيت الحكومة العثمانية صعوبة كبيرة في القضاء على حركاتهم الإجماعية المتمنة، ولربما حالف التوفيق حركة كل واحد منهم. ولكن الشقاق الذي كان متحكماً بينهم أفضى في النهاية إلى اندحارهم جميعاً واحداً تلو الآخر.

حقاً إن مما يجب الاعتبار به أن «إسماعيل باشا البهديناني» الذي لم يقصر في عدا «محمد باشا» قط - إذ كان يشاهد ويرى بكل سرور سقوط خصمه وزوال إمارته على أيدي جيش الحكومة - لم يلبث أن زحف عليه أخيراً في «العمادية» ذلك الجيش الذي قضى على خصمه، وقبض عليه وكبله بالحديد وأرسله إلى بغداد وهكذا قضى على إمارتي «السوران» و«البهادينان» في وقت واحد. وكذلك حركة «أحمد باشا الباباني» الاستقلالية لم تكلل بالنجاح، من جراء التحاسد والتنافس الممقوت اللذين كان يكتنهما له كل من عمه «محمود باشا» وأخيه «عبد الله باشا» فأفضى هذا التحاسد العائلي إلى زوال إمارة البابانيين.

وإذا دققنا النظر في أسباب وعوامل إخفاق ثورة «بدر خان بك» نجد أنها كذلك داخلية وناشئة من نفس الأكراد لا من الخارج، إذ إن «عز الدين شير» قريب «الأمير بدر خان» ارتكب إثم الخيانة الوطنية في الوقت العصيب الذي كان ينازل فيه الأمير عدوه «عثمان باشا» القائد التركي فاتفق مع هذا العدو على احتلال الجزيرة، واستولى عليها فعلاً على حساب الترك. وهكذا كان سبب هزيمة الأمير «بدر خان» وسقوط حكمته المستقلة. ولو أن «عز الدين شير» هذا قد ثار بعد ذلك ضد الترك، إلا أنه باء بالفشل أيضاً لأن الجيش التركي الذي تواطأ معه على القضاء على إمارة الأمير «بدر خان» قضى عليه أيضاً كما قضى على خصمه ومنافسه سابقاً.

وكان من جراء هذا الشقاق الداخلي والتحاسد القومي الكردي، أن قضت الدولة العثمانية بالقوات والجنود الكردية نفسها، على إمارة «بدليس» في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. فكان «شرف بك» آخر أمير لهذه الإمارة الكردية. فدافع عن إمارته الموروثة أجل دفاع واستمات في ذلك أية استماتة، إلا أن كل ذلك لم يجده نفعاً أمام الشقاق القومي الكردي والتحاسد العشيري، إذ الكرد أنفسهم ساعدوا على زوال هذه الإمارة من الوجود في سنة (١٢٦٠هـ / ١٨٤٩م).

وخلاصة القول: أن جميع الحركات الاستقلالية التي قام بها الكرد منفردين وهم متدابرون ومتخاذلون، لم تكلل بالنجاح بطبيعة الحال. وكان العامل الأكبر في هذا الإخفاق والفشل هو التخاذل والتحاسد القومي لا غير. حتى أن رجلاً محايداً كالميجر سون يعلن هذه الحقيقة ويلوم الكرد من جرائمها فيقول: «إن الكردي كان دائماً مقدماً وشجاعاً لا يقهر، بعيداً عن الخضوع والطاعة للغير، فلم يخضع لأحد قط ولم ينكسر إلا في حروبه الداخلية، الأمر الذي زاد نفوذ الغاصبين والمحتلين لبلادهم ومكنهم منه». (سياحة متنكرة في بلاد كردستان وبين النهرين ص ٥٥).

حقاً إن التاريخ مرآة العبر والعظات، فيجب على المرء أن يدرسه دراسة تدبر وإمعان، كي يستفيد من دروسه ويعتبر بعظاته البليغة، فلا يقع في الأغلاط والأخطاء التي وقع فيها غيره من الذين حفظ التاريخ أخطاءهم. وقد سبق القول إن العامل الأكبر والسبب الأوحده في إخفاق الثورات والحركات الكردية، هو الجهل المتفشي بين أفراد الشعب ورجال العشائر، وعدم إدراك الزعماء والأمراء القائمين بالأمر فيهم حقيقة الظروف والأحوال المحيطة بهم. هكذا كان الأمر في أمس الدابر ولا يزال كذلك حتى الآن.

وغني عن الذكر أن تأسيس إدارة مستقلة -ولاسيما في هذا العصر- متوقف قبل كل شيء على وجود شيئين أساسيين: العلم والمال. فكل شعب محروم من هذين الكنزين العظيمين لا يرجى له نجاح قط في أية نهضة من النهضات ومطمح من المطامح، بل إن النهضات التي لا تستند على ذينك الأساسين تعود عليه بالضرر والخسران المبين في الأموال والأنفس. اللهم إلا إذا كانت السياسة الدولية العامة تساعد بطريق المصادفة، ذلك الشعب على الوصول إلى غايته. وفي هذه الحالة لا يكون الشعب مستفيداً من نهضته تلك استفادة جدية، لأنه يكون خاضعاً بنوع من الأسر لمحرك هذه السياسة الدولية العامة والعامل الأكبر فيها. وهناك أمثلة عديدة وشواهد كثيرة على صحة هذا القول.

الاستفادة من الكرد واستغلالهم:

لم يقصر الكرد قط في خدمة الحكام والملوك العادلين المنصفين الذين تولوا الحكم في كردستان، كما أن كل أمة من الأمم التي حكمت الكرد وراعت حقوقهم الطبيعية من إثناء، ومساواة، ومعاملة عادلة، قد استفادت كثيرًا من خدماتهم الصادقة ومن شجاعتهم الفائقة وبطولتهم الرائعة في مواقف كثيرة، تشهد بذلك صفحات التاريخ بخلاف الأمم التي أرادت حكم كردستان بالظلم والجبروت، وبإذلال الكرد بالتعدي على حقوقهم الطبيعية وشرفهم القومي، فقد باءت ولا شك بالفشل وأصبحت بكثير من الولايات والأضرار.

فالحكام والملوك الآشوريون العتاة الجبابرة، شغلوا بالكرد منذ تأسيس حكوماتهم حتى انقراضها، فألحقوا بالكرد وبكردستان خسائر جمة وأصيبوا هم أنفسهم من جراء ذلك بأضرار بالغة ونكبات وانهزاعات متوالية. وكان كردستان مسرحاً للقتال والحروب التي دارت رحاها بين حكومات البرث «أشغان- أشكان» والساسان والرومان، إذ كان العامل الأكبر والعنصر الفعال في هذه الحروب الدامية المتوالية، هم هؤلاء الأكراد الذين كانوا يؤلفون دائماً معظم الجيش الإيراني. وقد احتفظوا بصفاتهم ومكانتهم هذه، حتى ظهور الإسلام حيث قاوموه في بادئ الأمر مقاومة شديدة.

هذا ولم يتمتع الشعب الكردي فيما بعد عن تقديم خدمات جليلة لتأسيس الخلافة العباسية وتوطيد أركانها، حيث كان الكرد عنصرًا فعالاً في جيش أبي مسلم الشهير بالخراساني^(١). وكذا لم يتمكن والي كردستان وأذربيجان «أبو جعفر المنصور» من دفع غارة

(١) يدعي الدكتور بليج شيركوه، أن أبا مسلم كان كرديًا، ويؤيده في دعواه هذه، الشعر المنسوب إلى أبي دلامة: المؤلف

أبا مجرم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد
أفي دولة المنصور حاولت غدره ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد

الروم عن البلاد، إلا بفضل تعضيد العشائر الكردية له كما أن «ملكشاه السلجوقي» استفاد من قوة الكرد في تأديب «قاورت» والسلطان «مودود» في فتحه الموصل. واستفاد «محمد بن ملكشاه» أيضا من قوة الأكراد في الاستيلاء على الشام.

وصفوة القول: إن كردستان وسكانه الكرد قدموا للخلافة الإسلامية خدمات جلى، وضحووا في سبيل المحافظة عليها تضحيات عظيمة. فمن ذلك أن الذي دافع عن حقوق الخليفة في بغداد وتوطيد سلطته في البلاد ضد «آل بويه» هو «الباز أبو شجاع الكردي» كما أن الذي أوقف سيول الغز المتدفقة على البلاد الإسلامية، في كردستان هو الشعب الكردي والعشائر الكردية بفضل تدابير وبسالة رجال الحكومة المروانية الكردية. وقد تعرضت العشائر الحميدية الكردية الشهيرة لغزو وإغارة «عماد الدين زنكي» المدمرة من جراء إخلاصها الخدمة للخليفة «المسترشد بالله» العباسي.

هذا وللخدمة العظمية التي قدمها الكرد للسلطان سليم العثماني، بإخلاصهم له واشتراكهم معه في حروبه ضد الإيرانيين، شأن كبير وأثر بعيد في انتصار هذا السلطان إنتصارًا باهرًا في موقعة جلديران الشهيرة.

وقد استفاد من قوة الأكراد خلفاء الشاه إسماعيل الصفوي كثيرا، حيث كانت العشائر الكردية المقيمة في مقاطعة «مكرى» الركن الأساسي للجيش الإيراني المنظم، لأن الشاه عباس الذي قام في سنة (١٠٥٤هـ / ١٦٤٤م) بإصلاحات عسكرية واسعة أدخل عدداً كبيراً من الأكراد في جيشه النظامي بحيث أصبح معظم أفواج (طواير) الجيش الإيراني مؤلفة من الأكراد ولاسيما من أكراد ولاية «مكرى».

كما أن الولاة العثمانيين قد اعتادوا الاستفادة من قوة الأكراد ضد الجيش الإيراني، بل استخدموها نفسها في القضاء على الإمارات الكردية خاصة وفي إطفاء نار الثورات التي قامت ضدهم في سائر أنحاء المملكة العثمانية، فمن ذلك الثورات التي قامت في جنوبي

العراق ضدهم، ولاسيما في عهد الولاية الماليك ببغداد. إذ قضا عليها غالبا بفضل القوات الكردية.

والخلاصة أن التاريخ ولاسيما تاريخ إيران والتاريخ العثماني، مليء بالشواهد والوقائع الدالة على خدمات الأكراد وتضحياتهم العظيمة في مختلف أدوار التاريخين المذكورين.

فكل أمة عرفت كيف تستخدم هذا السلاح الحاد القوي قد استفادت منه فوائد كثيرة، بخلاف الذين لم يعرفوا استخدام هذا السلاح فقد أصيبوا بكثير من الويلات والأضرار وتسببوا في إنزال النكبات العظيمة بالبلاد.

هذا ويرجع مبدأ اتصال الحكومة الروسية بالكرد وكردستان اتصالاً فعالاً واهتمامها بشؤونها اهتماماً جدياً، إلى حرب سنة (١٢١٩هـ، ١٢٢٠هـ / ١٨٠٤، ١٨٠٥م).

ففي الحربين الروسية التركية الأخيرتين سنة (١٢٤٤ و ١٢٩٤-١٢٩٥هـ / ١٨٢٨ و ١٨٧٧-١٨٧٨م) اتسعت الوقائع والمعارك حتى وصلت إلى كردستان الأوسط فأصيب الشعب الكردي من جراء ذلك بويلات ونكبات شديدة ولكن هذا التوغل الروسي في بلاد الكرد أتاح الفرصة للروس لدرس أحوال الكرد عن كثب. فلما اقتنعت الحكومة الروسية بمقدرة الأكراد الحربية ومواهبهم العسكرية أرادت أن تستفيد هي أيضاً من ذلك. فألفت سنة (١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م) آلايا كاملا من الأكراد وشجعت هجرتهم إلى البلاد الروسية. وفي الواقع أن هذا التشجيع وذلك الاهتمام أفضيا إلى هجرة بعض عشائريهم إلى البلاد القوقازية. وعمدت الحكومة الروسية بعد حرب القرم سنة (١٢٦٩- ١٢٧٥هـ / ١٨٥٣-١٨٥٨م) إلى تأليف آلايين آخرين من الكرد.

وأما الحكومة العثمانية فقد كانت لغاية القرن التاسع عشر الميلادي، تستفيد فقط من القوات الكردية غير المنتظمة من العشائر والأفراد. ولم يكن في الإمكان حينئذ الاستفادة

منهم بغير هذه الطريقة. غير أنها بعد أن تطورت الأحوال والظروف وتغيرت الأنظمة والأحوال العسكرية والحربية وأصبح التمسك بالأصول العسكرية القديمة عبثاً لا يرجى منها خير ولا فائدة؛ عمدت الحكومة العثمانية أيضاً إلى إدخال النظام والإصلاح في فروع الجيش ووحداته، فاقتدت بالحكومة الروسية في تأليف فرق من العشائر الكردية وإدخال النظام العسكري بين أفرادها. وقويت هذه الفكرة لديها بعد حرب سنة (١٢٩٤ و ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٧ و ١٨٧٨م) لأن الأمن في كردستان كان قد اختل اختلالاً كبيراً من جراء ضعف الحكومة المركزية وتضعف قواها العسكرية والإدارية. وكانت المادة (٦١) من معاهدة «برلين» تقضي بالقيام فوراً بإصلاحات أساسية وداخلية في تلك البلاد، بحجة المحافظة على حياة الأرمن من اعتداء الكرد والجركس. ولكن الحكومة العثمانية كانت ترى في تنفيذ هذه المادة التي تخدم مصالح الأرمن ضرراً على مستقبلها السياسي فكانت تتلکأ في تنفيذها وتماطل الدول وتسوفها بالوعود الكثيرة، الأمر الذي أفضى إلى قيام الأرمن من جديد في وجه الأتراك وثورتهم ضد الحكومة العثمانية، حيث أخذت فروع الجمعية الأرمنية في لندن والروسيا وسويسرة، تنشط إلى الحركة بجميع الوسائل المادية والأدبية. فاختل حبل الأمن في كردستان، وتبدل السلام والوئام اللذان كانا سائدين بين الأرمن والكرد حتى ذلك العهد، بالأحقاد والضغائن، مما أدى إلى لجوء جانب كبير من أرمن كردستان إلى أصحاب النفوذ وذوي الكلمة من الكرد ليحافظوا على أرواحهم وأموالهم.

وأخيراً استقر رأي الحكومة العثمانية في أوائل عهد السلطان «عبد الحميد الثاني» سنة (١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م) على تأليف بعض فرق وآليات من العشائر الكردية باسم «آليات الخيالة الحميدية» تنفيذاً لفكرة تكوين جيش من الأكراد مثل القوزاق في روسيا، لتوطيد نفوذ السلطنة في كردستان واستمالة العشائر الكردية إلى الحكومة المركزية. وكان «المشير شاكر باشا» هو الذي قام بتنفيذ هذه الفكرة.

ولولا خوف الدولة العثمانية من إجبار الدول لها على إدخال الإصلاحات السابق ذكرها، بالقوة القاهرة. ما كانت ولا شك لتقدم على هذا العمل الذي أصبحت فائدته إدارية أكثر منها عسكرية وحربية، لأنها بهذه الطريقة ضمنت صداقة العشائر وانضمامها إليها كلما طلبت ذلك. هذا ولو أن هذه التشكيلات العسكرية وضعت على أساس علمي قويم، لكانت أتت بفائدة جلية للحكومة. ولو كانت عناية الباب العالي بهذه الآليات الكردية على قدر اهتمام الحكومة الروسية بفرق القوزاق الشهيرة لكانت هذه الآليات الكردية أيضا حائزة لكل تلك المزايا والصفات التي اشتهر بها القوزاق. لكن الحكومة العثمانية لم تر من واجبها الاهتمام بنظام وتعليم وتدريب هذه الآليات التي أنشأتها، تحت تأثير الضرورة الإدارية والاعتبارات السياسية فقط. وقد استمرت على هذا الإهمال وعدم الاهتمام أولاً وآخرًا. لذلك لم يكن لها أن تنتظر من تلك الفرق الكردية، الفوائد التي كانت تجنيها الحكومة الروسية من فرق القوزاق.

هذا وقد دخل «إبراهيم باشا» رئيس العشائر المالية الكردية، وحفيد تيمور باشا بجميع أفراد عشيرته في هذه التشكيلات العسكرية الحميدية التي دامت، على هذه الحالة البدائية، حتى إعلان الدستور العثماني، بالرغم من نفور الدول المجاورة ولاسيما الروسية منها. لأنها كانت تساعد على توطيد النظام وتقوية نفوذ الحكومة في كردستان. وفي الوقت نفسه كانت عاملا مهما في المحافظة على حقوق الزعماء الأكراد وسلطان رؤساء العشائر.

قلنا: إن الحكومة العثمانية لم تهتم اهتماما جديا بتنظيم وإصلاح الفرق الحميدية هذه ولم تنفق عليها أي مبلغ من المال، ولذلك لم تكن لها أية قيمة حربية بالرغم من كثرتها - فكانت أكثر من ستين آلايا على ما أذكر - وكان ذلك مما يؤسف له حقا لأنه يمس شرف الحكومة القائمة بأمرها وكرامتها.

وبعد إعلان الدستور العثماني استبدل اسم هذه الآليات والفرق باسم (خفيف سوارى آلايلرى) أعني الخيالة الخفيفة. وذلك بعد إلغاء البعض منها وإبقاء البعض

واستمرت الآلايات الخيالة لما بعد إعلان الحرب العظمى، وكانت في خلالها عبارة عن أربع فرق ولواء واحد. أعني مائة وخمسة وثلاثين بلوكا من الخيالة. ثم ألغيت كلها نهائياً بعد سنة من إعلان الحرب العظمى.

علاقة الكرد بالأرمن:

كانت العلاقات في حدّ ذاتها بين هذين الشعبين القديمين، ليست بسيئة فيما مضى من الزمن. إذ كان يضمهما وطن واحد من فجر التاريخ. ولا شك في أن هذه العلاقات الطيبة الموروثة كانت تستمر إلى ما شاء الله من الزمن، لولا تدخل الحكام والموظفين من قبل الحكومات المستولية على هذا الوطن المشترك، لأن الأمة الحاكمة كانت تعتبرهم أبناء شعبين مختلفين، فتعمل على التفريق ببذر بذور الشقاق والخصومة بين هؤلاء المواطنين، ليضعفوا جميعاً ولا يكون في إمكانهم الاتفاق وتوحيد المساعي للقيام معاً ضدها. وهكذا ضمنت لنفسها السيطرة التامة على كلا الطائفتين.

حقاً إن هذه السياسة المفرقة كانت في صالح الحكومة القائمة بالأمر، فأوجدت شيئاً كثيراً من الشقاق والأحقاد بين هؤلاء الكرد والأرمن من أبناء الوطن الواحد. وأدت هذه الأحقاد فيما بعد إلى سلسلة من الوقائع والحوادث الدامية. فمن ذلك أنه في صيف سنة (١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م) قامت ثورات كبيرة ووقعت حوادث دامية بين الكرد والأرمن في منطقة «صاصون» أصيب من جرائمها الطرفان بكثير من الأضرار في الأموال والأرواح ودمرت عدة قرى أهلة بالسكان تدميرًا تاماً. ثم صارت هذه الواقعة مقدمة لحوادث دامية أخرى جرت بين العنصرين حيث أظهر الكرد فيها شيئاً كثيراً من النشاط والعمل. ففي سنة (١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م) تجددت هذه الحوادث نفسها في مقاطعة «حكارى» ولكنها كانت هذه المرة ضد الحكومة ولغرض آخر. وبعد هذه الحوادث هدأت حالة العداء الشديد بين الكرد والأرمن واستمرت على تلك الحال حتى أوائل الحرب العظمى.

٤ - الكرد في القرن العشرين

إبراهيم باشا الملي:

من الحوادث الشهيرة التي قامت في كردستان، أوائل القرن العشرين سنة (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) وقبل الحرب العظمى، حادثة قيام إبراهيم باشا الملي نجل محمود بك التيماوي^(١).

فبعد أن عين «إبراهيم باشا» هذا رئيساً للعشيرة المليّة، أخذ يغير يميناً وشمالاً ينهب ويسلب ويقطع الطريق على السابلة، بين «ماردين» و«ديار بكر» حتى أصبح هذا الطريق من جراء أعمال رجاله الأشرار الذين التفوا حوله وجاءوا إليه من كل جهة. وبطبيعة الحال اضطرت الحكومة لتجريد حملة تأديبية، ألقت القبض عليه ثم نفتته إلى «سيواس» ولكنه تمكن بعد ربح من الزمن من الهروب من منفاه ووصل بكل صعوبة إلى «ويرانشهر» موطن عشيرته وأسرتة ولم يمض على ذلك كبير وقت إلا وظهرت التشكيلات العسكرية الحميدية بين العشائر الكردية جمعاء، فبادر «إبراهيم باشا» إلى الانخراط في سلك هذه التشكيلات الجذابة. فنال رتبة المير ميران، وساعده هذا على مد نفوذه وتوسيع سلطانه في تلك الجهات حتى تناول العشائر العربية.

وتمكن في سنة (١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م) من كسر نفوذ عشيرة «قره كجيلي» وإخضاعها لأمره واكتسب بذلك نفوذاً كبيراً جداً في تلك الأنحاء وكانت مدينة «وبرانشهر» مركزاً أصلياً له، حيث كان يدبر منها شئون جميع المنطقة الممتدة بين «ماردين» و«الرها- أورفا» و«قره جه داع» ودامت أيامه هذه إلى إعلان الدستور العثماني، فشق حينئذ عصا الطاعة على الحكومة التي جردت عليه حملة تأديبية كبرى ضيقت عليه الخناق في جبل «عبد العزيز» حتى قبضت عليه وأعدمته.

(١) الظاهر أن لفظ «تيماوي» نسبة إلى لفظ «تمو» الذي يطلقه الكرد على لفظ «تيمور» التركي. المترجم

وهناك حادثة أخرى هي حادثة إقدام الحكومة العثمانية على احتلال بلاد «مكرى» الخاضعة للحكومة الإيرانية، إذ كانت الحدود بين الحكومتين غير محددة لغاية ذلك الوقت.

وتفصيل الخبر في هذا الموضوع، هو أن الحكومة العثمانية انتهزت فرصة ضعف الحكومة الروسية بعد حروبها مع اليابان. فأرسلت جيشاً نظامياً بقيادة «محمد باشا الداغستاني» إلى تلك البلاد. فاحتل هذا الجيش العثماني بلاد «أرمية» و«أشنه» و«صاوجبلاق» بتعصيد من العشائر الكردية القاطنة بتلك الأنحاء، وقد أفضى هذا العمل إلى مشاكل سياسية استمرت إلى ما بعد الحروب البلقانية، كما أن الحكومة الروسية أرسلت جيشاً من قبلها، فاحتلت هي أيضاً بلدي «خوى» و«أرمية» قاصدة بذلك تهديد القوات العثمانية المغيرة. فاضطر الباب العالي إزاء ذلك إلى سحب قواته من البلاد المحتلة. ودامت المناقشات والمذاكرات السياسية ردحاً من الزمن، حتى تألفت أخيراً لجنة مختلطة من مندوبين إنجليز وأتراك وإيرانيين، عهد إليها تحديد خط الحدود بين الطرفين ولاسيما فيما كان مثاراً للنزاع بين الأتراك والعجم، فشرعت اللجنة في مهمتها سنة (١٣٣١هـ/ ١٩١٣م) وبينما كانت اللجنة ماضية في عملها إذ اندلعت الحرب العظمى قبل إتمام العمل. وكان قبل إعلان الحرب العظمى، قد نقل قسم كبير من الفرق الكردية (الجيش العاشر العثماني) إلى الأستانة للاشتراك في حروب البلقان.

ثورة بدليس:

- قامت حركة ثورية وقلاقل في ولاية «بدليس» قبل الحرب العظمى بسنة واحدة، بزعامة كل من «الشيخ سليم» و«شهاب الدين» و«الشيخ علي» وامتد لهيبها لغاية مدينة «بدليس» ولكن القوات التركية أدركتها حالاً، وقضت عليها فوراً قبل أن يستفحل أمرها. وتمكن زعيمها الأوحدمدبرها الأول «الشيخ سليم» من اللجوء إلى القنصلية الروسية،

فلبث فيها حتى إعلان الحرب العظمى، حيث اقتحم الترك القنصلية المذكورة، وأخرجوه منها عنوة وأعدموه.

الحرب العظمى (١٣٣٢-١٣٣٦هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م):

إن شرر هذه الحرب العامة، كسائر الحروب العثمانية والروسية المتقدمة أصاب البلاد الكردية أكثر من غيرها من البلاد الخاضعة للدولة العثمانية. فالأضرار المختلفة التي لحقت بالكرد، من جراء هذا الوباء السياسي والطاعون الاجتماعي، كانت على عدة أنواع:

١- الأضرار الناشئة من عمليات التعبئة العامة:

أصيب الشعب الكردي أكثر من كل الشعوب العثمانية الأخرى، بأضرار ونكبات هذا التدبير العسكري وهذه الضرورة الحربية، حيث جند جميع الشبان الأكراد وسيقوا غصباً إلى المعسكرات لحمل السلاح، فأفضى ذلك إلى إفقار آلاف من البيوت والأسر من عائلهم من الشبان، فلم يبق في البيوت سوى الأطفال والنساء والشيخوخة. أضف إلى ذلك العائلات المعدودة التي كانت تعتبر نوعاً من ذوات اليسار والغنى، فإنها أوديت إيذاء كبيراً وأفقرت إفقاراً تاماً من جراء طلبات الحكومة المتوالية، مثل البدل النقدي العسكري بين آن وآخر، وأنواع الضرائب والتكاليف العسكرية والمدنية، وتقديم وسائل النقل من دواب وعربيات للحكومة، وضروب من الإعانات والتبرعات، وما تبع ذلك من الرشاوى والبراطيل. هذا وأن أغلب الشبان الذين جندوا وسيقوا إلى ميادين الحروب وجبهات القتال، كانوا في جبهة «أرضروم». وأما الباقون فكانوا قد سيقوا إلى جهات «حلب» و«الشام» و«البصرة». وهكذا قضى على زهرة الشباب الكردي والعنصر الفعال والمنتج منهم، في هذه الولايات النائية.

٢- الأضرار الناشئة من وقائع الحرب العامة:

قدم الشعب الكردي لأتون هذه الحرب الضروس جيشين؛ هما الجيش الحادي عشر ومقره بمعمورة العزيز، والجيش الثاني عشر ومقره بالموصل، ومائة وخمسة وثلاثين بلوكا سوارياً من الجيش الاحتياطي. أي أربع فرق ولواء. علاوة على بعض وحدات حاميات الحدود وكامل آليات الجندرمة ورجال الأمن، وقدم كذلك معظم أفراد وضباط جيشين آخرين وهما الجيش التاسع في «أرضروم» والعاشر في «سيواس». وطبعاً قام الشعب بتموين هذه الجيوش الجرارة على قدر استطاعته. ونظرًا لطول أمد هذه الحرب المدمرة، اضطر هذا الشعب البائس لتحمل ويلاتها العديدة ونكباتها المتتالية أكثر من مرة، حيث دعي مرارًا لإكمال نقص هذه الجيوش ومواصلة تموينها. وفضلاً عن هذا، فإنه بناء على طلبات قواد الجبهة العراقية أثناء الملمات والشدائد، اشترك كثير من متطوعي العشائر الكردية وغيرهم من المجاهدين تحت لواء «الشيخ محمود» وغيره من الزعماء والنواب الأكراد، في معركة الشعبية مع القواد الترك، فلاقوا من جراء ذلك كثيرًا من الأهوال والفضائح لا من معارك الحرب وحوادثها الدامية، بل من سوء إدارة القيادة العسكرية التركية، وانتشار روح الفساد والفوضى بين الإدارات العسكرية العديدة، ولاسيما إدارة التموين والإعاشة.

وقد فقد الشعب الكردي إلى الأبد هؤلاء الشبان الأقوياء الذين قدمهم ضحية لهذه الحرب، ما عدا عددًا قليلًا لا يذكر؛ لأنَّ معظم هؤلاء ماتوا إما في ميادين الحروب، وإما في الأسر، وإما في الطريق من شدة الجوع وقسوة الزمهرير ووطأة الأمراض المتفشية، وفقدان وسائل الوقاية وأسباب الصحة الضرورية. ولا يعلم إلا علام الغيوب مقدار الخسائر

والأضرار التي حلت بالبلاد. وإذا جاز لنا أن نقدرها بالفرض والتخمين، يلوح لنا أن مقدار ذلك ينيف على ثلاثمائة ألف من خيرة الشبان^(١).

٣- الأضرار الناشئة من القوات الحربية نفسها:

كانت الحكومة العثمانية في أوائل الحرب العظمى، أسيرة أحلامها الذهبية وحليفة أهوائها القومية الجذابة، إذ كانت تعتقد أن الفرصة سانحة لغزو «إيران» و«توران» وضمهما لإمبراطورية «آل عثمان» بل الوصول فيما بعد إلى «هندستان» لتحقيق فكرة الجامعة التورانية. فلذا بادرت في الحال إلى إعلان الحرب على الروس وقتلهم بجميع جيوشها المنظمة. وفي الوقت نفسه ألقت عدة فرق جواله من حاميات الحدود، وخفرائها الخيالة وغيرهم من فرسان العشائر ومن طلبة المدارس العليا كالحقوق والملكية وغيرها من المدارس العليا المدنية، فساقطهم جميعاً بقيادة بعض من القواد والضباط والنواب على البلاد الإيرانية. كالقوات الغازية التي كانت بقيادة كل من «عمر ناجي» و«رءوف» و«إبراهيم» و«خالد». فاكسحت القوات الأولى والثانية، البلدان التي على طرفي الحدود، ابتداء من بلاد «هاورامان» لغاية «تبريز». ولاسيما بلاد «مكرى» و«بانه» فأحدثتا فيها شيئا كثيرا من أعمال السلب والنهب والتقتيل والتشريد، كما أن «إبراهيم بك» قائد إحدى القوات الغازية أقدم على إعدام كل من «حسين خان» حاكم «مكرى» الذي كان آخر أمير وطني من أمراء أسرة «باباميري» بمقاطعة «مكرى» و«حمي خان» حاكم «بانه» وصادر أموالهما بعد إعدامهما. والقوتان الأخريان من القوات التركية الأربع دمرت كل البلاد التي بين بلدة «خانقين» و«كرند» وفي المنطقة الواقعة بين «رواندز» و«لاهيجان» فأنزلت بها خسائر فادحة إذ ارتكب كل من «عمر ناجي» و«إبراهيم البتليسي» كثيرا من أعمال القسوة والوحشية التي يعجز القلم عن وصفها وتسطيرها.

(١) قدرت الخسارة للجيش التركي في أثناء هذه الحرب بعشرة في المائة من مجموع السكان (انظر كتابي: حرب عموميد عثمانلى جبهه لرى وقايعى. استانبول ١٣٣٧) فعلى هذا تكون خسارة الكرد فقط باعتبار أن تعدادهم العام بتركية ثلاثة ملايين، مقدرة بأكثر من ثلاثمائة ألف. المؤلف

وفضلاً عن هذا فإن قوتين أخريين من القوات التركية زحفتا من ولايتي «وان» و«بدليس» وغزتا البلاد الإيرانية المتاخمة للحدود العثمانية وقامتا بحركات وأعمال تدمير بلا جدوى في منطقة «ديلمان» ثم اضطرتا إلى الانسحاب والتقهقر تحت ضغط الجيش الروسي إلى كردستان، بعد أن ألحقوا بأكراد تلك الجهات أضراراً عظيمة.

٤ - الأضرار الناشئة من المذابح والإجلاء:

في أوائل الحرب العظمى، ألحقت العصابات الأرمنية المسلحة تسليحاً تاماً، أضراراً عظيمة بأرواح وأموال الأكراد، حيث كانت تلك العصابات في مقدمة طلائع الجيوش الروسية التي اكتسحت بلاد «بايزيد» و«آلشکرد» و«وان» وليت الأمر كان قاصراً على هذا فقط. بل إن الترك أنفسهم لم يكونوا يجمعون عن تدمير بلاد الكرد والإسراف في قتلهم بأسباب وحجج واهية. ومازالوا دائبين على العمل للقضاء عليهم نهائياً. حتى أن أحد قواد الترك الكبار وهو «خليل باشا» كان يعترف مباهياً بما ارتكبه ضد الأمراء الوطنيين الكرد وزعمائهم من المظالم وأعمال القسوة والانتقام.

ويؤخذ من كتاب (القضية الكردستانية والترك ص ٣٣) أن عدد الأكراد الذين أجلوا عن أوطانهم وأجبروا على الهجرة، في أوائل الحرب العامة، قد بلغ أكثر من سبعمائة ألف نسمة، حسب إحصائيات إدارة المهاجرين العامة بتركيا. لأنهم حينما أجبروا على مغادرة بلادهم إلى البلاد الغربية من الأنضول، مات معظمهم في الطريق من الجوع وشدة البرد والأمراض الفتاكة.

وفضلاً عن هذا فإن الجيش الثاني الذي كان معسكراً بديار بكر في السنة الثالثة من سني الحرب العامة، أقدم في خريف سنة (١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م) على إجلاء جميع سكان بلاد «ديار بكر» و«موش» و«بتليس» بحجة توفير المؤن وادخارها لنفسه، من أقوات الأهالي وأرزاقهم الضرورية. وهكذا أجلى البعض منهم إلى ولاية الموصل والآخرين سيقوا إلى جهات أخرى كأطنة وحلب في أيام الشتاء والزمهرير. فمات أغلب هؤلاء البائسين من

شدة البرد ووطأة الجوع والأمراض في الطريق. ولم يبق منهم في قيد الحياة سوى عدد قليل. ويمكن أن يقال: إنه لم ينج من الموت أحد من الأطفال. وقد وصل بهم الأمر إلى أن من كان بالموصل من هؤلاء المهاجرين البائسين اضطر لأكل جثث الموتى على قارعة الطرق. وصفوة القول: إن النكبات والويلات التي نزلت بالأرمن في الستين الأولى والثانية من سني الحرب العامة قد نزل مثلها بالأكرد البائسين بعد سنة أو سنتين من ذلك.

٥- الأضرار الناشئة من المجاعات والأمراض:

يمكنني أن أقول: إن أكبر المصائب التي نزلت بكردستان كانت من المجاعات الهائلة التي عمت جميع الولايات العثمانية الشرقية، ابتداء من سواحل البحر الأسود لغاية بلاد العراق. إذ كان الجيش العثماني المعسكر في هذه البلاد التعيسة، محروما من وسائل النقل الحقيقية، وموارد التموين الكافية. فلذا كان يقدم بلا إشفاق على الحصول على المؤن من أقوات وأرزاق السكان المحليين والأهلين، إما بثمان بخس دراهم معدودات، وإما بسندات على الخزينة أو بأوراق نقدية لا قيمة لها. ثم ينتهي به الأمر إلى أن يقدم على المصادرة حالا من غير أن يفكر فيما يحل بالأهالي من الويلات والمصائب من جراء ذلك، ولا شك في أن هذه الأعمال الجائرة والأساليب العسكرية الممقوتة أفضت في النهاية إلى انقطاع ورود الأقوات والمؤن من القرى والأرياف، حيث اضطر سكانها إلى الابتعاد عنها والفرار بأقواتهم وأرزاقهم إلى رءوس الجبال وأعماق الوديان. فأدى ذلك كله إلى تفشي المجاعات والقحط بين الجيش والأهالي من سكان المدن والقرى المجاورة ووصل الحال بالجنود أن كانوا يأكلون الحشيش تارة، ويفتكون ببعضهم تارة أخرى. (انظر: تقرير الجيش الثامن عشر في ٢٥ مارس سنة ١٣٣٢ع-١٣٣٤هـ) وقد بلغ مقدار الخسائر من جراء الجوع والفرار في هذا الجيش خلال شهرين فقط، تسعمائة نسمة. (نفس التقرير). ونزلت القوة الحربية في الجيش السادس في مارث سنة (١٣٣٤ع، ١٣٣٦هـ) إلى (٦٣٠٤) بندقية. (الجريدة الحربية للجيش السادس).

هذا وقد كانت الحالة العامة سيئة جدًا في الجيش الثاني بديار بكر وكذا في الجيش الثالث، مما أفضى إلى انتشار المجاعات وحالات البؤس والشقاء وتوالي النكبات في مناطق هذين الجيشين، إذ قضى مرض التيفوس على معظم جنود الجيش الثالث، وأحدث أضرارًا كبيرة في الجيش الثاني والسادس أيضًا.

وطبعًا كانت الأحوال سيئة جدًا بين الأهالي أكثر من ذلك، فكانت خسائرتهم في الأرواح والأموال تفوق خسارة الجيوش المسيطرة على كل شيء في البلد. ومن قضى شتاء سنة (١٣٣٣، ١٣٣٤ ع - ١٣٣٥، ١٣٣٦ هـ) في الموصل يعرف بالمشاهدة أو السماع، كيف أن آلافًا من مهجري الكرد كانوا يلفظون أنفاسهم الأخيرة في شوارع هذه المدينة وأطرافها، من شدة البرد ووطأة الجوع والأمراض الفتاكة. ولم تكن هذه المآسي والفجائع خاصة بالموصل فقط، بل إن أمثالها كانت تحدث كل يوم بين هؤلاء المهاجرين التعساء في حلب وأذنه (أطنة) وغيرهما.

وفي نفس هذه السنة حدثت مجاعة فظيعة في مدينة «السليمانية» بلغت أقة الدقيق فيها مبلغ جنيه بالعملة الذهبية. إذ تسبب موظفو^(١) التموين وأمناء المنازل، بسوء تدابيرهم وعديد اختلاساتهم في إنزال مصائب كبيرة ونكبات فادحة بالجيش، وفي انقطاع ورود الحاصلات والمؤن من القرى والأرياف إلى المدن والقصبات، الأمر الذي أفضى إلى مصادرة المخزون في البيوت من الأقوات والأرزاق الضرورية لمعيشة أصحابها من غير نظام ولا شفقة. فنشأ من ذلك ولا شك هلاك سبعين في المائة من الأهالي والجنود من شدة القحط ونفاد المؤن بتاتًا.

(١) كان هؤلاء الموكلون بأرزاق الجيش وتمويله يبيعون إلى التجار سرًا ما يأخذونه غصبًا من الأهالي من الأرزاق فيكسبون من ذلك مكاسب هائلة على حساب المظلومين من الضعفاء من الأهالي والجيش. المؤلف

٦ - الأضرار الناشئة من التدمير والتخريب:

ولا يعلم إلا علام الغيوب مدى التخريب الذي أصاب البلاد من جراء هذه الكوارث متجمعة. على أن هذه الأضرار تنقسم إلى قسمين من حيث منشئتها؛ فقسم منها هو الذي أحدثه العدو حين اجتياحه البلاد. وهذا لا يتعدى بلاد «أرضروم» و«أرزنجان» و«وان» و«بدليس» وجزء من بلاد «الموصل» وهو أطراف «رواندز». فبطبيعة الحال أحدث العدو في هذه البلاد المجتاحة كثيرًا من التدمير والتخريب وأعمال الانتقام ولا سيما العصابات الأرمنية وغيرها التي أحرقت بلدانا عامرة وقرى أهلة، بداعي الانتقام والتشفي.

وأما القسم الآخر: فهو الأضرار التي أحدثها الجيش العثماني بنفسه. وإذا كان جزء من هذه الأضرار مما اقتضته الضرورة العسكرية والتدبير الحربي، فإنه مما لا شك فيه أن الجزء الأكبر منها كان متعمداً، ومقصوداً عمله بالذات. ولا ريب في أن الذين أتيح لهم السفر والتنقل في مناطق الحرب وجبهات القتال، خلال الحرب العامة أو بعدها، رأوا وشاهدوا بعينهم مدى الخسائر الفادحة والنكبات البالغة التي أصابت البلاد والعباد. وأعتقد أن أثر هذه الكوارث والتخريب والتدمير لا يزول عن البلاد، خلال عشرين سنة على أقل تقدير.

والخلاصة: أن الشعب الكردي قد أصيب بويلات عظيمة في الأموال والأنفس أثناء الحرب العظمى، حيث تقدر خسائره المادية بما ذكر في المواد الآتية الذكر. ولا يقل مقدار الخسائر في الأرواح عن نصف مليون نسمة.

تأسست بعد الحرب العامة في إحدى زوايا كردستان الجنوبي «السليمانية» حكومة محلية بتعريض من الحكومة الإنجليزية ومساعدتها. فبدل أن تقوم هذه الحكومة بوظيفتها بهدوء، إذا بها تضطر للاشتباك مع الإنجليز مرتين في النضال. فأفضى ذلك إلى زوالها نهائياً

من الوجود سنة (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م) وألحقت «السليمانية» بالحكومة العراقية، بصفة لواء من الأولوية المؤلفة منها المملكة العراقية الحالية. (التفصيل في كتابي: تاريخ بلاد السليمانية).

وفي سنة (١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م) بدأت حركة إسماعيل أغا (سمكو) رئيس عشيرة «الشكاك» وأخذت في بادئ الأمر بمضايقة النساطرة^(١) ثم اتسعت إلى أن وصلت إلى بلاد «أرميه» واستولت عليها وأصبحت هذه المدينة قاعدة لها ولأعمالها. وعندئذ جردت الحكومة الإيرانية حملة عسكرية كبيرة على هذه الحركة وقضت عليها بعد حرب دامية. واضطر إسماعيل أغا زعيم الحركة وقائدها إلى اللجوء إلى العراق والإقامة بشمال «رواندز».

ومن الحركات والثورات التي قامت في بلاد الكرد عقب الهدنة، ثورة أكراد جبل «درسم» الشهير التي أخمدها «نور الدين باشا» بعد حروب وأهوال كبدت الطرفين خسائر جمة.

وفي أواخر الحرب العامة، عندما ظهرت علائم الضعف وبوادر الخذلان في قوات ألمانيا وحلفائها، وتغيرت السياسة الدولية رأساً على عقب شرعت الجماعات السياسية من الكرد أيضاً تبدي نشاطاً لا بأس به في جميع البلاد؛ إذ أخذ «شريف باشا» في باريس على عاتقه تمثيل الجماعات السياسية الكردية كلها، فقدم مذكرتين وخريطين لكردستان إلى مؤتمر الصلح ضمنهما مطالب وحقوق الأمة الكردية. وكانت إحدى المذكرتين مؤرخة في (٢٥ جمادى الثاني سنة ١٣٣٧هـ/ ٢٢ مارس سنة ١٩١٩م) والأخرى في سنة (١٣٣٨هـ/ أول مارس ١٩٢٠م) وفي ديسمبر سنة (١٩١٩م) كان شريف باشا وقع مع

(١) هم الأكراد المسيحيون من أتباع الراهب نسطورس، زعموا أخيراً لاعتبارات سياسية، أنهم من جهة العنصر والدم ليسوا أكراداً وأنهم بقايا الآشوريين وأحفادهم في ولاية الموصل. فلذا اشتبهوا في الصحف العربية والأوربية باسم الآشوريين، في حين أنه ليس لهم لغة شعبية سوى اللغة الكردية. فضلاً عن أن العرب في صدر الإسلام اعتبروهم هم واليعاقبة نصارى الكرد. المترجم

ممثل الأرمن «بوغوص نوبار باشا» اتفاقاً بين الكرد والأرمن من نتيجته أن تقدما إلى مؤتمر الصلح ببيان مشترك يحددان فيه حقوق أمتيهما^(١).

وأخيراً أمضيت معاهدة «سيفر» في سنة (١٣٣٨هـ/ ١٠ أغسطس ١٩٢٠م) فكان من متقضاتها تأليف حكومة أرمنية في ولايات «طرابزون» و«أرضروم» و«وان» و«بتليس». (المادة ٨-٩٣). أما فيما يتعلق بالأكراد فإننا لا نجد في هذه المعاهدة سوى إشارة إلى إنشاء نوع من الحكم الذاتي للأكراد الذين يقطنون في المنطقة الوهمية التي تصورها في شرقي الفرات وجنوبي بلاد «أرمنية» المنشأة حديثاً محدودة ببلاد «تركيا» و«سورية» و«العراق». على أن هذا الإنعام الباهر من مؤتمر الصلح، على الشعب الكردي التعيس كان مقيداً بشروط وتحفظات قوية وشديدة، تقضي:

«١- باستفتاء أهالي هذه المنطقة الكردية الصغيرة فيما إذا كانوا يريدون الانفصال عن الترك أم لا؟»

٢- وبعرض نتيجة هذا الاستفتاء على عصبة الأمم لدرسها وإصدار قرارها في ضوء ذلك، يقرر إذا كان الشعب الكردي جديرًا بالاستقلال أم لا؟ فإذا قررت العصبة جدارة الشعب الكردي للاستقلال، يبلغ ذلك القرار إلى حكومة تركيا التي عليها أن تدعن لها. فإذا بلغ الأمر هذا الحد لا يانع الحلفاء حينئذ في انضمام أكراد الموصل أيضاً إلى أكراد هذه الحكومة الكردية المستقلة استقلالاً ذاتياً. المادة ٦٢-٦٤».

وخلاصة القول أن القضية الكردية لم تكن سوى مداورات سياسية وموضوع مساومات رخيصة ليس إلا. وهذا المؤتمر العالمي الذي كان يتشدد بكلمات العدل والإنصاف والعمل على إنقاذ الشعوب المحكومة وتحريرها، أثبت بأجلى برهان وأسطع دليل، أمام الإنسانية جمعاء، أن هذه الكلمات جوفاء لا معنى لها ولا مدلول في عالم السياسة

(١) نشر هذا البيان السياسي المشترك في جريدة (بيام صباح) التركية في استانبول في ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٠م، وفي جريدة «تان» في ١٠ مارس سنة ١٩٢٠. المؤلف

والواقع. وأنها لم توضع إلا للتغريب بالأمم والشعوب وخداع الجماعات البشرية كلها، وأن الصرخات التي كانت تصدر من أعماق قلوب المظلومين والمضطهدين من الشعوب والجماعات طالبين حقوقهم الطبيعية والسياسية، لم تصل إلى ضمير السياسة العامة قط. إذ وصل الأمر بأعضاء هذا المؤتمر لأن يقدموا أربع ولايات كبيرة إلى مليون أو اثنين من الأرمن، في الوقت الذي لم ير هؤلاء الأعضاء الشعب الكردي الذي ينيف عدده على بضعة ملايين، جديرا بحكم وطنه وبلاده.

فهذه الإهانة التي لحقت وجه العدالة والإنصاف البشري من قبل مؤتمر الصلح العالمي، كانت جديرة بأن تكون درسا قاسيا من دروس التاريخ وعبرة بالغة من عبر الدهر لطلاب الحقوق والعدل. ولسنا نجهل الأسباب والعوامل التي حملت أخيرا بعض الجمعيات الكردية - تلك الجمعيات التي كانت بالأستانة ولم تكن من غايتها الاشتغال بالسياسة في بادئ الأمر - على الاشتغال بالسياسة. ولكن مهما كانت هذه العوامل والأسباب، فإنه كان يجب أن يعرف رجال هاته الجمعيات التي انقلبت سياسية، لماذا يلتفت إليهم مؤتمر الصلح أحيانا ومن هم أصدقاؤهم الحقيقيون؟ فإذا لم يكونوا يعرفون ذلك فكان الواجب عليهم أن يعرفوه من منطق الحوادث ووقائع التاريخ. ثم ماذا كانت غاية أوربا وغرضها من (مسألة الولايات الشرقية) التي كانت تشتد يوما فيوما بعد معاهدة «إيستفانوس» المعدلة في «مؤتمر برلين» الشهير؟ فلا شك في أنها كانت ترمي إلى تقسيم الدولة العثمانية وإنشاء «أرمينية الكبرى» فكان مفهوما أن نشاط الجمعيات الكردية السياسي ومحاولاتها الدبلوماسية، لا يكون منتجا ولا مسموعا لدى أوربا، إلا إذا كان مؤديا إلى ذلك الغرض الأوربي لذلك كان من البدهي أن هذه المساعي والمحاولات السياسية لا يستفيد منها الكرد، بل الأرمن وأنصارهم من الأوربيين. وقد أظهرت معاهدة «سيفر» هذه الحقيقة المرة ظهورا بينا. ومما هو جدير بالأسف والأسى أن هذه اللطمة السياسية التي أنزلت بالسياسيين الأكراد، لم توقظ البعض منهم من الغفلة التي كانوا ولا يزالون يغطون فيها، ولم تحملهم على الاستغفار مما ارتكبوا بل إن إحدى

الجمعيات الكردية لم تتورع من أن تشترك مع الجمعية السياسية الأرمينية في الأعمال السياسية ابتداء من سنة (١٣٤٥هـ / ١٩٢٥م).

والخلاصة أن هذه المعاهدة لم تقم لها قائمة قط. لأن انتعاش (التركي الميت) واستعادته الحياة والنشاط واندحار الجيش اليوناني المغير على الأنضول، بعد انسحاب الجيش الفرنسي من «أطنة»، وتفاهم الحكومة الفرنسية مع حكومة «أنقرة» كل ذلك جعل تلك المعاهدة ساقطة لاغية وحلت محلها سنة (١٣٤١هـ / ١٩٢٣م) معاهدة «لوازن» القاضية بموت كل من «أرمينية» المكبرة و«كردستان» المصغر المقيد، فذهبتا كأنها فقاعات الماء لم تلبث طويلا. وانحصرت القضية الكردية بعد هذا في مسألة «الموصل» فقط. إذ كان على عصبة الأمم تعيين الجهة التي تلحق بها هذه الولاية الغنية بالبترول، ولذلك قررت أخيراً إيفاد لجنة إلى «الموصل» لدرس هذه المسألة، وتحقيق مطالب الإنجليز والترك، والإطلاع على رغبات الأهالي والآراء التي يدلون بها (غرة ربيع ثاني سنة ١٣٤٢هـ / ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٤م). وقد نفذ مجلس العصبة هذا القرار في سنة (١٣٤٢هـ / ١٣ نوفمبر ١٩٢٤م) فألف لجنة من ثلاثة من كبار الرجال يدعى أحدهم الكونت «تليكي» من كبار رجال هنغاريا والثاني المسيو «ف.ويرسن» من السويد والثالث الكولونيل «بوليس» من القواد البلجيكيين. فوصلت اللجنة إلى بغداد في سنة (١٣٤٣هـ / ١٦ يناير ١٩٢٥م) بعد أن قام أعضاؤها بزيارة كل من الحكومتين الانجليزية والتركية فالتحق بها عضو تركي في تركيا كما أن عضوا عراقيا التحق بها في بغداد. فسافروا جميعا إلى الموصل وأجروا فيها وفي جميع البلاد الملحق بها تحقيقات شاملة. وبعد أن أتموا مهمتهم فيها عادوا إلى بلادهم فقدموا تقريرا ضافيا إلى مجلس عصبة الأمم في (٢٦ ذي الحجة ١٣٤٣هـ / ١٦ يوليو سنة ١٩٢٥م) قالوا فيه عن أكراد هذه البلاد ما يأتي:

«يجب مراعاة رغبات الأهالي الكرد في تعيين الموظفين الكرد وجعل اللغة الكردية لغة رسمية بالمدارس والمحاكم في المرافعات والمحاكمات. وترى اللجنة أيضا أنه فيما إذا لم يعط الكرد ضمانات كافية وعهودا قوية بأن تنشأ لهم إدارة داخلية مستقلة بعد أربع سنين من

قبول معاهدة إنجليزية عراقية، وزوال سلطة عصبة الأمم عن العراق، فإن معظم الأكراد يفضلون الرجوع إلى الانضواء تحت لواء الإدارة التركية، على البقاء في الإدارة العراقية. (ترجمة تقرير لجنة عصبة الأمم ص ١١١، المادة ٧، الفقرة ٢).

فبناء على هذا تقرير أصدر مجلس العصبة قرارا بإلحاق ولاية الموصل بالحكومة العراقية بعد إبداء بعض شروط وتحفظات (١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٥ م). وها هي ترجمة المادة الثالثة من هذا القرار: «على الحكومة الإنجليزية بصفتها الدولة المنتدبة، أن تعرض على المجلس التدابير التي من شأنها تحقيق العهود والوعود التي أوصت بها لجنة الاستفتاء لأكراد العراق من إنشاء إدارة محلية لهم. وذلك في الاستنتاجات التي ضمنتها التقرير الإضافي الذي رفعته إلى المجلس».

وبناء على طلب مجلس العصبة، أرسل وزير المستعمرات في الحكومة الإنجليزية خطابا مسهباً في (٣ أيلول - سبتمبر سنة ١٩٢٦ م) إلى المجلس ضمنه تدابير الحكومة العراقية وحسن نيتها نحو إنصاف الكرد وتأمينهم على حقوقهم في العراق.

معاونة الكرد للترك في حركاتهم الوطنية

قامت الأكراد بتركيا بخدمات عظيمة للحركة الوطنية التركية التي أفضت إلى وضع أساس الجمهورية التركية الحاضرة؛ في الوقت الذي قرر الأرمن المعضدون من أوروبا تعصيда كبيراً، إنزال ضربة قاضية على مؤخرة الجبهة الوطنية التركية لخطرها على «أرمينية الكبيرة» التي وهبتها لهم معاهدة «سيفر».

وتنفيذاً لهذا القرار، حشدت جمهورية آريهان الأرمينية في أواسط سنة (١٩٢٠) قواتها العسكرية في حدود تركيا الشرقية الشمالية وأخذت تهددها بالاجتياح، فبادر «كاظم قره بكر باشا» بجيش مؤلف معظمه من الكرد إلى مقاتلة الجيش الأرمني في شهر أغسطس من السنة المذكورة، وتمكن من الاستيلاء على «قارص» بعد أن جعله في حالة لا يمكن بها أن

يفكر في الاعتداء والاجتياح. ولولا تدخل حكومة الجمهورية السوفيتية في الأمر لما كان بقي أثر للجمهورية الأرمنية بآريفان.

ولا شك في أن الانتصار الباهر للجيش الشرقي هذا، كان من أكبر الأسباب لتوطيد دعائم الجمهورية التركية الحاضرة فيها بعد؛ لأنه في حالة انتصار الجيش الأرمني كانت الحركة الوطنية التركية التي -كانت في الوقت نفسه تهاجم من الغرب والجنوب وكانت لا تزال في مهدها في الداخل، ولاسيما في الولايات الشرقية- من المحتمل جدًا ألا تقوم لها قائمة، وأن تخفق تمام الإخفاق.

هذا وفي كليسيا أيضًا اندحرت القوات الأرمنية وبعضها الفرنسيون لإنشاء «أرمنية الكبيرة» أمام جيش «صلاح الدين باشا» الذي كان معظمه مؤلفًا من الكرد، مما اضطر الفرنسيين إلى عقد معاهدة أنقرة الشهيرة سنة (١٩٢١م).

ولم يقتصر عون الكرد للوطنيين الترك على الساحات الشرقية والجنوبية فقط بل إن آثار ذلك العون وتلك الخدمة القيمة تتجلى في معارك «سقاريا» و«أفيون قره حصار» و«اين أونى» وفي المعركة الكبرى التي أنتجت الانتصار النهائي واندحار اليونان.

فإذا كان التاريخ عادلاً ومسجلاً نزيهاً للحقائق الماضية، فلا شك في أن خدمات الكرد هذه، الدالة على منتهى الإخلاص والشمم لتشغل بين تلك الحقائق المسجلة بعدل ونزاهة، صفحة خالدة لا تمحوها صروف الدهر وتقلبات الزمن.

الحركات الكردستانية الأخيرة

في الوقت الذي كان مجلس عصبة الأمم يدرس قضية الموصل، قامت ثورة كردية كبرى في منطقة «خربوط- ديار بكر» بزعامة المرحوم الشيخ سعيد في سنة (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م) ولم يحن بعد الزمن الذي يصدر فيه المرء حكماً نزيهاً في شأنها وشأن

الحركات التي تلتها، إذ لم تعرف لغاية الآن حقيقتها وما هي الأسباب والعوامل الأصلية التي أدت إلى حدوثها.

ومهما كانت هذه الأسباب والعوامل، فمما لا شك فيه أنها من حيث النتائج تدمي القلوب وتؤلم ضمير الإنسانية أشد الإيلام.

حقاً إن من دواعي الأسف الشديد أن تحل هذه الكوارث بتلك البلاد. وكم كنت أتمنى أن يحل الخلاف الذي بين الطرفين بطرق سلمية، وأن يسود السلام والوئام علاقاتها القديمة، بدل الشقاق والنزاع اللذين سببا نزول الكوارث والنكبات بالطرفين على السواء. وأظن أن التبعة في ذلك تقع على الأكثر على الحكومة التركية دون الكرد. إذ كان يجب عليها أن تقدر حق قدرها خدمات الكرد لها في القرون السالفة، ولا سيما خدماتهم الأخيرة لإنجاح الحركة الوطنية التركية في الأنضول، والوصول بها إلى تأسيس الجمهورية التركية. وأن تنظر بعين الإنصاف والعدالة لمطالب الكرد الحققة وأن تحول بينهم وبين وقوع الحيف والغبن عليهم. فتكون بذلك قد حققت الدماء ومنعت الأضرار والأذى. وكان عليها ألا تحرمهم حقوقهم الطبيعية التي من شأنها أن تفضي إلى نهوضهم نهضة علمية وعمرانية، وأن تلجأ في تعزيز سلطانها المادي عليهم إلى بث آثار سلطانها الأدبي في النفوس والأرواح وكان ينبغي أيضاً أن تعلم حق العلم أن منح الكرد هذه الحقوق الطبيعية لم يكن ليزر القوة الحاكمة التركية، بل يفيدها ويكسبها ثمرات مادية وأدبية لا محالة؛ لأن قلوب الوطنيين الأكراد حينئذ -بدل أن تكون مفعمة بالنفور من الترك ومقت أعمال حكومتهم- كانت ولا شك تحيش بأسمى عواطف الشكر والامتنان، فضلاً عن أن الشعب الكردي المشتهر^(١) بالبسالة والإقدام في مختلف عصور التاريخ، كان ولا يزال عاملاً قويا في ازدياد

(١) يقول المرحوم «السيد محمود الألوسي» من مشاهير علماء العرب المتأخرين في تفسيره المسمى (روح المعاني ج ٨، ص ١٤٩) حسب اجتهاده الشخصي واجتهاد غيره من العلماء المتقدمين: إن لفظ القوم الذي ورد ذكره في سورة الفتح في الآية الكريمة {ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون} كناية عن الشعب الكردي. المؤلف

رفاهية حكومة الترك وسعادتها في حالة السلم والصلح، ومدافعا لا يبارى في رد عادية الأعداء الأقوياء عنها في حالة الحرب واشتداد البلاء ومع ذلك فلا يمكن لأحد أن ينكر على الأمم والشعوب ميلها إلى الاستقلال ونزوعها إلى الحرية. لأن هذا من حقوقها الطبيعية والأساسية التي ليس لكائن من كان أن يعير شعباً من الشعوب به أو يوجه إليه أي لوم عليه. وغاية ما هنالك أنه يجب على مثل هذه الأمم والشعوب ولا سيما على قادتها ورجالها المتنورين أن يجعلوا الاستقلال والحرية هدفاً وغاية لهم يسعون وراء تحقيقها بكل الطرق المشروعة والسلمية، من غير أن يتعدوا عن حكم العلم والعقل، وأن يحافظوا على أرواحهم وأموالهم بقدر الإمكان، فلا يسارعوا إلى التضحية قبل أوانها وأن يتكاتفوا مع إخوانهم ومواطنيهم بكل إخلاص وبكل حرارة، للعمل بطرق سلمية في سبيل النهضة الفكرية والاقتصادية ليشبوا أولاً رشدهم الاجتماعي ونضوجهم السياسي. لأن هذه الأمور وحدها هي التي توصل إلى الحرية والاستقلال. هذا ولتعلموا أن الاستقلال لا يقوم ولا يدوم في هذا العصر مع دوام الفقر والجهل المتفشي بل يكون ذلك والحالة هذه وبالا على الأمم والشعوب. إذ يجعلهم العوبة في أيدي الأجانب أو المتغلبين من أبناء الوطن يستبدون بهم كيف شاءوا وكيفما شاءت لهم الظروف.

كما أن الواجب يقضي على القوة الحاكمة أن تجعل موقفها نحو مثل هذه الشعوب والأمم، موقف عطف ومناصرة كالوالد الذي يعطف على ولده ويسدد خطاه، أو كالوصي الذي يخاف الله ويخشاه في أعماله نحو الوديعة التي في يده. فمثل الوصي الذي لا يراعي ضميره ولا يخاف الله في تصرفاته في حقوق الغير، كممثل السلطان الذي لا يراعي حقوق الشعوب التي هي وديعة بين يديه فيعرقل سير رقيها ونهضتها. فكما أن هذا مسئول عن أعماله أمام الشرع والقانون، فهذا أيضاً مسئول عن أعماله أمام الله والإنسانية جمعاء يستحق العتاب والعقاب وإذا كانت القوة الحاكمة لا تنظر إلا إلى ما يؤدي إلى تمديد مدة سلطانها على الأمم والشعوب الخاضعة لها، فلتثق أن هذا لا يدوم لها، وأنها لا تجني من وراء ذلك إلا نفور هؤلاء المحكومين الخاضعين وحقدهم الشديد، لا سيما في أوقات الشدة والأزمات.

الفصل السابع

١ - صور وطبائع الشعب الكردي وحياته الاجتماعية:

إنَّ جميع علماء الغرب تقريباً الذين اشتغلوا مدة من الزمن، بدراسة مثل هذه الموضوعات، أجمعوا على أنه ليس هناك مثال عام واحد لتبيان سحن الكرد وصورهم الأصلية، بل الذي يستفاد من الدراسات التي عملت حتى الآن، هو أن هناك أربعة نماذج مستقلة لتلك الصور والسحن^(١).

فأرى أن هذا يدل على أن أصول الشعب الكردي الحالي وآبائهم الأقدمين - حسبنا ذكرنا في الفصل الثاني - ترجع إلى عدة شعوب متجانسة الأصل ومقاربة اللغة ومتحدة الأرومة. وهي شعوب «كوتو - جوتو» و«كاساي - كاشو» و«شوباري» و«نايري» و«مادا - ميد» و«لوللو» وتقول (دائرة المعارف الإسلامية): إن الصور والطبائع التي ذكرها الإخصائيون من المستشرقين، عن الكرد، إن هي إلا صور وأشكال وسجاي للفريق القليل الذي أتيح لهم الاتصال به من الشعب الكردي. ولا يمكن لأحد أن يعطي أحكاماً صحيحة مدعمة بالطرق العلمية والأدلة القاطعة عن جميع أفراد الشعب الكردي وعشائره العديدة الكثيرة جداً.

هذا وفي تناولنا الآن جدول قيم عن العشائر الكردية، يستفاد منه بيان محال انتشار الكرد ومنازل عشائره المختلفة. ولكن هذا غير كاف لتبيان الحقائق في هذا الموضوع الحيوي الذي يحتاج إلى دراسات عميقة وتحقيقات وافية، ليتمكن تكوين فكرة صحيحة

(١) للاطلاع على هذه الصور والأشكال راجع كتاب (تراث الخلفاء الأخير) للسير مارك سايكس، وكتاب (أرمينية) للمستشرق لنج. المؤلف

واضحة كل الوضوح عنه. فلا تغني فيه إذن بعض تلك المؤلفات التي لا تتوفر فيها الشروط العلمية^(١).

تمتاز الحياة الاجتماعية بين الكرد بثلاثة أوصاف بارزة:

أ- التفاف الكرد حول زعيم كائناً من كان، وقد يكون أجنبياً عنهم. وهذا الوصف يكاد يكون تقليداً تاريخياً لا يتبدل.

ب- إطاعتهم لهذا الزعيم إطاعة عمياء مع مراعاة بعض التقاليد التاريخية في ذلك.

ج- انقسامهم إلى طبقات اجتماعية. (زراع وأصحاب حرف).

هذا والعشائر الكردية السيارة التي كانت تقصد سهول الجزيرة الدافئة في الشتاء، فتستقر بجوار العشائر العربية الرحل، لا تكاد تفعل ذلك الآن إلا نادراً. وأغلب العشائر الكردية في الحالة الحاضرة إما نصف سيار وإما متوطن تمام التوطن. وليس هناك رحل بمعنى الكلمة. ففريق النصف السيار يرحل صيفاً حسب الجو إلى الجبال والهضاب ويسكن فيها بالمحلات المعينة. كعشيرة الجاف التي تسكن غالباً البلاد الجبلية والأراضي ذات الأخاديد والهوات العميقة. وأما فريق المتوطنين من الكرد والمستقرين في منطقة ما، فقد مثلوا سكان تلك المنطقة من غير العنصر الكردي تمثيلاً قومياً كاملاً، فجعلوهم أكراداً من كل الوجوه. لأن هؤلاء السكان الممتزجين بالأكراد خضعوا لسلطان العشائر الوافدة عليهم، محافظة على أنفسهم من اعتداء جيرانهم هؤلاء عليهم ومنعاً لضياع مصالحهم من جراء الاحتكاك بهم. وفي الجملة أن الكردي يميل بطبعه إلى حياة التوطن والاستقرار ولا ينفر منها إذا وجد إليها سبيلاً. وقد اشتهرت أكراد «الجزيرة» ولاسيما القسم الشمالي منها، بنشاطهم واستعدادهم لأعمال الزراعة والفلاحة، لدرجة أنهم يزوا جيرانهم العرب

(١) مثل تدقيقات المستشرقين «دوهوست، خانيكوف، دكتور دانيلو... إلخ» وكتاب المسيو «كانتر» الذي طبع سنة (١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م) باسم (ملاحظات عن طبائع الكرد والأنصارية). المؤلف

وتفوقوا عليهم في جميع الأعمال المدنية من زراعة وتجارة وصناعة، حيث يقول «هندبولك نمرة ٥٧» في كتاب «الترك في آسيا» الذي أصدرته وزارة خارجية بريطانيا العظمى: (يظهر أن القسم الشمالي من الجزيرة موطن قديم جداً للأكراد).

وليس جميع الصفات القومية في العشائر الكردية -كطبيعة الأعمال اليومية والعادات والأخلاق العامة... إلخ- متحدة كلها ومن نوع واحد فقط، بل إن هناك فروقا واختلافات بارزة بين تلك الصفات والمزايا القومية في جميع العشائر تقريباً. فإعطاء وصف عام عن الكرد في هذا الشأن يبعدنا عن الحقيقة، فضلاً عن أن ذلك يستدعي البحث عن حالة كل عشيرة على حدها. فمثلاً إن هناك دراسة قيمة للأستاذ «يكييازاروف» عن أحوال أكراد «آريهان» البعيد عن مركز كردستان بعداً غير قليل، كما أن لكل من الدكتور «ريج» والميجر «سون» دراسات علمية قيمة عن أكراد «السليمانية» وأما مؤلفات الأعلام «آراكيلان، ومورغان، ونيكيتين» فتحتوي على معلومات شيقة عن أكراد بلاد «مكرى» و«أرمية».

هذا ويذكر كتاب (شرفنامه) بعض أسماء النساء الكرديات اللاتي أظهرن شيئاً كثيراً من المقدرة وحسن الاستعداد لتولي الأمور العامة. فعرفن بحسن التدبير والكياسة. ولا سيما نساء عشيرة الكلهر (كاورر) فإن بعضاً منهن تولين رئاسة العشائر وزعامة القبائل في بعض الأحيان. نخص بالذكر شهيرات نساء الكرد في التاريخ الحديث كـ«حليمة خان» الحكارية و«عادلة خان» الهلبجية. ولا ننسى أيضاً اسم «كوخا نرجس» الشوانية.

ومع ذلك فليس لنا أن ننكر فضل المستشرقين الذين ألفوا كثيراً من الكتب والرسائل القيمة في البحث عن أحوال وعادات الكرد وطبائعهم، وأشكالهم، وفي درس مزاياهم القومية والاجتماعية. وأجاد أكثرهم في ذلك فلم يبتعد كثيراً عن الحق والحقيقة. غير أن تفصيل المعلومات عن تلك الكتب والمصادر يحتاج حقيقة إلى وضع مؤلف خاص به. لذلك نشير هنا على الذين يريدون البحث العميق والحصول على معلومات وافية عن هذه

المواضيع، بأن يرجعوا إلى ما كتبه كل من المسيو «الكسندريابا» في كتابه (مجموعة ملاحظات ودراسات عن كردستان: سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٦٠) والمسيو «نيكيتين» في كتابه (بعض ملاحظات عن الكرد) وإلى المجلد الواحد والعشرين من دائرة المعارف الإنجليزية الكبرى. وكذا كتاب المسيو «هنري بندر» المسمى (سياحة في البلاد الكردية). وكتاب (ستتان في كردستان) للكابتن «هاي» وكتاب (سياحة متنكرة في الجزيرة وكردستان) للميجر «سون» وكتاب «تراث الخلفاء الأخير» لسير مارك سايكس.

وصفوة القول أن كل من رأى الكرد وعاشرهم من العلماء الرحالة النابيين ردحاً من الزمن، فقد أظهر تقديره العظيم لصفات الكردي وأخلاقه المتينة ومزاياه العديدة. فمن ذلك أن (دائرة المعارف الإنجليزية الكبرى) نصت على ما يأتي:

«الشئون المنزلية والأحوال العائلية في الشعب الكردي بلغت من التقدم والرفي مبلغاً عظيماً. فالكردي بشوش طيب القلب شديد الغيرة. محب للضيوف. والمرأة الكردية تتمتع بقسط كبير من الحرية البريئة أكثر من نساء الفرس والترك فهي سافرة غير محجبة. والأكراد عموماً لا يميلون إلى تعدد الزوجات سوى بعض الأغنياء منهم. ويحبون الموسيقى والرقص كثيراً».

٢- الدين والعقائد:

لصاحب كتاب «تاريخ إيران قديم»^(١) دراسات قيمة في معتقدات وديانة الجنس الآري في هضبة إيران وجيرانهم القدماء من العناصر الأخرى. فتدل هذه الدراسات على أن معتقدات قدماء الآريين في إيران ولغتهم، كانت متحدة مع ديانة قدماء الآريين في الهند ولغتهم. وأنه فيما بين القرن الرابع عشر والقرن التاسع قبل الميلاد، انفصلوا عن بعضهم وصار لكل قسم منهم عقيدة خاصة ولغة مستقلة، فالتاريخ التقريبي الأول، هو تاريخ وضع «فيداس» الكتاب الهندي المقدس، باللغة السنسكريتية.

(١) هو «حسن سيرنيا» مشير الدولة سابقاً. المؤلف

ويجب أن نعلم هنا -على خلاف هذه الدراسات- أن بعض الأقوام الآرية مثل الكوتى واللؤللو والكاساي والعيلام (شعوب جبال زاغروس) قد تأثر من كل الوجوه تأثراً كبيراً بسبب الاختلاط من فجر التاريخ، بالسومريين والأكاديين. فلذا لم تخلص معتقداتهم أيضاً من هذا التأثير. مثال ذلك أننا نرى أن للكاسيين من تلك الأقوام، آلهة كآلهة البابليين تمثل جميع القوات الطبيعية والظواهر الكونية. (الفصل ٣). ويقول «زند آفستا» كتاب الزردشتيين المقدس في بيان عقائد الأقوام الآرية الأولى (الميديين، الفرس، وفروعهم: «أساس عقيدة هؤلاء الأقوام يرجع إلى تقديس شيئين هما الخير والشر أو النور والظلام. فالذي يفيد الإنسان وينفعه من الأمور صادر من إله الخير مثل الرزق والضوء والأمطار... كما أن الأعمال والمعاني التي تضر الإنسان ولا تفيده، مثل الأمراض والكوارث والأزمات والجفاف والقحط والغلاء صادرة من آله الشر والظلام». فكانوا يعبدون الأول ويحبونه لفضله وإحسانه المحض ويخشون الثاني ويتحاشون ضرره لهم فيقيمون له الصلوات ويرفعون إليه الدعوات بتلاوة أدعية ومناجاة دينية خاصة. وقد صارت تلك الأدعية والصلوات فيما بعد، مادة أصلية لأعمال السحرة والكهان.

وعلاوة على هذا فإن (الشمس - مثيره - مهر) كانت من أقدم آلهة الآريين، حتى أن الأبستاق «آفستا» وضع هذا الإله بين «هرمز» آله الخير وبين «أهريمن» آله الشر وبحسب العقيدة الزرادشتية، أن الله سبحانه وتعالى كلف الشمس بإزالة الشرور والأضرار والقضاء عليها. وكان هذا الإله أي الشمس حامياً للأسرة المالكة الأخمينية في عهد «أردشير الثاني» هذا وبعد فتوحات الأسكندر الأكبر للبلاد الشرقية انتشرت عبادة الشمس هذه في بلاد الأنضول والأغريق أيضاً. (تاريخ إيران قديم ص ٢٦١).

ويقول بعض المؤرخين: إن عبادة آلهة مثل «وه ره ئيريغنا» أي السحاب الدامع و«مثيره» أي الشمس، كانت شائعة بين آريي إيران حينئذ. فكان هؤلاء الآريون يظنون أن الشمس هي عين السماء الباصرة وأن السحاب الدامع هو ابنها.

وخلاصة القول أن آريي إيران كانوا مثل آريي الهند يعبدون بعض الظواهر الطبيعية والعناصر الكونية، وأنهم قبل هؤلاء الهنود، ارتقوا إلى عبادة إله واحد قدير بفضل تعاليم «زرادشت - Zarauster».

العقيدة الزرادشتية:

كان «زرادشت» في الأمة الآرية القديمة إما نبياً حقيقياً وإما مرشداً اجتماعياً فوق العادة. ولا نعلم يقيناً متى ولد هذا الرجل العظيم، وأين كان وكيف عاش، وإلى أي قوم من الأقوام الآرية ينتسب، ومتى ألف كتابه (زند آفستا) وبأية لغة كان ذلك؟ فلم يتفق العلماء الإخصائيون حتى الآن على شيء في هذا الشأن. فمن هؤلاء العلماء المستر «جاسون» الإخصائي العظيم في العقيدة الزرادشتية، يقول: «إن «زرادشت» ولد في النصف الثاني من القرن السابع (ق.م). وتوفي في النصف الأول من القرن السادس (ق.م)». وهذا ليس قطعياً أيضاً. ولكن الروايات الزرادشتية نفسها تفيد أن هذا النبي أو المصلح ولد في القرن السابع (ق.م) وشرع في بث تعاليمه ونشر دعوته على شواطئ بحيرة «أرمية» حتى مات في أواسط النصف الأول من القرن السادس (ق.م). ويقول المستر هول في كتابه (تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٥٥٥): إنه يستفاد من الروايات القديمة أن «زرادشت» ولد سنة (٥٩٩ ق.م) تقريباً. ويؤخذ من الروايات الزرادشتية أيضاً أن «زرادشت» كان نجل من يدعى «بواورشيسب» وأنه صدر منه بعض خوارق ومعجزات في أيام صباه وطفولته، مما أدى إلى أن السحرة والكهان حقدوا عليه وحاولوا اغتياله، فلم يتمكنوا من ذلك. هذا ولما بلغ «زرادشت» من العمر عشرين ربيعاً، اعتزل الناس وانزوى عنهم في محل مهجور وأخذ في رياضة النفس وحيداً فريداً. وفي الثلاثين من عمره دعا الناس في شواطئ نهر «دائيتيا» الذي يقال إنه نهر الرس (آراكس) إلى معرفة الله وعبادته،

وأن «جاودان مقدس - الخالد والباقي» نقل «زرادشت» إلى حضرة «آهورامزد»^(١) حيث أخذ بعد ذلك يقوم بالدعوة والإرشاد بين بلاد «توران» (سكستان - سجستان) ولكن ذلك لم يجده نفعًا. لأن رجال الدين في ذلك العهد حالوا بينه وبين مبتغاه.

وبعد ذلك ذهب «زرادشت» بأمر من «آهورامزد» إلى «ويشتاسب» حاكم «باختر» فتمكن هنالك في خلال سنتين وبعد جهد جهيد، من هداية الحاكم المذكور إلى دينه وحمله على الإيمان برسالته، كما أن الوزير «جاماسب» عضده في ذلك تعضيّدًا كبيرًا. حتى تزوج أخيرًا بابنته، الأمر الذي أفضى إلى انتشار الديانة الزرادشتية انتشارًا كبيرًا^(٢)، ولاسيما بعد

(١) أصل كلمة (هرمز - هورمز هو «آهورامزد» المؤلف من لفظي «آهورا» و«مزد» فلفظ «آهورا - أسورا» كان اسمًا لإله من آلهة آري الهند وإيران (لأن عقيدة أهالي كلا البلدين كانت واحدة فيما مضى) وأما لفظ «مه زد - مزد» فمعناه العاقل. المؤلف

(٢) يقول المستر هول في كتابه ما خلاصته:

قام «زرادشت» بتبليغ رسالته في خراسان وهو في الأربعين من عمره في بلدة «كيشار» في قضاء «تورشيزه» في الجنوب الغربي من مدينة «مشهد» الحالية، وغرس «شجرة السرو» الشهيرة تذكيرًا لاعتناق «ويشتاسب» الملك، للديانة الزرادشتية. ويقال: إن هذه الشجرة بقيت لغاية سنة (٢٤٧هـ / ٨٦١م) حيث أمر الخليفة العباسي «المتوكل على الله» بقطعها واستعمال خشبها في القصر الملكي الذي شيده في «سامري - سر من رأى» بالعراق.

هذا وفي عهد «زرادشت» كان «ويشتاسب» والد «داريوس»، حاكمًا على خراسان. (والظاهر أن «داريوس» كان يوصف بالملك وعلى هذا تعود الرواية إلى الملك «داريوس» كما أن الروايات الأخرى تدل على أن هذا الملك أو الحاكم أيضًا اعتنق الديانة الزرادشتية. فإذا صح تاريخ هذه الرواية كان عمر «زرادشت» أقل بأسبوع واحد من تاريخ جلوس ابن «ويشتاسب - هيستاسبس» على عرش إيران. ومن المحتمل جدًا أن يكون لزردشت هذا أثر كبير في تكوين «داريوس» من الوجهة العقلية والأخلاقية. إذ نرى ذلك الأثر ظاهرًا في المخلفات الإيرانية القديمة الماثلة للعيان في «بهستون» ويحتمل أيضًا أن يكون ذلك الأثر ناتجًا من تعاليم المجوس القدماء الذين قاوموا إصلاحات «زرادشت» وتعاليمه أكثر من مرة. ويتلخص من هذا أن الظاهر هو أن «داريوس» الكبير ليس أول ملك عظيم اعتنق الديانة الزرادشتية. ومعه ذلك فإن في إمكاننا التصريح بأن الظاهر أن عقائد وتعاليم «زرادشت» - إذا كان هو حقيقة ظهر في القرن السادس قبل الميلاد - كان لها تأثير بليغ في

اعتناق «ويشتاسبا» لها، في جميع البلاد الإيرانية والتورانية وبلاد الهند وآسيا الصغرى. هذا وقد قتل «زرادشت» وهو في سن الشيخوخة في حرب دينية كان قد أثارها ضد الشعب الهيويني، وكان قائد جيوش الهيونيين ^(١) يدعى «آرجاسب». (انظر: كتاب إيران قديم الفارسي ص ٢٥٤-٤٥٥).

أفكار وعواطف الإيرانيين، حتى أنها سادت في القرن السادس عموم شرقي إيران، وصارت الدين الوحيد المسيطر على تلك الربوع من إيران.

وصفوة القول أن الانقلابات الدينية والتطورات الاجتماعية التي أحدثها دين «زرادشت» لا بد أنها حدثت قبل عهد «داريوس» وبمدة كبيرة جدا بعد عهد الميثانيين. وغير خاف أن «الميثانيين» كانوا يقدسون آلهة قدماء الآريين تقديسًا كبيرًا مثل «ايندرا» و«وارونا» و«آسوين» حيث كانوا يضعونهم في مراتب ألهتهم القومية. وكان «أهورامزدا» كبيرًا للآلهة الآرية في عهد الملك «داريوس» حيث ذكرت أسماء هذه الآلهة في كتاب الأبستاق «أفستا» على هذا الرسم «ايندرا» و«آسوين» و«نيون هيثا». هذا والاسم الثاني صار فيما بعد «ديواز» أو «ديو» المعروف الآن بين أهالي إيران بمعنى العفريت والشيطان. المؤلف

(١) فعلى رواية «الزردشتيين» أن هذا الشعب «توراني».

مبادئ وتعاليم «زرادشت»:

يؤخذ من كتاب الأبستاق^(١) «أفستا» ومن بعض كتب بهلوية أخرى أن تعاليم «زرادشت» ترجع إلى هذا المبدأ: خلق العالم من شيئين النور والظلام، فهاتان القوتان دائبتان على الحرب والخصام. تغلب هذه مرة وتغلب الأخرى مرة، وهكذا العالم منقسم إلى معسكرين مختلفين. في أحدهما جيوش النور وفي الثاني جيوش الظلام، فقائد الجيش الأول يدعى «هرمز - آهورامزد» وكبير الجيش الثاني يسمى «آهريمن - ئيكريمينو» فهرمز

(١) على رأي كتاب (البرسيون) «أن هذا الكتاب الزرادشتي المقدس كتب في عهد الساسانيين وهو كان عبارة عن (٢١) سورة (كتاب) لم يصلنا منها سوى سورة واحدة وبضع آيات من بعض السور الأخرى، وأن الاسم الصحيح لهذه الكتب أو السور الزرادشتية هو «زند - و - أفستا» ومعناه «قانون وتفسير» و«زند» هو التفسير. فهذه الكتب قد ألقت وجمعت بمختلف اللهجات الإيرانية في عهود مختلفة وفي مناطق عدة. فمن هنا كانت تسمية هذه الكتب بلفظ «أوستا»، واللغة الأصلية التي كتبت بها تلك الكتب «باللغة الأوستائية» أنسب وأليق. فبناء على هذه النظرية وما يؤخذ من الآثار المكتشفة الإيرانية التي يرجع تاريخها إلى القرون الوسطى، يجب أن يكون لفظ «زند» الذي معناه «التفسير» من الألفاظ البهلوية. وهالك مخلص أقسام «أفستا»:

١ - «كاث» - عبارة عن مجموعة أورداد وأدعية. ويظهر أن لغة هذا القسم أقدم من «أفستا» نفسه، وأنه كتب بلهجة عامة لجميع البلاد الإيرانية. فهو منظوم وأقدم من جميع الكتب ويحتوي على مباحث دينية بسيطة أولية تتضمن ما عدا الأورداد والأدعية والمناجاة بعضًا من الفقرات الأدبية التي تبحث عن «زرادشت» وأسرته وعشيرته التي تؤويه. أما «خورده أوستا» أي الأبستاق الصغير فيبحث عن الملائكة وأقسام الأدعية.

٢ - «ونديداد» - يبحث عن طرق مطاردة الشياطين.

٣ - «ويسبريد» يبحث عن الأدعية التي ترفع إلى رئيس الآلهة الذي هو خالق الكائنات جميعا.

٤ - «القربان يسنا» هي الأدعية التي تتلى في الصلوات وعند تقديم الضحايا أمام النار المقدسة. والغالب أنها كتبت فيما بعد. «ميديا، بابيلون، برسيا» هذا وفي عهد الفتوحات الإسلامية عامل المسلمون الزرادشتيين معاملة أهل الكتاب، مما يدل على أن الأبستاق هذا كان في نظر المسلمين كتاب سماويا منزلا مثل الكتب السماوية الأخرى بدليل الحديث النبوي «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» الذي ذكره سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فأخذ به. (فجر الإسلام الجزء الأول ص ١٢٠).

له ستة من المعاونين يطلق عليهم اسم «ئيمشسبتان- الخالدون المقدسون» يقفون في حضرة «هرمز» منتظرين أوامره؛ أعني أن «هرمز» يحكم الدنيا بواسطة هؤلاء الذين كل واحد منهم موكل بحماية عنصر من عناصر الطبيعة الأربعة، فمثلاً أن «بهمن» من هؤلاء موكل للنار، و«اسفندرمز» للأرض. وهناك بعد جماعة الخالدين المقدسين، تأتي جماعة أخرى من الأرواح المجردة يطلق عليها اسم «يزت- يزد- ايزد» وهؤلاء عددهم كثير ولكن المشهورين منهم ثلاثة. كل واحد منهم موكل بيوم من أيام الشهر. وعلى العموم ينقسمون إلى قسمين، سماوي وأرضي فهرمز في أعلى طبقة السماويين، كما أن «زرادشت» في مقدمة الأرضيين. وكل واحد من هؤلاء اليزديين موكل بأمر من الأمور الكونية. وهناك أيضاً جماعة أخرى من الأرواح المجردة غير هؤلاء.

وكما أن لـ«هرمز»^(١) جنداً ومعاونين فلا إله الشر «أهريمن» أيضاً جند ومعاونون يطلق عليهم اسم «ديو- دئو» حيث يكون «أهريمن» في مقدمتهم ويقابل «الخالدين المقدسين» ستة من الديوات. فأهريمن ومعاونوه من الديوات موكلون لمنع الخير وعمل الشر، فالظلام والشرور والكذب والطغيان.. إلخ من إيجاد «أهريمن» الذي خلق الممات أيضاً كخلق «هرمز» للحياة. والخلاصة أن لكل من هاتين القوتين من التشكيلات والأنظمة والعناصر الفعالة ما للثانية تماماً سواء بسواء.

يقول «الآبستاق» في مسألة خلق العالم وحدوث الكون: إن «هرمز» أول الأرواح وحكمه ثلاثة آلاف سنة. ثم ظهر «أهريمن» من الظلمات واقتحم عالم النور غصباً واقتداراً... وبعد ذلك خلق «هرمز» عالم المادة في ستة أدوار في مدى ثلاثة آلاف سنة. فخلق الإنسان في الدور السادس وأخذ «أهريمن» أيضاً في الخلق والإيجاد فخلق الشرور والآفات واشتبك مع «هرمز» في النضال والقتال، واستمر ذلك ثلاثة آلاف سنة إلى أن ظهر «زرادشت» حيث دب الضعف والتخاذل في قوى «أهريمن» وبرزت قوة «هرمز» وتفوقه عليه رويداً رويداً حتى اضطر «أهريمن» إلى الرجوع إلى عالم الظلمات.

(١) لفظ «هرمز- آهورامزد» ما هو إلا تعبير آخر لكلمة «يزدان». المؤلف

هذا وترى العقيدة الزرادشتية، أن الروح باقية خالدة بحيث تشعر بالألم والسرور بعد ثلاثة أيام من مفارقتها للجسم، ثم تصل بهذه الحالة إلى جسر «جينويت» وهناك تحاكم أمام ثلاثة من القضاة الذين يزنون أعمال صاحب هذه الروح بالقسطاس المستقيم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. فيصدرون الحكم بموجب ذلك الميزان. وعلى هذه الروح بعد ذلك أن تجتاز جسرًا آخر يمتد من قمة جبل «البرز» إلى ماء «دائيتيا» فإذا كانت أعمال الروح خيرة وطيبة يتسع لها الجسر الدقيق والمعبّر المخيف، فيسهل لها المرور بسرعة هائلة. وأما إذا كانت أعمالها شريرة وقبيحة فيضيق لها الجسر ويتضاءل تضاءً كبيرًا فتضطرب وتسقط في الظلمات.

وخلاصة القول: أن الروح إذا كانت خيرة أي حائزة لصفات ثلاث، تصل ولا شك إلى عالم أرقى مما هي فيه. والصفات الثلاث هي، النية الحسنة، والكلم الطيب، والعمل الصالح. هذا والعالم الراقي الذي تدخل فيه تلك الروح هو ما يسمى في اللغات الآرية القديمة والحديثة (ئينوه هيشت - بهشت) أي الجنة. والروح التي تكون شريرة أو مذنبية تدخل عالم الآلام والمشاق أي (جهنم). وهناك منزلة ثالثة تسمى «هيمستيكان»^(١) بين الجنة والنار، مخصصة للذين تتساوى أعمالهم الطيبة والرديئة وزنًا ومقدارًا، فيبقون فيها منتظرين يوم التناد.

ثم يذكر الأبتاق شخصًا ثالثًا يدعى «سأوشيان» يظهر قرب قيام الساعة فينقذ الناس مما هم فيه من الآلام والمتاعب حيث يحيى جميع الأرواح ويأخذ في محاكمتهم وجزائهم الأخير. وبعد ذلك كله تهب ريح عاتية ذراتها كذرات الرصاص الدقيقة فتغطي وجه الأرض كله، وعندئذ تبدأ الحرب الضروس بين «هرمز» و«أهريمن» وتكون الغلبة في الآخر لـ«أهريمن». فللنجاة بعد الموت، ولكن يمكن قيام كل واحد على قدر حاله

(١) يقابل هذا عند المسلمين «الأعراف». المترجم

بنصرة «هرمز»، يجب أن يكون الشخص حائزاً لخصال ثلاث، وهي كما تقدم النية الحسنة والكلمة الطيبة والعمل الصالح^(١). (إيران قديم ص ٢٥٢-٢٥٨).

ومن مبادئ الديانة الزرادشتية الأساسية، أن أحسن عمل يقوم به المرء في حياته هو الاشتغال بالأمور الزراعية والاقتصادية، والعمل على توفير المال الذي هو عصب الحياة. فلهذا كان «زرادشت» يحرم الصوم على الزراع لئلا يكونوا ضعافاً خائري القوى.

ومن أسس مبادئها هذه الديانة أيضاً تقديس العناصر الأربعة: الهواء، والماء، والنار، والتراب. فلم يكن يسوغ تدنيس هذه العناصر بوجه من الوجوه. فلهذا كانت النار شعاراً ورمزاً لـ «زرادشت» نفسه. ولم يكن يجوز أيضاً تدنيس المياه الجارية والراكدة، ودفن الموتى في التراب.

هذا ويرى معتنقو هذا الدين، أن «زرادشت» كان نبياً يكلمه الله سبحانه وتعالى ويوحى إليه كسائر الأنبياء. (كتاب فجر الإسلام) وكان لرجال الدين قبل ظهور «زرادشت» سلطة واسعة ونفوذ كبير في الأمور الروحانية والدينية، فلم يكن لأحد من الآريين مطلقاً -حتى قبل افتراق آريي الهند عن إيران- أن يقوم بتقديم القرابين والضحايا للآلهة من غير توسط أحد من رجال الدين (مغ - مجوس) في ذلك؛ لأن رجل الدين كان يعتبر حينئذ مثلاً للكمال المتناهي وسفيراً بين الخلق والخالق الأعظم. ويظهر أنه في عهد الملك «داريوس» الكبير قد تلاشت آثار شعائر وطقوس الديانات القديمة السابقة، للديانة الزرادشتية التي توطد نفوذها في عهد هذا الملك الكبير وصارت ديناً رسمياً للدولة والأمة الإيرانية جمعاء. (تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٥٥٧)^(٢).

(١) يطلق على هذه الأشياء الثلاثة بلغة الآبستاق ما يأتي: هوميته، هو واخته، هو وارشته. المؤلف

(٢) يقول صاحب كتاب (تاريخ إيران قديم): إن الديانة الزرادشتية لم تكن قد بلغت بعد مبلغاً لتكون ديناً رسمياً في عهد «الآخمينيين - الكيانيين» ص ١٢٣. المؤلف

هذا وليس لدينا معلومات قاطعة عن عقائد الشعب الميدي، غير أن بعض الإخصائيين يقولون: إن دينهم كان يقضي بعبادة «هرمز» إلا أن الموبذين (مغان) أي رجال الدين كانوا قد حشوا هذا الدين بالخرافات وأعمال السحر والكهانة. فلما أراد «زرادشت» الذي كان من أفراد هذا الشعب إصلاح الحال وتطهير الدين من الخرافات والعادات، حال هؤلاء الموبدون بينه وبين ما أراد. فاضطر لمغادرة وطنه والهجرة إلى «باختر - خراسان و تركستان الحاليين» ولكنه بعد انتصاره ونجاح دعوته الدينية وصيرورة دينه ديناً عاماً رسمياً في عهد الملوك الأخمينيين، لم يسلم ولم ينج بطبيعة الحال الشعب الميدي وغيره من الشعوب الآرية والمجاورة، بكردستان من آثار هذا الدين وسلطانه عليها حيث اعتنقته كلها شيئاً فشيئاً على مدى الأيام والسنين.

ويظهر أن مذهب كل من «مانى» و«مزدك» اللذين ظهرا أخيراً، لم يؤثر في أهالي كردستان قط، لأنهم وجدوا حتى صدر الإسلام محتفظين بالديانة الزرادشتية. هذا وأن تحقیقات وأبحاث بعض من العلماء، تثبت وجود وبقاء بعض عقائد أخرى قديمة جداً في كردستان ردحاً طويلاً من الزمن مثل عبادة الأصنام وعبادة الشمس وعبادة الأشجار، كما أن الديانة المسيحية لم تلق نجاحاً كبيراً في كردستان. ويقول المسيو «هوفمان» في مؤلفه القيم أن المارماريين بمدينة «الرها» تنصروا في القرن الثالث الميلادي في مدينة «شاهكرد» الواقعة بين «أربل» و«الداقوق» وكان سكان هذه البلاد وملكها قبل ذلك من الذين يعبدون الأشجار ويقدمون الضحايا لصنم مصنوع من النحاس. وأن قسيساً يدعى «ايشوياب» قد بنى ديراً بجوار قرية «الثمانين» الشهيرة (على مقربة من جزيرة ابن عمر) في نفس المحل الذي كان قدماء الكرد يقدمون فيه ضحاياهم وقرابينهم. وعلى رأي «هوفمان» أن هؤلاء الكرد الذين اعتنقوا النصرانية على يدي «مارسابا» كانوا من عبدة الشمس.

هذا وعلى رواية القسس ورجال الدين أن عدد هؤلاء الكرد المعتنقين للنصرانية كان قليلاً جداً. ولكن «المسعودي» يصرح بأن جميع اليعاقبة والجوزقان^(١) النصارى المنتشرين

(١) في (معجم البلدان)، أنهم جيل من الأكراد بأطراف حلوان.

فما بين النهرين وجوار جبل الجودي من تراث العنصر الكردي. في حين أن سير «مارك سايكس» يقول: إن الكرد لم يعتنقوا الديانة المسيحية، ومع ذلك يذكر في كشف العشائر الكردية بعض عشائرها، فيصفها بأنها نصف إسلامية ونصف نسطورية، أو نصف يزيديّة ونصف نصرانية.

هذا والشعب الكردي بالرغم من اعتناقه الديانة الإسلامية بقي مدة من الزمن لا يستسيغها تمامًا، فكان يقاوم سلطتها ونفوذها حيناً بعد حين بتأثير وتشجيع المتعصين من رجال الدين القدماء؛ ولذا تدخل مرارًا في المنازعات التي حدثت بين أهل السنة وطوائف الخوارج. ولكن الإسلام رسخت قواعده أخيرًا في قلوب الأكراد، الذين أدركوا تمام الإدراك بساطة الدين الإسلامي وملاءمته لفطرتهم السليمة، فأخلصوا له أكثر من إخلاص شعوب إسلامية أخرى، حيث دافعوا عنه في مواقف كثيرة دفاع الأبطال والمتفانين في حبه.

ورغمًا عن أن صاحب كتاب (شرفنامه) يصرح بأن جميع الأكراد على مذهب الإمام الشافعي، سنيون. وأيده، بل وتبعه في ذلك الرحالة التركي الشهير «أولياجلي» - فإنه لا ينكر أن قسمًا كبيرًا من الكرد الآن في تركيا وإيران شيعة جعفريون. فضلًا عن أنه نشأت بين هؤلاء الأكراد الجعفريين، طائفة من الغلاة يطلقون على أنفسهم اسم «أهل حق - علي إلهي» كما أن بعضًا من الكرد في ولاية الموصل وفي الروسية الجنوبية ينتحلون عقيدة أخرى يطلق عليها من جرائها اسم «اليزيدية». وبهذه المناسبة نذكر طرفًا من عقيدة «علي إلهي» ونبذة عن نحلة «اليزيدية» فلا أظن أن ذلك يخلو من فائدة.

عقيدة علي إلهي:

كان أهالي كردستان الشرقي (من غربي «هراة») قبل ظهور الإسلام يعتقدون بعضهم عقائد غريبة. فكنت راسخة فيهم رسوخًا كبيرًا لدرجة أنها لم تتغير كثيرًا، بعد دخولهم الإسلام وخضوعهم لسلطان الدول الإسلامية، فلذا بقيت آثار هذه العقائد الغريبة

وأصول تلك النحل العجيبة فيهم، إلى ما بعد الإسلام بزمن كبير، من غير تحوير ولا تغيير.

فإن أهالي «أرنيل» أو «رمال» الواقعة في كردستان الشرقي كانوا يعتقدون بالتناسخ وعبادة الشمس. ولما دخلوا الإسلام كان من السهل أن ينتحلوا نحلة «علي إلهي» أي تأليه «علي» رضي الله تعالى عنه، إذ رموا بذلك إلى إحياء عقيدتهم الأولى في الجاهلية فيقول هؤلاء الذين يعبدون علياً: «بما أن سيدنا جبريل ظهر في صورة «دحية الكلبي» وهذا مما يدل على إمكان ظهور الروحانية في ثوب الجسمانية، فقد صار من الجائز أن يحل الله سبحانه وتعالى في صورة جسمانية. فحل سبحانه وتعالى في جسم سيدنا «علي» رضي الله عنه، تفضلاً منه على الإنسانية».

وعلاوة على هذا، يعتقد هؤلاء الجهلة المسلوبو العقول بأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل إلى البشر هادياً من قبل «علي». وما هذه السخافة إلا أن حماراً يدعى «أحمد» بث فيهم فكرة خبيثة مفادها، أن هذا القرآن المتداول الآن بين الناس لا يعتد به، لأنه ليس القرآن الذي أوحاه «علي» إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك قد أحرقه وأباده «أبو بكر» و«عمر» و«عثمان» رضي الله تعالى عنهم، ثم أوجدوا بدله هذا القرآن المتداول الآن بين الناس.

والخلاصة: أن هذا الرجل قد اختلق أشياء سخيفة عن القرآن الكريم وبثها في الناس وتمكن من خداعهم وجعلهم يثقون به ثقة عمياء فأقدم عندئذ على إحراق جميع المصاحف التي وقعت في يده.

ولا شك في أن هذه العقيدة الباطلة قد بدأت أولاً من جراء الإفراط في حب آل البيت، حتى وصلت إلى تأليه «علي» رضي الله عنه، وبعد ذلك تحولت إلى عقيدة «عبادة الشمس» البائسة.

وفي الواقع أن أصحاب هذه النحلة الباطلة يعتقدون أن علياً رفع إلى السماء حتى اندمج في الشمس. ولما رسخت هذه العقيدة فيهم وتم لهم ما أرادوا من عبادة الشمس، لم يروا مانعاً من إحياء تلك العقيدة القديمة، بعد تغيير اسمها وإدخالها بين العقائد والنحل الإسلامية^(١). ثم أخذوا يمنعون الناس من أكل اللحوم، من غير دليل ولا سند، كما أنهم حرصوا ولا يزالون يحرضون أتباعهم وأنصارهم على أكل لحوم الذين يحبون الخلفاء الراشدين الثلاثة أبا بكر، وعمر، وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين. ويؤيدون عقائدهم الفاسدة ونحلهم الكاسدة هذه، بتأويل آيات من القرآن نفسه^(٢).

وليس مذهب هذه الطائفة مجرد قواعد وأصول من قواعد السلوك، بل إن له طقوساً وعبادات خاصة. ولا يوجد أي شبه بين مبادئ وأصول نحلة علي إلهيين الساكنين في بعض الجهات من إيران وتركيا، وبين مذهب عبدة الشمس. ويقول الميجر «راولنسون» في المقالة التي كتبها تحت عنوان (من زهاب إلى خوزستان) حين ذكره لأصحاب هذه النحلة من عشائر الكلهر والكوران: إن بعضاً من أقسام عشيرتي الكلهر والكوران،

(١) يقول صاحب كتاب دبستان المذاهب (فارسي في تاريخ الأديان والنحل. المترجم): «إن عقيدتهم تتلخص في أن علياً الله، غادرت روحه جسمه واتصلت بالشمس فهو الآن شمس، كما أن الشمس قبل ذلك كانت متجسمة بعناصر أخرى مدة من الزمن. فلذا يقولون: إن الشمس لا تتحرك ولا تصدر إلا بأمر «علي» الذي هو عين الشمس، فيطلقون على الشمس «علي الله» وعلى الفلك الرابع «دلل» (اسم الجواد الذي كان يركبه سيدنا علي. المترجم). فأصحاب هذه النحلة يعبدون الشمس ويقولون إنها هي الله بعينه». المؤلف

(٢) وفي المصدر نفسه: «وعندهم قتل الكائنات الحية غير جائز وأكل اللحوم حرام لأن علياً الله قال: (لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات) والحيوانات التي أجاز القرآن قتلها وذبحها، وكذا اللحوم، ما هي إلا لحوم أبي بكر وعمر وعثمان وأتباعهم. ويقولون أيضاً: إن الغرض من جميع المحرمات هي أعمال هؤلاء الثلاثة أنفار. وما الشيطان والحية والطاووس إلا رموز هؤلاء الثلاثة. وعلى هذا يمكن السجود إلى صورة «علي الله» أو كسر الأصنام. وعبادتها إشارة أيضاً إلى ذم هؤلاء الثلاثة أو تمجيدهم». ولا شك في أن عقيدة منع أكل لحوم الحيوانات مأخوذة من الديانة الهندية القديمة. ولكن التحريض على أكل لحوم الناس لا يوجد إلا في قبائل النيامام في إفريقيا. المؤلف.

والعشائر المجاورة لها، ينتحلون هذه العقيدة التي فيها شيء من الديانة اليهودية ^(١)، وشيء من السبئية والمسيحية. وأن «بابايدكار» المدفون في مضيق «زرده» بمنطقة زهاب عرف بتلك الجهات، بالولاية والتقديس، كاشتهار «خضر زنده- خضر الحي» أي سيدنا الخضر عليه السلام بالولاية أو النبوة في عهد الفتوحات الإسلامية. فعلى رأي عقيدة علي إلهي «إن (روح الألوهية) حلت على التوالي في أبدان بعض الأشخاص مثل «بنيامين، موسى، إلياس، داود، عيسى، علي وخلفائه: سلمان الفارسي والإمام الحسين وهفت تن» ^(٢) (الرجال السبعة). فما هؤلاء الأشخاص إلا أرواح إلهية متجسدة. والرجال السبعة هم الشيوخ السبعة الذين كانوا في صدر الإسلام، حيث عرف كل واحد من هؤلاء في جهة من جهات كردستان، بالتقديس والقوة الروحية الهائلة، فالشيخ «بابايدكار» هو أحد هؤلاء الشيوخ السبعة، على أن لكل من «بنيامين، داود، علي» من الأرواح الإلهية المتجسدة، مكانة كبيرة وميزة خاصة».

فيفهم من هذا، أن «بنيامين» من يهود (توديل = طليطلة) بإسبانيا، كما هو مقدس لدى اليهود فهو مقدس أيضًا عند هؤلاء العشائر. ويحتمل أن مذهب «بنيامين» الديني، لم يكن في عهده مضطربًا ومتناقضًا لهذه الدرجة. وليس من البعيد أن جبل «هفتون» الذي بنى عليه بنيامين بيعة له (سينا غوغوزه) أن يكون جبل (زاغروس). كما أنه ليس من المنكر أن يكون «هفت تن» علي الإلهيين مقتبسًا من «هفتون» بنيامين الذي يعترف بنفسه أنه رأى

(١) يقول راولنسون: «إن هناك مناسبة قوية بين «كالا» و«كلهر». ثم إن الكلهرين أنفسهم يزعمون أنهم يسكنون هذه المنطقة من القديم وأنهم من سلالة «رها» الذي ما هو إلا «بختنصر» فاتح المملكة اليهودية الشهير. ويوجد بين الكلهرين أساء يهودية بحتة». وفي الواقع إذا كان منفي اليهود هي منطقة الكلهرين الحالية هذه، فلا يستبعد إذن أن يكون ذلك سببًا قويًا في تسرب شيء كثير من العقائد اليهودية إلى السكان المحليين. المؤلف

(٢) وعلى رأي (دائرة المعارف الإسلامية) أن لفظ «هفت تن - حوتان» يدل على الأولاد السبعة لمؤسس مذهب «أهل حق» «سلطان إسحاق» الشهير. وكان لسلطان إسحاق هذا مثل ما لأولاده، أربعة من الملائكة يدعون «بنيامين، داود، مصطفى داودان، بيرموسى». وتربة سلطان إسحاق كائنة في الشطر الأيمن لنهر ديبالى، بمنطقة «هوراماني لوهوم» (ج-٤). المؤلف

(٥٠٠٠٠) أسرة يهودية تسكن بهذه المنطقة. هذا وأن حكاية «داود» الشهيرة قد جرت في مدينة «حلوان». ولا يخفى ما بين اسم حلوان هذا وبين «هالا» منفى اليهود الشهير، من المناسبة القوية. ويقول المستشرق في نفس مقالته من (زهاب إلى خوزستان) حين التكلم على عقيدة «لوربزرگ» أي البختاريين، أن هؤلاء الناس مسلمون في غاية من بساطة العقيدة وضعف المذهب. فليس لهم إطلاع على نحلة «علي إلهي» ولا يحترمونها، وأما «اللور الصغير» فعقائدهم في غاية من الغرابة والإبهام، على أنها تشبه عقيدة «علي إلهي» كثيرًا وليس لهم كبير علاقة واهتمام بالإسلام، وأقدم رجل وأعظمه لديهم هو الولي المدعو «بابابزرگ- الأب الكبير» وعندهم غير هذا، أولياء كثيرون يعتبرونهم ممثلين ووكلاء لخالق الكائنات، حيث يقصدونهم ويقدمون لهم الطاعات والعبادات، ولهم طقوس دينية غريبة جدًا. ومع ذلك فلا شك في أنهم يخضعون للإسلام في أكثر المبادئ والأحوال. هذا والمستر «ماكدونلدكينر» يذكر معلومات قيمة عن الاحتفالات الليلية لمن يسمون «شمع كشان- حملة الشموع» ولا أظن أنه يوجد الآن بين هؤلاء الناس مثل هذه العادات والاحتفالات. نعم! إنها كانت باقية لأواسط القرن الماضي (الثامن عشر) وليست هذه الاحتفالات والملاهي الليلية سوى تقليد لاحتفالات «ميثرا» و«أنائيتيس» في العهود الغابرة.

النحلة اليزيدية:

يقول صاحب كتاب (تاريخ الموصل): يظهر أن سبب تسمية أصحاب هذه النحلة باسم «اليزيدية» أو «اليزيديين»، يرجع إلى اعتقادهم بوجود إله يدعى «يزد» أو «يزدان» ولكن العلاقة التي يدعيها بعض المؤلفين بين اسم «اليزيديين» وبين «يزيد السلمي» أو «يزيد» الخليفة الأموي، بعيدة كل البعد عن العقل والنقل.

هذا ويقول المؤرخ اليوناني «ثيوفانيس» الذي عاش في القرن السابع الميلادي: إن الإمبراطور «هراقليس» أقام بعسكره بجوار مدينة «يزدم» فعلى رأي الميجر «راولنسون»

كانت هذه المدينة تقع على مقربة من مدينة «حدياب»^(١) - الموصل». والظاهر أن الطائفة اليزيدية هذه نشأت في هذه المدينة وانتشرت منها إلى الأطراف.

والفريق الكردي من معتنقي هذه النحلة، يقيم بجهات «حلب» و«وان» و«أرصروم» كما أن معظم أتباع هذه النحلة يسكنون في بلاد «الموصل» و«سنجار» وقضاء «شيخان» ويبلغ تعدادهم جميعاً زهاء (٣٠٠٠٠٠)^(٢) نسمة (تاريخ الموصل). ويقول البعض: إنه توجد بعض طوائف أخرى من اليزيدية، ولكنها بأسماء وعناوين أخرى، في جبال القوقاس وشواطئ بحر قزوين وفي جبال آلطاي وشبه جزيرة «كامشاتكا» وفي الصين أيضاً.

هذا وإن أصل النحلة اليزيدية، يرجع إلى مذهب «المانوية» وعلى رواية أخرى يرجع إلى الديانة الزرادشتية، حيث أن اليزيدية أيضاً تقول بوجود إلهين، لأنهم يرون وجوب العبادة للشمس وللشيطان، كالزرادشتيين الذين يرون وجوب العبادة لآلهي النور والظلام «هرمز» و«أهريمن» ثم إنهم يعتقدون بوجود «إله الخير» الذي لا نهاية لرحمته وعلوه. ويعتقدون بـ«الشيطان» الذي هو عامل الشر المحض فيرون عبادته واجبة، اتقاءً لشره وخوفاً من نقمته، لا احتراماً له وطمعاً في مثوبته. وعذرهم في ذلك هو أنه سبحانه وتعالى خير محض لا يتصور صدور شر منه لأحد، وعلى ذلك فلا لزوم لعبادته. ولكن الشيطان هو - بالعكس - مصدر الشر والأذى، فيجب على المرء أن يعبد ليتقي شره ويستجلب رضاه. فإنه هو الذي يورطنا في الشرور، وهو الذي يعصمنا عنها. وبناء على هذه الفلسفة الساذجة يعبد هؤلاء الناس الشيطان، باسم «ملك» عظيم قادر، ولكنه

(١) هكذا في الأصل والذي في «معجم البلدان» وغيره من المراجع أن الموصل موصوفة بالحدباء، لاحدياب «دجلة» عندها. فلعل ما هنا محرف عن ذلك. المترجم

(٢) تقول الرحالة الإنجليزية المس «روزيتا فوريس» في مقال لها: كان تعداد اليزيدية قبل الحرب العامة يبلغ ربع مليون؛ ولكنه الآن تضاعف فنزل إلى ستين ألفاً. (جريدة السياسة المصرية ١٦ فبراير سنة ١٩٣١). المؤلف

مطارد ومقهور من مبدأ الخير. ويقولون: إن مبدأ الخير هذا يحكم العالم زهاء ألف سنة. وهذا أجل محدود وأمد مؤقت. وفي نهايته يقتتل إله الخير والشر هذان، فإما أن يغلب إله الشر، وإما أن يضطر إلى الصلح مع إله الخير. وفي كلا الحالين يستفيد أتباعه من ذلك فوائد كثيرة.

ولهذه الطائفة «زعيم كبير» يقيم في بلدة «شيخان» يقال له «أمير شيخان». فله سلطة واسعة على أتباعه وفي معيته أمراء صغار موكلون بتنفيذ الأوامر والنواهي. والرئيس الديني الأكبر لهذه الطائفة يدعى «بابا شيخ» وله أيضا بعض أتباع من المشايخ ملازمون له يكلفون بتنفيذ الأوامر والنواهي الدينية. وبفتوى صادرة من هذا الشيخ الرئيس يحدد الصوم والصلاة ويعين الحلال والحرام، فهذان المنصبان الكبيران متوارثان كابراً عن كابر.

وتعتقد هذه الطائفة بجميع الأديان تقريباً، ويزعمون صحة العقيدة المانوية وصدقها. ويقدمون البقر قرباناً للشمس ويرون حرمة قتل الطيور والحيوانات الأخرى وذبحها أيضاً، كما أن قطع أشجار الوادي المقدس محرم لديهم. ويسجدون للشمس عند شروقها وعند مغيبها. ومن كبائر الإثم عندهم التزواج بأهل الأديان والعقائد الأخرى. ولا يطلقون كلمة الأخ على أحد من غير دينهم، بل يطلقون عليهم بدلها كلمة الصاحب. (مقال المس روزيتا فوربس).

ولهم عادات غريبة وتقاليد عجيبة جداً، فمن ذلك أنهم يعضون اللون الأزرق ولابسيه، ويكرهون أكل الخس أشد الكراهة ويتحاشون النطق بحرفي (ش) و(ط) الدالين على الشيطان. وليس من الجائز عندهم تحميل الجياد والمهور أي نوع من الأحمال. ومن خالف قاعدة من هذه القواعد المأثورين بها، يقع تحت طائلة العقاب الشديد.

ولهم كذلك أعياد كثيرة وحفلات دينية عديدة فمثلاً في يوم الأربعاء الأول من شهر (نيسان الرومي) من كل سنة يخرجون بالطبل والمزمار إلى المقابر ويجمعون فيها فيأكلون

ويشربون ويبيتون هنالك، ثم يأخذون في توزيع الصدقات على الفقراء. وكذا في يوم الخميس الثاني من كل شهر يجتمعون في بلدة «بعيشقة» على قبر «الشيخ محمد» لزيارته.

وفي يوم الجمعة يجتمعون أيضا في «بعيشقة» لإقامة حفلة دينية تسمى حلقة السماع (كحفلة المولوية المعروفة بالدوران واللف حول أنفسهم. المترجم) وفي يوم الجمعة الثاني من كل شهر يجتشدون في قرية «درايش» عند قبر وضريح «حسن فردوش» فيقيمون عنده حفلة السماع. وفي يوم الجمعة الثالث من الشهر، يزورون قبر «الشيخ أبي بكر» بالطليل والمزمار ويصومون ثلاثة أيام من السنة فقط.

وتسجد اليزيدية لصنم على شكل طائر يقال له «الملك طاووس»^(١). ويعتقدون أن إلههم هذا كان موجودا قبل جميع الكائنات، وأنه حاضر في كل الجهات، فيرسل خدامه وأعوانه لجميع النواحي للتفريق بين الضلالة والهداية، والكفر والإيمان. ويذهبون أيضا إلى القول بعقيدة «تناسخ الأرواح» فلهذا يزعمون أن لهم زعماء دينيين في كل القرون والعصور. هذا ويضعون «الشيخ عدي»^(٢) مع «الملك طاووس» في مرتبة واحدة ولا يؤمنون بوجود «جهنم» ولا «الشياطين». بل يقولون: إن الأرواح الشريرة كالأمراض والأوبئة والكوارث والضائقات والأزمات، إن هي إلا آفات طبيعية. ومن الكتب التي

(١) كلمة «طاووس» في الأصل يونانية محرفة من كلمة «ثيوس» بمعنى «الله» أخذها المسيحيون من اليونان واستعملوها في الكتب والصلوات، بمعنى الإله، ثم تطورت حتى أصبحت مرادفة للفظ «الله» وبعد ذلك أخذها منهم اليزيديون وأطلقوها على صنمهم المذكور. المؤلف

(٢) هناك اثنان من المشايخ يدعيان «عدي» أحدهما: هو الشهير بالشيخ «عدي بن مسافر الأموي» رحل من قرية بجوار «بعلبك» إلى جبال «حكارى» فأنشأ فيها زاوية اجتمع بها حوله أناس كثيرون. وتوفي سنة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) وقام في محله بعده ابن أخيه المدعو «أبو البركات بن صخر بن مسافر» وذاع صيته واشتهر أمره. والثاني: هو «أبو المفاخر عدي بن أبي البركات» الذي ولد بحكارى وصار شيخا فيها بعد والده أبي البركات المذكور. ويظهر أن «الثاني» هو الذي استولى على الدير المجاور له عنوة، مما أفضى إلى إلقاء القبض عليه وقتله من قبل «باطو» الأمير المغولي سنة (٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م). غير أن الراهب النسطوري راميشوع (في كتابه سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م) والمسيو «نو» يقولان: إن الشيخ عدي من الوجهة القومية كردي ومن الوجهة الدينية تيراهي «زرادشتي». (انظر: تاريخ الموصل). المؤلف

تقدسها هذه الطائفة «الجلوة»^(١) تأليف «الشيخ عدي» يذكر فيه الأصول القديمة لليزيدية. ويليها في مرتبة التقديس (مصحفي رش^(٢) - الكتاب الأسود) الذي ألف في سنة (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) يبحث عن العادات والتقاليد الدينية لدى اليزيدية في ذلك العصر.

٣- اللغة واللسان

سبق أن ذكرنا كلمة عن لغة (شعوب زاغروس) في الفصلين الثاني والثالث. ويؤخذ من دراسات الدكتور «سبايزر» أنه كان لكل من (شعوب زاغروس) الأربعة -لوللو، كوتي، كاساي، سوباري أو هوري- لغة تختلف عن لغات الآخرين، غير أن بعض الأسماء في هذه اللغات تدل على أنها كانت متقاربة جداً. ويقول بعض المستشرقين: إن لغات هذه الشعوب الأربعة كانت من ضمن اللغات الآرية (آريو إيران). ولكن بعضاً آخر من العلماء يرجح القول بأنها من جملة اللغات القوقاسية.

وخلاصة القول: أن الآثار المكتشفة حتى الآن غير وافية لحل هذه المشكلة، بل إنها إلى الآن في أشد الحاجة للتأييد بوثائق تاريخية أخرى.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يعرف أحد حتى الآن شيئاً عن اللغة الآرية الأولى، والسبب في ذلك عدم العثور على وثيقة مكتوبة أو منقوشة بهذه اللغة القديمة جداً. ويظهر أنه ليس هناك أمل ما في العثور على مثل هذه الوثيقة؛ لأن تاريخ تعلم الشعوب الآرية القراءة والكتابة، حديث لا يرتقى إلى أكثر من سنة (١٤٠٠ ق.م)^(٣).

(١) ورد في مقدمته ما يأتي: «الذي كان ويكون هو أنا. وفي يوم القيامة أنا أحكم على جميع من في الدنيا، ومرجع كل الذين يعبدوني إلى فقط لا غير».

(٢) يبحث بصفة عامة عن أصل الكائنات، وبطبيعة الحال عن أصل اليزيدية أيضاً. المؤلف (والكتابان باللغة الكردية. المترجم).

(٣) هو تاريخ تأليف «فيداس» الكتاب المقدس الهندي. المترجم

ولنشرع الآن في ذكر لغة (الطبقة الثانية) من أصول الكرد وآبائهم الأولين، أعني بهم الميديين وفروعهم. فنقول: إن من دواعي الأسف أنه ليس لدينا معلومات أو آثار مكتشفة عن لغة الشعب الميدي ولهجاتها. نعم قد ادعى «دارميس تيتز»^(١) أن كتاب الأبستاق (آفستا) لصاحبه «زرادشت» مكتوب بلغة الميديين، غير أنه حتى الآن لم يكتشف أثر ما بهذه اللغة، حتى تمكن المقايسة بينه وبين الأبستاق وتظهر الحقيقة^(٢). ويقول الجغرافي

(١) هو مؤلف كتاب الدراسات الإيرانية. المؤلف

(٢) ولكن «نلدكه» يقول: (إنه لو اكتشفت آثار مكتوبة أو منقوشة عن عهد الميديين أعتقد أنها ستكون عين الآثار الهخامنشية من حيث اللغة والخط). وما ذلك إلا أن الأمة في عهد الأسرة الهخامنشية (الكيانية) هي نفس الأمة الميديية بلغتها وخطها وسائر مميزاتها ومقوماتها، فلم يتغير، بانتقال الحكم من ميديية إلى «أنشان - أنزان» ثم إلى «بارس»، إلا الأسرة المالكة فقط، وما كانت «بارس» أو «بارسوا» إلا إحدى قبائل وشعوب الأمة الميديية، إذ لم يكن لها كيان مستقل ولا لغة خاصة إلا في عهد الساسانيين. فلم تكن إذن هناك أمة حقيقية أخرى تدعى بـ «الفرس الأولى - بارس قديم» ولا أمة تدعى بـ «البرث - الاشكان» لأنها أيضا كانت إحدى قبائل الأمة الميديية قامت بالحكم في إيران بعد الإسكندر المكدوني وخلفائه. فسميت «الاشكانيين» نسبة إلى مؤسس الأسرة المالكة «اشكان» و«البرثيين» نسبة إلى «بارث - خراسان» موطنها الأصلي. والدليل على أن الأمة في عهد الكيانيين هي نفس الأمة الميديية بسائر مميزاتها - كيفية انتقال الحكم من آخر ملك ميدي يدعى «ايختو ويكو» (كما في آثار «نبونيد» ملك بابل أو «أستيغ» في الآثار اليونانية) إلى «كوروش» كما في آثار داريوش المكتشفة، «قيروس أو كيخسرو» كما في الآثار الإسلامية، حيث عمل عظماء الدولة وزعماء الأمة على نقل الحكم من أسرة إلى أخرى من صميم الأمة، بل إنها تمت بالنسب إلى الأسرة الأولى، فلذا لم يعتبر أحد هذا الانقلاب من نوع تغلب أمة على أخرى وحلها محلها، بل اعتبروه حادثاً محلياً وامتداداً لحكم الميديين، وتطوراً نحو الوحدة الآرية الإيرانية. ولبث اليونان المعاصرون للأخمينيين عدة عصور ينتعون من يسميهم الشرقيون بالفرس الأولى، بالميديين. ويطلقون على الحروب الإيرانية اليونانية اسم «الحروب الميديية» بخلاف كتاب العرب الذين يطلقون كلمة فارس أو الفرس على كل ما هو إيراني قديماً وحديثاً. هذا ولا يخفى أن الميديين كان يطلق عليهم قديماً اسم «آرياني - آري - إيراني» ثم اشتهروا بالميديين فلذا يقول «داريوس» الأول في آثاره بـ «نقش رستم»: «إني هيخامنشي أي من أسرة «هيخامنش» «وبارسي ابن بارسي» أي من قبيلة «بارس» وآرياني من العنصر الآري أي الميديين». (هرودت، مشير الدولة، الأخبار الطوال، الآثار الباقية). المترجم

القديم «استرابون»^(١): إن الفرس والميديين في زمنه كان بعضهم يفهم لغة بعضهم الآخر. فيؤخذ من هذا أن اللغة الميديّة كانت غير اللغة الفارسيّة، إلا أنها كانت قريبة منها^(٢) جدًّا. (إيران قديم).

هذا ويرى الأستاذ «سايس»^(٣) أن الميديين كانوا عشائر وقبائل أكراد ليس إلا، وأنه من الوجهة اللغوية آريون (هندو أوروبي). ويقول الميرآلاي «ويلسن» الذي كان يشغل منصب وكالة المندوب السامي بالعراق خلال سنة ١٩٢٠م في كتابه القيم: «إن الشعب الكردي أحفاد الميديين مباشرة وإن لغته إحدى لغات آسيا الغربية» (ج ٢، ص ١٢٧). ومع ذلك فإني أرى أن رأي «دارميس تير» أقرب للصواب والحقيقة. ويرى الإخصائيون أن «زرادشت» كان من أهالي «ميديه» فلا يبعد إذن أنه كتب «الآبستاق» بلغته الوطنية أي بلغة الميديين. ويقول صاحب (تاريخ إيران قديم): «يستفاد من الوثائق المكتوبة الراجعة إلى عهد الأخمينيين، ومن دراسة لغة الفرس الأولى، أن هذه اللغة الأخيرة كانت تستعمل في كتابة المراسيم والأوامر الملوكية، في الوقت الذي كانت اللغة البهلوية أو لغة قريبة منها، تستعمل في المحادثات. وإن كلا من اللغة الفارسية الأولى واللغة السنسكريتية (لغة الكتب الهندية المقدسة ولغة «الآبستاق» أي لغة الكتب الزرادشتية المقدسة، ناشئة ومشتقة من اللغة الآرية القديمة جدًّا. وهذه اللغة المشتركة لا نعلم عنها حتى الآن شيئًا مذكورًا».

ويذكر هذا المؤرخ نفسه معلومات قيمة عن اللغة البهلوية وعن الخط البهلوي فيقول: إنه يفهم بالاستنتاج أن اللغة البهلوية كانت في أواخر عهد الأخمينيين لغة العامة والمحادثّة وكذا في عهد البرث والساسانيين. وأنها لبثت ردحا من الزمن بعد انقراض دولة

(١) جغرافي يوناني قديم مات في أوائل القرن الأول الميلادي. المؤلف

(٢) بل الظاهر، أن هذا يدل على أن اللغة الفارسية كانت ولا تزال إحدى لهجات اللغة الميديّة، أي لهجة قبيلة أو شعب (بارس) من الأمة الميديّة ولم تكن لغة مستقلة بعد. وقد استمرت على هذه الحال حتى عهد الساسانيين حيث أخذت تحل محل البهلوية أو الميديّة شيئًا فشيئًا.

(٣) صاحب تاريخ المؤرخ للعالم. المترجم

الساسان تسود البلاد الإيرانية ولاسيما إقليم طبرستان، محتفظة بمركزها كلغة المحادثة العامة.

وقد اكتشف أخيراً، أثر قديم مكتوب بهذه اللغة في «الفيوم» من أعمال مصر، فيقول «ويست» الإخصائي في هذه اللغة: «إنَّ هذا الأثر يعود تاريخه فيما يظهر إلى القرن الثاني الهجري». هذا وكتابات وآثار العهد الساساني كلها مقيدة ومدونة بهذه اللغة. ويقول الإخصائي المشار إليه: إن كل الكتب التي ألفت بلغة البهلويين؛ يرجع تاريخها إلى ما بعد العهد الساساني ما عدا كتاب الأبستاق. وهذه الكتب تنقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول هو تراجم وشروح للأبستاق (٨٢ كتاباً أو رسالة) والقسم الثاني هو الكتب الدينية. والثالث هو الكتب غير الدينية^(١).

وكانت الأبجدية البهلوية من الصعوبة بمكان، لأنها كانت تحتوي على ما يقرب من ألف حرف وعلامة. وهي مأخوذة من الأبجدية الأرامية.

ويقول صاحب كتاب (لغة الفرس وخطهم وعقائدهم الدينية) في صدد لغتي البهلوي والبازند ما ملخصه:

(١) عناوين هذه الكتب تحمل المرء بحق على الاعتقاد بأن اللغة البهلوية هذه، من المحتمل جداً أن تكون أصل اللغة الكردية الحالية، لأن كثيراً من ألفاظها تشبه ألفاظ اللغة الكردية الحالية تمام الشبه. فمثلاً أن كتاب (دين كرت) الذي ألف في القرن الثالث الهجري، يتضمن مباحث عن تاريخ الديانة الزرادشتية وأديانها وتعاليمها ومبادئها. مما يجعل المرء يقتنع بأن هناك علاقة وثيقة بين هذه الديانة وتعاليمها، وبين دين الأكراد وما كانوا عليه من النحل والمذاهب. بل يمكننا أن نؤكد بأن الديانة الزرادشتية هي نفس الدين الذي كان عليه الكرد قبل اعتناقهم الإسلام ديناً. فما لفظ (دين كرت) إلا عبارة عن لفظ (دين كرد) أي الدين الكردي. وكذا كتاب (داتستاني دينيك) المؤلف في القرن الثالث الهجري أيضاً، ما المانع من أن يكون عبارة عن (دستاني دينك) بمعنى القصة الدينية باللغة الكردية الحالية. ولاسيما أنه مكتوب كما لا يخفى بلغة الكرمانج الحالية.

هذا وكتاب (شيكند كومانيك وى جار) الذي وضع خصيصاً للدفاع عن الديانة الزرادشتية يشبه من حيث اللغة تمام الشبه، اللغة الكردية الحالية. المؤلف

«إن اللغة التي اكتشفت في غربي إيران بعد إسكندر الكبير كانت اللغة البهلوية ولفظ «البهلوي» هذا صار علماً على الألواح والنقود الساسانية. وقد جرت دراسات كثيرة حول لفظ «بهلوي» فذهب بعضهم إلى أنه مشتق من لفظ «بهلو» وأنه كان علماً على لغة سائدة في الحدود والتخوم حيث تختلط فيها الأجناس واللغات. ويرى البعض الآخر أنه مشتق من لفظ «بهلوان» ومعناه البطل. وهناك فريق ثالث يرى أنه علم على لغة إقليم أو مدينة. وقال الفردوسي: إن البهلوية لغة الأرياف (دهقان). وفي الواقع أن أهالي ولايات أصفهان، الري، همذان، آذربيجان، نهاوند، أعني مملكة ميديا القديمة كانوا يتكلمون بهذه اللغة. ولكنه لم يصرح أحد من مؤرخي الفرس والعرب، بأن هذه الولايات يطلق عليها لفظ «البهلوي»^(١).

ويؤخذ من أقوال «كاترمر» أن مؤرخي اليونان كانوا يذكرون بلاد البرث (الاشكان)، بهذا الاسم أعني (البهلوي). كما أن مؤرخي الأرمن ادعوا أن هذا الاسم، عنوان ملوك الاشكانيين. وفي الحقيقة أن هؤلاء البرث عرفوا بين الشعوب الشرقية القديمة بالشجاعة المتناهية وحب النضال. وقد سادت اللغة البهلوية البلاد كلها حتى شملت بلاد الهند. وخلاصة القول أن بعض الوثائق تفيد أن البهلوية كانت لغة شعب قوي من الشعوب الإيرانية. ويلزم البحث عن أصل معنى هذه الكلمة في اللفظتين (بارسيا وبارسوا) اليونانية والرومانية. فيظهر أن (th) في (بارسوا parthoi) استبدل

(١) يظهر أن صاحب هذا القول لم يفحص المؤلفات القيمة التي تتألف منها (المكتبة الجغرافية العربية) المطبوعة في أوربا منذ أمد غير بعيد. وإلا فإن فيها ما يقضي على هذه الدعوى، وإليك البيان: قال ابن خرداذبه في ص ٥٧ من كتابه المسالك والممالك: (بلاد البهلويين) هي الري، أصفهان، همذان، الدينور، نهاوند. مهرجا نقذق، ماسبذان، قزوین والبر والطيلسان والديلم. وجاء في الجزء الثاني ص ٣٨٤ من (أحسن التقاسيم) للمقدسي في إقليم الجبال: وقرأت في بعض الكتب أن الري وأصفهان ليسا من بلاد البهلويين، وإنما هي همذان وماسبذان ومهرجانقذق وهي السيمرة وماء البصرة وهي نهاوند وماء الكوفة وهي الدينور، وورد في ابن الفقيه تحت عنوان (القول في الجبل) ويسمى هذا الصقع بلاد البهلويين. فهذه نصوص قاطعة تدل على أن الكرد هم البهلويون والميديون، ببلادهم ولغتهم وسائر مميزاتهم القومية والجنسية. المترجم

بحرف (h) وحذفت (r) منه فصار (باهوا) على منوال ما حصل في لفظ (mithra - ميثرا) المذكور في الأبستاق حين انتقاله إلى اللغة الفارسية حيث صار (مهر). وحاصل الكلام أن من الراجح جدًا أن تكون اللغة البهلوية هذه لغة الشعب الاشكاني الذي حارب الرومانيين مدة خمسة قرون وغلبهم في غالب الأحيان.

ويقول «ابن حوقل» في وصفه «إيران» القديمة: «إنه كان يوجد بها ثلاث لغات:

١ - لغة فارس: هي التي يتكلم بها جميع سكان إيران.

٢ - اللغة البهلوية: وقد كانت لغة إيران العامة فيما مضى؛ والآن يدون بها رجال الدين من المجوس الوقائع التاريخية. ولا يفهمها أحد من الأهالي من غير ترجمة إلى اللغة الدارجة.

٣ - اللغة العربية: وتستعمل في كتابة الوثائق والمعاملات الرسمية».

كانت الآثار القديمة في عهد الفردوسي (القرن العاشر الميلادي). ولا سيما الآثار الساسانية المكتشفة عامة، مكتوبة باللغة البهلوية. ولا شك في أنها كانت مستعملة في عهود الأسر الأربع من ملوك إيران وأنها كانت على الأخص في عهد الساسانيين لسان أدب وتدوين.

هذا وتتضمن اللغة البهلوية المكتوبة شيئًا كثيرًا من الكلمات السامية التي تختلف كثيرًا عن الكلمات العربية الموجودة الآن في اللغة الفارسية الحديثة. والغريب في هذا الأمر أن الكلمات العربية الموجودة في البهلوية لا تنطق فيها كما هي في العربية؛ بل تنطق ترجمتها باللغة الفارسية. ورد في مبحث الحرب بين «قسطنطينوس» وبين «شاپور» الثاني من كتاب (امانوس مارسيلينوس) أن لفظ «ملكان ملك» الموجود في الخط البهلوي يقرأه الإيرانيون «سأأنسان» أو «شاهنشاهان» وكان يطلق على مثل هذه اللغة اسم «كلدو - بهلوي». وعلاوة على ذلك أن الإيرانيين غيروا بعض كلمات عربية، بطريق الحذف والإضافة

وجعلوها ملكا للغتهم مثل «أب- أبيدر» ثم تحول إلى «بيدر- بدر» وكذا «أم- أميدر- مادر».

ويقول ابن المقفع (١٣٣هـ/ ٧٥٠م): إن هناك نوعاً من النطق الفارسي يقال له (زاواريش) فله ألف كلمة على التقريب. وهذا النوع من النطق وبتعبير أصح، أن هذه اللهجة يغير نطقها وتلفظها شكلها المرسوم فمثلاً يكتب «لحما- لحم» وينطق «كوشت». فيؤخذ مما تقدم أن إيراني القرن الثامن كانوا مثل رجال الدين من برسي الهند الآن، يكتبون بلغة ويقرءون بلغة أخرى. أعني أنهم كانوا إذا اعترضتهم كلمة سامية في القراءة البهلوية، ينطقون بها بما يقابلها من اللغة الإيرانية. وقد دامت هذه الحال حتى قبول وانتشار الحروف العربية بالبلاد الإيرانية.

هذا ويطلق على الترجمة البهلوية للأبستاق لفظ «زند» كما أن لفظ «بازند» يطلق على «زاواريش» أو «هوزواريش» وأن الآثار والألواح المتخلفة من عهد أردشير الأول وشابور الأول (٢٢٦-٢٧٠م) مكتوبة بثلاث لغات وهي: البهلوي الساساني- الكلدوالبهلوي- اليوناني.

ورد في (جغرافية مطلبرون) في المقالة الخامسة والخمسين في وصف البلاد الآسيوية، ما يأتي:

«كانت لغتا الزند والبهلوي أقدم اللغات الآرية، فالزندية استعملت في الكتب الدينية الإيرانية القديمة، مثل الأبستاق، وانتشرت بين الناس وصارت لغة المحادثة والمحاورة بينهم، ابتداء من غربي بلاد «بخارى» إلى بلاد «أذربيجان» أي في جميع البلاد الإيرانية الشمالية، وهي لا تزال لغاية الآن حية بين علماء المجوس تحتفظ بمركزها كلغة دينية. مما يدل على أنه كان هناك تشابه عظيم بين هاتين اللغتين في القواعد الأصلية والأساس.

وأما اللغة البهلوية أو لغة (البهلوانان) أي لغة الأبطال فالظاهر أنها كانت منتشرة في العراق العجمي (ميدية الكبرى) وفارس، حيث كانت لغة العامة في المحادثة والمحاوره. ويقول البعض: إنها كانت لغة رسمية للحكومة وللبلات الشاهاني في عهد الملوك أحفاد «قيروس - كوروش - كيخسرو»^(١).

هذا وقد اكتشفت عدة آثار ووثائق مكتوبة بهذه اللغة يرجع تاريخها إلى عهد الساسانيين. إلا أن اللغة البهلوية في (٢١١م - ٦٣٢م) أي في عهد الساسانيين فقدت أهميتها ومكانتها رويداً رويداً وزالت عن الوجود رسمياً، بصدور أوامر ملكية باتخاذ لهجة إقليم فارس لغة رسمية في الدواوين والبلات الشاهاني وسائر المؤسسات والمعاهد العامة. وفي عهد استيلاء العرب على البلاد الإيرانية وانقراض دولة «آل ساسان» أخذت هذه اللغة الإيرانية أيضاً بالتلاشي والفناء وزالت عن الوجود شيئاً فشيئاً. ولما جاء عهد حكومات «الديلم». عمد هؤلاء الديلمة (٣٦٧هـ / ٩٧٧م) إلى لغة فارس المذكورة فأحيوها ولكنهم أدخلوا فيها كثيراً من الكلمات العربية وغيرها من اللغات واللهجات المجاورة. ثم جاء دور العلماء والأدباء فهذبوها ونمقوها بإدخال كلمات من اللغات الإيرانية البائدة مثل الزندية والبهلوية. وهكذا نشأت اللغة الفارسية الحالية في العهد الإسلامي ابتداءً من ذلك التاريخ^(٢).

ويقول السير «جون مالكولم» في كتابه القيم (تاريخ إيران: ج ٢، ص ٥٠-٦١): «إن أقوى دليل على أصل تلك العشائر التي تقطن في مناطق في «كرمان» و«فارس» وقسم من «العراق» وجميع «كردستان» وأجلى برهان على الأرومة التي تنتمي إليها - هي اللغة التي

(١) هو مؤسس الأسرة الهخامنشية أو الأخمينية أي الكيانية (٥٥٩-٥٢٩ ق.م) وورد في الآثار الباقية

للبيروني «كوروش هو كيخسرو». المترجم

(٢) انظر: المقدمة العربية لكتاب (شرفنامه) الفارسي في تاريخ الكرد وكردستان في القرون الوسطى. إذ هي أصل ما ذكره الدكتور «بيلج شيركوه» في رسالته القضية الكردية بالنسختين العربية والفرنسية.

تتكلم بها تلك العشائر. وغاية ما هنالك أنها لهجة خشنة من لهجات اللغة البهلوية القديمة. نعم! أن هناك فروقاً بسيطة بين لهجات هذه العشائر العديدة، غير أنها ليست في مدى لا يمكن معه التفاهم بين أفراد تلك العشائر».

ومن هنا يقول السير «سدني سميث» صاحب كتاب (تاريخ آشور) في هذا الصدد: «إنَّ نظرية أصل اللغة الكردية قد تغيرت في هذه الأيام تغييرًا تامًّا. فعلى رأي الإحصائيين الذين يستطيع المرء أن يعول على آرائهم ونظرياتهم، ليست اللغة الكردية الحالية، لهجة مشتقة أو محرفة عن اللغة الفارسية الحالية، بل إنها لغة مستقلة تمام الاستقلال لها تطوراتها التاريخية الحقيقية، وهي أقدم من اللغة الفارسية القديمة ^(١) التي كتبت بها آثار «دريوش الأول» ^(٢) فإذا صحت هذه النظرية القوية. فقد يحق لعلماء التاريخ أن يذهبوا بطبيعة الحال

(١) هي اللهجة الفارسية الأولى من لهجات اللغة الميدية العامة، كتبت بها آثار الملوك الهخامنشيين (الكيانيين) بالخط المساري الخاص بالإيرانيين.

(٢) هو «داري وهش» الأول، ثالث الأخمينيين تولى (٥٢١-٤٨٦ ق.م) وأشهر كتابة خلفها هذا الملك العظيم هي الكتابة المنقوشة على صخور بهستون بجوار قصر شيرين باللغات الثلاث الفارسية الأولى والعلامية والآشورية يذكر فيها نسبه وما قام به من الفعال والأعمال العظيمة وهناك كتابة أخرى لا تقل شهرة عن الكتابة الأولى عرفت بكتابة (نقش رستم) الواقعة على ثلاثة فراسخ من (تحت جمشيد) أي (برسبوليس) عهد اليونانيين و(اصطخر) العهد الإسلامي وهذه الكتابة الثانية تذكر أسماء الأقاليم والبلدان الخاضعة للإمبراطورية الفارسية الأولى. (إيران قديم: مشير الدولة) وورد في (الآثار الباقية للبيروني طبع ليدن ٩٩-١٣٣) في جدول ملوك إيران وبابل نقلا من كتب أهل المغرب أن «دارا الماهي هو داريوش الأول». ومعنى الماهي أي الميدي لان (ماه) كان يطلق على ميديّة في العهد الإسلامي، كما كان يطلق عليها اسم (بلاد البهلويين) حسبا ورد في كتب المكتبة الجغرافية العربية. وورد في مختصر البلدان لابن الفقيه (ص ٢٥٩) فسميت (نهاوند) ماه البصرة و(الدينور) ماه الكوفة وذلك في أيام معاوية بن أبي سفيان. وورد في محل آخر أن وجه التسمية هو أن «نهاوند» وإن كانت من فتوحات الكوفيين إلا أنها أعطيت للبصريين فسميت بهاء البصرة وأعطيت «الدينور» للكوفيين فسميت بهاء الكوفة. ويقول «مشير الدولة» في إيران قديم ص ٤٨ الحاشية ٢: «إن «دريوش» الأول سمي بلاد الميديين «ماده» وكانت هذه الكلمة تلفظ في عهد الساسانيين «ماي» وفي العهد الإسلامي صارت «ماه» كما في ماه البصرة...». المترجم

إلى ما يأتي: إن اللغة الكردية كانت موجودة في القرن السادس (ق.م) وكانت مستقلة عما عداها من اللغات المجاورة، تمام الاستقلال».

ويقول الميجر «ادموندس» الإحصائي في تاريخ الكرد في مقالة له نشرت في مجلة جمعية آسيا الوسطى العدد ١١ ما يأتي:

«أصبح من الواضح بمكان أن اللغة الكردية ليست عبارة عن لهجة فارسية محرفة مضطربة، بل إنها لغة آرية نقية معروفة، لها مميزاتها الخاصة وتطوراتها القديمة».

ويحسن بنا أن ننقل هنا شيئاً من معلومات الميجر سون^(١) في مبحث اللغة الكردية. لأن هذا الفاضل يعرف اللغة الكردية كأحد أبنائها، بل إنه أعلم بها من كثير من علماء الكرد أنفسهم. قال ما ملخصه:

«إن اللغة التي يتكلم بها الأكراد الحاليون، ليست -كما يظن البعض وهم غالب الرحالة- لهجة مشوشة لا ضابط لها ولا قواعد، حرفت من لهجات اللغة الفارسية بل إنها بالعكس، لغة آرية نقية ممتازة لا تزال موجودة منذ إبان اندثار التاريخ الحقيقي لإيران الكبرى وحلول القصص والخرافات محله، تعيش إلى اليوم في جبال كردستان الشفاء حرة نقية. وهي الوحيدة بين اللغات في الشرق الأوسط، سلمت من تأثير اللغة العربية فيها تأثيراً بليغاً، سوى بعض الكلمات الدينية التي لم يكن لها بد من إدخالها فيها. هذا وتدل الكلمات الآرية القديمة التي في هذه اللغة دلالة واضحة، على أن هذه الكلمات كانت موجودة أيضاً في اللغة الفارسية في الأصل، ثم سقطت من الاستعمال فيها، ولكن الأكراد لا يزالون يستعملونها في لهجاتهم ولغتهم».

(١) في تقريره لواء عن لواء السلمانية طبع كلكتة (١٩١٨، ص ٨٥) المؤلف

ومع هذا فلا بد من أن ترتقي لهجات وفروع هذه اللغة أيضاً، كما تقضي بذلك التطورات اللغوية ونواميس الطبيعة في كل الأشياء، ولكي تكون هذه اللغة أيضاً لغة عامة لجميع الأكراد في وقتنا الحاضر يجب:

١ - أن تتغير أوائل الكلمات في لهجة أو لهجتين راقيتين من تلك اللغة.

٢ - أن يتغير شكل الحروف التي يكتب بها اللسان الكردي الآن وأن يبذل المسعى لإدخال تعديلات على قواعدها النحوية والصرفية، بصورة يمكن بها أن يفهمها تمام الفهم كل من يعرف أصل هذه اللغة أو إحدى لهجاتها وفروعها. فأرى أن هذه هي الطريقة المثلى التي يمكن بها إصلاح الشعبة الأساسية من اللغة الآرية القديمة التي نشأت منها كل من الفارسية والكردية الحاليين إذ أن المعلومات العامة تفيد أن اللغتين الكردية والفارسية كانتا في وقت ما واحدة ومتحدتين ثم أخذتا تنفصلان عن بعضهما رويداً رويداً وتسيران على خطين مستقلين، إلى أن وصلتا إلى حالتهما الراهنة من الرقي والتهديب. فلذا لا يمكننا قط أن ندعي بأن اللغة الكردية إن هي إلا لهجة من لهجات اللغة الفارسية، لا قديماً ولا حديثاً. كما أننا لا يمكن أن نزعّم أن اللغة السكندنافية لهجة من لهجات اللغة الإنجليزية.

فيتبين من هذا أن اللغة الكردية انفصلت مع اللغة الفارسية من أصل واحد وأن كلا منهما انقسم إلى عدة لهجات. حيث نرى (اللغة الفارسية) منقسمة إلى لهجات عديدة حسب المناطق المختلفة في البلاد الفارسية. وتوجد فروق واضحة بين هذه اللهجات واختلاف بين بينها، بيد أن ذلك كله يرجع في الأصل إلى لغة واحدة وهي الفارسية، لا الكردية ولا اللهجة اللورية أو البلوجية. وكذا (اللغة الكردية) لها لهجات مختلفة عديدة. فلعدم العمل على توحيدها وترقيتها، وعدم اشتغال هيئة اختصاصية بإيجاد أبجدية خاصة وطريقة كتابة مشتركة وافية بحاجات جميع لهجاتها، قد تباعدت هذه اللهجات بعضها عن البعض، وتغيرت مظاهرها تغيراً تاماً يحيل لغير المدقق أنها لغات مختلفة مستقلة، الأمر

الذي أوقع الباحثين في حيرة شديدة، وأقام في سبيلهم صعوبات جمة. فلم يفتن أكثرهم إلى أن إحدى هذه اللهجات ولا بد هي الأصل وأن غيرها فرع لها ومشتق منها.

وتدل البراهين الإثنوغرافية والجغرافية والفيلولوجية وغيرها من الدلائل التاريخية والأمارات والقرائن الاجتماعية من روايات وتقاليذ وعادات وأساطير أن عشيرة «مكرى» النازلة في مقاطعة «سابلاخ» تتوفر فيها جميع هذه الأوصاف والبراهين وأنها جديرة بأن تكون مثلاً ونموذجاً يدرس درساً دقيقاً لمعرفة حقيقة العنصر الكردي واللغة الكردية.

هذا وقد صار من المسلم به أن «زرادشت» الذي كان يتكلم اللغة الميدية الأخيرة، قد ولد في شمالي مقاطعة «ميدية» وهي الآن معروفة بمقاطعة «مكرى». وأن لغة «زرادشت» هذه - كما نراها في زندافستا - قريبة جداً من اللهجة المكزية الحالية، بل إنها - حسبنا نذكرها فيما بعد - هي اللغة المكزية بنفسها.

وقد لاقت هذه النظرية أو الرأي تأييداً كبيراً من «هوارت» و«درامستير» وغيرهما من الإخصائيين الأعلام. وملخص مباحثهم هو أن لغة الأبستاق لزرادشت هي اللغة الكردية الآن والميدية سابقاً. وأن لغة فارس في ذلك الوقت هي اللغة التي كتبت بها آثار «برس بوليس - اصطخر» وكل ما هناك هو أن الفروق والاختلافات التي حدثت أخيراً بين هاتين اللغتين، بفعل الزمن والأحوال، عبارة عن أن اللغة الكردية، بعكس الفارسية، لم يختلط بها كثير من الكلمات العربية، بل إنها حافظت على جميع صيغ أفعالها الراقية محافظة تامة.

وعلى رأي المرحوم شمس الدين سامي بك أن ^(١): «اللغة الكردية الحديثة تشبه اللغة البهلوية التي لا تزال بعض لهجاتها محفوظة بالولايات الشمالية من «ميدية» القديمة حتى اليوم، مثل لهجة «تات» في أيلة «باكو» ولهجة أكراد طالش وقره باغ ولهجة كيلك بايالة

(١) صاحب (قاموس الأعلام) و(قاموس تركي) باللغة العثمانية. المترجم

كيلان». ومن دواعي الأسف أن معلوماتنا عن اللغة الميدية ضئيلة جداً؛ إذ أن لغة «زند آفستا» لواضعه «زرادشت» الذي يحتمل أنه ألفه في عهد «الأسرة الأخمينية» تختلف اختلافاً كبيراً عن اللغة الميدية. وهناك أدلة وبراهين قوية على أن اللغة الكردية حافظت تمام المحافظة على شكلها الأصلي. وإليك بعضاً منها:

الترجمة العربية	اللغة الفارسية الحالية	لغة الأبستاق	اللغة الكردية	
			لهجة السليمانية	اللهجة الكرمانجية والزازائية
كه وره	سكنين - بزرك	ماز	مازين	مازين
به رز	بلند	به ره زا	بَرز	بَرز
ماسي	ماهي	ماسيا	ماسي، ماسه	ماسي، ماسه
تيز	تيز	تبز	تيز، توز	تيز، توز
حوشتر	شتر	ئوشترا	ئوشترا	ئوشترا
بُرْد	بل	به ره تا	بُرت، بر	بُرت، بر
روز	آفتاب	هور	خور، رو	خور، رو
ميش	مكس	مه خشى	ميش	ميش
برخ	بَره	وراخا	برخ	برخ
قِسَه	حرف، سُحَن	خسا	كِسَه - قه	كِسَه - قه
وبستن	خواستن	واسى	ويسو - واشتن	ويسو - واشتن
زانين	دانستن	زان	زانين	زانين
من	من	أزم	أز - م	أز - م

وعلاوة على ما في هذا الجدول من الأدلة والأمثلة المذكورة، فإن هناك دليلاً آخر وهو إضافة حرف (هـ) إلى بعض الكلمات في الكردية، في حين أنها محذوفة من الكلمات نفسها

في اللغة الفارسية. فيتبين من هذا أن الفارسي حذف هذه الهاء وأضاعها، بخلاف الكردي الذي حافظ عليها محافظة تامة، بل زادها في بعض الكلمات الأخرى. فلغة الأبستاق ولغة البهلويين، تحويان بعض كلمات مثل (هه نجمن، هان، هين) وهذه الكلمات موجودة الآن في اللغة الكردية على هذا الشكل مبدوءة بالهاء في حين أن اللغة الفارسية تحتفظ بهذه الكلمات من غير الهاء هكذا (أنجمن، آن، إين).

فنظرة في هذه المقارنة أو المقايسة البسيطة، تفيد أن اللغة الكردية، قد حافظت على علاقتها الوثيقة بأصلها اللغة الآرية، أكثر من جارتها اللغة الفارسية الحالية. وأظن أن في هذه الإيضاحات مقنعا كافيا للذين ينظرون إلى اللغة الفارسية نظرهم إلى لغة آرية نقية غير مشوبة بعناصر أخرى، للعدول عن نظرهم الخاطئة. فهؤلاء الذين ينظرون تلك النظرة، لا شك أنهم غير ملمين بتطورات اللغة الفارسية، في عهد الاحتلال الأجنبي لإيران. كما أن معلومات كتاب (قضية كردستان وتركيا) في هذا الباب غريبة جداً وهي على عكس الآراء الحديثة تماماً. وملخصها «إن اللغة الفارسية القديمة لها علاقة وثيقة باللغة الزندية الإيرانية واللغة السنسكريتية الهندية. وأنها أهملت وهجرها الناس حوالي القرن الرابع (ق.م) إلا أنها نشأت منها اللغات الفارسية الحديثة، والبهلوية أو البرثية والميدية، واللغة الكردية الحالية» وعلى فرض صحة هذه النظرية يلزم أن تكون نشأة اللغة الميدية وظهورها في عالم الوجود بعد سقوط الحكومة الميدية، بثلاثة أو أربعة قرون على الأقل وهذا بعيد عن العقل ومخالف كل المخالفة لآراء ونظريات علماء اللغات والتاريخ القديم. وإذا كانت نظرية ظهور (اللغة الفارسية الحالية) قبل الميلاد بأربعة قرون، صحيحة أو معقولة على الأقل، فبماذا نعلل وجود هذه الكلمات العربية الكثيرة في اللغة الفارسية، ومن أين ومتى جاءت هذه الكلمات إليها؟

والحقيقة هي أن اللغة الفارسية الحالية - كما قلنا سابقاً - نشأت بعد غلبة العرب على إيران وظهور الإسلام فيها بثلاثة قرون وكان ذلك في عهد ملوك «آل بويه» كما صرح بذلك في مقدمة (شرفنامه) نقلاً عن (جغرافية ملطبرون). هذا، ويقول المصدر السابق

أيضا في (ص ٢٣) من الحاشية: «إن الشعب البرثي الذي استولى على بلاد كردستان في القرن الثالث قبل الميلاد قد أكره الشعب الكردي على قبول لغته التي كانت عبارة عن اللغة البهلوية المشتقة من اللغة الفارسية، فنشأ من هذا العمل، أن تكونت للأكراد الذين كانوا أكثر اتصالاً بالشعب البرثي، لهجة قريية من السنسكريتية الهندية وأمّا الذين كانوا من الأكراد بعيدين عن هذا الاتصال ومتوطنين في الجهات الغربية من كردستان، فقد صارت لغتهم لهجة قريية من اللغة الأرمنية. فمن ذلك الوقت أصبحت اللغة الكردية مكونة من ثلاث لهجات مختلفة الكرمانجية والبابانية والزازائية (الدنبلية)». وينسب المصدر المذكور هذه النظرية الأخيرة إلى رأي المستشرق «ماديسون غرانت». وهذا أيضا لا يتفق ونظرية (دائرة المعارف الإسلامية) التي هي عبارة عن آراء وأفكار الإخصائيين الذين ليس المستشرق المذكور منه، حيث لم تذكره الدائرة قط ضمن الأعلام الباحثين، مما يدل على أن آراء هذا المستشرق بعيدة عن الحقيقة والصواب^(١).

وصفوة القول أن اللغة الكردية وإن كانت كاللغة الفارسية من ضمن لغات غربي إيران، إلا أنها غير اللغة الفارسية في الأصل والبنية ومستقلة عنها تمام الاستقلال، إذ أن لغات غربي إيران -على رأي بعض المستشرقين- تنقسم إلى شمالية وجنوبية. ورغمما عما بين اللغتين الكردية والفارسية من التشابه والتقارب والامتزاج الكبير، فإن هناك فروقا واضحة بينهما تدل على استقلال كل واحدة عن الأخرى. فلو كانت وثائق اللغة الكردية الموجودة والمعلومة لنا حتى الآن، أقدم عهدًا من وثائق العهد الذهبي للغة الفارسية التي حافظت فيه على كيائها، لظهر الفرق الأساسي بين هاتين اللغتين ظهور الشمس في رائعة النهار.

(١) فالذي يحملنا على الريب والشك في آراء وأقوال المستشرق المذكور «ماديسون غرانت» هو مسألة الشعب الميدي حيث يجعلهم موجودين في بلاد «ميدية» منذ سنة (٦٠٠ ق.م) في حين أن جميع علماء التاريخ والباحثين في المدينيات والحضارات القديمة لا يرجعون وفود هذا الشعب إلى «ميدية» إلى أكثر من (١٠٠٠ ق.م). المؤلف

هذا والفرق البارز بين هاتين اللغتين ينحصر تقريباً في خمسة وجوه، التلفظ، البنية، الصيغة، القواعد الصرفية، القواعد النحوية: (الفارق اللفظي) في أغلب الأحوال موجود في حرفي الراء واللام الرقيقتين والفخمتين، وفي حرف الدال الخفيفة والثقيلة. و(الفارق الأساسي) يكون في تغير الألفاظ والكلمات مثل كلمة «آتش» الفارسية تقابلها كلمة «آكر» الكردية و«ماهى - ماسى» و«ناهز - نوزنمى» وأما الفوارق في الصيغة، وقواعد النحو والصرف فتكون في تصريف وتركيب الكلمات والأفعال والجمل. مثل «فوستاد - ناردى أو شنادى» «آمد - هات» «آورد - هانى». (دائرة المعارف الإسلامية). ولمعرفة تفاصيل هذه الفروق يحسن مراجعة كتاب (دستورى زمانى كردى)^(١).

وقد اقتبست اللغة الكردية بعض كلمات من اللغتين الفارسية والعربية، كما أن الفارسية اقتبست كثيراً من الكلمات العربية. وفي اللغة الكردية بعض من الكلمات التركية والآرامية والأرمنية. وذلك نتيجة الاتصال السياسي والاجتماعي والاشتراك في الإدارة الواحدة آلفاً من السنين. غير أن كل ذلك لم يحدث ضرراً يذكر في أصل اللغة وأساسها ولن يحدثه بعد الآن.

وإذا نظرنا إلى اللغات الأخرى نجد أن كل واحدة منها قد تأثرت ولا شك، بغيرها من اللغات المجاورة والمخالطة لها حسب النوااميس الطبيعية. فهل يتصور أن هناك لغة تخلو من استعارة واقتباس كلمات أجنبية عنها، حتى أن اللغة العربية أيضاً لم تنج من تأثير هذه الحالة الطبيعية. ومثل ذلك أن اللغة الفرنسية أخذت كثيراً من الكلمات اليونانية وبعضاً من الكلمات العربية، وكذا اللغة الانجليزية التي نسعى كلنا لتعلمها لسهولة العلوم والمعارف الحديثة بها، فهي مليئة بالكلمات اللاتينية والجرمانية واليونانية. ودونك اللغة الفارسية الحالية التي وصلت بها الحال إلى أن المرء لا يمكنه أبداً أن يحكم معها على أنها وليدة اللغة الفارسية القديمة. لأنها أصبحت مثل اللغة العثمانية القديمة عبارة عن صيغ الأفعال وأدوات الأخبار الفارسية فقط، وأما الباقي من أنواع الكلام وأجزائه فهو عبارة

(١) كتاب قيم في قواعد اللغة الكردية باللهجة السلمانية لمؤلفه الكولونيل توفيق وهبي بك. المؤلف

عن الكلمات العربية والتركية والبلوجية والهندية والروسية. وقد سبق أن قلنا: إن هذه الحالة هي نتيجة طبيعية للاختلاط الكلي والخضوع لحكم الغير. فلا ضير كبير من ذلك على أصل اللغة وبنائها المستقل.

ومع ذلك فإني معتقد بأن هناك مجالاً كبيراً لترقية اللغة الكردية وتسهيلها على مريدي تعلمها. وذلك بفضل نشر التعليم العام بهذه اللغة والعمل على الإكثار من عدد القراء الأكرد، بإصدار كتب قيمة وضرورية مثل كتب النحو والصرف والمطالعة والقواميس واللغات وغيرها من المؤلفات اللغوية والأدبية. إذ بذلك فقط، تتحد طريقة القراءة والكتابة في جميع اللهجات الكردية، وتقل الكلمات الأجنبية الدخيلة رويداً رويداً، بإيجاد ووضع مقابلها في اللغة الكردية، إحياءً للكلمات الكردية المهجورة في ناحية من النواحي ولهجة من اللهجات. وهذا ييسر في الكلمات الدخيلة التي يمكن الاستغناء عنها بسهولة تامة. وأما الكلمات التي لا يمكن الاستغناء عنها بالسهولة المطلوبة مثل الاصطلاحات الفنية والعلمية والكلمات المتكررة الكثيرة الشيوع في ألسنة الناس وعامتهم، بحيث إن محاولة نبذها وهجرها يحدث ارتباكاً كبيراً لعامة المتعلمين والقراء، فإنه يحسن في هذه الحالة الإبقاء على مثل هذه الكلمات والمصطلحات واعتبارها من صميم اللغة الكردية كما فعلت ذلك سائر الأمم المتمدينة، بل يجب في مثل هذه الظروف والأحوال اقتباس كلمات أجنبية أخرى، في الأغراض العلمية والفنية لزيادة تراث اللغة الكردية وتوسيع ثروتها الأدبية والعلمية.

ويزعم البعض -استناداً على كثرة لهجات اللغة الكردية- أن من المتعذر ترقية اللغة الكردية ترقية أساسية ثابتة شاملة لجميع لهجاتها، بل يقول: إن ذلك ضرب من المحال. ولكنني أعتقد أن هذا الزعم ناشئ من شيئين لا غير: الأول هو الجهل بتطورات اللغات الحية. والثاني هو عدم الاطلاع اطلاعاً تاماً على اللغة الكردية نفسها. فعن (الأول) نقول: إننا إذا نظرنا إلى قواعد علم الفيلولوجيا نجد أنه كانت هناك فروق كثيرة بين لهجات أقسام وشعوب أبناء أية لغة من لغات الأمم العظيمة المعاصرة التي تتجلى الآن بشكل

متحد في جميع المقومات الشعبية والمميزات القومية. وليس لنا أن نذهب بعيداً لضرب الأمثلة وذكر الشواهد، فهناك فرق كبير بين لهجات الذين يتكلمون العربية في مصر، والحجاز، وسورية، والعراق... إلخ؛ لدرجة أن عراقياً مثلاً لا يكاد يتفاهم مع المصري أو السوري بسهولة، بل إنه لا يفهم بتاتاً أكثر التعابير التي يختص بها السوري أو المصري.

وليس الفرق بين اللهجات الكردية في أي وقت من الأوقات، بأكثر من الفرق بين اللهجات العربية الدارجة في أقطارها العديدة. ولا شك في أنه كلما اتسعت دائرة انتشار التعليم العام والمعارف الضرورية باللغة القومية، ضوئت الفروق وقلت الاختلافات بين لهجات هذه اللغة. وأبرز مثال على عقيدتي هذه، حالة اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية واللغة الألمانية بعد الوحدة. وعن (الثاني) أقول: إنه لو كان الذي يعتقد باستحالة رقي اللغة الكردية وعدم إمكان وحدتها، عارفاً تمام المعرفة بأنواع اللهجات الكردية وملماً بدقائق لغاتها، لما أخذ دون شك بهذا الرأي البديهي البطلان، ولصحح رأيه حالاً؛ لأن الفرق بين اللهجات الكردية - كما تعلمون - ليس كبيراً لدرجة عدم التفاهم، بل إن شخصاً من أهالي «السليمانية» مثلاً يمكنه التفاهم مع «كردي» من أهالي «لورستان» أو «كوران» أو «بهدينان» فضلاً عن أن هناك لهجات، بعضها قريب جداً من البعض الآخر. مثال ذلك أن ليس هناك كبير فرق الآن بين لهجتي أكرد إيران في الشمال الغربي وفي الجنوب الغربي.

وغير خاف أن اللهجات الكردية على عدة أقسام: فالقسم الكبير منها هي اللهجة الكرمانجية وعلى رأي كتاب (شرفنامه) ينقسم الشعب الكردي نفسه إلى أربعة أقسام كبيرة: الكرمانج، اللور، الكلهر، الكوران.

فالقسم اللوري من هذه الأقسام يحتمل جداً أن يكون من جماعة الجنوب الغربي في إيران (أو.مان). وأن يكون فرعاً مستقلاً عن باقي الفروع والأقسام.

هذا وكورانيو (زهاو) مثل هاوراميو (سنه) وكذا الزازا (الظاظا) وسائر الفرع والأقسام... إلخ، يتكلمون باللهجة الشمالية الغربية التي تفتقر كثيرًا عن اللهجة الكردية الشائعة. فمثلاً أن الكوراني يقول للثلاثة (هه ري) والظاظا يقول: (هيري) في حين أن الكرمانج يقول: (سه - سسه). وعلى رأي ودراسة المستشرق «أندريس»: إن اللغة الظاظائية وليدة لغة الديلم القديمة وناشئة عنها، ويظهر أن هذه النظرية صحيحة بالنظر إلى روايات الهاوراميين (الميجر سون).

ويقول (شرفنامه) أيضًا: إن عشائر الكلهر تقطن بين (سنه) و(كرمانشاه) و«زهاو» وإن لفظ «كلهور» على رأيه يطلق على الأكراد غير الكرمانج، القاطنين ببلاد «سنه» و«كرمانشاه». و(اللهجة الكلهورية) هذه، درست درسًا دقيقًا من قبل المستشرق «أو.مان» ولكن دراساته لم تشر بعد. ويؤخذ من المعلومات التي ضمنها المستشرق المذكور كتابه عن تلك الدراسات القيمة أن المجلد الأول منه يبحث في لهجات المنطقة الجنوبية لكرمانشاه. وهي اللهجات «الكرمانشاهية» و«الكلهورية» و«اللكية» و«البهراوندية» و«الناناكالية» و«الكولية». والمجلد الثاني يبحث في لهجات مقاطعات «سنه» و«كرند» و«كروس» أعني (بيجار وشرقي سنه). فالذين يتكلمون بهذه اللهجات يطلقون على أنفسهم اسم «الكرد» أو يعرفون بأسماء العشائر التي ينتمون إليها. هذا وفي جوار لورستان (لكرستان) تعرف اللهجة الجنوبية من الكردية باسم «اللكية» ويوجد في «سلماس» وإقليم «فارس» عشائر من «لك» أيضًا ولكن اللغة الكردية التي تتكلمها عشيرة «كلون - عبدون» بفارس ليست لكية، على رأي المستشرق «أو.مان».

هذا واللهجة الجنوبية لأكراد غربي إيران، تكاد تكون منفصلة عن اللغة الكردية في الصيغة والشكل الخارجي. والظاهر أن وجود هذه اللهجة غير الكرمانجية ليس له أهمية كبيرة في تقرير مسألة «كاردو - كارتوي» القديمة. ولا نعرف نحن شيئًا عن أصل لفظ «كرمانج» فهل يا ترى هو مركب من كلمة «كرد» واسم آخر لعشيرة ميدية أم لا؟

والظاهر أن البلاد الكرمانجية كانت فيها مجموعتان لغويتان مستقلتان الأولى هي «الكرمانجية الشرقية» أو «الجنوبية الشرقية». الثانية هي «الكرمانجية الغربية». غير أن الحد الفاصل بين هاتين المجموعتين لم يعلم حتى الآن.

الكرمانجية الشرقية:

هذه المجموعة منتشرة في بلاد «مكرى» وفيما بين عشائر حوض دجلة أعني المنطقة الممتدة بين نهر الزاب الأسفل وشط الأدهم وأطراف نهر السروان فهي لهجة صافية بليغة وغنية جداً بكثرة المفردات وتعدد الصيغ والتعابير.

الكرمانجية الغربية:

وهذه المجموعة عبارة عن أصل اللغة الكرمانجية مع بعض تغييرات محلية دخلت عليها، فأكراد بلاد «يار بكر» و«ماردين» و«بهتان=بختان» و«بهدينان» و«حكارى» وأرمية وأرضروم ومريوان والمناطق الكردية بالأنضول، وكذا في إقليم خراسان كلهم يتكلمون بهذه اللهجة.

ويظهر أن أكراد شمالي سورية يتكلمون بعدة أنواع من اللهجات الكردية، وتدخل في لهجتهم بعض كلمات تركية. هذا ويقول الرحالة التركي الشهير «أولياجلبي»: إن اللسان الكردي ينقسم إلى خمس عشرة لهجة وهي:

«زازا- ظاظا»، «لولو»، «حكارى»، «عونيكى»، «محمودى»، «شيروانى»، «جزيره وى»، «بسانى»، «سنجارى»، «حريرى»، «أردلانى»، «سورانى- سهرانى»، «خالتى- خالدى»، «جكوانى»، «عمادى»، «روزكى- روجكى» (ج ٤، ص ٧٥).

ويقول الأستاذ غارزونى في كتابه (غراماتيكا) باستقلال لهجة «العمادية» عن لهجة «بدليس» وباستقلال لهجة «جولمرك» عن لهجتي «بهتان» و«السليمانية». وللميجر «سون»

في كتابه (غرامر الكرد) تحقيقات وافية عن اللهجات الكردية فالتقسيمات الآتية هي ملخص التحقيقات والدراسات اللغوية عن اللسان الكردي:

١ - القسم الإيراني:

أ- لهجة «سنه - كرمانشاه». يذكر المستشرق (لرج)^(١) في كتاب له، وجود نسخة من كتاب «كلستان» مكتوب بلهجة «سنه» الكردية، وعلاوة على ذلك فإن كثيراً من المستشرقين^(٢) أجروا تحقيقات وافية حول دراسة هذه اللهجة.

ب- لهجة «الجبليين والرحل»، مثل لهجة «كروس» من عشيرة «خواجه وند» بإقليم «مازندران» ولهجة «كالون عبدون» بإقليم فارس. وكذا لهجة أكراد خراسان وطهران. وهذه اللهجة الأخيرة قريبة من لهجة أكراد بلاد أرضروم.

٢ - الكرمانجية الشرقية:

هذا القسم عبارة عن اللهجتين السليمانية والمكرية.

٣ - الكرمانجية الشمالية والغربية:

هذا القسم عبارة عن لهجات أكراد «آريفان - آريوان» وأكراد «باروكلي» القاطنين بأطراف جبل «آارات» وأكراد بلاد «أرضروم» و«بايزيد»، ومنطقة «أرمية - حكارى - شمدينان» ومنطقة «بهادينان - بهتان» ومنطقة «طور عابدين - ماردين - ديار بكر» ومنطقة شمال سورية^(٣).

(١) Ffrsehungen über die Kurden سان بطرسبورج سنة ١٨٥٧ م.

(٢) أمثال شندلر، ويتير بتيراغ، سون، مورغان، او.مان.

(٣) انظر: كتب ومؤلفات اكيازاروف، خاجاتوروف، جابا، موللر، ماكاز، م. هارثان، نيكيتن، نوئيل، أغابطرس، غارزونى، شرفنامه، آسوسين، جاردن، فون لوكوك، سون. المؤلف

هذا ويقول الميجر سون ^(١) الإحصائي في الكردية، في صدد تعدد لهجات هذه اللغة ودقائق فروقها ما يأتي:

«وفضلاً عن لهجة «مكري» وفروعها، فإن هناك لهجات أخرى بكردستان، يقول الناطقون بها عن أنفسهم: إنهم أكراد أقحاح، فمنها بل من أهمها لغة «الظاظا» الذين هم طائفة كبيرة من الأكراد ينتشرون في شمالي «ديار بكر» وأطراف «أرزنجان» وبعض جهات من الأنضول، وهم قوم جبليون على غاية من الشجاعة والدربة، رءوسهم مدورة وعظامهم ضخمة عريضة. يتكلمون بلهجة آرية نقية جداً. فهي ليست من نوع اللهجة المكرية وغيرها من اللهجات الكردية، بل هي نوع مستقل تمام الاستقلال انفصلت عن «الفارسية القديمة» منذ أمد بعيد جداً. ومع ذلك يجب النظر إليها كما ينظر إلى أية لغة آرية نقية وهي أقرب إلى الكردية من الفارسية. وهي غريبة جداً عن العارف باللغة الكردية الشائعة لأن طائفة الظاظا في الأصل أصحاب لغة مضاعفة.

ومنها لغة عجيبة في قضاء «سعد» يتكلم بها أهالي تلك البلاد، ويشوبها كثير من الكلمات الآرامية، يطلق عليها تارة اسم «كاوارناي» أو لغة «كوار» وكلمة «كوار» هذه تطلق على قضاء على مقربة من الحدود ببلاد «الهكاري». وهذه اللهجة عبارة عن خليطة كردية كلدانية. والظاهر أنها كانت لغة قدماء نصارى تلك الجهات الذين اعتنقوا الإسلام فيما بعد.

وهناك بجوار «ساسون» تقطن عشيرة صغيرة يطلق عليها اسم «بالكي» لا هي مسلمة ولا هي نصرانية، تتكلم لهجة غريبة جداً وهي عبارة عن خليطة «كردية- عربية- أرمنية». وهناك أيضاً في جهات عديدة بكردستان يقطن بعض من العشائر والجماعات الغريبة. وهم في الأصل سلالة هؤلاء الفارين المعتصمين بشوامخ الجبال الكردية، حيث

(١) تقريره عن لواء السلطانية بكردستان ص ٨٨ و ٩١. المؤلف

عاشوا فيها إلى أن اندمجوا في الكرد وصاروا أكرادًا مع احتفاظهم ببعض كلمات من لغتهم الأصلية، في لغتهم الحديثة التي يتكلمون بها الآن وهي الكردية.

وخلاصة القول: أن اللغة الأصلية للشعب الكردي هي اللغة التي ينطق بها الآن ذلك الشعب. وهي على قسمين: «الكردي» و«الكرمانجي» وأحسن لهجة من لهجات هذين القسمين هي لهجة «سابلاخ- صاوجبلاق». هذا وكان فيما مضى في مدينة «بايزيد» عدة من الشعراء والكتاب الهكاريين. وفيها الآن أيضًا بعض من الأدباء والكتاب الأكراد، يعالجون الكتابة وقرض الشعر والتراسل بلغتهم الوطنية الأصلية.

فهذا القسم الشمالي من كردستان، الذي هو عبارة عن القسم الشمالي لبلاد «وان» و«أرميه»، هو «ايقوسيا» الكرد من الوجهة اللغوية واللسانية. ولغة هذا القسم واحدة متحدة، إلا أن فيها شيئًا من الشدة والخشونة فلهجة أهاليه فيها صلابة وابتعاد عن اللهجة الجنوبية، وذلك لأن الباء ^(١) الآرية في لهجة هذا القسم الشمالي تنقلب في اللهجة الجنوبية وأوًا لينة، كما أن حرفه (ب) في الشمال ينطق بها شديدًا. وكذا بعض حروف أخرى تنطق هنالك بشدة وقوة. ومع هذا الفارق اللفظي، يوجد فارق نحوي أيضًا، ولاسيما في صيغ الأفعال، حيث يثبت هذا الاختلاف والفرق، أن كل قسم من القسمين المذكورين لفي حاجة شديدة إلى دراسة منفردة دقيقة.

وصفوة القول أن هذه الفروق والاختلافات وصلت إلى أن أهالي مدينة «السليمانية» مثلاً قلما يفهمون بالسهولة المطلوبة لغة أهالي أرضروم، في حين أنهم يتكلمون في الأصل لغة كردية «كرمانجية» واحدة.

(١) يقصد بهذا الحرف ما يقابل حرف (p) الفرنسية إذ أن هناك في لهجات اللغة الكردية كلمات تنطق في الشمال ف (v) وفي الجنوب وأوًا لينة مثل آف- الماء وباف- الاب في الشمال. و«آو» و«باو» في الجنوب بنفس المعنى. والراجع أن هذا حرف مستقل في اللغة الكردية في أغلب اللهجات. المترجم

وقد اتسعت هذه الفروق والاختلافات بين اللهجات، من جراء استعمال كلمات في لهجة دون الأخرى، مما جعل مثل هذه اللهجة على الأخص أشد اختلافًا وأكثر فروقًا من غيرها من اللهجات. مثال ذلك أن لهجة الشمال تحتفظ ببعض كلمات هي أقدم عهدًا من تلك الكلمات التي اقتبستها اللهجة المكرية، من لهجات أواسط هضبة إيران. وفي الوقت نفسه نرى أنها أضاعت بعض كلماتها الأصلية وأحلت محلها كلمات أخرى من الكلدانية والتركية. فيقول الكرمانجي الشمالي الآن: للبحر «دكر - دنيز» وهي كلمة تركية في حين أن المكري وغيره من أكراد الجنوب والشرق يقول: «كول آوه» وكذا يقول الأول للباخرة أو السفينة «كمي» وهو تركي، في حين أن الآخرين يقولون: «كشتي» وهو لفظ فارسي، ويقول الكرمانجي الشمالي للأرض: «عرض - عرد» وهي عربية. ويقول المكري وغيره: «زوى - زفي».

على أن هذه الأحوال والاعتبارات واستعمال كلمات أجنبية، واختلاف التلفظ والنطق - كل ذلك زاد الفروق والاختلافات بين اللهجات زيادة كبيرة. والكلمات الآتية مثال بارز على ذلك.

فكلمة «آو - أصبحت في «آب» ^(١)	وبلهجة «آو»
الماء «الشمال	«السليمانية»
وكلمة «وفر - أصبحت في «برف»	وبلهجة «بفر»
«الثلج» «الشمال	«السليمانية»
وكلمة «هورى - أصبحت في «هرى»	وبلهجة «خورى»
خورى - «الشمال	«السليمانية»
الصوف»	

(١) كذا في الأصل والظاهر أنه بحرف «ف - v» لا بالباء، والأوجه أن يقال: إن كل حرف تنطق في الشمال والغرب كحرف v الفرنسية تنطق في الجنوب والشرق وأوًا مثل «آف - آو - الماء» و«باف - باو - الاب» وهكذا. المترجم

وكلمة «كاز- أصبحت في «كاكيت» وبلهجة «قاقيز»	الورق» الشال	السليمانية
وكلمة «دان- أصبحت في «ددان- دران» وبلهجة «دان»	السن» الشال	السليمانية
وكلمة «خويشك- أصبحت في «خواليك» وبلهجة «خوشك»	الأخت» الشال	السليمانية
وكلمة «كج- أصبحت في «خز- قيز» وبلهجة «كج»	البنث» الشال	السليمانية
وكلمة «تاو- أصبحت في «تاف» وبلهجة «روز»	الشمس» الشال	السليمانية
وكلمة «ئوه ي- أصبحت في «ئيه ويش أو» وبلهجة «أوى»	هو» الشال	السليمانية
وكلمة «بياو- أصبحت في «مير- بيا» وبلهجة «بياو»	الرجل» الشال	السليمانية
وكلمة «مل- أصبحت في «إيستو» وبلهجة «ئه ستو»	رقبة» الشال	السليمانية
وكلمة «نويستو= أصبحت في «راكوا- رازايي» وبلهجة «نوستو»	نائم» الشال	السليمانية

هذا وكان الناس يتكلمون قبلا في «أردلان»، بلغة قريبة من لهجة «هاورامان» ولكن ذلك لم يدم كثيرا بل تغيرت الحال من جراء عدول كثير من القبائل السيارة عن التجوال والترحل إلى حياة الاستقرار وقدم كثير من أكراد الشمال إلى «أردلان» وإقامتهم بها للتمتع برفاهية البلاد والأمن المستتب فيها. وهكذا نشأت اللهجة السائدة الآن تلك البلاد وهي لهجة مكرية نوعاً ما، إذ ليس هناك كبير فرق بينهما. وكان قسم كبير من سكان شمال «أردلان» لا يتكلمون باللهجة الأردلانية الفرعية، بل كانوا لا يحتفظون بلهجتهم

القديمة (اللهجة الأردنية قبل التطور السابق الذكر) واشتهرت اللهجة السائدة بمدينة «سنة» وأطرافها باسم «اللهجة الكردستانية» وهي لهجة لطيفة وغنية نهضت نهضة محسوسة فانتشرت انتشارًا كبيرًا، بفضل استعارة بعض الكلمات الفارسية وهضمها.

ولا شك في أن معظم متعلمي مدينتي «سنة» و«السليمانية» يفهمون اللهجة الأردنية القديمة التي أصبحت نظرًا لما لها من الروعة وحسن الأداء والانسجام، لسان الأدب والشعر في كردستان الجنوبي. والحق أنها ليست لهجة من لهجات اللغة الكردية العامة، بل أنها كالكوراني والهاورامي، نشأت من تطور وتكامل اللغة الفارسية القديمة.

والظاهر أن اللهجة الهاورامية، ما هي إلا لهجة «التاجيك» التي كانت سائدة في وقت ما في إيران الوسطى. ويحتمل أنها كانت سائدة في كردستان الجنوبي أيضًا، حيث كان المتكلم بها شعب إيراني مهاجر أو شعب محلي غير كردي. ويحافظ الهوراميون، مثل كوراتي القرى، على لغتهم التي أصبحت اليوم في غاية من اللطافة والطلاوة وحسن التأثير. وهي سائدة الآن بلاد «هاورامان» و«باوه» و«بلنكان» وحواليها، ولا يفهمها الكردي بسهولة.

وكذا ليست اللهجة الكرمانشاهية واللهجة الكلهرية من لهجات اللغة الكردية تمامًا، بل إنهما تشبهان تمام الشبه لهجة «لك» التي يظن أنها من فروع اللغة الإيرانية (الفارسية) هذا من جهة ومن جهة أخرى أنها تبعدان عن الفارسية كثيرًا وتقربان من الكردية جدًا، حتى يمكن أن يطلق عليهما اسم مستقل هكذا «كرد- لك». ومع ذلك فصيح أفعالهما لا تشبه صيح أفعال اللهجة اللكية ولا اللهجة الكردية. وفي الأسماء تستعمل حالة الجمع دائمًا بدل المفرد، على أن نصف الأسماء فيهما من اللهجة اللكية، كما أن ترتيب الجمل فيهما جار على قاعدة تركيب الجمل في اللهجة اللكية غالبًا وعلى قاعدة تركيب الجمل في اللهجة الكردية في بعض الحالات».

لهجة اللور^(١):

أود كثيرًا أن أذكر هنا في مبحث اللسان بعض بحوث عن اللهجة اللورية؛ لأن أغلب الرحالة والمستشرقين نظروا للتشابه الموجود بين هذه اللهجة التي هي إحدى لهجات اللغة الكردية وبين اللغة الفارسية، اعتبروا الشعب اللوري نفسه من العشائر الفارسية. فلذا لم تذكر (دائرة المعارف الإسلامية) - كما ذكرنا سابقًا - شيئًا عن لهجة اللور بصفة خاصة. نعم إننا أشرنا إلى خطأ هذه النظرية بعدة سطور في الفصل الأول من هذا الكتاب.

ينقسم الشعب اللوري في الأصل إلى أربعة أقسام:

١ - اللوري الأصل (فيلي).

٢ - الماماساني.

٣ - الكوه كلويي.

٤ - البختياري.

فلغة (القسم الأول) أعني الفيلي أو اللور الصغير، لا شك في أنها تشبه اللغة الكردية الشرقية أكثر من مشابهتها للغة الفارسية. والفيلليون أنفسهم يعترفون بكرديتهم ولا يخامرهم في ذلك أقل شك.

انتدبت سنة ١٩١٦م في مهمة رسمية إلى «لورستان» حيث أقمت لدى والي «بشتكوه» ردحًا من الزمن فانتهزت الفرصة وقمت بعدة أبحاث قومية واجتماعية في تلك الجهات. وكان أغلب محادثاتنا مع الوالي المذكور وحاشيته باللغة الكردية. وكانوا بكل سهولة يفهمون كلامي وما أرمي إليه، وكذا أفهمهم بكل سهولة. فثبت عندي أن الفرق

(١) هذا البحث إضافة مني لاستيفاء الموضوع. المؤلف

بين اللهجة الكرمانجية الشرقية وبين لهجة اللور الأصلي هذه ليس أكبر من الفرق بين اللهجتين الشرقية والغربية. (انظر الجدول الآتي بيانه).

ولنذكر الآن لهجات الأقسام الثلاثة الأخرى، ونقول: إن (دائرة المعارف الإسلامية) تقول: إن لهجات هذه الأقسام الثلاثة من الشعب اللوري، فيها بعض كلمات مشابهة لكلمات اللغة الفارسية الحالية؛ ولكن فيها أيضًا بعض حروف وتراكيب بعيدة كل البعد، عن حروف وتراكيب اللغة الفارسية من جهة النطق والتلفظ. مثال ذلك ما يأتي:

فكلمة «ميكنم»	الفارسي صارت في لغة اللور	«أيكنم»	أعني	«أعمل»
وكلمة	الفارسي صارت في لغة اللور	«أيخرم»	أعني	«أشترى»
«ميخرم»				

وكلمة «آدم»	الفارسي صارت في لغة اللور	«آدوم»	أعني	«الإنسان»
وكلمة «بل»	الفارسي صارت في لغة اللور	«بيل»	أعني	«الجسر»
وكلمة «مى»	الفارسي صارت في لغة اللور	«ايدهم»	أعني	«أعطى»
دهم»				

وكلمة «خانه»	الفارسي صارت في لغة اللور	«خونا»	أعني	«البيت»
وكلمة «جامه»	الفارسي صارت في لغة اللور	«جوا»	أعني	«الثوب»
البختيارية				

وكلمة «ايشان»	الفارسي صارت في لغة اللور	«ايسا»	أعني	«هم»
اللورية				

وكلمة «آنها»	الفارسي صارت في لغة اللور	«ايكال»	أعني	«هؤلاء»
اللورية				

وكلمة «انيرا»	الفارسي صارت في لغة اللور	«يونا»	أعني	«أخذ هذا»
كرفت»	اللورية	كوت»		

فإذا قارنا بعض هذه الكلمات من اللورية مع لهجة «السليمانية» الكردية مثلاً؛ نجد أن الفرق بينهما ليس كبيراً إذ يقول الكردي في «السليمانية» بدل «أيكتم» اللوري «ايكم-أكم» وبدل «ايدهم» «ايدم» و«يوناكوت» «أمة ي كرت» و«ايجرم» «أيكرم». وأما تلفظ كلمة «خانه» بـ«خونا» فهي فيما أعتقد نتيجة الاختلاط المستمر بين اللور والفرس الذين يقلبون أحيانا حرف الألف واوًا في النطق فقط. مثال ذلك «نان-خبز» فيقولون «نون» و«آنها-هؤلاء» «أونها» و«جان-روح» «جون»... إلخ.

واعتقد أن هذه الفروق والمشاوبات الضئيلة، لا تكفي للحكم بها على تعيين وتحديد أثولوجية «قومية» شعب من الشعوب.

١- من الممكن جداً أن هؤلاء المستشرقين الرحالة قد غلطوا أغلظا غير قليلة أثناء محادثتهم مع أهالي لورستان، بحيث لم يفهموا كلامهم تماماً فضلاً عن أنهم لم يحسنوا ضبط الكلمات وأوجه نطقها الصحيح.

٢- إنهم أصدروا أحكامهم هذه من غير أن يتمكنوا من التعمق في معرفة أقسام ولهجات اللغة الكردية العامة فضلاً عن عدم معرفتهم بعلم الفيلولوجيا، بقدر ما يؤهلهم لدراسة مثل هذه المواضيع.

ولا شك في أننا إذا أمعنا النظر في بعض الكلمات الفارسية واللورية، وقارناها بكلمات وفروع وأقسام اللغة الكردية، نرى أن مشابهة كلمات هذه الفروع لكلمات اللغة الفارسية أكبر وأكثر من مشابهتها للكلمات اللورية. وإليك جدولاً بتلك المقارنة:

عربي	فارسي	لوري فيلي	لوری لکی	هاورامی	کرمانجی شرقی (سلیمانی)	کرمانجی غربی (به‌دینانی)
إذهب	برو	بجو	بجو	لووه	برو	هه ره، بجه
اجلس	بنشین	بنیش	بنیش	بنیشیره	دانیشه	رونه- رونی
فوق	بالا	أوبان	بان	سر	سرو	زور- سر
العسل	انکین	عسل	عسل	هنکون	هنکون	ره هنکوی- هنکف
البطيخ	خربزه	شامی	خروزه	شوتی	شووتی	زبش- شمتی- زیش
التين	اینجیر	اینجیر	اینجیر	هه نجیر	هنجیر	هیزیر- هیجیر
الكمثرى	آرمود	ئه رمود	أمرود	هه رمی	هرمی	هرمی- اسكرک
التفاح	سیب	سیو	سیف	سیف	سیو	سیف
الحصان	أسب	أسب	أسب	أسب	ئه سب	هسب- حسب
الشعير	جو	جه وه	جه و	یه و	جو	جه، جو

عربي	فارسي	لوري فيلي	لوري لکی	هاورامي	کرمانجي شرقي (سليمانی)	کرمانجي غربي (بهدينيانی)
أتى	مي آيم	ئه تيم	ئه يتم	من مه و	يه م	ده ئيم- تيم
انهض	برخيز	ئه لس	فيري	هورزه	هه لسه	رابه- هولو- ورزه
العنب	أنکور	ئه نکور	ئه نور	هه نکور	تری	ترا- تری
الغنم	کوسفذ	می	می	مه ر	مه ر	به ز- بز
الزيب	مویز	مه ويز	میویز	می وز	می وز	مویز
ابيع	می فروشم	ئه فروشم	ئه فروشم	وره تا	ئه فروشم	دفروشم
اليوم	إمروز	ایمروز	ایمروا	آرو	ابمرو	ایرو- أورو
هذا المساء	امشب	ایمشه و	ایمشه و	ایمشو	ایمشه و	ئیشاف- أوشو
لا أعرف	نمی دانم	نازانم	نازانم	مه زانو	نازانم	نزانم- نوزانم

وليس هناك كبير فرق بين قسمي الكرمانجية (لهجتي السليمانية و بهدينان) كما يتضح ذلك من الجدول. فغاية ما هناك أن الفرق ظاهر في بناء بعض الكلمات وتصريف وصيغ بعض الأفعال، فمثلاً يصرف الكرمانجي الشرقي فعل «هه لسان- القيام» هكذا: «هه لسا» فعل ماضي «هه ل ئه سى» فعل مضارع، «هه لسه» فعل أمر؛ في حين أن البهديناني

يقول في مقابل ذلك: «رابون- القيام» و«رابو» في الماضي و«درابت- رادبي» في المضارع و«رابه» في الأمر. وكذا يقول الكرمانجي الشرقي: «دانيشتن- الجلوس» دانيشت، دانيشي، دانيشه، نظير قول البهديناني: «رونشتن» درونت- رودينه، رونه.

وإذا ألقينا نظرة على هذا الجدول (الذي هو مثال مصغر) نرى أن مشابهة كل من اللهجة الفيلية واللكية، بسائر اللهجات الكردية أكبر من مشابقتها باللغة الفارسية، فلا يجوز والحالة هذه اعتبار الشعب اللوري من الفرس، لمجرد هذا التشابه اللغوي الضئيل. على أن هناك قسمًا من المستشرقين الأعلام -كما سبق في الفصل الأول- لا يفرقون بين اللور وبين سائر الأكراد.

يقول «راولنسون» حين البحث في لهجات اللور الكبير واللور الصغير عن الفريق الأول: إن اللغة التي يتكلمون بها ما هي إلا لهجة كردية، غير أنها تفترق عنها في النسق افتراقًا كبيرًا. وعن الفريق الثاني أنهم يتكلمون بلهجة قريبة من لهجة أكراد «كرمانشاه» غير أن المتكلمين بكتلتا اللهجتين يتفاهمان بكل سهولة. ويكاد يجمع الباحثون والعلماء على أن لهجات ولغات عشائر جبال «زاغروس» هذه ما هي إلا بقية اللغة البهلوية القديمة. (من زهاب إلى خوزستان). ورد في (دائرة المعارف الإسلامية) في مبحث لهجة «سنه» و«هاورامان».

«إن لهجة مكري (الكرمانجية) تمتد إلى «بانه» و«ساقز» لا تتعداهما وتبتدأ اللهجة الكردستانية من جنوب نهر «جفاتو» و«خورخورا» و«تيله كو» حتى جنوب «سنه». حقًا أن هذه اللهجة لجديرة بالدراسة الدقيقة على أحدث الأصول العلمية.

وأما لهجة «مريوان» مثل لهجة «الجاف» فكرمانجية بحتة. وتوجد في كلا قسمي «هاورامان» لهجة غير كردية^(١) يتكلم بها الناس ويطلقون عليها اسم «هاورامي» ولكنها معروفة بين العامة باسم «ماجو- أنا أتحدث» وفي بعض قرى «باوه» أيضا تتكلم الناس

(١) لعل غرضه غير كرمانجية. المترجم

بهذه اللهجة، كما أن اللهجة الظاظائية التي هي محرفة عن اللهجة الهاورامية تسود قرى العشائر الكبيرة الكورانية بشمال «زهاو» وقرية «كاندولا» في منطقة «الدينور - كرمانشاه» وبعض قرى أخرى ومنطقة «درس» وعلى رأي «و.مان» أن هذه اللهجات كلها (لهجات إيران الوسطى) يجب وضعها في صف السامانية والكوهرودية والماهيلانية... إلخ.

وليس لدينا وثيقة ما بلهجة «سنه» غير أن لهجة «هاورامي - كوراني» تدل بفضل الغزليات المؤثرة والشعر القصصي البديع التي تحويها، على أنها ذات أدب واسع وأشعار رقيقة جداً. إذ إن حاكم «أردلان» العام يشجع في قصره بنوع خاص الشعر والأدب في هذه اللهجة ويقدرهما غاية التقدير. ولا شك في أن هذه اللهجة الأدبية هي غير ما تلهج به العوام من الكلام».

وفي هذا الموضوع يقول الميجر سون «تقطن بأطراف الحد الفاصل بين أقليمي لورستان وكردستان بعض العشائر الكردية وتتكلم لهجة قريبة من لهجة قدماء التاجك في إيران».

والظاهر أن أهالي بلاد «كوران» هذه كانوا مستقرين غير مترحلين، وكانوا يتكلمون كما قلنا سابقاً بلهجات مختلفة متعددة. وكذا العشائر الهاورامية و«كاندولا» و«ريزو» تكلمت بنفس هذه اللهجات بفروق بسيطة في النطق والتلفظ. وقد استعملت لهجة «أردلان» الشهيرة في معالجة الأدب والشعر كثيراً. ولا يزال الناس يقرأون ويكتبون بها حتى الآن في «سنه» حيث يطلقون عليها اسم «هاورامي» أو «شهرزوري». ويستفاد من تدقيق بعض النظريات، أن معظم القسم الساكن والمستقر من عشائر «كوران» يتكلم باللهجة المذكورة آنفاً، كما أن القسم السيار منهم يتكلم تماماً وبمعنى الكلمة اللغة الكردية العامة». (سياحة متكررة في كردستان أو الجزيرة).

والعشائر الكردية (البراخوئية) التي يقطن معظمه في بلوچستان، والبعض منها في بلاد السند من مقاطعات الهند، تتكلم بلغة كردية معروفة بالبراخوئية، فهذه اللهجة من

ضمن مجموعة «دراويدى» بالهند المركزية والجنوبية، ممتزجة ببعض كلمات فارسية وبلوچية. وكانت إلى العهد الأخير لغة المحادثة العامة لا تدرس ولا تكتب، وحيث إنها الآن لغة التعليم، فقد رأينا بعض قصص وأشعار مكتوبة ومدونة بها. (دائرة المعارف الإسلامية: ج ١، ص ٦٣٠).

٤- الجمعيات والآداب والمطبوعات الكردية

١- الجمعيات

أول جمعية سياسية كردية هي التي أنشئت في الأستانة سنة (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) باسم (جمعية تعالي وترقي الكرد)^(١).

وكان مؤسسها حضرات السادة أمين عالي بك البدرخاني، الفريق محمد شريف باشا الشيخ عبد القادر أفندي نجل المرحوم الشيخ عبيد الله النهري والمشير الداماد ذو الكفل باشا. وفي نفس التاريخ تقريباً تأسست في الأستانة أيضاً «جمعية نشر المعارف الكردية» فافتتحت مدرسة ابتدائية في حي «جنبرلى طاش» لتعليم الأطفال الأكراد. إلا أنه لم يمض وقت كبير على تأسيس ونشاط هاتين الجمعيتين إلا وأقدمت حكومة الاتحاد والترقي العثمانية، على فض الجمعيتين وقفل أبواب المدرسة الوحيدة. ولكن الجمعية الأولى لم تنقطع عن الاجتماع سراً. وهكذا تستأنف النشاط كلما لاحت لها الفرصة.

وفي سنة (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) تأسست في الأستانة جمعية «هيفى» الكردية من قبل الطلبة الأكراد فيها فاستمرت في نشاطها إلى اندلاع هيب الحرب العظمى وغداة الهدنة العامة عادت هذه الجمعية الفنية إلى الاجتماع وأبدت نشاطها لغاية تسليم الأستانة

(١) هذا هو المشهور ولكن يؤخذ من رسالة تركية بعنوان «أمير بدرخان» أصدرها لطفي باسم جمعية الأكراد حوالي سنة ١٣٢٠ في مطبعة «اجتهاد» لصاحبها المرحوم الدكتور عبد الله جودة، أن هناك جمعية كردية أقدم من تلك. إذ قال أن ربعها لجمعية العزم القوي الكردستانية. المترجم

للحكومة الكمالية. وكانت قد تشكلت بعد الهدنة في الأستانة جمعية سياسية أخرى باسم جمعية «استقلال الكرد» برئاسة السيد عبد القادر أفندي وكان جميع الأمراء والزعماء الأكراد أعضاء فيها. ثم انشق أفراد الأسرة البدرخانية من هؤلاء الأعضاء فأسسوا جمعية أخرى سموها «جمعية التشكيلات الاجتماعية لكردستان» وفضلاً عن هذا، فإنه كان هناك جمعية أخرى قد تأسست باسم «جمعية الشعب الكردي».

وقد استمرت هذه الجمعيات كله في نشاطها وأعمالها حتى دخول الكماليين الأستانة وبعد ذلك انفضت كلها فانحلت واحدة بعد أخرى، وبعد مدة غير قليلة ظهرت جمعية كردية موحدة ومؤلفة من جميع الأحزاب والجماعات، خارج تركيا باسم «خوئيون-الاستقلال» مازالت في عمل ونشاط.

٢- الآداب

لا نعلم شيئاً عن الأدب الكردي القديم، وهذا مما يؤسف له، ولا شك في أن هذا ولید إهمال العلماء والمؤرخين الأكراد، حيث أهملوا هذا الجانب أيضاً من جوانب حياة قومهم الملأى بالحوادث والوقائع، إهمالاً شديداً ونسوها نسياناً تاماً، وبالرغم من هذا الإهمال الشنيع والذنب الذي لا يغتفر، فقد يظهر للباحثين المدققين ظهوراً جلياً، أن كثيراً من الأدباء والشعراء الكرد قد خلفوا آثاراً أدبية خالدة في لغات غير اللغة الكردية. فمن جراء عملهم الأدبي هذا عدهم المتكلمون بتلك اللغات من أبنائها واعتبروهم مندجين في قومياتهم. وليس لنا على ما أظن حق في معاتبة هؤلاء. لأن استهانة العلماء والأدباء الأكراد بلغتهم القومية وعدم العناية بآدابها بلغاً مبلغاً أفضى بالمؤرخين والعلماء الذين نصبوا أنفسهم لتدوين الحقائق إلى أن يضلوا عن إدراك حقيقة جنسية هؤلاء الأكراد. فلهذا كان من الضروري أن نعذر الذين يخامرهم الشك في كردية هؤلاء العلماء.

فالملك «تاج الملوك أبو سعيد بوري» من الملوك الأيوبيه المتوفى سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م) و«ابن المستوفي الأربيلي» المتوفى سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) و«ابن

خلكان» الشهير المتوفى سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) و«سيف الدين أبو بكر الأيوبي» المتوفى سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) و«أبو الفداء الأيوبي» المتوفى سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) و«مولانا إدريس البدليسي» المتوفى سنة (٩٢٦هـ/ ١٥١٩م) ومفتي الثقلين «أبو السعود العمادي» المتوفى سنة (٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م) و«ماه شرف»^(١) خانم» الأردنية المتوفاة سنة (١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م) و«عايشة التيمورية» المتوفاة سنة (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) إلى من هنالك من العلماء والمشاهير الكرد بالرغم من كرديتهم كتبوا مؤلفاتهم الخالدة بغير لغتهم القومية، وهكذا قدموا خدمات جلى لأبناء ومتكلمي هذه اللغات السعيدة الحظ. في الوقت الذي أهلموا لغتهم القومية وأدبهم الشعبي إهمالا تامًا. وقد يبلغ عدد العلماء الأكراد الذين حرموا لغتهم القومية من آثار عبقرياتهم الفذة مئات من الشخصيات التاريخية على ما أعلم، غير أني أذكر هنا أسماء بعض العلماء الأكراد الذين ألفوا غالبًا بلغتهم القومية فتركوا لنا تراثًا أدبيًا قوميًا لا بأس به.

١ - بابا طاهر الهمداني:

شاعر صوفي إلهي يظن أنه توفي حوالي سنة (٤٠١هـ/ ١٠١١م) فأشعاره الغزلية وقصائده اللاهوتية مكتوبة بأسلوب المتصوفين. وهي في غاية من الصعوبة والإغلاق، ومدونة بلهجة الكوران في ذلك العهد. وقد ينسب البعض إلى طائفة اللور، غير أنه اشتهر بالهمداني. وقد عني به المستشرقون كثيرًا فبدلوا جهودًا كبيرة لجمع ونشر آثاره الأدبية. فقد أصدر صاحب «مجلة أرمغان» الفارسية الصادرة بطهران ديوان هذا الشاعر سنة (١٩٢٧م/ ١٣٠٦ف) متضمنًا (٢٩٦) رباعيًا و(٤) غزلًا وذيلاً يشتمل على (٦٢) رباعيًا. فأربعة وثلاثون رباعيًا من رباعيات هذا الديوان في غاية من سمو الخيال وجمال الإلهام،

(١) ديوان أشعارها الفارسية طبع بطهران سنة (١٣٤٤هـ - ١٣٠٤ف) وكان لقبها المستعار «مستوره كردستاني» ولدت حوالي سنة (١٢٢٠هـ) بكردستان الإيراني وتزوجت بخسروخان والي كردستان العام. المترجم

ومثال ناري للوجد واتقاد العاطفة. ورباعيتان منها تتضمنان التضرع والمناجاة. وأما الباقي فيتضمن الوصف والذاتيات.

هذا وفلسفة «بابا طاهر» في الروح والحياة على عكس فلسفة عمر الخيام تمامًا. توفي سنة (١١٢٣هـ/١١٢٣م). فنور التصوف الذي تسطع به أشعار «بابا طاهر» لا تراه في آثار الخيام. ويمتاز «بابا طاهر» على غيره برقة الإحساس ونبل العاطفة وببساطة الأسلوب في وصف الآلام والمصائب.

٢- علي الترموكي:

هو أحد الأستاذين الأديبين القديمين اللذين خلد اسمهما تاريخ الأدب الكردي. ينتمي إلى قرية «ترموك» الصغيرة الواقعة بين «ماكو» و«حكارى». وهو أول من وضع قواعد الصرف والنحو للغة الكردية الحالية. وله مؤلف آخر ضمنه ما رآه وما سمعه في رحلاته التي قام بها في البلاد. فكتاب (دائرة المعارف الإسلامية) التي استقيناه منه هذه المعلومات لا يذكر أين يوجد هذان المؤلفان القيمان. غير أن كتابًا في الأمثال الكردية لمؤلفيه كامران بك و«لوسي بول مرغريت» الصادر في باريس سنة (١٩٣٧م) باللغة الفرنسية، يتضمن ترجمة بعض قصائد الأديب المشار إليه إلى اللغة الفرنسية نظمًا. فهذه التراجم المنظومة تدل أجلى دلالة على أن أديبنا القديم ذو ذوق أدبي عظيم وصاحب إحساس رقيق وخيال واسع، فقصائده المعنونة بـ«كلمة واحدة» و«أبناء وطني» و«عقد ياقوت» و«إن كانت الحياة نومة» في غاية من الإبداع الأدبي وسمو المعاني وعمق الشعور الوطني. وأديبنا هذا من علماء وأفاضل القرن الرابع الهجري.

٣- علي الحريري:

من أهالي قرية «دير الحرير» من أعمال «أربل». عاش بين سنتي (٤٠٠ و٤٧٠هـ/١٠١٠ و١٠٧٧م) إذ كان معاصرًا للشاعر الإيراني الشهير «فردوس

الطوسي» وله ديوان مشهور مكتوب بلهجة من الكردية، إن لم تكن قريبة جدًا من اللهجة الكردية السائدة الآن قرية «دير الحرير» فهل ليست بعيدة عن الفهم لأغلب الأكراد. فأشعاره في غاية من الرقة والسلاسة، علاوة على ما فيها من الحرارة واللوعة وحرقة القلب. وأسلوبه رصين ومتين جدًا. وأغلب أشعاره التي اطلعت عليها من الغزليات التي موضوعها الغرام البحث والحب المحض.

٤ - ملاي جزيري

اسمه (الشيخ أحمد) وبلده الذي ولد فيه هو «جزيرة ابن عمر» عاش في النصف الأخير من القرن السادس الهجري. ويغلب على الظن أنه كان في عهد «عماد الدين زنكي» أتابك الموصل الشهير. وقد ترك ديوانًا قيمًا لأخلافه. ولغته لا تحالف كثيرًا اللغة السائدة اليوم منطقة البوتان (بختان). وقد طبع هذا الديوان في برلين سنة (١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م) وتوجد نسخة منه في مكتبة الآب أنسطاسي في بغداد. فأشعاره من ناحية الصنعة ذات أسلوب خاص ومن ناحية الموضوع في أقصى مراتب العشق والهيام. والظاهر أن هذا الشاعر العظيم هام بحب أميرة كردية وأمضى حياته المكتنفة باليأس والآلام، بعمل قصائد الحب العذري ونشائد العشق المثالي.

٥ - فقيه طيران

من أهالي «ماكو» عاش بها بين سنتي (٧٠٧-٧٧٧هـ/ ١٣٠٧-١٣٧٥م) كان يتخلص (يتلقب) بقلب مستعار (م.هـ). واسمه الحقيقي «محمد» وله أشعار غير كثيرة، علاوة على مؤلفيه المشهورين (حكاية الشيخ سنان) و(قولي أسبارش - قول الحصان الأسود) وله أسلوب منطبع بطابعه المحلي الخاص.

٦- ملای باطی

من أهالي قرية «باطي» بلواء حكاري اسمه «أحمد» عاش بين سنتي (٨٢٠-٩٠٠هـ/١٤١٧-١٤٩٥م) وله ديوان أشعار لا بأس به. وكتب قصة^(١) المولد النبوي باللهجة الكرمانجية. وقد أخذ «فون لو كوك» صورتها الشمسية ونشرها منذ مدة.

٧- أحمد خانی

من عشيرة «خانی» المقيمة بلواء «بايزيد» عاش بين سنتي (١٠٠٠-١٠٦٣^(٢) هـ/١٥٩٢ و١٦٥٣م). فمؤلفه «دستان مموزین- قصة مم وزین» أعظم تحفة خالدة قدمت للأدب الكردي. طبع في استانبول سنة (١٣٤٠هـ/١٣٣٨ع). وله عدا ذلك قاموس كردي وعربي يدعى (نوبهار- نوبار بجوكان) طبعه سنة (١٠٩٤هـ) يوسف ضيابك؟ وله قصائد وأشعار غير قليلة بغير اللغة الكردية من العربية والفارسية والتركية.

٨- شریف خان

من أهالي «جولمرك» عاش بين سنتي (١١٠٤-١١٦١هـ/١٦٩٣-١٧٤٨م) وينتمي إلى أسرة أمير بدليس. وله أشعار بالكردية والفارسية أغلبها من نوع الغزل.

(١) طبعها ونشرها في القاهرة المرحوم «كردي زاده أحمد رامز» من طلبة رواق الأكراد بالجامع الأزهر سنة (١٣٢٤هـ). المترجم

(٢) والذي في مقدمة «قصة مموزین» المطبوعة في استانبول سنة (١٣٣٧هـ/١٣٣٥ع) أنه ولد سنة (١٠٦١هـ) وألف كتابه سنة (١١٠٥هـ) وهو يبلغ من العمر (٤٤) ربيعا، كما نص على ذلك الشاعر بنفسه في آخر ديوانه القصصي. وورد فيها أيضا أن سنة (١٠٩٤هـ) هي تاريخ تأليفه «نوبهار بجوكان» لا تاريخ طبعه. المترجم

٩- مراد خان البازيدي

عاش بين سنتي (١١٥٠-١١٩٠هـ) وله بعض من قصائد الغزل والثناء.

١٠- شاه برتو الحكاري

ليس لدينا معلومات عن هذا الشاعر سوى الرواية بأنه أكمل ديوان شعره في سنة (١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م) باللغة الكردية (دائرة المعارف الإسلامية).

١١- الشيخ معروف نوري

هو من السادات البرزنجية ومن فحول العلماء عاش في مدينة السليمانية بين سنتي (١١٦٦-١٢٥٤هـ/ ١٧٥٣-١٨٣٨م) وله فضلا عن آثاره ومؤلفاته الدينية الكثيرة، أكثر من عشرين مؤلفا في الأدب والشعر أغلبها باللغة العربية وبعضها بالفارسية. وله رسالة في اللغة العربية والكردية تسمى «أحمدي» ولم أطلع على شعره بالكردية.

ولا يخفى أن المعلومات عن أدباء الكرد وشعرائهم إلى القرن الثالث عشر الهجري قليلة جداً، حتى إن عددهم لا يكاد يساوي عدد القرون الماضية. ويرجع سبب ذلك:

١- إلى عدم تدوين أسمائهم وأسماء مؤلفاتهم.

٢- إلى ترجيحهم التأليف بلغات غير اللغة الكردية. ولا يمكننا ألا نبدي أسفنا باسم الأدب الكردي، على هذه الحالة المتمثلين بقول الشاعر الحماسي الكردي المرحوم حاجي قادر الكوئي.

كتيب ودفتر وتاريخ وکاغذ به کوردی کربنو سرایه زمانى
ملاو میر وشيخ وبادشامان هه تا محشر ده مانام ونشانی

(لو كانت الكتب والدفاتر والرسائل ألّفت من القديم باللغة الكردية لبقيت أسماء وآثار علمائنا وأمرائنا ورجال الدين وسلاطيننا، خالدة على صفحات الدهر إلى يوم الدين).

ومن دواعي الأسف أن الأدباء الأكراد أهملوا هذه النقطة تماماً ولم يتفطنوا إليها، بل فضلوا لغات غير قومية على لغتهم القومية، لإظهار آثارهم الأدبية. فمن هنا جاء فقر الأدب الكردي وحظه العاثر. إذ بقي محروماً قروناً طويلة، من نتائج قرائح أبنائه الكرد وعبقرياتهم الفذة التي استفادت منها اللغات غير القومية فائدة كبيرة.

ولا ندري ما هي العوامل والأسباب التي حملت هؤلاء الأدباء والعلماء على ذلك؟ هل نجدوها في اعتقادهم بأن اللغة الكردية غير قادرة على القيام بأعباء دولة الأدب أم ماذا؟ فالذي نعرفه تمام المعرفة أن اللسان الكردي بريء من مثل هذا النقص؛ بل إنه صالح لأداء كل فن من فنون الكلام. لما عليه هذا اللسان من الثروة والغنى. وقد شكى المرحوم حاجي قادر الكوئي أيضاً من هذه الحالة في أبيات له بالكردية هي كما يأتي:

كوردي آخر جه به عيبی	هر كلامی حقه نه عیبی
لفظ كوردي بلاونه بو كوردبو	واله ما بيني يئمه داتيك جو
له فصاحت بلی معرايی	جه قيامت به أرمنیش نابی

(ليت شعري ما هو عيب اللغة الكردية؟ وماذا عسى أن يكون عيب الكلام الحق؟ فاللغة الكردية ليست مضطربة ومفككة، بل إنها في غاية الانضباط والنظام، ولكنها مع الأسف اضطربت وفسدت فيما بيننا من إهمالنا إياها، ولنفرض أنها غير فصيحة وغير مصقولة فهل هي أقل من اللغة الأرمنية؟).

وخلاصة القول أن طريق الإهمال والاستهانة الذي سلكه الأدباء الأكراد نحو لغتهم القومية إلى أوائل القرن الثالث عشر، قد أخذ يتغير شيئاً فشيئاً من إبان ذلك التاريخ في بعض أنحاء كردستان، حيث ابتدأ العلماء والأدباء والشعراء يصدرون مؤلفاتهم بلغتهم

القومية محاولين بذلك سد الفراغ الذي تركه أسلافهم في الأدب القومي. فأول من أدرك هذا النقص الكبير من أنحاء وأقسام كردستان الكبير، هو (كردستان العراقي) ولا سيما مناطق السليمانية وأربل وكركوك؛ ولأدباء وشعراء (كردستان الإيراني) وبخاصة إيالة مكرى نصيب غير قليل من هذه اليقظة الأدبية والنهضة الفكرية.

١٢ - محمد أغا

نشأ في قرية «دربند فقره» بلواء السليمانية وهو شاعر مطبوع نشأ مع الطبيعة في عهد إمارة «عبد الرحمن باشا» البابان سنة (١٢٠٤-١٢٢٧هـ / ١٧٩٠-١٨١٢م) ولا شك في أن قصيدته المسماة (رثاء العشق والحب) التي وصلتنا، في غاية من سمو الخيال وحسن التأثير وبراعة الوصف. وقد ألف أشعاره وقصائده بلهجة عشيرة «الجاف» في غاية من البساطة وسلاسة الأسلوب ومع ذلك فإنها تشتمل على الإخلاص الوافر والحب العميق. ويؤخذ من قصيدة الرثاء المذكورة أن عشيقته الشاعر قد تزوجها أمير البابان من غير أن يعلم أنها معشوقته، إلا أنه أعادها إليه بعد أن اطلع على رثائه المذكور.

١٣ - نالي

اسم هذا الشاعر «ملاخضر» من أهالي «شهرزور» عاش بين سنتي (١٢١٥-١٢٧٣هـ / ١٨٠٠-١٨٥٦م) وشرع في التعلم والدراسة أولاً في «قره داغ» ثم أكمله في «السليمانية» وزار الأستانة مرتين وحج إلى بيت الله الحرام مرة، وأخذ إلهامه الشعري وسنوحاته الأدبية لأول مرة، من فتاة كردية أحبها في «قره داغ» أثناء دراسته الأولى. وقد جعله القدر من العاشقين السعداء، إذ تسنى له الازدواج بعشيقتة وملهمته شعره. وفي سفرته الثانية للأستانة اجتمع بأحد باشا آخر أمراء البابان وبقي معه حتى وفاته. وأكثر أشعاره من نوع الغزل الرقيق المؤثر. والقصيدة الشهيرة التي كتبها من الأستانة بداعي الحنين والشوق إلى الوطن، أنصع دليل على رقة قلبه وحبه العميق لوطنه. ويحتوي ديوانه

(البطالة مهنة العاطلين ومن لا نفع له من الناس. اليد التي تجرد وتسعى تجد نفسها على البطن الشبعانة. ليس الذين يدخلون اللجنة هم رعاة الغنم والأبقار بل أصحاب العلم والمعرفة وأرباب الفنون. لو كان ترديد الأذكار والأوراد يؤدي إلى الغنى والثراء لكن الشحاذون والسائلون في قوارع الطرق كقارون في الغنى والثروة. ولا مناص من أن يكون المحرومون من العلم والمعرفة، دراويش وشحاذين وشياليين).

يشبه شاعرنا العظيم من جهة سمو فكره ونبالة قصده وأسلوبه الحماسي المؤثر، الأديب والشاعر التركي الشهير «نامق كمال بك» الذي تتجلى غاية جهاده ومثله الأعلى في الحياة، في هذا البيت التركي:

أولورسه م کورمه دن ملتده امیدایتدیکم
یا زلسون سنک قبرمه وطن محزون وبن

فیضی _____
محزون _____

(إذا مت قبل أن أرى آثار ما آمله في الأمة من الفيوضات والرقى، فليكتب على قبري أن الوطن حزين وأنى حزين).

١٥ - مصطفى بك

كان يتلقب أولاً بـ«هجري» ثم بـ«كوردی» فهو من أسرة «صاحبقران» بالسليمانية. يقال: إنه كان عائشاً فيما بين سنتي (١٢٢٧-١٢٦٧هـ/ ١٨٠٩-١٨٤٩م) فكان شاعراً ممتازاً سريع الخاطر يرتجل الشعر في المناسبات. وأغلب أشعاره وإن كانت من نوع العزل تحوم حول الحب والغرام، فله أيضاً أشعاره وقصائد كثيرة في مواضع اجتماعية وتاريخية. وكان يقرض الشعر غالباً بالكردية وأحياناً بالفارسية والتركية والعربية.

قضى مدة كبيرة في البلاد الإيرانية حتى إنه دخل مجمع أدباء إيران (أنجمن أدبيان) ويقال: إنه غلب الشاعر الإيراني «قآنى» في مطارحات شعرية ومحاورات أدبية جربت بينهما ردحا من الزمن، ويصفه «حاجي قادر» في بيتي شعر له هكذا

شهسوار بلاغت كوردان به كه تازی فصاحتی بابان
مصطفی به تخلصی (كوردی) غزلی کرده به ربی كوردی

ترجمته:

(فارس ميدان البلاغة الكردية ووحيد فصاحة الأدب الباباني هو «مصطفى» الملقب بـ«كوردی» وقد ألبس اللغة الكردية بغزلياته حلة قشبية زاهية. وقد طبع قسم من ديوان أشعاره في بغداد سنة (١٩٣١م).

١٦ - عبد الرحمن بك

لقب أولا بـ«رنجور» و«بيار» ثم لقب نهائيا بـ«سالم» فهو من أهالي «السليمانية» من أسرة «صاحبقران» الشهيرة. وابن الشاعر الشهير «كوردی» ومعاصره. ولد في سنة (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م) على ما يروى. وهاجر إلى البلاد الإيرانية بعد انقراض الإمارة البابانية وأقام بها ردحا من الزمن. والبيت الآتي من أشعاره أبلغ دليل على شوقه الزائد وحنينه الدائم إلى وطنه، وملله من الإقامة بإيران.

له كه ل دل شرطه (سالم) كر، نجاتم بو، بهشت أر بيته دشتی «ری»، به ايراندا
له «طهران» دا كذر نـاكيم

(أعاهد ضميري، إذ نجوت من طهران، أن لا أعود إلى إيران، حتى إذا كانت سهول الري جنات تجري من تحتها الأنهار).

ويقال: إن «سالم» نجا من طهرن وعاد إلى مسقط رأسه «السليمانية» ومات فيها سنة (١٢٨٦هـ) وكان شاعراً رقيقاً شديداً الغرام. ديوان أشعاره طبع في بغداد في (١٠٦) صفحة بمطبعة الأيتام سنة (١٩٣٣م).

١٧- مولوي^(١)

اسمه «عبد الرحمن» مولده بـ«هورامان» فكان خليفة للشيخ «عثمان» الطويلي من مشايخ النقشبندية المشاهير. توفي إلى رحمة الله في أواخر القرن التاسع عشر فكان شاعراً رقيق الإحساس نبيل العاطفة وصوفياً وافر الإخلاص وصادق الشعور.

وكان له أسلوب خاص في الشعر في غاية من الإبداع، فضلاً عما له من قوة الابتكار والتفنن في الشعر والقوافي، حيث ابتكر من نفسه الأساليب الأوربية الحديثة في فنون الكلام والشعر في اللغة الكردية رغماً من ابتعاد بيئته عن البلاد المتأثرة بالأدب الحديث، واعتزله هو المجتمع والناس، وعدم معرفته سوى اللغات الكردية والفارسية والعربية. وأهم ابتكار أدخله في النظم وقرض الشعر هو توحيد قافية الشطر الأول مع الشطر الثالث، والثاني مع الرابع الأمر الذي لم يسبقه إليه أحد من شعراء الفرس والكرد لغاية ذلك العهد. وكان يستعمل في أشعاره دائماً اللهجة الهورامانية وتكاد مواضع أشعاره تكون عبارة عن الضراعة والمناجاة إلى الله، والعشق الإلهي العميق. فمن أشعاره الرقيقة البيت الآتي:

كل، جون روى آريز نزاكت بوشان وفرآوان جون سيلى ديدى من جوشان

(الورد رقيق مثل خدي الحبيب، وذوب مياه الثلج تجري مثل دموعي الفياضة).

(١) ورد في ديوان أشعاره المطبوع في السليمانية سنة (١٣٥٤هـ / ١٩٣٠م) أنه ولد سنة (١٢٢٢هـ / ١٨٠٤م) في قرية «تاوغ كوز» من قرى «جوانرو» وتوفي سنة (١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م) بقرية «سر شاطه» وراء قلعة شميران. المترجم

١٨ - الشيخ رضا

هو ابن الشيخ عبد الرحمن الطالباني المعروف بتضلعه في الشعر والأدب. ولد في ناحية «بازيان» بقضاء «جم جمال» بلواء «كركوك» ونشأ وأتم دراسته في مدينة «كركوك» ثم سافر إلى الأقطار الحجازية فحج بيت الله الحرام وعاد إلى «استانبول» ومكث بها ردحا من الزمن واجتمع بها بالأديب والشاعر الشهير «نامق كمال بك» الذي أعجب بذكائه الوقاد وقدرته الأدبية الخارقة للعادة فللشيخ رضا في اللغات الأربع (الكردية والفارسية والعربية والتركية) قصائد رنانة وأشعار كثيرة ومتنوعة من اجتماعية وهزلية وهجوية وفلسفية ومدائح. وكانت أغلب أشعاره وقصائده ارتجالية سهلة الألفاظ عميقة المعاني والمغزى. توفي (غرة المحرم سنة ١٣٢٨هـ / ١٣ يناير سنة ١٩١٠م) في بغداد ودفن بجوار ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره، ونقش على شاهدة قبره الرباعية الآتية من أشعاره الفارسية:

يا رسول الله جه باشد جون سك أصحاب كهف داخل جنت شوم در زمرةء أحباب تو
أورود درجنت و من درجهنم كي رواست؟ أوسك أصحاب كهف و من سك أصحاب تو

(يا رسول الله! ماذا عسى أن يكون، لو سمحت أن أكون مثل كلب أهل الكهف فادخل الجنة في زمرة أحبائك. وهل يليق أن يذهب هو إلى الجنة وأنا إلى الجحيم في حين أنه كلب أصحاب الكهف وأنا كلب أحبائك). وهاك آخر بيت من قصيدة كردية مدح بها نسبه العالي ولا سيما شخص أخيه الشيخ علي:

رضاش له ونسله به بی بخشه كل بی خار وبحربی بخار
یا ربی که قت نابی وآتش بی دود

(ورضا أيضا من تلك السلالة فأعف عنه يا ربي واغفر له، لأنه لا يمكن أن يوجد ورد بدون شوك وبحر من غير بخار ونار بلا دخان).

ومن دواعي الأسف أن ديوان أشعاره لم يجمع ولم يطبع تمامًا بعد^(١).

١٩ - ملا محمد:

لقبه «محوي» ولد في قرية «بالخ» بناحية «ماووت» بلواء السليمانية في سنة (١٢٥٢هـ) وهو رجل عالم وفاضل من خلفاء الطريقة النقشبندية. أتم دراسته الابتدائية على والده «ملا عثمان» ثم حضر إلى «بغداد» واستفاد من علوم وفيوضات المفتي «الزهاوي» الشهير. وحج بيت الله الحرام وزار الأستانة وتشرف بمقابلة جلالة السلطان «عبد الحميد الثاني» الذي أمر بإنشاء تكية باسم الشيخ بمدينة السليمانية وتخصيص راتب مناسب له. ومات إلى رحمة الله سنة (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م) بالغاً من العمر خمسا وسبعين سنة فدفن بداخل تكيته المذكورة.

وكان يضيف الشيخ إلى تضلعه من العلوم والفنون، مقدرة فائقة في قرض الشعر وفنن الكلام. فله أشعار وقصائد رنانة في اللغات العربية والفارسية والكردية. موضوعها الحب الإلهي والعشق الصمداني. والرباعية الآتية مثال بديع للشعر الصوفي:

شيعي، هماونديكي ئه دا وعظ ونصيحت ئه وقور به سره ى دابوه برفحش وفضيحت
خوه ش هاته جواب، ووتى توحقيه فقط من قطاع طريقم، نه كو قطاع طريقت

(كان شيخ طريقة يندد ويطعن في قاطع طريق هماوندي في مقام الوعظ والإرشاد. فقال له هماوندي مجيباً على تقريره وتوبيخه، أيها الشيخ أنت على حق فيما تقول ولكني لست قاطع الطريقة؛ بل قاطع الطريق). وقد طبع ديوان أشعاره سنة (١٣٤١هـ / ١٩٢٢م) بمدينة السليمانية.

(١) لعله يشير إلى أن (ديوانه) المطبوع في بغداد سنة (١٩٣٥م) غير كامل. المترجم

٢٠- مولانا خالد

من فرقة المكائلي من عشيرة «الجاف» الشهيرة لقبه «ضياء الدين» ولد سنة (١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م) وتوفي إلى رحمة الله في (٤ ذي القعدة سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م) بدمشق الشام ودفن بحي الصالحية بها. بدأ دراسته في السليمانية ثم حج بيت الله الحرام فعاد إلى السليمانية ومكث فيها قليلا. وبعد ذلك سافر إلى الهند وأقام بدهلي لدى الرجل المبارك العظيم «شاه عبد الله» حيث أخذ منه الطريقة النقشبندية. ثم عاد إلى السليمانية. وبعد مدة ذهب إلى بغداد ومنها إلى الشام، فأقام بها ردحا من الزمن يدرس ويرشد. وله يد طولى في العلوم الأدبية أيضًا وأكثر أشعاره وقصائده بالفارسية والعربية، والقليل منها بالكردية. وقد طبع ديوان أشعاره بالأستانة بأمر جلالة السلطان عبد الحميد.

٢١- المفتي الزهاوى

اسمه «محمد» ولقبه «فيضى» من أهالي «السليمانية» وينتمي من جهة أمه إلى الأسرة البابانية. وسافر به والده «مير أحمد» وهو لا يزال طفلا مع العائلة إلى «زهاب- زهاو» وبعد أن بقى هنالك ردحا من الزمن انتقل به إلى بغداد. وقد تولى صاحب الترجمة الإفتاء ببغداد سنة (١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م) وبقي شاغلا لهذا المنصب مدة ثمان وثلاثين سنة حيث لبي نداء ربه سنة (١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م) فكان فريد عصره في العلوم والفنون منيع الشعر والأدب؛ إذ له كثير من الأشعار والقصائد باللغتين العربية والفارسية إلا أن أشعاره بالكردية قليلة. وقد يفوق الألف عدد الذين تتلمذوا عليه من مشاهير علماء العراق والبلدان المجاورة. والرباعية الفارسية الآتية تدل على شاعريته القوية:

شيخا تو كه در عالم ظاهر فردي اين رتبه زدستار بدست آوردي
حيف است كه اودورسرتو كردد بايست كه تو دور سر او كردى

(أيها الشيخ الذي هو فريد في عالم الظاهر! هذه الرتبة والمكانة قد حصلت عليها بفضل العمامة، لا غير. فمن دواعي الأسف أن تلف هذه العمامة حول رأسك، لأن الواجب والمعقول هو أن تلف وتدور أنت حولها).

٢٢- جميل صدقي الزهاوي

هو نجل المفتي الزهاوي، ومن أعظم الأدباء والشعراء في العصر الحاضر وديوان أشعاره العربية في غاية من الثروة والغنى. وله آثار ومؤلفات أدبية كثيرة في اللغة العربية. وأشعاره باللغات الشرقية (الفارسية والكردية والتركية) ليست بالقليلة. هذا والقصيدة الرنانة التي ألقاها باللغة الفارسية في الاحتفال بالعيد الألفي لشاعر إيران الشهير «فردوسي» سنة (١٩٣٤م) في طهران، في غاية من البلاغة وسمو الخيال وعمق المعاني. كما أن له مطارحات أدبية وأشعار هجوية باللغة الكردية مع شاعر الكرد الشهير «الشيخ رضا الطالباني» توفي سنة (١٩٣٥م) إلى رحمة الله في بغداد، ودفن بجوار الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله.

٢٣- أمين فيضي بك

من أهالي السليمانية ومن ضباط المدفعية فارلقى في سلكه العسكري هذا إلى رتبة الميرالاي الطوبجي. توفي باستانبول سنة (١٩٢٨م) فكان له يد طولى في العلوم الرياضية. وكتابه (اجمال نتايج) و(هواى نسمى) أكبر شاهد على ذلك، كما أن كتابيه (شعاعات) و(انجمن أديبان) دليلان قويان على قدرته الأدبية. وكان بينه وبين المرحوم الشيخ رضا الطالباني صداقة متينة فكانت المخابرات تجري بينهما دائما بالنظم والشعر. مدحه شاعر الطالبانية في جملة قصائد من أشعاره السلسلة ورباعياته العالية.

٢٤- طاهر بك^(١)

هو نجل عثمان باشا ابن محمد باشا رئيس عشيرة الجاف الشهيرة. ولد في بلدة «هلبجة» وتوفي بها سنة (١٣٣٧هـ) وكان يقرض الشعر باللغات الثلاث وله في اللغتين الفارسية والكردية أشعار وغزليات رقيقة جداً.

٢٥- أحمد بك

هو أيضاً نجل عثمان باشا رئيس عشيرة الجاف، ومن أهالي بلدة «هلبجة» توفي سنة (١٩٣٣م) وله أشعار رقيقة باللغتين الكردية والفارسية.

٢٦- أحمد بك

هو ابن فتاح بك من أسرة «صاحبقران» الشهيرة. وأشعاره الكردية والفارسية في غاية من الإبداع الأدبي وسمو الخيال. تكاد تكون قريبة من أشعار وقصائد قريبه الشاعرين الشهيرين «كوردي» و«سالم». توفي سنة (١٩٣٥م) ولم يطبع ديوان أشعاره بعد.

٢٧- سالار سعيد

من أعظم أدباء منطقة «مكرى». وأشعاره الفارسية والكردية من الشواهد الحية على مقدرته الفائقة على إنتاجه الأدبي.

ويقال أن له ديوان أشعار قيم جداً. واغتالته أيد أئيمة من رجال الاحتلال التركي لتلك الجهات أوائل الحرب العالمية في مدينة «صاوجبلاق». هذا والقصيدة الكردية التي رثا بها سردار «مكرى» فيها شيء كثير من التعريض والتلميح. وهاك بيتها الأخير:

أي خدا أكراد، يخسیری هموملت بوون ده ی علی، تاجاک نه فو تاون، بلی فکری

(١) ورد في ديوان أشعاره المطبوع في السليمانية سنة (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) أنه ولد في «شهرزور» سنة (١٢٩٥هـ). المترجم

٢٨- أحمد كور

من أهالي «صاوجبلاق» ومن شعراء «مكرى» عاش في القرن التاسع عشر فأشعاره في غاية من الرقة والتأثير ولا سيما قصيدته النقية في غاية من الإبداع.

وهناك غير من ذكرنا عدة من الشعراء، أمثال «آهي» و«حسن كنوش» و«عبد الله حسن» و«علي برده شاني» و«محمد فكرى» الذي ذكره «حاجى قادر» الكوئي في قصيدته المشهورة، و«رنجور» الكركوكي، و«أمين بك» الدزه بى و«مشوى» و«خسته» و«وفائي» و«عبد الرحمن خالص» و«ملای بيتوشى» و«ملا مصطفى» البياري و«ملا خضر» و«ميرزا يعقوب» و«حسن هومر» و«ملا محمد الكوماسي» و«ملا أحمد دربند» و«ملا قادر شيخ وه ساني» و«ملا محمد كوئي» و«ملا مصطفى بكى جاف» و«ملا رحيم مكرى» و«كاكه أمين مكرئى» و«كاك مصطفى إیراني» و... إلخ وغير ذلك من الشعراء والأدباء الذين عاشوا في القرن التاسع عشر وخلقوا لنا مؤلفات ورسائل أدبية لا بأس بها.

فهؤلاء الشعراء والأدباء من رجال النهضة الأدبية في كردستان الجنوبي هم قسم من الذين اطلعنا على آثارهم ومؤلفاتهم. ولا شك في أن مثل هذه النهضة قد حدثت في أقسام أخرى من كردستان ضئيلة كانت أو قوية. ومن دواعي الأسف أن الأحوال والظروف السائدة تلك الجهات تحول بيننا وبين الحصول على المعلومات الصحيحة عن آثار تلك النهضة بها.

كما أن من دواعي الغبطة والسرور أن في كردستان العراقي الآن حركة فكرية جديدة بالعباية والاهتمام. والأمثلة البارزة والشواهد الحية على هذه اليقظة الأدبية البحتة، ظهور ناشئة مثقفة من الشعراء والأدباء المتحمسين وعلى رأس هذا الموكب الأدبي الحافل، يقوم الشاعر الشيخ المتمتع بعزيمة الشباب «الحاج توفيق بك» بمدينة السليمانية.

هذا وقد جمع في متحف آسيا ببطرسبورج - لينن غراد، مؤلفات وآثار عدد كبير من الشعراء الأكراد، حتى إن المسيو «لرج» وضع مؤلفا خاصا بآثار هؤلاء الشعراء. (دائرة المعارف الإسلامية).

٣- المجالات والصحف

أول جريدة كردية على ما نعلم صدرت تحت عنوان «كردستان» هي التي أصدرها «مدحت بك» حفيد بدرخان بك في استانبول سنة (١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م) ولما مرض صاحب الجريدة هذا أصدرها أخوه عبد الرحمن بك في القاهرة ثم في «جنيف». وبعد ذلك في «فولكستون» ثم في «لندن». وبعد إعلان الدستور العثماني عادت هذه الجريدة نفسها إلى الظهور في الأستانة، فتولاها «ثريا بك بدرخان» وظلت تصدر أثناء الحرب العظمى^(١). وتوجد مجموعة من هذه الجريدة (١-٣١ العدد) في مكتبة بروسيا بألمانيا. وهذه الجريدة هي غير مجلة «كردستان» التي كان يصدرها المبشرون في بلدة وورمي (أرمية).

وبعد إعلان الدستور العثماني أصدرت «جمعية هيو» الكردية صحيفة أسبوعية في الأستانة سنة (١٣٣١هـ) تحت عنوان «روزکرد- يوم الكرد» فكان العدد الأول والثاني منها يشتملان على صورة السلطان «صلاح الدين» والشاه «كريم خان زند» وهما العددان اللذان أصدرهما «عبد الكريم أفندي» من أهالي السليمانية في (٦ حزيران (يونيو) و٦ تموز (يوليو) من سنة ١٣٣١هـ- ١٣٢٩ع) ثم تغير اسم هذه المجلة وصار «هتاوى كرد= شمس الكرد». هذا وقد أبدى المنتورون من الأكراد ولا سيما الشبان منهم نشاطاً كبيراً بعد الحرب العظمى فأصدروا عدة صحف ومجلات أخرى غير ما ذكر في مصر واستانبول وكردستان كانت أشهرها صحيفة «زين- الحياة» الأسبوعية. وكان يصدرها في الأستانة

(١) لم يذكر المؤلف محل صدورها في ذلك الوقت العصيب. والذي أعلمه أن صاحبها «ثريا بدرخان بك» انتقل قبيل الحرب العامة إلى القاهرة وأقام بها ثم أصدرها باللغتين الكردية والتركية نصف شهرية في القاهرة خلال سنتي (١٩١٥ و ١٩١٦م) فظهرت منها جملة أعداد وكان يلقب نفسه باحد آريزي «أحمد عزيزي» كناية عن «أحمد ثريا» ونسبة إلى أسرته العزيزان. المترجم

سنة (١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م) نخبة من الشبان المتنورين وهم الأساتذة حمزة، ممدوح سليم، كمال فوزي، وكانت الغاية التي ترمي إليها مقالات ونشريات هذه الصحيفة تحقيق مبدأ «كردستان للكرد» صدر العدد الثاني والثلاثون منها في غرة جمادى الأولى سنة (١٣٣٨هـ/ ٢٢ يناير سنة ١٩٢٠م).

وكانت هناك مجلة نصف شهرية أخرى تصدر في القاهرة بإدارة «أحمد عزيز بك البدرخاني»^(١) حيث صدر العدد الثاني في (٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٥هـ).

وأول صحيفة كردية ظهرت في مدينة السليمانية هي «بشكوتين- التقدم» وقد وقفت عن الصدور قبل جلاء الإنجليز الأول من «السليمانية» بشهر من الزمن. ثم صدرت صحيفة «بانكي كوردستان- صدى كردستان» في (٢ أغسطس سن ١٩٢٢م) أصدرها الفريق الحاج مصطفى باشا حيث صدر منها لغاية شهر ديسمبر من السنة المذكورة ثلاثة عشر عددًا ثم وقفت عن الظهور. وبعد ذلك أصدر «محمد نوري أفندي» صحيفة «روزكردستان- يوم كردستان» الأسبوعية حيث كانت لسان حال حكومة «الشيخ محمود» الكردية، وبأمر منها تصدر فاستمرت في الظهور حتى (٣ مارس سنة ١٩٢٣م) وبلغ أعدادها خمسة عشر. وبعد مبارحة الشيخ محمود لمدينة «السليمانية» للمرة الثانية صدرت في سنة (١٩٢٣م) جريدة كردية أخرى في المدينة المذكورة باسم «بانكي حق- صدى الحق» وقد صدر منها ثلاثة أعداد فقط. ثم أعقبتها في الظهور صحيفة «أميدى استقلال- أمل الاستقلال» ولم تدم طويلاً، حتى أقدمت الحكومة في السليمانية في سنة (١٩٢٤م) على إصدار صحيفة «زيانه وه» الأسبوعية ثم أبدل اسم هذه الصحيفة في سنة (١٩٢٥م) باسم «زيان- الحياة» ولا تزال تصدر حتى الآن بهذا الاسم الأخير^(٢).

(١) هي نفس جريدة «كردستان» التي كان يصدرها في سنتي (١٩١٥ و ١٩١٦م) في القاهرة الأمير أحمد ثريا بن أمين عالي بن بدرخان باشا بلقب «أحمد عزيزي» كما سبق. توفي إلى رحمة الله سنة (١٩٣٨م) بباريس. المترجم

(٢) وهي سنة (١٩٣١م) التي انتهى فيها المؤلف من طبع كتابه هذا. المترجم

وفي سنة (١٩٢٥م) أصدر «حضرة صالح زكي صحبقران زاده» صحيفة أسبوعية باسم «دياري كوردستان - هدية كردستان» باللغات الثلاث: الكردية والعربية والتركية. واستمرت في الظهور إلى (١١ مايو سنة ١٩٢٦م) وقد صدر في خلال هذه المدة ستة عشر عددًا ويتضمن أغلب أعدادها صور مشاهير الكرد وعظمائهم وقد كانت مثلاً يحتذى به حقًا. إذ كان صاحبها المفضل لا يألو جهدًا في الوصول بها إلى الكمال. وفي نفس هذه السنة (١٩٢٥م) عاد الحاج مصطفى باشا فأصدر صحيفة «بانكى كوردستان» مرة أخرى في بغداد غير أنها تعطلت بعد أن صدرت منها أعداد.

وفي سنة (١٣٤٤هـ) أصدر السيد حسين المكرياني في مدينة «رواندز» صحيفة باسم «زار كرمانجي - اللهجة الكرمانجية» باللهجة الكرمانجية الغربية «بهديناني - بهتاني». وكانت هذه الصحيفة أسبوعية، ثابر صاحبها الفاضل على إصدارها بانتظام وبكل إخلاص وغيره شديدة لغاية اليوم. رغمًا عما يتكبد في سبيل ذلك من الأعنات والأضرار، وعلاوة على مثابرته ومجاهدته في سبيل مواصلة إصدار صحيفته، فإنه لا يألو جهدًا في إصدار مباحث قيمة ومعلومات تاريخية نادرة عن الكرد وأدهم وأشعارهم بشكل رسائل وكتيبات. ولا يزال يبدي نشاطا غريبًا في سبيل تنوير الشبان الكرد بالعراق وتشجيعهم على الثقافة القومية والارتشاف من مناهل العلم والعرفان.

الفصل الثامن

العشائر الكردية في العهود الإسلامية

١ - في صدر الإسلام^(١)

في عدة قرون من العهود الإسلامية لم يذكر الوطن الكردي باسم خاص يشمله كله. لأنه كان مجزأً بين الأقسام الإدارية لحكومات الخلافة العديدة. مثل أقاليم «الزوزان» و«خلاط» و«أرمينية» و«أذربيجان» و«الجلال» و«فارس» و«الجزيرة» و«العراق» و«بلاد الروم»... (الفصل الأول) وبطبيعة الحال لا ترى بحثاً مستقلاً وافياً تحت عنوان «كردستان» أو «الكرد» في مؤلفات الرحالين العرب والمسلمين في العصور السالفة. وأخيراً في عهد السلجوقيين عرف قسم من الوطن الكردي وهو مقاطعتا «كرمانشاه» و«شهرزور» فقط باسم «كردستان» وأخذ المؤلفون بعد ذلك بطبيعة الحال يذكرونه أحياناً ويفردون له مباحث مستقلة.

(١) يقول «راولنسون» في دراسته لعاصمة «ميدية» القديمة أثناء ذكره الوقائع التي جرت بين الجيش الروماني وبين «بهرام جوبين» ما يأتي: «يؤخذ من أقوال تاريخ (بليني - Pliny) أن عشائر «آلوني، آزون، سيليسي، أورونت» كانت تقيم بجبال «رواندز» بين ميديّة وآشورية. فالعشيرة الرابعة على ما يؤخذ من جغرافية «سن مارتن» ومؤلفات علماء الكرج - هي عشيرة «أورانتون» أو «أوريتي» أو «رواندي» التي كانت بنفس هذا الاسم موجودة في النصف الأول من القرن التاسع عشر في منطقة «رواندز» هذا وكان السريان في القرون الوسطى يطلقون على الجبال التي بحدود مقاطعة «آديابن» اسم «سالاك - Salak». والعشيرة التي تسمى الآن بهذا الاسم موجودة بلورستان».

ولم يذكر «راولنسون» شيئاً عن مأوى عشيرة «آلوني» ولا عن حالتها الحاضرة. ولكنه هناك اسم مشابه وربما هو نفسه بين «السليمانية» و«بانه» وهو «آلان» اسم لمنطقة معروفة بتلك الجهات، كما أنه اسم الوادي الطويل الواسع المار من قرية «كاليغان» والمنتهي إلى مضيق «رواندز» يطلق عليه اسم «آلونا» فمن المحتمل جداً أن تكون أهالي القرى التي بهذا الوادي من بقايا «آلوني» المذكورة. المؤلف

هذا وقد ذكر المؤرخون المسلمون بحثاً عن الكرد لبعض المناسبات التاريخية والجغرافية. فمثلاً ذكر كل من المسعودي سنة (٣٣٢هـ/ ٩٤٣م) والاصطخري سنة (٣٤٠هـ/ ٩٥١م) معلومات قيمة عن الكرد، أكثر من غيرهما من الرحالين المؤلفين. (دائرة المعارف الإسلامية) فذكر المسعودي في كتابه «مروج الذهب» العشائر الكردية الآتية فقال:

إنّ عشيرة «الشاهجان» تقطن في منطقة «الدينور» و«همذان» وعشيرة «ماجوران» في «كنكور» وعشيرة «هازبني - هذباني» في «أذربيجان».

وأما عشائر «شادانجان، لازبا، مادانجان، مزدانكان، باريسيان، خالي - جلالی، جبارکی، جوانی، موستكان» فتقطن إقليم الجبال، كما أنّ عشيرة «دابايلا» وغيرها تقطن سورية. والعشائر النصرانية من الكرد مثل اليعاقبة والجوزقان فتقطن حوالي «الموصل» و«جبل الجودی».

ويذكر المؤلف نفسه في كتابه (التنبيه والإشراف) عشيرة «بازينجان» كما أنّ المؤرخ الاصطخري يذكر في (ص ١١٥) من كتابه عشائر «ناشاويرا» و«بوزيكان» و«كيكان» الآن بجوار مرعش» ثم يضع جدولاً بمساكن ومنازل العشائر الكردية كما يأتي.

فارس - كرمان - سجستان - خراسان - أصفهان - الجبال - ماه الكوفة - ماه البصرة - ماسبذان - همذان - شهرزور - دار آباد - صمغان - أذربيجان - أرمينية - آران - البيلقان - باب الأبواب - الجزيرة - الشام - الثغور (خط الاستحكامات العسكرية والدفاع الحربي في حدود الروم بكللكية).

وصفوة القول أنه يمكننا أن نقول بناء على هذه المعلومات القيمة: إنه كان يوجد في جميع الأقاليم الإسلامية تقريباً طوائف وجماعات من الأكراد وعشائهم المتعددة، فمن ذلك أن باباً من أبواب قلعة «بردعة» التي تقع في شرقي «تفليس» على نهر الكر، كان

يسمى «باب الأكراد» ويؤيد هذا القول المؤرخ الشهير «ابن مسكويه» فيقول: إنه لدى استيلاء الروس على هذه القلعة كان في معية محافظها جنود من الكرد، كما أن كلا من «اليعقوبي» حوالي سنة (٢٧٥هـ) و«الاصطخري» يصرح بأن فرقة من عشيرة البازنجان الكردية كانت تقطن في أصفهان وكانت للكرد مدينة عظيمة بهذا الإقليم ويقول المقدسي^(١) في (ص ٢٢٧): إنَّ أكراد «دوين»، وهي مدينة كانت على نهر «الرس» كانوا يسكنون في بيوت من الزجاج والبلور.

ويذكر الاصطخري (ص ٩٨ من كتابه) أحوالي خمسة (رموم) بفارس فيقول: إن اسم «رموم» هذا وضع للدلالة على المناطق الكردية في ذلك الإقليم فكل «رام» وجمعه «رموم»، كان بمثابة مدينة مركزية للأكراد، حيث كان زعيم أكرادها مكلِّفًا بجباية خراجها والهيمنة على الأمن العام بها، وإليك أسماء رموم الأكراد بفارس:

١ - «جلويا» أو «رميجان» كانت متاخمة لحدود أصفهان.

٢ - «لاواليجان» كانت فيما بين «شيراز» والخليج الفارسي.

٣ - «ديوان» كانت في كورة «شابور».

٤ - «كاريان» كانت في «كرمان».

٥ - «شهریار» كانت بجوار «أصفهان» فكان يطلق عليها اسم عشيرة «بازنجان» التي كان قسم منها منتشراً في أصفهان كلها.

ثم يذكر «الأصطخري» بعد ذلك ثلاثاً وثلاثين عشيرة كردية تقيم بفارس ذكرها أيضاً «ابن حوقل» (ص ١٨٥-١٨٧) نقلاً عن ديوان الصدقة. وذكرها المقدسي كما يأتي: كرماني - راماني - مدثر - محمد بن بشر - (بقلی - سالابي) - بندا مهري - محمد بن إسحق -

(١) ألف كتابه (أحسن التقاسيم) في سنة (٣٧٥هـ) كما نص عليه بنفسه. المترجم

(صباحي - سباهي) - إسحاق - أذركاني - شيراكي - تاهماداهني - زيادي - شيراوي -
 بنده داي - خسروي - زايحي - سفاري - شاهياري - مهراكي - مباركي - اشتهاري -
 شاهوني - فراقي - سالموني - سيري - آزاد دختي - برازدختي - مطلبي - ما حالي -
 شاهكاني - كاجتي - جليلي.

وكان عدد بيوت هذه العشائر العديدة تقدر بـ (٥٠٠٠٠٠) بيتاً.

ويقول صاحب كتاب (فارسانامه)^(١) المؤلف سنة (٥٠٠هـ/ ١١٠٦م): «إن أكراد
 «جلويه» و«ديوان» و«لاواليجان» و«كاريان» و«بازنجان» الذين كانوا يؤلفون أشهر
 وأقوى جيوش فارس القديمة، قد أبيدوا عن آخرهم أثناء الفتوحات الإسلامية الأولى
 وما أعقبها في بلاد فارس من الثورات والحروب. فلم تنج من هذه العشائر سوى عشيرة
 «آلاك»^(٢) التي اعتنقت الإسلام ديناً. وأما أكراد أصفهان فقد نلقوا أخيراً إلى فارس في
 عهد عضد الدولة البويهية».

حقاً إن أقوال «فارسانامه» هذه لجديرة بالبحث والنظر، إذ لا يقبل العقل بسهولة
 انقراض نصف مليون أسرة اضمحلالات كلياً. والظاهر أن هذه العشائر اختلطت، بعد
 زوال سلطانها وضياع نفوذها، بالعشائر الفارسية المجاورة. وبعد ذلك أخذت تلم شعبتها
 شيئاً فشيئاً، حتى تمكنت أخيراً من المحافظة على قوميتها وكيانها.

(١) كتاب فارسي لابن البلخي ألفه في عهد السلطان أبي الشجاع محمد بن ملكشاه السليجوقي. وطبع
 بكمبريج سنة (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م). المترجم

(٢) وفي (فارسانامه) «أن شخصاً يدعى «علك» بقي من هؤلاء الكرد واعتنق الإسلام ولا تزال أسرته
 موجودة بفارس. وأما الأكراد الآخرين الذين يقيمون بفارس الآن فهم الذين نقلهم عضد الدولة
 من حدود «أصفهان» إلى فارس. ولا يخفى تناقض هذا مع ما نقله المؤلف الفاضل من دائرة المعارف
 الإسلامية من غير أن يتسنى له الاطلاع على الكتب القيمة التي يطلق عليها لفظ (المكتبة الجغرافية
 العربية) ولا على كتاب (فارسانامه). المترجم

يذكر الاصطخري، بعد ذكر جدول العشائر بفارس، عشيرة باسم «اللوريا» في محل كان يدعى قديماً «رام جلويا» المعروف الآن بـ «كوه كلو» الذي يعيش فيه الآن الشعب اللوري. هذا وكتاب (فارسنامه) يفرق «شبانكاره» كبرى عشائر فارس عن الكرد. وفي الواقع أن فضل الله العمري صاحب كتاب (مسالك الأبصار) أيضاً لا يذكر عشيرة «شبانكاره»^(١) هذه في بحث مستقل خاص، كما أن كتاب (شرفنامه) لا يذكرها ضمن الحكومات الكردية التي تعرض لذكرها. ومع ذلك كله فإنني أرى أنها إحدى فرق عشيرة «راماني» التي ذكرها الاصطخري ضمن العشائر الكردية. هذا ولا يبعد أيضاً أن يكون ذلك ناشئاً من تشابه لفظي. وكل ما هنالك، أن هناك بعض فروق بارزة بين أكراد «فارس» وبين أكراد «كردستان». وعلى رأي صاحب (معجم البلدان) كانت تسكن عشيرتا «البشنوي» و«البختي» في منطقة «الزوزان» الواقعة بين الموصل وخلاط وسلماس فكانت لهما عدة قلاع وحصون منيعة.

والخلاصة أن المصادر الموجودة تفيد أن كردستان المركزي الحالي كان موطن الكرد في ذلك الوقت أيضاً.

٢- عهد حكومات المماليك بمصر (القرن الثامن الهجري)

يقول مؤلف (صبح الأعشى)^(٢) نقلاً عن (مسالك الأبصار)^(٣) و(التثيف): إن العشائر الكردية بجبال الأكراد كانت تحتل أربعاً وعشرين منطقة. وهالك نص عبارته العربية^(٤):

-
- (١) سيأتي قريباً من عبارة (مسالك الأبصار) ما يدحض هذا القول من أساسه ويثبت بأن دراسة كثير من المستشرقين في حاجة إلى إعادة النظر فيها ووجوب مقارنتها مع المصادر الشرقية. المترجم
- (٢) لمؤلفه الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي في أربعة عشر مجلداً أكمله في سنة (٨١٤هـ) وتفاصيل العشائر الكرد في المجلد الرابع (ص ٣٧٣-٣٧٩) طبع دار الكتب الملكية بالقاهرة. المؤلف
- (٣) لفضل الله العمري مخطوط دار الكتب المصرية رقم (٨م) وله كتاب التعريف بالمصطلح الشريف طبع بالقاهرة المترجم

(١) كان الأصل الكردي ترجم عبارة صبح الأعشى ملخصة إلا أني تتميها للفائدة آثرت النص العربي على الترجمة من الترجمة الكردية الملخصة. ولما كان (مسالك الأبصار) هو أصل (صبح الأعشى) رأيت من المناسب أيضا نقل عبارة (المسالك) في الباب الرابع عن مملكة «الجبال» فقال: «وهي أربعة فصول. الفصل الأول في الأكراد وفيه فصل جامع لأحوال سكان الجبال. الفصل الثاني في «اللور» والفصل الثالث في «الشول» والفصل الرابع في «شنكاره» (كذا ولا شك في أنها محرفة عن كلمة «شبنكاره- شبانكاره- شوانكاره» اسم للقبيلة الكردية التي نشأت منها إمارة شبانكاره الشهيرة في سنة (٤٢١-٧٥٦هـ) بفارس. فارسنامه: المترجم). وبلادهم جميعا بلاد خصب زائد، ومزارع وموارد، وزروع وفواكه، وثمر متشابه، وغير متشابه، وكلهم أهل غناء ودفاع، وحصانة وامتناع.

الفصل الأول في الأكراد- الذي نقوله وبالله التوفيق أن الأكراد وإن دخل في نوعهم كل جنس يأتي ذكره في هذه الفصول فإنهم جنس خاص من نوع عام. وهم من قارب العراق وديار العرب دون توغل في بلاد العجم. ومنهم طوائف بالشام واليمن. ومنهم فرق متفرقة في الأقطار. وحول العراق وديار العرب جهرتهم. وغلب في زماننا بما يقارب ماردین... منهم إبراهيم بن علي المسمى بالغرسي بالو (بالو الغرسي- الغرزي، نسبة إلى غرزان التي هي محرفة «أرزن» التاريخية في ديار بكر. المترجم) استفحل أمره وقويت شوكته واجتمعت عليه جموع، وبرقت له أسنة ودروع، وثوب باسمه الداعي وتقيدت دون غايته المساعي. ثم مات وقام ابن بعده ولكنه ما حكى الوالد الولد ولأسد الشبل موضع الأسد.

وأما الفصل الجامع لأحوال سكان الجبال هؤلاء وغيرهم، فإننا نقول وبالله التوفيق: إن المراد بالجبال على المصطلح هي الجبال الحجازية. ولم أذكر من عشائرها إلا من كنت به خبيرا ولم أسم فيها منهم إلا بيت ملك أو إمارة... نبدأ بجبال همذان وشهرزور وأربل وننتهي إلى دجلة الجزيرة من «كوار» إلى «الموصل» ونترك ما وراء دجلة إلى نهر الفرات لقلة الاحتفال به. على أن الذي ذكرته هو خلاصة المقصود. إذ لم يبق إلا أكراد الجزيرة وقرى «ماردين» وهم لكل من جاورهم من الأعداء الماردین مع أن أماكنهم ليست منيعة ومساكنهم للعصيان غير مستطبعة.

الفصل الثاني في اللور وهو طائفة كثيرة العدد. ومنهم فرق مفرقة في البلاد، وفيهم ملك وإمارة، وإقدام وشطارة، ولهم خفة في الحركات وصدق في القول... وفي بلاد مصر والشام منهم طوائف كثيرة ومعظمها في البلاد الشامية.... وهم ببلادهم أهل منعة. وهي اللوران كبير وصغير.

الفصل الثالث في الشول وهؤلاء حكمهم حكم «شبنكاره» وما يبعد بعضهم عن بعض في موازنة العقول، إلا أنه لا يخلو بينهم من دماء تطل ومواثيق فيما بينهم تحل، وفيهم كرم وسلاح يقصدهم الفقراء وتنزل في قراهم. وتقيم في ضيافتهم وقراهم...

ومنها (أي من مدن الإقليم الرابع وهو الجبل) «جبال الأكراد» قال في (مسالك الأبصار): والمراد بهذه الجبال، الجبال الحاجزة بين ديار العرب وديار العجم، دون أماكن من توغل من الأكراد في بلاد العجم. قال: وابتدأوها جبال همذان وشهرزور وانتهأوها صياصي الكفرة من بلاد التكفور. وهي مملكة سيس وما هو مضاف إليها مما بأيدي بيت لاون. ثم ذكر منها عشرين مكانا في كل مكان منها طائفة من الأكراد.

١- «دياوشة»^(١) من جبال همذان وشهرزور. وهو مقام طائفة من الأكراد «الكورانية». ولهم أمير يخصهم.

٢- «درانتك»^(٢) وهو مقام طائفة ثانية من الكورانية أيضًا. ولهم أمير يخصهم. قال في (مسالك الأبصار): والطائفتان جميعًا لا تزيد عدتهن على خمسة آلاف رجل.

٣- دانترك^(٣) ونهاوند إلى قرب شهرزور. وهي مقام طائفة منهم تعرف بالكلالية^(٤)، يعرفون بجماعة سيف، عدتهم ألف رجل مقاتلة، ولهم أمير يخصهم، وهو يحكم على من جاورهم من الأكراد.

الفصل الرابع في شنكاره- شبانكاره: وهم أحسن من اللر طريقًا وآمن فريقًا وفيهم رعاية الزمام، وتمسك من الشريعة المطهرة بزمام، ولهم بأس وشجاعة ولأمرائهم سمع وطاعة. على أنهم أشد من الأسود إذا غضبوا، وأخف من البروق إذا وثبوا. يكون الرجل منهم في أسفل الجبل العالي ثم يأخذ في الصعود ويرشق محاذيه السهم، فيكاد يسبق السهم وقد بلغ غايته....». ولا شك في أن هذه النصوص قاطعة بأن اللور والشول والشبنكاره أقسام أصلية للأمة الكردية من قديم الزمان، لا كما ظنه بعض الباحثين من الرحالين المتأخرين من أن اللور والشبنكاره من الفرس والشول من التركمان. المترجم

(١) وفي المسالك «يادست» والظاهر أن الكلمتين محرفتان من «ماه دشت - مايدشت» كما في المعجم

حيث قال: قلعة وبلد بجوار خانقين. المترجم

(٢) تصحيف من «درنتك» كما في المسالك وفي الكتب والخرائط الحديثة.

(٣) في المسالك «داتسرك» لم نهند لها على أصل صحيح في المعاجم.

(٤) لعلها عشيرة الجلالية الكردية الحالية. المؤلف

٤- مكان بجوار ديار الكلالية المقدم ذكرهم بجبال همذان وهو مقام طائفة من الأكراد يقال لهم «زنكليّة»^(١). وعدتهم نحو ألفين ذوو شجاعة وحيلة. ولهم أمير يخصصهم يحكم على بلاد «كيكور»^(٢) وما جاورها من البقاع والكور.

٥- نواحي شهرزور قال في (مسالك الأبصار): كان يسكنها طوائف من الأكراد^(٣) طائفتان إحداهما يقال لها «اللوسه» والأخرى يقال لها «الباسرية»^(٤) رجال حرب وإقبال طعن وضرب. نزحوا عنها بعد واقعة بغداد. وفدوا إلى مصر والشام، وسكن في أماكنهم قوم يقال لهم «الحوسة»^(٥) ليسوا من صميم الأكراد.

٦- مكان بين «شهرزور» وبين «أشنه» من أذربيجان. به طائفة من الأكراد يقال لهم «السوليه»^(٦) يبلغ عددهم ألفي رجل. وهم ذوو شجاعة وحمية وهم طائفتان لكل طائفة منهم أمير يخصصهم.

٧- «بلاد بسقاد»^(٧) وهي مقام طائفة من الأكراد يقال لهم «القرياوية»^(٨) ويدهم من بلاد «أزبك»^(٩) أماكن آخر، قال: وعددهم يزيد على أربعة آلاف، ولهم أمير يخصصهم.

(١) في المسالك «رنكله» وكلاهما محرفة من عشيرة «زنكنه» الكردية الحالية.

(٢) تحريف عن «كنكور» كما في المسالك وهو ما يقال له قصر اللصوص. المترجم

(٣) فيها سقطة وهي «قبل خراب البلاد. وأكثرهم رجالاً أوفرهم أموالاً».

(٤) في دائرة المعارف الإسلامية «كوسادماير». المؤلف. وفي المسالك «بايريه». المترجم

(٥) في المسالك «الحوله» أو «الحولسه».

(٦) في المسالك «السيولية» أو «السبولية» ولا يبعد أنها مصحفة الشول.

(٧) في دائرة المعارف الإسلامية «سابولي وكارتاوى». المؤلف. وفي المسالك «ليستار» ولا شك أنها محرفة

عن «آليستار». المترجم

(٨) تحريف عن «القرتاوية- الكرتاوية».

(٩) كذا في نسخة (صبح الأعشى) المطبوعة والصحيح أنها «أريل» كما يدل على ذلك سياق العبارة ورسم الكتابة في نسخة (مسالك الأبصار) مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٨. ولعل ذلك تصحيف من الناسخ. المترجم

٨- بلاد الكركار، وهي مقام طائفة منهم يقال لهم الحسانية^(١)، وهم على ثلاثة أبطن: أحدها طائفة عيسى شهاب الدين، ولهم خفر قلعة «برى والحامي». وثانيها طائفة تعرف «بالتلية» وثالثها طائفة تعرف به «بالجاكه» وجميعهم نحو ألف رجل. ولكل طائفة منهم أمير يخصصهم.

٩- دربند قراير^(٢) وهو مقام الطائفة القرياوية ولهم خفارة الدربند المذكور، وصاحبه يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية. وقد ذكر في (التقيف) أن صاحبه كان سيف الدين بن سير^(٣) الحسناي.

١٠- بلاد الكرحين ودقوق الناقة وبه طائفة^(٤) منهم عدتهم تزيد على سبعمائة ولهم أمير يخصصهم.

١١- بين الجبلين، من أعمال أربل، قال في (مسالك الأبصار): وبها قوم كانوا يدارون التتر وملوك الديار المصرية ففي الشتاء يعاملون التتر بالمجاملة وفي الصيف يعينون سرايا الشام في المجاملة. قال: وعددهم كعدد الكلالية. ولهم أمير يخصصهم. وذكر أنه كان لهم في الدولة المنصورية قلاوون، أمير يسمى الخضر بن سليمان^(٥) كاتب شجاع، وأنه وفد إلى الديار المصرية فاخترته المنية قبل عوده. وكان معه أربعة أولاد فعادوا بعد موته في الدولة الزينية (كتبغا).

(١) ترى دائرة المعارف الإسلامية أن هذه العشيرة هي عشيرة «خشناو» الحالية فكانت ثلاثة أبطن: إحداهما في بلاد الكارتاوى ودربند «قره بويلي» الذي يرى «هوفان» أنه كائن في جبل بجوار نهر الزاب الصغير. المؤلف

(٢) في المسالك «قرايلي» كما في دائرة المعارف. المترجم

(٣) تصحيف من «شير» بمعنى الأسد مثل أسد الدين «شيركوه» بمعنى أسد الجبل، فشير معناه «أسد» و«كوه» معناه «الجبل». المترجم

(٤) في دائرة المعارف الإسلامية أن اسم هذه الطائفة «تيركارين» وكانت تقيم بين «كركوك» و«طاوق». المؤلف

(٥) في المسالك «تاج الدين الخضر بن سليمان، كاتباً ذا سنان ولسان». المترجم

١٢- «مازنجان، وببروه وسحمة»^(١) والبلاد البرانية» وهي مقام طائفة منهم يقال لها المازنجانية، لا تزيد عدتهم على خمسمائة وهم طائفة ينتسبون إلى المحمدية. والمازنجانية هم طائفة المبارز «كك» الموجود اسمه ورسم المكاتبه إليه في دساتير المكاتب القديمة. وقد أضيف إليهم «الحميدية» وهم طائفة من الأكراد لا تنقص عدتهم عن ألف مقاتل؛ لأن أميرهم «مبارز الدين كك» كان من أمراء الخلافة في الدولة العباسية. ومن ديوان الخلافة لقب بمبارز الدين، وكك اسمه. قال: وكان يدعى الصلاح وتنذر له النذور، فإذا حملت إليه قبلها وأضاف إليها مثلها من عنده وتصدق بها معاً وذكر نحوه في (التعريف) ثم كان له في الدولة الهولائية المكانة العلية. واستنابوه في أربل وأعمالها وأقطعوه «عقرشوش» بكمالها وأضافوا إليه «هراة»^(٢) و«تل حفتون» وقدموه على خمسمائة فارس. وتولى الأمرة وقوانين؟^(٣) نحو عشرين وبقي حتى جاوز التسعين وهمته همة الشبان. ثم مات وخلفه ولده «عز الدين» فكان من أبيه نعم الخلف وجرى على نهج أبيه في ترتيب المملكة وعلت رتبته عند ملوك التتر وملوك الديار المصرية. ثم خلفه أخوه «نجم الدين خضر» فجرى على سمت أبيه وأخيه. ثم قال: وكانت ترد على الأبواب السلطانية بمصر ونواب الشام كتب تهلل بماء الفصاحة كالسحب، وتسرح من أجنابها الأبقار العرب ثم خلفه ولده فجرى على سننه وبقيت الإمارة في بنيه، والأمير القائم منهم هو المعبر عنه في الدساتير بصاحب «عقرشوش» وله مكاتبه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية.

(١) في دائرة المعارف الإسلامية «بخمه». المؤلف (وفي المسالك «ثم يلي هؤلاء من أربل» المازنجانية» وهم طائفة ينتسبون إلى الحميدية مخصوصون من دون الأكراد بحسن الفروسية. مساكنهم «مازنجان» و«ببروه» و«نجمه» والبلاد السهرانية... فعلى هذا يكون لفظاً «سحمة» و«البلاد

البرانية» محرفين كما مضى). المترجم

(٢) في المسالك والكمال «هراة» وهو الصحيح. المترجم

(٣) كذا في الصحيح وهو تصحيح وفي المسالك «...وهو ابن نحو عشرين». المترجم

١٣ - بلاد شعلاباد^(١) إلى خفتيان^(٢)، وما بين ذلك من الدشت والدريند الكبير وهو مقام طائفة منهم تعرف بالشهرية^(٣) معروفون باللصوصية. وهم قوم لا يبلغ عددهم ألفاً. وجبالهم عاصية. ودريندهم بين جبلين شاهقين يسقيهما الزاب الكبير. قال في «مسالك الأبصار»: وعليه ثلاثة قناطر اثنتان منهما بالحجر والطين (الجير) والوسطى مضمفورة من الخشب كالخصير. علوها عن وجه الماء مائة ذراع في الهواء، وطولها بين الجبلين خمسون ذراعاً في عرض ذراعين، تمر عليها الدواب بأحمالها والخيول برجالها. وهي ترتفع وتنخفض، يخاطر المجتاز عليها بنفسه. وهم يأخذون الخفارة عندها. وهم أهل غدر وخديعة لا يستطيع المسافر مدافعتهم. ولهم أمير يخصهم. ولصاحبها مكاتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية.

١٤ - «مازکرد»^(٤) والرساق ومرت وجبل جنجرين المشرف على أشنه من ذات اليمين وهو مقام طائفة منهم يقال لهم «الزرزارية»^(٥) ويقال: إنهم ممن تكرد من العجم، ولهم عدد جم يكاد يبلغ خمسة آلاف ما بين أمراء وأغنياء وفقراء وأكارين وغيرهم. وجبالهم في غاية العلو والشهوق في الهواء، شديد البرد. بأعلاه ثلاثة أحجار طول كل حجر منها عشرة أشبار في عرض دون الثلاثة، متخذة من الحجر الأخضر المانع، وعلى كل منها كتابة اضمحلت لطول السنين، يقال إنها نصبت لمعنى الإنذار والأخبار عمن أهلكه

(١) لا شك أن هذا تحريف من كلمة «شقلاباد- شقلاو» الحالية في لواء «أربل» من ألوية شمال العراق. وعبرة المسالك هكذا: وبلاد الشهرية المشهورة باللصوصية وهي من بلاد «سقلاو» و«حفتيان أبي علي» وتعرف ب«حفتيان الصغير» وما بين ذلك من الدشت والدريند الكبير. المترجم

(٢) «حفتيان» هي دريند «هفتيان» الحالية بقرب «رواندز» في تلك البلاد. المؤلف

(٣) قال في دائرة المعارف الإسلامية: إن المراد من الشهرية هم «السورية» (أي السوران أو السهران أو السهرانية المشهورون من الأكراد. المترجم).

(٤) قال في الدائرة: إنها دوبار برازکرد «نهر برازکرد- برازجرد». وقال: إن الرساق تقع في جنوب «شمدينان» الحالية. المؤلف. (وفي المسالك وبيد الزرزارية «ملازکرد» و«الرساق» بقلاعها ومزارعها وضياعها. المترجم).

(٥) في المسالك «زرزاري» كلمة أعجمية معناها ولد الذئب. المترجم

الثلج والبرد هناك في الصيف. وهم يأخذون الخفارة تحته. قال في (مسالك الأبصار):
 وكان لهم أمير جامع لكلمتهم اسمه «نجم الدين باشاك»^(١) ثم تولاهم من بعده «جيده»
 ثم ابنه «عبد الله». قال: وكان لهم أمراء آخرون منهم «الحسام شير الصغير» وابنه
 «باشاك»^(٢) وغيرهم. قال: وينضم إلى الزرزارية شردمة قليلة تسمى باسم قريتها «بالكان»
 نحو ثلاثمائة رجل منفردين بمكان مشرف على «عقبة الحان»^(٣) يأخذون عليها الخفارة،
 ولصاحب «ماذکرد» مكاتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية. ثم قال في (الثقيف):
 وهو «حنش بن إسماعيل».

١٥- جولرك وهو مقام طائفة تسمى الجولركية، وهم قوم نسبوا إلى مكانهم ذلك
 فعرفوا به. ويقال: إنهم طائفة من العرب من بني أمية اعتصموا بهذه الجبال عند غلبة بني
 العباس عليهم. وأقاموا بها بين الأكراد فانخرطوا في سلكهم. قال في (مسالك الأبصار):
 وهم الآن في عدد كثير يزيدون على ثلاثة آلاف، كان ملكهم في أوائل دولة التتر «أسد بن
 مكلان». ثم خلفه ابنه «عماد الدين» ثم ابنه «أسد الدين». وبيلاده معدن الزرنيخين الأحمر
 والأصفر. ومنها ينتقل إلى سائر الأقطار. قال: وكان قد ظهر عنده معدن لازورد فأخفاه
 لئلا يسمع به ملوك التتر فيطلبونه. ومعه من أمنع المعازل، على جبل مقطوع بذاته،
 والزاب الكبير محدد به لا محط للجيش عليه، ولا وصول للسهم إليه. وسطحه متسع
 للزراعة. وفي كل ضلع من أضلاعه كهف مرتفع يأوي إليه من أراد الامتناع، وأعلاه
 مغمور بالثلج. والصعود إليه في بعض الطريق يستدعي العبور على أوتاد مضروبة، ومن
 لا يستطيع التسلق جر بالأحبال، وكذلك بغال الطواحين. وملكهم معتمد عند الأكراد
 وهو يأخذ الخفارة من جميع الطرقات من «تبريز» إلى «خوى» و«نقجوان» وهذا هو المعبر

(١) في المسالك «ماساك».

(٢) وفيه «باساك بن الحسام شير الكبير». المترجم

(٣) أي عقبة الخان، الظاهر أنها دربند «رواندز» الشهير. المؤلف

عنه في (التعريف) وغيره من الدساتير في المكاتبات بصاحب جولمرك، وهو يكاتب من الأبواب السلطانية بالديار المصرية.

١٦- بلاد مركوان^(١)، على القرب من الجولمركية، كثيرة الثلوج والأمطار بلاد زرع وضرع- وهي متاخمة لأرمية من بلاد أذربيجان، وبها طائفة من الأكراد تبلغ عدتهم ثلاثة آلاف، وهم أحلاف للجولمركية.

١٧- بلاد كوردات^(٢)، وهي بلاد مجاورة لبلاد الجولمركية من جهة بلاد الروم. وهي بلاد خصبة وبها طائفة من الأكراد ينتسبون إليها إلى قبيلة، وعدتهم نحو ثلاثة آلاف ولهم أمير يخصصهم.

١٨- بلاد الدينار^(٣) وهي بلاد تلي بلاد الجولمركية وبها طائفة من الأكراد يقال لهم الدينارية نسبة إلى بلدتهم. وعددهم نحو خمسمائة ولهم سوق وبلد وكان لهم أميران أحدهما الأمير إبراهيم ابن الأمير محمد، كان له وجه عند الخلفاء. والثاني الشهاب بن بدر الدين، توفي أبوه وخلفه كبيرًا. فخلفه في إمرته. وكان بينهم وبين المازنجانية حروب.

١٩- بلاد العمادية، وقلعة هارون^(٤)، وهي بالقرب من بلاد الجولمركية. وبها طائفة منهم يقال لهم «الهكارية» يزيد عددهم على أربعة آلاف مقاتل، ولهم إمارة تخصهم. قال في

(١) وفي المسالك «مركوار». يدل على صحة هذا، السجع بالأقطار. وهي بلدة «مركوه ر» أخت «تركوه ر». المترجم

(٢) قال في الدائرة: إنها بلاد «كور- كه ور- جور» المعروفة. المؤلف (وفي المسالك: «ويجاور الجولمركية (جولمركية) من قبل بلاد الروم (أعني الغرب) جبال وبلاد يقال لها «كوار»، ذات سعة وإمكان، ومرعى للحيوان». ولكن السجع يقتضي أن يكون «كوان- كاوان» لا كوار ولا كوردات ويجوز أن يكون «كوردان». المترجم).

(٣) قال في الدائرة: إنها بلاد «زيباري» الحالية. المؤلف (وفي المسالك ويلي الجولمركية «عقرشوش» وبلاد العمادة «آماده» وبلاد الزيبار وبلاد الهكار. أما الزيبارية... المترجم).

(٤) وفي المسالك «هرور» كما في ابن الأثير أيضا. المترجم

(مسالك الأبصار): وهم يأخذون الخفارة في أماكن كثيرة من بخارى إلى بلدة الجزيرة. وصاحب هارون ي كاتب عن الأبواب السلطانية بالديارية المصرية.

٢٠- القمرانية، وكهف داود -وبها طائفة منهم يقال لهم التنبكية^(١) قال في (مسالك الأبصار): وقليل ما هم لكنهم حماة رماة، وطعامهم مبذول على خصاصة.

واعلم أنه بعد أن ذكر في (مسالك الأبصار) ما تقدم ذكره عقب ذلك بذكر جماعة من الأكراد تفرقوا في الأقطار بعد اجتماع، منهم «التحتية»^(٢) وهم قوم كانوا يضاهون الحميدية، كان لهم أعيان وأمراء وأكابر، فهلك أمراؤهم، ونسيت كبرائهم، ولم يبق منهم إلا شزيمة قليلة، تفرقت بين القبائل والشعوب. ثم قال: وشعبهم كثيرة منهم «السندية» وهم أكثر شعبهم عددًا وأوفرهم مددًا، كانوا يبلغون ثلاثين ألف مقاتل. ومنهم المحمدية. وكان لهم أمير لا يزيد جمعه على ستمائة رجل ومنهم «الراسنة»^(٣) كانوا أوفى عدة وعدد، وجمع ومدد. ثم تشتت شملهم وتفرق جمعهم، وعادت عدتهم في بلد الموصل لا تزيد على ألف رجل، وكان لهم أمير يقال له «علاء الدين كورك إبراهيم» في بلدة العقر، ولا ينقص عن خمسمائة ومنهم الدينكية^(٤) وهم متفرقون في البلاد لا يزيد عددهم على ألف رجل.

(١) قال في الدائرة، لعلها «بستيكي» بين جبال الأرمن وكهف داود. المؤلف

(٢) تصحيف الـ«بختية» العرب من «بختان». المترجم

(٣) قال في الدائرة: إنها عشيرة «داسني» ورئيسها يدعى بدر الدين. المؤلف وفي المسالك «الراسنية». ولا شك في أنها مصحفة من «الداسنية». قال في معجم البلدان (ج ٢، ص ٥٣٨): «داسن» جبل عظيم بشمال الموصل من جانب دجلة الشرقي فيه خلق كثير من طوائف الأكراد يقال لهم الداسنية. المترجم.

(٤) وفي المسالك «الدنبلية» قوم يسكنون «جبال المقلوب والمختار» وهذا هو الصحيح والدنبلية والدنابل جمع دنبلي ودنبل. قال في القاموس: «الدنبل كقنفذ جيل من الأكراد، منهم المحدثان....» وهم الذين يقال لهم الآن «زازا- ظاذا» وهذا اسم يطلقه عليهم الأجانب وأما هم فيطلقون على أنفسهم «دوملي - دنبلي». المترجم

قلت: وقد ذكر في (التثقيف)^(١) عدة أماكن من بلاد وقلاع يكتتب أصحابها من الأكراد سوى من تقدم ذكره وهي خمسة وعشرون موضعا:

- ١- برجو. ٢- البهلثية. ٣- كرم ليس. ٤- اندشت. ٥- حردقيل. ٦- سكراك.
- ٧- قبليس. ٨- جرموك. ٩- شنكوس. ١٠- بهرمان. ١١- حصن أران. وهو حصن الملك. ١٢- ١٣- سونج. ١٤- اكريسا. ١٥- بزارکرد. ١٦- الزاب. ١٧- زيتيه.
- ١٨- دربندات العرابلية. ١٩- قلعة الجبلين. ٢٠- سيد كان. ٢١- صاحب رمادان.
- ٢٢- الشعبانية. ٢٣- نمرية. ٢٤- المحمدية. ٢٥- كزليك». ويقول في (التثقيف): إن أسماء المناطق والعشائر الكردية السالفة الذكر مستقاة من الوثائق الرسمية للحكومة المصرية في ذاك العهد».

هذا وإن كل هذه المعلومات خاصة بكردستان الأوسط فقط، بل أنها تشتمل على كل ما يحتويه من المناطق والعشائر الكردية. ويا حبذا لو كان هذا الفاضل أو غيره من علماء ذلك العهد، أتحننا بمثل هذه المعلومات القيمة عن سائر الأقطار الكردية في الأقاليم الإسلامية الأخرى.

ورد في (دائرة المعارف الإسلامية) في مادة «كرد» في مبحث العشائر الكردية بشرفي إيران، أنه كان يوجد في ولاية «قره باغ» بالقوقاس، أربع وعشرون عشيرة كردية يبلغ عدد نفوسها (٣٠.٠٠٠) نسمة، وفضلا عن هذا كانت تسكن في «خراسان» عشيرتا الـ«كل» والـ«زنكه»، كما أن عشيرة «جيكان» الكردية، كانت قد نزحت إلى كردستان وأقامت بها.

(١) كتاب على شاكلة (التعريف) و(صبح الأعشى) ألفه من يدعى «تقي الدين» سنة (١٣٤٧هـ/ ١٧٤٨م). المؤلف. (قال في صبح الأعشى (ص ٢٠٨، ج ٤) ذكر القاضي تقي الدين ابن ناظر الجيش في عهد الظاهر برقوق في كتابه التثقيف.... المترجم).

ويذكر «ابن خلدون» في كتابه (تاريخ البربر)^(١) سكنى عشيرتي «لاوين» و«بادين» الكرديتين في بلاد الجزائر. والظاهر أن هاتين العشيرتين نزحتا من بلاد «شهرزور» إلى «الجزائر» خلال غارات المغول على البلاد الإسلامية.

(١) يقصد تاريخه الشهير المسمى (ديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر). المترجم

لاحقة

يذكر الميجر «راولنسون» الذي تعرض لذكر العشائر الكردية بقضائي «أوشنو» و«رواندز» أثناء دراسته القيمة لعاصمة «ميديه» القديمة في رحلته القيمة ص (٣٣) سنة (١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م) أن عشيرة «بلباس» بمنطقة «أوشنو- رواندز- رانية» تنقسم إلى ثلاثة أقسام كبيرة «بيران، منكور مامش» ثم يذكر فروع هذه الأقسام كما يأتي:

«بيران» موخانه، برجم، صوريك، يوسف خليكه، سبره ما، ستا، وستابيره، ورمزيار، نانه كالي، حسن أغايي، مه مندشينه، باوه.

«منكور»- قادرويسي، زوري، باسكه يي، بابارشو، مرنه كنه.

«مامش»- حمزة أغايي، مربوك، جوخور، بلاوند، مر بابكره، فقي وثمانه سين، بانيك.

ويقول المستشرق المذكور نفسه في صدد عشائر «رواندز»: «كانت الايلات الواقعة بين أوشنو والزاب الصغير في عهد محمد باشا آخر أمير لرواندز، خاضعة لهذا الأمير الذي كان هو نفسه من عشيرة السوران. وهذه العشيرة النجبية ذات المكانة التاريخية، قد استولت على هذه المنطقة «رواندز» بقيادة رؤسائها الماهرين، منذ بضعة قرون، ويقدر عدد أسرها في الأصل بـ (٨٠٠) أسرة. وكانت هذه العشيرة موضع احترام وتبجيل عشائر أخرى، لكونها مصدر الأسرة الحاكمة، وقيامها بالمحافظة على هذه الجهات ضد الإيرانيين والترك، منذ عصور طويلة، هذا وتكاد أكثر سكان منطقة «رواندز» تكون منتمية لعشيرة

«رواندى»^(١) أو «رواندز» ويبلغ عدد أسر عشيرة «رواندز» الكبيرة هذه (١٢٠٠) أسرة وكلها خاضعة لأمر السهران - السوران.

هذا وكانت قلعة «روان» أو «رواندز»^(٢) طول مدة الإمارة السهرانية ملجأ حصيناً لها. إلا أن مركز الإمارة كان غالباً في «شاكاباد»^(٣) و«حرير» أيضاً. أما قلعة «رواندز» فقد اتخذت عاصمة ومركزاً للإمارة في عهد آخر أمير من أمراء السوران^(٤) فهذه المدينة الصغيرة تضم بين جوانبها الأربعة ألفي بيت من السكان. وتقع في وسط السهول الكائنة بين «ميديا» و«اشوريا» وتحتوي منطقة «سيدك - سيدكان» الجبلية على أربعين قرية صغيرة يقرب عدد بيوتها من الألف تنتسب سكانها إلى عشائر «رواندك بيره سويى، بالكى، ريسورى، شيروانى».

وتقيم عشيرة «برادوست» ذات المكانة التاريخية، في ناحية «كانى رش» الكائنة بجبال «أوشنو» وكانت إمارتا «صوماى» و«تركور» في أيدي هذه العشيرة التي هي الآن في غاية

(١) يحتمل أن تكون هذه العشيرة إحدى بطون عشيرة «الروادى» الشهيرة في التاريخ وكانت في الأصل مقيمة في أذربيجان حيث أسست فيها الحكومة الروادية وانجبت قائداً كصلاح الدين وأهدته إلى الإسلام. المؤلف

(٢) لفظ «دز» في اللغة الفارسية القديمة معناه القلعة. وكانت قلعة «رواندز» هذه لغاية سنة (١٢٠٧م) يذكرها المؤرخون السريان بأنهم من أحصن قلاع تلك الجهات. «راولنسون». المترجم

(٣) إن «شاكاباد» هذه التي ذكرها راولنسون يحتمل أن تكون هي القرية التي أنشأها وسماها باسمه «شاه قلى بك ابن شاه علي بك» أمير السهران في عهد السلطان سليمان القانوني. إذا سماها «شاه قلى آوا - شاه قلى آباد» وعلى مدى الأيام حرفته العوام فصار «شاقلاوا - شقلاباد». وفي الواقع أن (شرفنامه) لما تعرض لتاريخ «شاه علي بك والد شاه قلى بك» قال: إنه كان حاكم «شق آباد - شفا آباد» فليس من البعيد أن ابنه «شاه قلى بك» جدد هذه القرية فسامها «شاه قلى آباد». المؤلف

(٤) إن مسموعات «راولنسون» هذه غير صحيحة. فمركز الإمارة نقله علي بك أمير السهران سنة (١١٩٢هـ / ١٧٧٨م) من «حرير» إلى «كاليغان» كما أن ابنه «اوغوز بك» نقل المركز سنة (١٢٠١هـ / ١٧٨٧م) إلى «رواندز» (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان: ج ٢، ص ٣٩٩-٤٠٠) المؤلف.

من الضعف وقلة الشأن. حيث لا يزيد عدد قراها عن نحو (١٠٠) قرية يسكنها بضع مئات من الأسر والبيوت.

وأقوى العشائر في هذه الجهات هي عشيرة «بالكي» حيث يبلغ عدد بيوتها وأسرها عشرة آلاف بيت. ومنازل هذه العشيرة منطقة جبلية في غاية من الوعورة لأنها تقع فيما وراء جبل «قنديليان» وفي حدود «أوشنو» و«لاهيجان» مركزها بلدة «رايت». فكان أمير السهران أخضع هذه الجهات أيضا لأمره وكان يأخذ من كل بيت شخصا فيلحقه جنديا بجيشه. ومن يوم انقراض إمارة السهران بقيت هذه العشيرة مستقلة في حالها. ورئيسها الحالي يدعى «عزيز بك».

تنقسم عشيرة الراوندى بمنطقة «رواندز» إلى اثني عشرة قسما: «مام كرد، مام سال، مام سيل، مام خال، مام بال، مام ليس، ماموي، ممكه كال، مامسكى بيربال، كه لو، مامه سام» واختلطت بهذه الأقسام فرق من عشائر غير راوندية وهي كما يأتي: شيوخاب، مالياس، نورك، هناره يى، خيلانى، كاسان، شيخ محمودى، بامامى، دريجمكى، سى كويى، هيربويى، شيكولى، مندليك، بيراجى، بيمار.

٣- العشائر الكردية قبل الحرب العامة (١٩١٤-١٩١٨)

ذكر كل من السير مارك سايكس والميجر سون معلومات قيمة عن العشائر الكردية في هذا العهد. ولكن السير مارك سايكس اقتصر في مباحثه على العشائر الكردية التي في البلاد العثمانية البائدة، ولم يتعد في بحثه الحدود الإيرانية. بخلاف الميجر سون الذي درس أحوال كردستان الأوسط في كلا طرفي الحدود الإيرانية العثمانية دراسة عميقة تكاد تكون مستوفاة ومع ذلك فإن أبحاث ودراسات هذين الفاضلين لا تعطينا معلومات تامة عن الأكراد البعيدين عن المراكز والعواصم. فاضطرت لأن أرجع إلى مؤلفات ومصادر أخرى. وقمت بأبحاث وتحقيقات حول هذا الموضوع حتى أكملت بعض النقص.

ذكر السير مارك سيكس في مبحث «العشائر» تفاصيل أحوال العشائر الكردية في تركيا، حيث قسمها باعتبار الإقامة والترحل وغيرهما من الاعتبارات الاجتماعية إلى ستة أقسام ورمز لها بـ (A.B.C.D.E.F).

ويذكر في المقدمة العشائر النصرانية فيقول يرى البعض أن هذه العشائر في الأصل كردية بحتة. ويرى الآخرون خلاف ذلك ولكنني أعتقد أنها هاجرت في وقت ما من الموصل والعراق إلى ما بين أكراد «هكاري» واندجت فيهم اندماجا كلياً.

ويمكن تقسيم الشعب الكردي نفسه إلى ثلاثة أقسام أساسية من هذه الوجهة أيضاً.

١ - الشبهون بالرحل في جنوبي كردستان.

عشائر هذا القسم من جهة السجاياء والعادات والتقاليد متقاربة جداً، وأراضيهم خصبة، غير أنهم لا يزرعون إلا على قدر الحاجة المحلية، ويشغلون غالباً للغير بالفلاحة والزراعة وأعمال النقل.

ولهم براعة في الحدادة، ونسج الإكلمة والسجاد والمناديل وهم بالنسبة لسائر الأكراد مشهورون بالرفي والتقدم وبانتشار التعليم فيهم، ومعروفون بالذكاء والجد وحسن الاستعداد للأعمال. ويعيشون تحت سيادة وسيطرة رؤسائهم وزعمائهم الوارثين لها كابراً عن كابر، وهم على غاية من الشجاعة والإقدام فالأكراد الذين عرفوا بالبابانيين لا شك أنهم فرسان بارعون ومقاتلون ماهرون مسلحون بالبنادق، ولهم سجاياء عالية وصفات ممتازة في الإقدام والفروسية.

فأعتقد أن الجيش السواري الكبير الذي كان يستخدمه «البرثيون - الاشكانيون» كان مؤلفاً من هؤلاء الكرد البابانيين البواسل. والعظيم الذي هو مثال الإقدام والشجاعة ويقدمونه تقديساً كبيراً، هو سيف الله المسلول «خالد بن الوليد» إذ يعظمونه جداً

ويزعمون ^(١) أنه هو الذي أدخلهم في الإسلام ولا غرو فإن عشائر هذا القسم جميعًا سنيون.

ومن أول أكتوبر لغاية فبراير من كل سنة يقيمون في قراهم، وابتداء من مارس يخرجون إلى الخيام (بيوت الشعر) والبعض منهم يصل في رحلتهم هذه حتى أراضي «وزنه» ^(٢) وكثير من زعماء عشائر هذا القسم له صلات صداقة ومصاهرة بالعرب. ونساؤهم جميلات على غاية من الحرية الطبيعية التي لا تكلف فيها وكثيرات منهن متعلّقات؛ يزاولن الأعمال والمهن مثل الرجال.

٢- العشائر المقيمة والمستقرة في الجبال:

هذا القسم من الأكراد يختلف من كل الوجوه عن القسم الأول. فهم زراع بارعون متفرغون للفلاحة بكليتهم ولهم مهارة تامة في إسالة المياه وتقسيمها حسب المصلحة. ويزرعون أنواع الغلال والحبوب ويتقنون زراعة الدخان وتربيته. ويرجعون في أمورهم الإدارية إلى رئيس العشيرة. وفي أغلب الأحوال يقتتلون. وهم مسلحون بالبندق ولديهم من يتقن إصلاحها. بارعون في الرماية، وفي كل قرية لهم قلعة حصينة يلجأون إليها لدى الحاجة. والحياة المنزلية عندهم مثل القسم الأول تمامًا. ويعيش بينهم بعض من اليهود وهم على صفاء ووئام معهم، ولكن ليس لهم حق حمل السلاح ولا الاشتراك في النزاع العشيري الداخلي، فلا يلتفتون إلا إلى الاشتغال بالتجارة والمكاسب بين العشائر. كما أن العشائر النصرانية المسماة بالنساطرة التي تعيش مع الأكراد خاضعون للأكراد في كل شيء.

(١) الراجح أن وصفهم بالخالدية نشأ من كونهم متحدرين من نسل الشعب «الخلدي - الكلدي» القديم

الذي كان يشغل منطقة «وان» الحالية في القرون الخالية. المؤلف

(٢) هي بلدة في الحدود الإيرانية شرقي «رواندز» داخل إيران. المترجم

٣- العشائر الجبلية الشبيهة بالرحالة:

يشتغل فريق من هذا القسم بالزراعة والفلاحة. وفريق آخر يشتغل بتربية المواشي والأغنام، كما أن فريقاً ثالثاً منهم يقوم بتجارة البغال والبراذين. ملابسه وأزيائهم مثل ملابس القسم الثاني. نزاعون إلى الخصام والقتال. نساؤهم عاملات مجندات يتقن كثيراً من الأعمال المنزلية. دوابهم بغال ذات آذان طوال. وبينهم وبين القسمين الآخرين فرق واضح في الشكل والقيافة والسحن، كما أنهم أكثر شجاعة وإقداماً من القسمين الآخرين. وليسوا مسلحين تسليحاً طيباً، فتقتصم الذخيرة والمهمات وهم أهل فقر وخصاصة. وبالرغم من أن معلوماتهم الدينية والمذهبية ناقصة جداً، فإنهم على وجه العموم مسلمون خالصون.

وصفوة القول أنه يجب أن نعلم أنه يوجد في العراق ببلدة «وزنه» وفي أطراف الموصل أيضاً عشائر كردية رحالة غير أن أهالي الجبال الذين يطلق عليهم اسم «كوجر- سيار» موصوفون بالجهل والتأخر.

منطقة (أ)

تقع هذه المنطقة بين النقاط الآتية: السليمانية- بحيرة أرمية- بحيرة وان- سکرد- دجلة.

وإليك جدولاً بقسم العشائر الكردية في العراق الحالي^(١):

(١) البيانات الخاصة بعشائر لوائي السليمانية وكر كوك، ولواء ديالى مقتبسة من كتاب (معلومات عن عشائر كردستان الجنوبي، بغداد سنة ١٩٣٨) للمجير سون. وما يتعلق بعشائر لواء (أربيل) مأخوذة من كتاب (ستان في كردستان) للكاتبين هي. وما يختص بلواء الموصل مأخوذة من كتاب (مفصل جغرافية العراق) لطف الهاشمي، من كتاب السير ماورك سيكس. المؤلف

الجهة الإدارية	العشيرة	أقسامها	الحالة الاجتماعية وبيانات أخرى
قضاء مندلي	قره ألس	كش كايتون جارماوندى كاكه وند نفتجى كاوسوارى	تبلغ نفوسهم (١٩٧) أسرة وهم مستقرون يسكنون في منطقة «آب نفت» وفي حدود «تنكى سوممار» فهم زراع ورعاة يتكلمون باللهجة الكردية الجنوبية وهم من الشيعه ويظهر أنهم في الأصل من اللور.
قضاء خانقين	سوره ميرى	كلهرى توتيك ماجان أينه أنتارى	يبلغون (٢٢٥) أسرة ويشتغلون بالزراعة وهم مستقرون. والأربعة أقسام منها تسكن في أطراف خانقين. وأما القسم الخامس «أنتارى» ففي ما بين شهربان وأبو جسره.
لواء كركوك وقضاء خانقين	شرفياني	كوره كى أمير خان بكى عزيز بكى كاخار نادرى	يبلغون (٧٠٠) أسرة ويشتغلون بالزراعة وهم نصف سيار وقيمون بين جبال «شوالدز» و«سيران» وفي نواحي «خوراتو»

الحالة الاجتماعية وبيانات أخرى	أقسامها	العشيرة	الجهة الإدارية
و«هورين» و«شيخان» وفي الصيف يطلعون إلى جبل «بامو» والظاهر أنهم من عشيرة الجاف.			
يبلغون (١٣٠٠) أسرة زارعون ومستقرون في نواحي «خورتو» و«هورين» و«شيخان» كما أن أهالي «دركين» و«قصرشيرين» و«قازانية» مندلى» من قسم القزانلو لهجتهم قرية من البهلوية. وينقسم الباجلان إلى خمسة عشر فريقا	جومور قازانلو	باجلان	
يبلغون (٦٠٠) أسرة ويشتغلون بالزراعة وهم مستقرون. أصل منازلهم في جبل «خشك» ونهر كوجه جيان، ويوجد فريق منهم	جامريزي بنجانكشتي كاش كهريزي	دلو	
يبلغ عددهم (١٢٠٠) نسمة في قرية «سركله» وفي ناحية «خانقين» ومذهبهم سني.	تاركوند سليم ويسى		

الجهة الإدارية	العشيرة	أقسامها	الحالة الاجتماعية وبيانات أخرى
	كاخوار		يبلغون (٢٠٠) أسرة وهم زراع ومستقرون في ناحية «قره تبه» ومذهبهم شافعي.
	كزه	سعداله كو خدا بارام سر كالا	يبلغون (٣٠٠) أسرة زراع مستقرون في قرى «سيدالان» «أسكى كبرى» «جنجال».
	بالانى		يبلغون (٣٥٠) أسرة زراع مستقرون فيما بين «زنك آباد» ونهر «قره تبه» شرقي «سيروان» وفريق منهم في «دكه».
	برزنجى		يبلغون (١٥٠٠) نسمة زراع مستقرون في ناحية «خانقين» وهم سنيون جميعاً.
	عمر ميل		يبلغون (١٥٠) أسرة زراع مستقرون فيما بين نواحي «كوجه جيان» و«نالشكان» و«سر كله»
	تيلشانى		يبلغون (٥٠) أسرة زراع مستقرون في «أسكى كبرى» و«زردآو» وهم جميعاً شافعية.

الجهة الإدارية	العشيرة	أقسامها	الحالة الاجتماعية وبيانات أخرى
	زكنه	فارس أغا رستم أغا	يبلغون (٤٥٠) أسرة زراع مستقرون في أطراف «كفرى» و«إبراهيم خانجى» و«سوماك» وفريق منهم بجوار كرمانشاه.
	زنده	محمد صالح أغا عليان طاهر خان غنى	يبلغون (٦٠٠) أسرة زراع مستقرون في طريق «كفرى» و«سيروان» توطنوا هنا بعد زوال حكم «كريم خان الزند» وفريق «عليان» من هذه الفرق سلائل كريم خان مباشرة ومن ذريته.
	داووده		يبلغون (١٠٠٠) أسرة زراع مستقرون في نواحي «ظاوق»، كفرى، كل، زكنه» عشيرة سنية باسلة ذات نشاط باهر.
	ليانى		يبلغون (٥٠٠) أسرة وهم زراع مستقرون في أطراف ليان. وهم سنيون
	طالباني		يبلغون (١٠٥٠) أسرة. زراع مستقرون منتشرون فيما بين كركوك وخانقين. ومسكن

الجهة الإدارية	العشيرة	أقسامها	الحالة الاجتماعية وبيانات أخرى
			الطالبانيين في الأصل قرية «لادی» وهم سنيون.
	جباري		يبلغون (٥٠٠) أسرة زراع مستقرون فيما بين جم جمال وكركوك وشواني خاصة وليلاّن وهم سنيون.
	شوان		يبلغون (٢٠٠٠) أسرة وهم زراع ينقسمون إلى شواني خاصة. وشواني بازياني. ويقيمون بين نهر خاصة ونهر كويه (زاب أصغر) بجوار عشريتي شيخ بزني وبياني وهم سنيون. ويقول الميجر سون: إنهم يبلغون (١٥٠٠٠) نسمة.
	صالحی		يبلغون (٢٠٠) أسرة زراع مستقرون في جهات كركوك وقره حسن وكيل. منهم عشيرة الصالحية بدمشق الشام وهم سنيون.

الجهة الإدارية	العشيرة	أقسامها	الحالة الاجتماعية وبيانات أخرى
	شيخ بزنى		يبلغون (٦٠٠) أسرة زراع مستقرون في الشاطئ الجنوبي لنهر كويه وهم سنيون.
	كاكه بى أو كاغانلو		يبلغون (١٥٠٠) أسرة زراع مستقرون فيما بين «حويجه» ونهر «كويه» بلواء كركوك. وفريق منهم في «خوراتو» و«خانقين».
	بيانى		يبلغون (٤٠٠) أسرة مستقرون في شمال كركوك في قرى خاصة لهم. وفريق منهم من قضاء خانقين.

وعلاوة على ما تقدم تقيم عشيرتا «زركوش» و«خيلانى» في ناحية «قزلرباط» بقضاء «خانقين» وتقيم عشائر «فيلى - ملكشاهى - كوازى» في ناحية خانقين. وتقيم عشائر «كوازى - نيرنجى قادر ميرويس - طائشه يى» في ناحية «خوراتو»

الجهة الإدارية	العشيرة	أقسامها	الحالة الاجتماعية وبيانات أخرى
لواء السليمانية	هاورامى	هاورامى تحت أو هاورامى لوهور	يبلغون (٤٠٠٠) أسرة زراع مستقرون يقيمون في هاورامان الإيراني وهاورامان العراق وهم سنيون متعصبون مقاتلون بارعون. ويبلغ تعدادهم بتقدير الميجر سون (٢٠) ألف نسمة.
	مريوانى		يبلغون (١٢٢٥) أسرة زراع مستقرون في منطقة «مربوان» فريق منهم متوغل في حدود إيران في محاذة «بنجوين» بالعراق. وهم سنيون. يقول الميجر سون: إنهم (١٥) ألف نسمة.
	جنكنى		يبلغون (٣٠٠) أسرة سيارون ويقيمون في الشتاء بقضاء السليمانية وأما في الصيف ففي المراغة وهم سنيون شافعية.

الفریق السیار من	أسرة	الجاف
هذه العشيرة	(٨٠٠) سیارون	هارونی
الكبيرة یقیم فی	(١٥٠٠) سیارون	إسماعیل
المنطقة الشتاء	(٢٠٠٠) سیارون	عزیزی
الممتدة من أعالي	(١٠٠٠) قسم	میکائیل
«خیلان» إلى تجاه	سیارون	رشوبوری
«قزلرباط» طول	(٥٠٠) سیارون	ترخانی
الشاطئ الغربي لنهر	(١٨٠٠) قسم	شاطری
«سیروان». وفي	سیارون	سادانی
الربيع یأتون إلى	(٣٠٠) سیارون	باداغی
«شهرزور»	(٢٥٠) سیارون	باشکی
ویتجهون منها عن	(٣٠٠) سیارون	آمالا
طریق «بنجوين» إلى	(٤٠٠) سیارون	یوسفجانی
البلاد الإيرانية	(٥٠٠) سیارون	نورولی
فینزلون بجوار	(١٥٠) مستقرون	کمالی
«سنه». والسادانی	(٥٠٠) سیارون	یزدان بخشی
والباداغی یذهبون	(٩٠٠) سیارون	تاوکوزی
أحياناً إلى سهل	(٢٠٠) مستقرون	که لالی
«هورین»	(٢٠٠٠) سیارون	بشت ماله
و«شیخان».	(٥٠) سیارون	بی سری
وبالجملة هذه	(٢٠٠) سیارون	یارووسی
العشيرة مدمرة	(٢٠٠) سیارون	شیخ إسماعیل
ونزاعة إلى الحرب	(١٠٠٠) سیارون	عیسای
والضرب. وهم	(٣٠٠) سیارون	صوفیه وند

متحدون فيما بينهم بحيث يكونون جبهة واحدة ضد الحروب الخارجية. ونظرًا لتوالي القتال والحروب مع الغير ونزاعهم الداخلي أحيانًا، انفصلت بعض الفرق منها وصارت فروعاً مستقلة مثل القباد والباباجاني، ولدبكي، أناخي، أمامي، دارواش، دله تازة، ميره بكی، دتیری، نامدار بکی، تایشه، قادر ویسی، نایرزی شرفیانی. وكلهم الآن مستقلون وسنيون ولكنهم غارقون في الجهل والخرافات.	(۶۰) مستقرون			
---	--------------	--	--	--

يبلغون (٢٠٠٠) أسرة. مستقرون. وزعماء هذه العشيرة المعروفون بـ«مير أو دالي» في الأصل من عشائر «مكري» وعدد هذه العشيرة قليل ولكن النواحي الثلاث «ماوت- مركه- قلاذره» بمدنها وقراها تحت تصرفهم وكلهم سنيون.	بابكر أغا عباس محمود أغا	بشدر	
يبلغون (٦٠٠) أسرة سيارون يقيمون صيفاً فيما بين «دونكان» وجبل «طوقما» و«سورداش» وجبل «أشكوت» ثم يرحلون إلى البلاد الإيرانية. وهذه غير إسماعيل عزيزي أحد فروع الجاف.		إسماعيل عزيزي	
يبلغون (١٠٠٠) أسرة وسيارون هذا القسم هو أصل الهماوند. وموطنهم «بازيان» وهي عشيرة باسلة على غاية من الشجاعة والإقدام فكانت إلى الأيام الأخيرة عاصية على الحكومة، كما أن الحكومتين العثمانية والإيرانية السابقتين طالما أفلقت بهما هذه العشيرة حيث عجز المرحوم «مدحت باشا» عن تأديبها. وهم جميعاً سنيون متعصبون قدموا في الأصل من البلاد الإيرانية حوالي سنة (١٧٠٠م) تقريباً (انظر التفاصيل بإسهاب في تاريخ السليمانية).	بكرزاده (جلبي) رشاوند رماوند صفروند سيته بسر	هماوند	

	كافروشى بيريايى صوفيه وند جنكنى	يبلغون (٤٨٠) أسرة. مستقرون وهذا القسم هم السكان الأصليون في قرى الهاوند وتابعون لهم. وهم أيضا سنيون. وأما عشيرة جنكنى هذه فقد سبق ذكرها فليس تعدادها داخلا في تعداد هذا القسم.
لواء أربيل	ديزه يى بيران كونتولا مامان	يبلغون (٦٠٠) أسرة مستقرون في أطراف جبل «قره جوق» و«كنديناو» بقضاء «مخمور» من لواء أربل. أراضيهم خصبة جدًا وهم في عيش رغد ورفاه دائم. امتدوا لغاية دجلة حيث اضطروا العشائر العربية لاجتياز النهر إلى الغرب وهم في غاية من النشاط والاجتهاد.
كردى ^(١)		يبلغون (٦٠٠) أسرة. وهم نصف سيار بشمالي أربل. ومنهم فريق في كويسنحق. وفي الصيف يذهبون إلى «وزنه» وهم عشيرة كبيرة لهم في شمال «أربل» خمس عشرة قرية.

(١) يبالغ السير مارك سيكس في تعدد أسر هذه العشيرة، في حين أن الكابتن «هى» يقول ان لهم خمس عشرة قرية في قضاء «أربل» عدا فريق منهم في قضاء «كويه- كويسنحق». فعلى هذا يكون عدد أسرهم في الظاهر (٦٠٠). المؤلف

كورأ		مستقرة في بضع قرى بغري بلدة «شقلاوه».
خوشناو		يبلغون (٢٠٠٠) أسرة وهم يشتغلون بالزراعة مستقرون ويقطنون في مائة قرية بناحية «شقلاوه» يبلغ تعدادهم عشرة آلاف نسمة. وفروع منها تسكن منطقة «كوى» و«رانيه».
بيران		يبلغون (٦٠٠) أسرة وهي من عشيرة «رانيه» تسكن في شمالي هذه البلدة وهي داخلية في قبيلة «بلباس». وبالرغم من صغرها فهي عشيرة باسلة وشجاعة (يوجد فريق منها بهذا الاسم: دزه بيش. المؤلف).
آكو		يبلغون (١٠٠٠) أسرة مستقرون ويسكنون شمالي «رانيه» وهم عدة فرق وتوجد أربعون أو خمسون قرية لهم في جبال «رانيه» الشمالية وفي جهة «دزه».
زارارى		يبلغون (٣٠٠؟) أسرة مستقرون في شمال باستوره جمای في اثني عشرة قرية.

سورجی	يبلغون (٣٠٠٠؟) أسرة مستقرون ومنتشرون فيما بين الشاطئ الشمالي لنهر الزاب الصغير و«رواندز» ولهم خمسون قرية. ومعهم فريق من عشيرة المامه كاني.
بالك	يبلغون (١٢٠٠؟) أسرة مستقرون في شمال نهر «رواندز» في ستين قرية.
شيران وبرادوست	يبلغون (١٥٠٠؟) أسرة مستقرون في أقصى حدود قضاء «رواندز». هذا وأن «شيران» أقوى من «برادوست» إلا أن تعدادهما معًا لا يزيد عن ثمانية آلاف ^(١) .
هرکی	يبلغون (٥٠٠٠؟) أسرة. وهي عشيرة قوية جدًا يسكن قسم منها في جبال الحدود، وقسم آخر في أطراف «عقره». وثمانية آلاف منها في منطقة «رواندز» بباستور جهای ويبلغ تعدادها العام عشرين ألفا من النسمة. هذا وقسم منها في أرضروم وآخر في «وان». (السير مارك سيكس).
خيلاني	يبلغون (٢٠٠؟) أسرة وهم مستقرون في الجبال التي بشمال «بالك». ومنهم فريق في أطراف «أربل» يبلغ تعدادهم ألف نسمة.
بولی	يبلغون (١٥٠) أسرة في جنوبي «بالك» وفي الشتاء يذهبون إلى قضاء الكوي. تعدادهم

(١) يقول السير مارك سيكس: إن تعدادها يبلغ ثلاثة آلاف وثلثمائة أسرة خلافا للكاتبين هي. المؤلف

أقل من الخيلاني.			
يبلغون (٧٠٠) أسرة مستقرون في شمال نهر الكاره (يصب في الزاب الأكبر) يشتغلون بالزراعة والتجارة.		بروائ بالا	
يبلغون (١٠٠٠) أسرة مستقرون في جنوبي النهر المذكور. يشتغلون بالزراعة وتربية المواشي.		بروائ زير	لواء الموصل
يبلغون (٢٧٥٠) أسرة مستقرون شمال الزاب الكبير وفي قضاء «زيبار» سميت منطقتهم باسم عشيرتهم. يشتغلون بالزراعة وغرس الكروم وتربية الدخان ويخضعون لإمارة شيخ البرزان. وهم قوم متعصبون وفي غاية من الإقدام والشجاعة.		بارزان	
يبلغ تعدادها (١٢٠٠؟) أسرة وتسكن بين العقرة والزاب الكبير وفي أطراف «بیره كبره» تشتغل بالفلاحة، وغرس الكروم.		زيبارى ^(١)	
يبلغون (١٢٠٠؟) أسرة في قضاء «دهوك» مشغلة بالزراعة وغرس الكروم		دوسكى	
يبلغون (١٧٠٠) أسرة. مستقرون ويشغلون ناحية بأكملها بقضاء دهوك ويقومون بالزراعة وغرس الكروم فهي عشيرة قديمة جدًا. وعلى رأي السر أولمستيد		مزورى (ميسورى)	

(١) يقول السير مارك سيكس: إن تعدادهم يبلغ ألفي أسرة. المؤلف

هي متحدرة من سلالة «ميسورى- ميسرى» الذين كانوا موجودين في عهد الآشوريين.			
يبلغون (٤٠٠٠) أسرة وهم قسمان كبيران يتفرعان إلى فرق عديدة. فقسم منهم نصف مستقر حيث يمضون الشتاء في أطراف «آلقوشى» و«زاخو» و«دهوك» وفي الصيف يذهبون إلى الجبال في تركيا. والقسم الآخر بقوا في تركيا في جهات «بيت الشباب» و«خوشاب» و«شتاخ» والظاهر أن عدد الذين بقوا في العراق منهم أربعة آلاف أسرة.	آرتوشى		
يبلغون (٢٠٠٠) أسرة ومستقرون يقطنون فيما بين نهري الهيزل والخابور وفيهم بعض من النساطرة.	سندى وكلى		
يبلغون (٩٠٠) أسرة ومستقرون وهذه العشائر تكون إحدى النواحي التابعة للواء الموصل فيما بين الزاب الكبير ونهر الكارة. ويشغلون بالزراعة.	عشائر سبعة		

وإذا ضمنا إلى هذا العشائر الكردية العراقية المذكورة على صفحات أخرى من هذا الكتاب، فقد يبلغ تعداد العشائر الكردية في العراق كله زهاء اثنتين وسبعين ألف أسرة. كما أن السير مارك سيكس صاحب كتاب (تراث الخلفاء الأخير) ذكر من ضمن عشائر الموصل العشائر الكردية الآتية: مندان، زيرهاى، هاجى، نبروا، ركان، حسينية، جلالى

(بجوار العمادية)، درة، كوهان. كما ذكر ضمن العشائر اليزيدية، شيخان، رشكان هاورى (بجوار زاخو) حيث يبلغ تعداد مجموع هذه العشائر كلها أكثر من عشرة آلاف أسرة. وإليك جدولاً بعشائر البلاد الأخرى:

العشيرة	الحالة الاجتماعية وبيانات أخرى
سيرتى	يبلغون (٧٠) أسرة سيارون ويسكنون في شمال «زاخو» وأحوالهم مجهولة.
ميران ^(١)	يبلغون (٨٠٠٠) أسرة. سيارون يسكنون في الشتاء فيما بين الجزيرة وتل رميلان. وفي الصيف يرحلون إلى سعرد. يشتغلون بتربية المواشي. وهم محاربون وفي غاية من الشجاعة.
كوبان	يبلغون (٢١٠٠) أسرة مستقرون ونصف سيار. عشيرة باسلة ومحاربة بينهما عدد من الزازا وهم عدة فرق. لا يفتأون يقاتلون عشيرة ميران، وشرناخلي، وفرقة من هذه العشيرة تقيم بشرناخ.
حسينيه	يبلغون (٥٠٠) أسرة. وهي عشيرة تسكن شمالي جزيرة ابن عمر. ولا نعلم هل لها علاقة بعشيرة الحسينية التي تسكن غربي زاخو، أم لا؟
داخوري	عشيرة مستقرة على مقربة من «شرناخ» ويظهر أنها فرع من كويان.
شيربكي	يبلغون (٢٠٠) أسرة مستقرة وهي عشيرة غنية يظهر أنها فرع من زيريكاني.
باليان	يبلغون (٧٠) أسرة نصف سيارة. وهي عشيرة ذات خصاصة وفقرة على مقربة من «خوى».
أيرو	يبلغون (١٠٠٠) أسرة بشمالي باليان.
أنهانيكان	يبلغون (٥٠٠٠) أسرة وهي سيارة وغنية جداً تسكن غالباً في ريند

(١) هذا على رأى كتاب (مفصل جغرافية العراق)، ولكن السير مارك سيكس يقول: إن عدد أسرهم ألف. المؤلف

العشيرة	الحالة الاجتماعية وبيانات أخرى
	بدليس، وعلى مقربة من بوتان، حيث ينتقلون منه في الصيف إلى سهل «موش» الشهير.
سايفكان	يبلغون (٩٠٠) أسرة وهي سياة تشتغل بالزراعة وترحل في الصيف إلى سهل موش.
كيجيان	يبلغون (١٥٠) أسرة وهي سيارة.
دودري	يبلغون (٤٠٠) أسرة سيارة تمضي الصيف في جنوبي بحيرة «وان».
آليكانلي	يبلغون (١٥٠) أسرة سيارة.
هلاجي	يبلغون (٩٠٠) أسرة مستقرة بجنوبي بحيرة «وان» وفيهم عدد من الترك والأرمن.
تايان	يبلغون (٣٠٠) أسرة سيارة بجنوبي «وان» وليس لهم شهرة حسنة.
حوتان	يبلغون (٣٠٠) أسرة مستقرة بقضاء بوتان.
ككان	بجوار جولريك
بليكار	يبلغون (١٨٠) أسرة نصف سيارة بشالي جولريك.
خاني	يبلغون (١٨٠) أسرة مستقرون بجوار خوشاب.
تاكولي	يبلغون (٤٥٠) أسرة مستقرون ويظهر أنها فرقة من «زِيلانلي» وأنها من مدة مائة وخمس عشرة سنة فقط قدمت من جهة أرضروم إلى شرقي وان على الحدود.
شكاك	يبلغون (٦٠٠) أسرة سيارة عشيرة شهيرة تقطن ثلاثة شهور في بيوت الشعر موطنهم غربي «أرمية» على الحدود. وكان إسماعيل أغا المعروف بسمكو رئيس هذه العشيرة. وفروعها شكفتي، موكري، شوه لي، بوتان، شكاك.
زرزان	يبلغون (١٠٠) أسرة بشري «أرمية».
بنيانشلي	يبلغون (١٢٠) أسرة مستقرون. منها طائفة سيارة وهي عشيرة

العشيرة	الحالة الاجتماعية وبيانات أخرى
	كبيرة ذات فرق عديدة وهي كما يأتي: زيدان، باركشان، كناربروش، سوره تاوان، بيليجان، جلي، كرجي، شويلان موسانان بنيانش صغير. وهي في الحدود وبشرقي «أرمية».
كيوران	عشيرة صغيرة بناحية «كوه ر».
شمسيكي	يبلغون (٩٠٠) أسرة على مقربة من «ديزه».
آرتوشي ^(١)	يبلغون (٧٠٠٠) أسرة وهي عشيرة كبيرة. وفرق القسم الذي في العراق من هذه العشيرة هي: عز الدينان، مرزكي (٩٠٠ أسرة)، مامه ره ش (٢٠٠٠ أسرة وهم يزیدون)، مامه ند (٢٠٠٠ أسرة ومستقرون) آلان، بروز (٦٠ أسرة زراع الدخان)، جيريكي، شيدان، ماخور (٤٠٠ أسرة) خاويستان، شرفان (٣٠٠٠ أسرة وهي فرقة قوية وسيارة ترحل في الربيع إلى جنوبي العقرة)، مامه دان (٢٠٠ أسرة ومستقرة ترحل أحياناً لغاية جبل «به يخه ي» بجوار زاخو) كاودان (٣٠٠ أسرة سيارة ترحل ربيعاً إلى جوار «زاخو») زیده ك، زفكي (١٥٠ أسرة)، هافيجان (٥٠٠ أسرة سيارة تسكن بجهات بيت الشباب وخوشاب وشتاك.

منطقة (B):

تختلف عشائر هذه المنطقة عن عشائر المناطق الأخرى اختلافاً بيناً والخط الذي يفصل هذه المنطقة عن المناطق الأخرى كما يأتي: دربند بدليس - دجلة - جبال طورس الشرقية. وهذا الخط يفصل الحوض الأعلى لنهر الفرات عن جبال درسم وعن منطقة (E).

(١) يقال: إن أربعة آلاف أسرة منهم فقط بالعراق والباقي هنا. المؤلف

العشيرة	الحالة الاجتماعية وبيانات أخرى
موشيك	تسكن فيما بين «سعد» و«ديار بكر» على شاطئ دجلة. وليس لدينا معلومات عن تعدادها وتوجد في هذا الاسم قرية في «موتيكان» ويحتمل أن هذه العشيرة سلائل الموشكيين الذين كانوا في عهد الآشوريين.
نجينان	يبلغون (٩٠٠) أسرة وهي عشيرة باسلة تحب القتال والإغارات. ويقال إن فيهم عددًا من الأسر اليزيدية، تقطن بشمالى مدينة «أسعد».
بوران	يبلغون (٢٠٠) أسرة نصف سيارة. تقطن فيما بين «ديار بكر» و«موش» وهي تشتغل بالزراعة وتربية المواشي.
شيخ دودانلى	يبلغون (٢٠٠) أسرة يقيمون شرقي ديار بكر.
بيكران	يبلغون (٥٠٠) أسرة سيارة تسكن في الشتاء على مقربة من ديار بكر وفي الصيف ترحل إلى أطراف «سعد» وتزعم الأرمن أنها من أحفاد «بغراتونيان» القديمة. ويوجد في هذا الاسم طائفة من الناس بين اليزيدية بسنجار، حيث يقول اليزيديون أنفسهم إن جدودهم الأولين قدموا إلى سنجان من شمال «دجلة».
رشكوتانلى	يبلغون (٥٠٠) أسرة سيارة في شرقي «ديار بكر» ويوجد اسم مشابه لهذا الاسم مثل «رشدينان» في التاريخ الأرمني.
بشیری	مستقرة بين ديار بكر وميفارقين وسعد (الآن اسم بلدة لا اسم عشيرة. المترجم).
تيريكان (تيركان)	يبلغون (٦٥٠) أسرة مستقرون بشمالى «ديار بكر» ينسجون شيلانًا قيمة. وهم أصحاب البدن وأغنياء يوجد بينهم عدد من الأرمن يعدون أنفسهم أكرادًا ويرفضون أن يقال عنهم أنهم «أرمن».
كوزليجان	عشيرة صغيرة يظهر أنها قادمة في الأصل من «درسم».

يقطنون جميعاً فيما بين بدليس وديار بكر.	أسرة ؟	زه كرمی
	؟	موسي
	٤٠٠	سارمی
	١٠٠	جلالی
	٥٠	خازالی
	؟	به دری
	؟	ملاشیكو
	١٨٠	بوزيكان
	١٨٠	كوريان
هذا اسم لجلل مستطيل في شمالي بدليس، سكانه أكراد يدعون بهذا الاسم عينه، ويظهر أن القسم الكبير من هؤلاء الناس من طائفة الظاظا، وينقسم الجميع إلى الفرق الآتية: كيوران، بوبانلي، كوسون، روجابه (هذه الفرق الأربع من صنف الظاظا)، زيدان، أريكي، بير موسى (هذه الفرق الثلاثة أكراد) وأقدم هذه الفرق كلها هي فرقة بوبانلي.		موده كى أو موتكيان
يبلغون (٤٥٠) أسرة يقيمون في غربي «موش». قسم منهم يتكلم الكرمانجية فقط.		بنيجاري
الظاهر أنهم من الظاظا، وهم على نهر «مراد» غربي «موش».		سليوان
يبلغون (١٠٠٠) أسرة ليسوا بعشيرة رحالة، بل هم سكان قرى شرقي خربوط (أي حتى ديار بكر، والأظهر أنهم جيل من الأكراد يطلقون على أنفسهم اسم «دوملى - دنبلى» وهم في حاجة إلى دراسة خاصة من كل الوجوه. المترجم).		زازا - ظاظا
يبلغون (٦٠٠) أسرة فرع من الزازا يسكنون جبال «وه شين».		كه داك

آشمیشارت	ییلغون (٥٠٠) أسرة من الزاز الشیعة یسكنون أطراف بلدة خربوط
كلین	؟ من الزازا یسكنون جنوبی «خربوط».
کوروس	؟ مجاورة لكلین السابق الذکر.
سنیان	؟ من الزاز بغربی «خربوط».
ئه لیان	سیارة، وغیر معلوم هل هی زازا أم کرمانج. وهی بجنوبی «خربوط».
بهیرماز	ییلغون (٥٠٠) أسرة. من الزازا الشیعة بأطراف «خربوط».
دیر سملی أو دیر سملی	اسم عام لسكان جبال «درسم» یعتقدون كلهم مذهب «علی إلهی» وهم شیعة متغالون. ولهم لهجة خاصة بهم قریبة من لسان الزازا یتكون قراهم فی الصیف ویرحلون إلى الجبال الشالیة. وهاك فرق وأقسام الدرسمیین: میلان: هو أصل عشیره «مللی» الشهیره وللاّن بینهما صلات وثیقة من التزاور وغیره. كه جه ل: ألف أسرة تقیم بجوار بلدة «بالو». شواك: عشیره مستقرة. وهی سنیة. فرهاد أو شاغی: فی جهة «سوربنیكان» وفریق منهم کرمانج بختیارلی، یبلغ عددهم زهاء تعداد سكان ثلاثین قریة بجوار جمشكزك وهم نصف رحل. كارابانلی: فی آسونیک. میرزانلی: فی نفس مركز درسم. (خوزات) عباسانلی: ینسجون سجدات قیمة جدًا. بالاشاخی: عشیره ذات مائتی أسرة وهی مستقرة. لاجین أو شاغی: فی منطقة «آموغا». كوزلیجان: اسم لمنطقة بدرسم تسكنها عدة عشائر اشتهرت بهذا الاسم ومنهم أيضًا فریق بشالی «دیار بكر» والظاهر أنهم قدموا إليها من درسم. كبوران: الظاهر أنها تقیم فی مركز درسم نفسها.

منطقة (C):

هذه المنطقة بأكملها، هي القسم الشمالي لإقليم الجزيرة، الذي كان في عهد الخلفاء العباسيين، وتنقسم أكرادها إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: وهم فريقان، (فالأول) قد قدم من غير شك من درس من هذه الجهات، وأقام بمساكنها الحالية في عهد السلطان سليم العثماني واختلط بالقبائل العربية والأرمنية والكردية المحلية. فتمكن من إدماج جميع هذه العناصر في نفسها حيث مثلها تمثيلاً تاماً.. ويمضي هذا القسم الشتاء في سهول «قره جه داغ» الجنوبية. وأما شهرا نيسان ومايس فيمضونهما في سهول الجزيرة وباقي الصيف في أطراف ديار بكر. و(الفريق الثاني) يسكنون في غربي الفرات ومعظمهم مثل الدرسميين روافض يحضر إليهم من درس، موظفون دينيون في المواعيد المعلومة، ويجرون طقوساً خاصة بمذهبهم. وأزياؤهم وملابسهم مثل أهالي الأنضول.

القسم الثاني: يظهر أنهم في الأصل من بقايا الآراميين ثم اختلطوا بالشعوب والعناصر المحلية الأخرى. مثل «الكرد، والفرس، والترک، والتتر». وإن بعض هذه العشائر مسلمون والبعض الآخر مسيحيون (اليعاقبة). وهناك بعض آخرون ينتحلون عقائد غريبة غير واضحة. وفي العموم أنهم جميعاً رجال نشطون وصناع ماهرون وبناءون بارعون، يعصرون الخمر والأنبذة. وهم محاربون أشداء، ونزاعون إلى الشر وحب الانتقام، يبذل المبشرون النصارى الجهد لإدخالهم في النصرانية وقلما ينجحون في ذلك.

القسم الثالث: معظم هذا القسم من اليزيدية، فيزيدية «سنجار» أكراد أقحاح، وهم مثل أكراد «درس» تماماً في التشكلات الطبيعية والسجاياء إذ يعفون لحاهم وشعورهم الجزيرة. وملابسهم مثل جيرانهم الآخرين. ويزعم هؤلاء أنهم هاجروا من درس إلى سنجار في عهد «تيمورلنك» ويعتقدون أن النحلة اليزيدية كانت موجودة قبل ذلك التاريخ أيضاً.

القسم الرابع: هو القسم الأقل أهمية من سائر الأقسام. ويظهر أنه تأثر تأثيراً كبيراً بسبب اختلاطه بالجماعات السيارة من العناصر الأخرى. ومن المحتمل أنه قد قدم في الأصل من شمال بحيرة «وان» إلى هذه الجهات.

ومنطقة (C) هذه تقع جنوبي خط «ديار بكر - ملطية» وشمال خط «الموصل - بيرة جك» فهي بقعة تمتد من غربي دجلة وجنوبها إلى بلدة «بيرة جك» على شاطئ الفرات. وإليك جدولاً بعشائرها:

العشيرة	المناطق والبطون والأحوال الأخرى
ملي	اسم لعشيرة يبلغ تعدادها (٣٠) أسرة وهي بمثابة «بشت ماله» بالنسبة لعشيرة الجاف أو «عامله» بالنسبة إلى قبائل «بشتكوه». أعني أن الرجال الذين يشملهم هذا الاسم هم أخصاء رئيس عشيرة الملي. وهاك أسماء الفرق والبطون التي خضعت للملية: وانان (٢٥٠) أسرة وهي سيارة سيدان (٤٥٠) أسرة وهي سيارة كيران (٥٥٠) أسرة وهي سيارة دوديكان؟ وهي سيارة خليجان (٧٠٠) أسرة وهي سيارة كليش؟ وهي سيارة مندان (٧٠٠) أسرة وهي سيارة كومارمن (٣٥٠) أسرة وهي سيارة شرقيان (٨٠) أسرة وهي سيارة علكوات وهي سيارة داش وهي سيارة مشكنلى وهي سيارة كالندلان وهي سيارة حاجى بابرام هي سيارة

حسنكان (٢٦٠) أسرة وهي سيارة
 خلا جارى (٧٠٠) أسرة وهي سيارة
 عليان وهي سيارة
 ايسادات (٨٥) أسرة وهي سيارة
 تيركان (٧٠٠) أسرة وهي سيارة
 ناصريان (٧٥) أسرة وهي سيارة
 جوان (٢١٠) أسرة وهي سيارة
 سارتان (٨٠) أسرة وهي سيارة بجوار رأس العين
 ئوسباخان (٧٠) أسرة وهي سيارة
 ماتميه (٨٠٠) أسرة وهي سيارة
 جميكان (٢٥٠) أسرة وهي سيارة
 باركوان (١٥٠) أسرة وهي سيارة
 جيارش وهي سيارة (الظاهر أنها قبائل جبل قره جه داغ. المترجم).
 زبر وفكان ألفا أسرة وهي نصف سيارة بجبل «قره جه داغ»
 طاغباشي عشيرة نصف سيارة بشرقي بلدة «سيوه رك»
 بوجاق سيارة ؟ (اسم لناحية من سيورك فليس سكانها رحلاً بل
 مقيمون في قرى جبلية وهم خلص الزازا الذين ينتمي إليهم المترجم)
 هو شيان ؟ (الصحيح هو شيان نسبة إلى هوشين اسم لناحية من
 سيورك سكانها كرمانيج مستقرون. المترجم)
 بسكي (٨٠٠) أسرة وهناك رواية غربية عن هؤلاء الباسكيين مفادها
 أنهم في الأصل إما من الإنجليز أو من الفرنسيين واسمهم القديم
 «سالاركان»
 جاجياني (٥٠٠) أسرة وهي سيارة
 كاسياني (٥٠) أسرة وهي مستقرة
 جقالي (١٠٠٠) أسرة وهي سيارة
 مرديسي (١٠٠٠) أسرة يظهر أنها سيارة (الصحيح مستقرة. المترجم)

عطر كشي ؟ جانبك ؟ مستقرة بكليان (٥٠٠) أسرة مستقرة دريجان (٨٠٠) أسرة سيارة كاوى (٥٠٠٠) أسرة نصف سيارة موليكان (٥٠٠) أسرة ؟ قره كيج (١٧٠٠) هي نصف سيارة على مقربة من بلدة سيوه رك رجالها متوحشون نزاعون إلى الشر وإحداث الفتن معظمهم يتكلم باللهجة الظاظائية ويوجد فيما بين ديار بكر وطور عابدين أكرد كثير يظهر أنهم من القره كيج. يروى أن هذه العشيرة في الأصل من قبائل التركان أسكنها السلطان سليم الأول في جبل «قره جه داغ» الأمر الذي أفضى إلى تهجير عشائر «زيركى» و«تريكان» وبعض عشائر كردية أخرى إلى غربي الأنضول حيث استقرت هذه العشيرة التركمانية في مواطنها وبعد ذلك اندمجت هذه العشيرة التركمانية في القبائل الكردية بتلك الجهات اندماجاً كلياً بحيث نسيت لغتها التركمانية وأصبحت قبيلة كردية بحتة.	
ليست بعشيرة واحدة بل هم سكان قرى بقضاء «سيوه رك» (وجرموك وشانكوش. المترجم).	زازار - ظاذا
بسيوه رك	جانبكسان
بسيوه رك	باران
؟ (الظاهر أنها عشيرة حسيان الزازائية بغربي جرموك. المترجم)	حصاران
يظهر أن هذه العشيرة كانت في الأصل عربية. والآن تتكلم الكرمانجية فقط، وهي بقضاء «سيوه رك».	أبو طاهر
بسيوه رك (الظاهر أنها عشيرة كوران. المترجم).	كيروان

أمريزان	بسيوه رك
جيجي	يبلغون (١٢٠٠) أسرة عشيرة كردية كبيرة نصف سيارة. تسكن الآن جبل «قره جه داغ» وفي الشتاء ترحل إلى القرى التي حول نهر «جاك جاك» - جاغجاغ» وعلى زعمهم كان لهم أمير عباسي تسلسلت أمراؤهم من أحفاد هذا الأمير بعد زوال الدولة العباسية فهم مشهورون بالأصالة والنجابة ومشتغلون بالزراعة.
داخوري	عشيرة صغيرة قادمة أصلاً من «شرناخ» إلى جنوبي «طور عبادين».
ميرستان	؟
سوركيشلي	يبلغون (٩٠٠) أسرة تقيم في شرقي «ديار بكر» تتكلم الكرمانجية الشرقية والظاهر أنها فرع من «سورجي».
طور عبادين	تقيم في جبال «طور عبادين» بعض من العشائر الكردية من مسلمين ويزيدية ونصاري، حسب الموضح بعد: ميزيزاخ (٣٩٠) أسرة وهم أكراد مسلمون. ساور المسلمون والنصاري خليطون (سكان قلعة الصور) المترجم. محلمي (٨٠٠) أسرة وعلى زعمهم أنهم كانوا نصاري ثم أسلموا، وهم في الأصل من العنصرين الكردي والعربي ولا تزال بعض الأسر منهم نصاري. هارونه (٧٥٠) أسرة كردية، وتسعون أسرة من اليعاقبة النصاري دل ماميكان عشيرة من عشائر «طور عبادين» تتكلم العربية أيضاً دومانه (١٨٠) أسرة المسلمون والنصاري مختلطون. دوركان (١٢٠) أسرة المسلمون واليزيديون مختلطون. مومان (٦٠٠) أسرة مسلمون يتكلمون الكرمانجية وتسعون أسرة منهم نصاري. هاواركا (هويركان) (١٨٠٠) أسرة نصفها مسلمون والنصف الآخر نصاري يتكلمون الكرمانجية ويظهر أن هناك صلة بين هؤلاء

الهاواركانيين وبين «هاوري» اليزيدي. صلا حان؟ كر كرى (٥٠٠) أسرة يسكنون الخيام السود (بيوت الشعر) ويشغلون بالزراعة ويتكلمون الكرمانجية. داسيكان (٩٠٠) أسرة مؤلفة من المسلمين والنصارى واليزيديين تتكلم الكرمانجية. عليان (١٢٠٠) أسرة فيهم المسلمون واليزيديون والنصارى لهجتهم كرمانجية. ميزيداغ؟	
يزيدية سنجار تنقسم يزيديّة سنجار إلى الفرق الآتية: ميركان؟ مستقرة ساموكا؟ على مقربة من سنجار يقيمون في بيوت الشعر ويظهر أنهم سموا باسم المكان الذي حلوا فيه. بيت الخولنا؟ وهي مستقرة حبابه؟ وهي مستقرة كيران؟ بسنجار يقيمون في بيوت الشعر بلد؟ مستقرة على مقربة من بلد «سنجار» بيكران مستقرة، ويظهر أنها فرع من بيكران بديار بكر منديكان (٣٠٠) أسرة سيارة فيما بين «تلعفر» و«بلد» والبعض منهم مسلمون.	
يلغون (٢٠٩) أسرة سيارة تتكلم العربية ورؤسها كردي هي تسكن شرقي «حران»	علوش
يلغون (٩٠٠٠) أسرة وهم سيارون وهذه القبيلة فرع من عشيرة «بريزانلي» الضاربة في أطراف «سروج» وهي متحالفة مع الفرق الآتية: ديدان (٣٠٠) أسرة يقولون عن أنفسهم إنهم هاجروا	برازي أو البرازية

إلى هذه الجهات سنة قحط وغلاء من أطراف بحيرة «وان» واندماج البعض منهم في العرب فلا يتكلم إلا العربية. وهم قسمان: قسم سيار، وقسم مستقر.	كينكان (٧٠٠) أسرة شيخان (٦٠٠) أسرة أوكيان (٧٠٠) أسرة شدادان (٧٠٠) أسرة ملي دنيلي (٧٠٠) أسرة معافان (٧٠٠) أسرة زروان (٥٠٠) أسرة بيجان (٨٠٠) أسرة قره كيجان (٥٠٠) أسرة دينان (١٠٠٠) أسرة مير (١٠٠٠) أسرة	
---	--	--

منطقة (D):

تحد هذه المنطقة بالحدود العثمانية الروسية القديمة، والحدود العثمانية الإيرانية، وبالساحل الشمالي لبحيرة «وان»، وخط «بدليس - موش - أرزنجان» ونهر الجوروخ: أعني (بلاد بايزيد) وشمالي «موش» وبلاد «أرضروم» وقسم من «أرزنجان».

العشيرة	المنطقة وسائر الأحوال الأخرى
بنجينان	؟ سيارة على مقربة من «موش» ولهم عدة قرى.
سيلوكان	بأطراف «موش»
شكرلى	بأطراف «موش»
أزلى	؟
لولانلى	يبلغون (٤٨٠) أسرة، سيaron في الشمال الغربي لمدينة «موش» وهم من الشيعة.
حسنانلى	يبلغون (٤٠٠) أسرة وهم مستقرون، وهي عشيرة كبيرة تملك مائة

العشيرة	المنطقة وسائر الأحوال الأخرى
عيسوى	وعشر قرى في منطقة «خلص» و«ملازكرد» و«وارطو» هذا و«بريزانلي» فرع من هذه العشيرة. تعدادها يبلغ (٩٠٠) أسرة
عيسوى	؟ على مقربة من بحيرة (وان) وربما هي فرع من حسانلي.
جبرانلي	يبلغون (٢٠٠٠) أسرة وهي مجموعة من القبائل تنقسم إلى ثمان فرق: موخالي، عرب أغا، توريني، عليكي، آزويني شيخه كان، مامه غان، شاده رلى. وكلها فيما بين بدليس وموش.
بليكان	يبلغون (٦٠٠٠) أسرة مستقرون وهم كرمانج يتكلمون الزازائية ومذهبهم شيعة، يسكنون البيوت ثلاثة شهور والخيام مدة التسعة الشهور الباقية من السنة. ويظن أن أسعد باشا أرسلهم إلى جهة «بينكول» بجوار موش فأخضعوا السكان الأصليين لأمرهم وصاروا حكاماً عليهم. وهذه العشيرة تختلف عن عشيرة «جبرانلي» ومستقلة عنها في كل شيء حيث لها ملابس وأزياء خاصة.
سبيكانلى	يبلغون (٣٠٠٠) أسرة في شمالي بحيرة «وان».
مامه كانلى	يظهر أنهم أحفاد «مامه كونياني» الأرمني القديم. وهم بشمال «ملازكرد»
زيريكانيلى	يبلغون (٦٠٠٠) أسرة مستقرون بينهم وبين عشيرة «جبرانلي» شبه كبير وهم بشمالي خنس.
رشوان	يبلغون (٧٠) أسرة سيارون في جنوبي «أرضروم»
بازيكلي	يبلغون (٧٠) أسرة وهم سيارون بشمالي ملازكرد
كردي	الظاهر أنها فرع من عشيرة «كردي» التي باربل
بيزيانلى	يبلغون (٧٠٠) أسرة مستقرون بغربي «أرضروم».
شيخ بزيني	يبلغون (٤٥٠) أسرة على مقربة من «أرضروم» حيث له بضع قرى بجوارها. ويغلب على الظن أنها فرقة من عشيرة «شيخ بزيني» التي

العشيرة	المنطقة وسائر الأحوال الأخرى
	بكر كوك، وفريق منهم بجوار «تورتوين» وهذا لا شك في أنه من عشيرة «شيخ بزيني» التي بكر كوك.
زيلاني	في أشكرد
باده لي	في أشكرد وهم شيعة
شادرلي	نصف سيارة في أشكرد، وهم شيعة
باشماني	بين «ملاذكرد» و«أشكرد»
حمديكان	بين «ملاذكرد» و«أشكرد»
مانوراني	بين «ملاذكرد» و«أشكرد»
حيدراني	يبلغون (٢٠٠٠٠) أسرة سيaron وهي عشيرة كردية كبيرة تحتل جميع المناطق الواقعة بين بلدة «موش» وبين «أرمية».
آدماني	يبلغون (١٨٠٠) وهي أسرة نصف سيارة في أطراف «بايزيد» يشتغلون بالزراعة ونسج السجاجيد.
بزدي	مستقرة بشالي «وان» لا يعلم مقدار الأسر وأسماؤها تشتغل بتربية المواشي

هذا وفي منطقة «قارص» التي انضمت إلى تركيا بعد الحرب العامة، يوجد بعض من العشائر الكردية، كما توجد في نفس مدينة «قارص» طائفة غير قليلة من الأكراد.

منطقة (E):

تقيم جماعات كبيرة من الأكراد في المنطقة المحصورة بين نهر «قزير إيرماق - هاليس» وبين نهر «الفرات» إلا أنه نظرًا لابتعادهم عن كردستان فقد يوجد بينهم وبين الأكراد الآخرين بعض اختلافات لغوية، حيث اختلطت لغتهم اختلاطًا كبيرًا، لدرجة أن كرديًا

من أكراد منطقة (A) مثلاً لا يفهمها إلا بكل صعوبة. ومع ذلك فإنهم أكراد يتكلمون الكردية. هذا ويمكن أن ينقسم هؤلاء إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: «كوره شلى» وفروعه، وكلها مستقرة غير رحالة. وأفراد هذا القسم كثير والدهاء والمكر والنزوع إلى الشر. ويحسون عشائر سائرة كثيرة كانوا في الأصل السكان المحليين لقرى تلك الجهات.

القسم الثاني: عشيرة «كوجري» وتوابعه.

القسم الثالث: عشيرة «سيناميلي» والعشائر التي حولها. ويظن أنها قادمة في الأصل من أذربيجان مهاجرة، وهم شيعة وزراع بارعون ومتقدمون في مهنة البناء، وكلهم أكراد أقحاح.

القسم الرابع: سائر عشائر هذه المنطقة. قدمت هذه العشائر في الأصل من منطقة «ديار بكر» أو «وان» وكلهم الآن ساكنون ومستقرون مشغولون بالزراعة وتربية المواشي. فالرعاة منهم يسكنون الخيام السود (بيوت الشعر) وعلى العموم فهم محبوبون للضيوف ويكرمونهم ولا سيما الغريب ولهم سمعة طيبة.

العشيرة	المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى
كوره شلى	يبلغون (٦٢٦٠) أسرة وهي عشيرة شيعية تكلم الكرمانجية، على جانب عظيم من الغنى والثروة غير أنها تعتدي على الغير غالباً بطريقة ليست موجودة عند غيرها من العشائر الكردية. وأفرادها زارعون بارعون، بينها وبين غيرها من الأكراد فروق غير قليلة في العادات والتقاليد، موطنها الدائم واقع في شرقي «أرزنجان» وهي منقسمة إلى عدة فرق وهي: بالابراني الصغير مؤلفة من ستين أسرة تقطن الساحل الغربي للفرات بجوار بلدة «اكين» تتكلم الكرمانجية.

المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى	العشيرة
بالايراني الكبير مؤلفة من (٥٠٠) أسرة في جنوبي «أرزنجان» تتكلم الزازائية وكلهم شيعة. شادرلي مؤلفة من (٣٠٠٠) أسرة يسكنون غالبًا في السراييب وهم زراع فقراء جدًا. يقطنون الشمال الغربي من «أرزنجان». باده لي مؤلفة من (٧٠٠) أسرة تتكلم الكرمانجية وتعتنق مذهب الشيعة وهي نصف سيارة بشقي «زارا».	
يبلغون (١٠٤٠٠) أسرة وهناك فرق كبير بين أفراد هذه العشيرة الكبيرة وبين سائر العشائر الكردية. فلغتهم قريبة من الكرمانجية غير أنها تشبه اللهجة الزازائية أكثر منها أو هي تشبه لهجة أكراد «ديار بكر» وعقيدتهم الدينية غريبة جدًا. تقرب من نظرية (بانتشيسيت - الوحدة المطلقة) وهم زراع فقراء جدًا يسكنون غالبًا السراييب. في حين أن جيرانهم من الأرمن والمسلمين يسكنون بيوتًا جميلة في القرية. وأنهم في غاية من الجبن والخضوع. ومعظمهم بأطراف خط «سيواس - زارا» وأقسامهم هي: صارولر، بارلر، كاروالر، ايولر، واسكي كوجري. وتوطن هذه الفرقة الأخيرة على مقربة من «أرزنجان» وهي مؤلفة من (٤٠٠) أسرة.	كوجه ري
يبلغون (٢٥٠٠) أسرة وهي عشيرة شيعية كبيرة على مقربة من ملطية. تقرب لهجتها من الفارسية أكثر منها إلى الكردية.	سينامينلي
؟	كوره جك
يبلغون (٥٠٠) أسرة سيارون ويوجد في الجنوب الشرقي من حلب (جبل) بهذا الاسم، فيظهر أن اسم هذه العشيرة ناشئ من ذلك. وتسكن هذه العشيرة فيما بين بلدة «بهسني» ونهر الفرات.	الخاص
يبلغون (٦٠٠) أسرة، سيارون في جنوبي بلدة (بهسني)	كود زور

العشيرة	المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى
قره حسن	يبلغون (٣٠٠) أسرة سيارون الظاهر أن أصلها تركمان، وهي تقطن غربي «بهسني».
كوكريشانلي	يبلغون (٥٠٠) أسرة مستقرون بشالي بلدة «مرعش».
ندرلي	في غربي «مرعش»
دوغانلي	يبلغون (٢٥٠) أسرة مقيمون في شرقي «مرعش»
وليانلي	على مقربة من «مرعش» وهي عشيرة صغيرة.
جليكانلي	قسم منها في منطقة «وان» والقسم الآخر بجوار «مرعش» وهذا الأخير فقير جداً
لك كردي	عشيرة صغيرة بجوار «أذنه» أصلها من عشية «لك» ^(١) بإيران
دليقانلي	يبلغون (٢٠٠) أسرة سيارون يسكنون الخيام السود (بيوت الشعر) في سهل مرعش، ويرحلون صيفاً إلى جبال طورس، وفي الشتاء يضربون خيامهم على مسافة ثلاثين ميلاً غربي بلدة كاس ^(٢) .
بليكانلي	يبلغون (٢٥٠) أسرة وهي سيارة تتكلم الكرمانجية وتقطن وادي «مرعش» ^(٣) .

(١) مواطن ومنازل هذه العشائر الثلاث الأخيرة حسب الخريطة تقع في أطراف بلدة «إصلاحية» ويؤيد ذلك كتاب (كوردلر) وعشيرة «بليكانلي» بالأخص تقطن بجوار «إصلاحية» التي هي مركز القضاء وهذا وعدد سكانها البالغ باعتراف مدير المهاجرين التركي عشرة آلاف نسمة كلهم أكراد من هذه العشيرة. المؤلف

(٢) مواطن ومنازل هذه العشائر الثلاث الأخيرة حسب الخريطة تقع في أطراف بلدة «إصلاحية» ويؤيد ذلك كتاب (كوردلر) وعشيرة «بليكانلي» بالأخص تقطن بجوار «إصلاحية» التي هي مركز القضاء وهذا وعدد سكانها البالغ باعتراف مدير المهاجرين التركي عشرة آلاف نسمة كلهم أكراد من هذه العشيرة. المؤلف

(٣) مواطن ومنازل هذه العشائر الثلاث الأخيرة حسب الخريطة تقع في أطراف بلدة «إصلاحية» ويؤيد ذلك كتاب (كوردلر) وعشيرة «بليكانلي» بالأخص تقطن بجوار «إصلاحية» التي هي مركز القضاء

هذا وتقطن عشائر كثيرة في قرى كردية بحثة، على طرفي خط «حلب» الحديدي ابتداءً من «إصلاحية» لغاية «المسلمية»، لم يتعرض لذكرها السير مارك سيكس. وفضلاً عن هذا فإن في نفس لواء «حلب» وفي أطراف «حارم» الواقعة في غربي حلب، عشائر كردية تدعى بأكراد جوم (كوم) و(قيصر أكرادي). وكذا في قضاء «المنبج» تقيم عشائر «بزيك» و«دنائي» و«باكه ك» وعشيرة «ايلبكي» التي تسكن الخيام على شاطئ الفرات. ويسكن بعض من العشائر الكردية أيضاً في «الجلل الوسط» وعلى شاطئ نهر العاصي في الجنوب الغربي لبلدة الشاغور، كما أنه توجد جماعة كبيرة من الأكراد في نفس مدينة «حلب». وهناك أيضاً عشائر كبيرة تسكن من القديم فيما بين «حمص» وطرابلس الشام، وفي جبل الأكراد وحصن الأكراد. فهذه المدينة وهذا الجبل سميا باسم الأكراد النازلين بهما. هذا ويقيم في دمشق من القديم قسم من عشائر صالحة أطراف «كفرى» والظاهر أن صالحة دمشق الشام سميت باسم هؤلاء الأكراد الصالحين. (كوردلر)

منطقة (F):

هذه المنطقة هي منطقة حوض نهري القزير إيرماق وسقاريا (بلاد ولايات سيواس، وأنقرة، وقونية القديمة) وهي خارجة عن كردستان تماماً. وجاءت كرديتها نتيجة لمهاجرات إجبارية لطائفة من الأكراد أجلاهم السلطان سليم الأول العثماني من كردستان وأسكنهم في هذه المنطقة.

وقد عثرت في جهة «أنقرة» على طائفة من الأكراد تشبه أزياءهم وملابسهم وملاحمهم بعض أتراك حوالي «أرضروم» ولما سألت أتراك أرضروم عن سبب هذه المشابهة. أجابوا بأنهم أحفاد الانكشارية الذين أقطعهم السلطان سليم الأول أراضي

مهجورة في هذه الجهات، فبين من ذلك أن هذه الأراضي التي هجرها أصحابها الأولون هي التي كانت لتلك العشائر الكردية التي أجليت عنها وأنعم بها على هؤلاء الترك.

ويتضح من جهة أخرى أن هؤلاء الأكراد أجبروا بعد الجلاء على تغيير أزيائهم القومية والتزيي بزي الأتراك في ذلك العهد. وهذا الزي هو نفس الزي التركي الذي كان موجوداً في عهد السلطان سليم (انظر أزياء عهد السلطان سليم).

العشيرة	المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى
آخ جشمي	يبلغون (٣٠٠) أسرة وهي ساكنة وتقيم في غربي «سيواس».
أروك جيلي	يبلغون (٤٠٠) أسرة وهي ساكنة ويظهر أنها في الأصل «يوروك- عشيرة تركمانية سيارة» تقيم فيما بين «أماسية» و«طوقات»
ميللي	يبلغون (٢٠) أسرة وهي عشيرة صغيرة بجوار عثمانجق. إما إنها قادمة في الأصل من «درسم» أو من «قره جه داغ»
شيخ بزيني	يبلغون (١٢٠) أسرة وهي سيارة تقيم على مقربة من «بوى آباد» وهي فرع من «شيخ بزيني» التي تسكن بجوار «كركوك» أجلاهم السلطان سليم إلى هذه الجهة وهي تتكلم الكرمانجية.
شيوه لي	عشيرة ساكنة يظهر أنها فرع من عشيرة شكاك من فرقة «شيوه لي» أجلوا في وقت من الأوقات إلى غربي «كنغري»
باده لي	يبلغون (٢٠٠) أسرة وهي ساكنة على مقربة من «يوزغاد» فيظهر أنها من «باده لي» التي هي إحدى أفخاذ «كوره شلى» بمنطقة (E)، فأجليت إلى هنا في وقت من الأوقات
حاجي بانلي	يبلغون (٣٠٠) أسرة وهي نصف سيارة، ويظهر أنها فرقة من «حاجيانلي» من عشيرة «ميللي» أجليت إلى غربي «قيصري» على شاطئ قزيرل ايرماق، وشمالى جبل «أمانوس»
خاتون أوغلي	يبلغون (٤٠٠) أسرة نصف سيارة وهي فرقة من عشيرة ميللي قدمت

العشيرة	المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى
	من «قره جه داغ» واستقرت في جنوبي «يوزغاد»
ماخاڤي	يبلغون (٣٠٠) أسرة وهي نصف سيارة. وهذه أيضًا من عشيرة ميللي قادمة من «قره جه داغ» وساكنه قرب «قيرشهر»
عمرانلي	يبلغون (٨٠٠) أسرة وهي نصف سيارة وهذه أيضًا من عشيرة ميللي قادمة من «قره جه داغ» وساكنة غربي «قيرشهر»
بركتلي	يبلغون (١٠٠٠٠) أسرة وهي نصف سيارة تقيم في جنوبي «قيرشهر» على شاطئ قزيرل إيرماق.
طابور أوغلي	يبلغون (٣٠٠) أسرة وهي نصف سيارة في شمالي «قيرشهر»
شيخ بزيني	عشيرة نصف سيارة في غربي بحيرة «قوجحصار» في جبل «قوجه داغ» يظهر أنها من فرقة «شيخ بزيني» التي في «الشكرد» أجليت إلى هنا في وقت من الأوقات
جوديكاني	يبلغون (٢٠٠) أسرة وهي نصف سيارة الظاهر أنها أجليت من حوالي «جبل الجودي» إلى موطنها الحالي بشمالي «قوجحصار»
خالكاني	يبلغون (٤٠٠) أسرة وهي نصف سيارة ويظهر أنها قادمة في الأصل من منطقة «كاليفاني-رواندز». تسكن الآن غربي بحيرة «قوجحصار»
سيفكاني	يبلغون (٥٠٠) أسرة وهي نصف سيارة تقع مواطنهم في شمالي موطن خالكاني
ناصرلي	يبلغون (٦٠٠) أسرة وهي نصف سيارة تقيم في جنوبي أنقرة وقرب «قره علي».
تيريكان	يبلغون (٤٠٠) أسرة وهي نصف سيارة تقيم على مسافة أربعة وعشرين ميلاً غربي أنقرة، على خط السكك الحديدية وهي جالية عن تريكان منطقة (B) هاجرت إلى هنا
آتمانكان	عشيرة نصف سيارة بجوار أنقرة يسكنون الخيام السود وهي جالية عن

العشيرة	المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى
	أتمانكان التي بمنطقة (A) وفدت إلى هنا
زبريكاني	يبلغون (٥٠٠) أسرة وهي نصف سيارة تقيم قرب الشمال الغربي من أنقرة، أجليت عن «زبريكاني» التي بمنطقة (D)
جهان بكلي	يبلغون (٥٠٠٠) أسرة ^(١) . وهي نصف سيارة، أجلاهم السلطان سليم من عشيرة «ميلي» إلى منطقة فيما بين «آفيون قره حصار» و«آقشهر» وهي أقصى الأكراد غرباً في الأنضول.

هذه خلاصة المعلومات والتفاصيل التي ذكرها السير مارك سيكس في آخر كتابه (تراث الخلفاء الأخير) عن العشائر الكردية الضاربة ببلاد الإمبراطورية العثمانية. وعلى رأي المدير العام للمهاجرين بتركيا، إن عدد أكراد هذه المنطقة (الأنضول المركزي) يبلغ أكثر من خمسين ألفاً من النسبات. (كوردلر ص ٨٠ حاشية).

٤ - نبذة عن عشائر أطراف الحدود

بما أن الميجر سون الذي هو بحق إخصائي كبير في الكرد والكردلوجية، لا يذكر في ذلك التقرير القيم الذي وضعه عن لواء السليمانية سنة (١٩١٨) إلا قليلاً عن العشائر الكردية الضاربة في طرفي الحدود الإيرانية والتركية، والحدود العراقية والإيرانية. فقد رأيت من الواجب أن أذكر هنا شيئاً عن المعلومات عن أهم هؤلاء العشائر:

حيدر انلو جبرانلو

(١) حسنانلو خراسانلو زيلانلو

سييكانلو آدمانلو

(١) يقول المدير العام التركي للمهاجرين في كتاب (كوردلر) إن عشيرة «جهان بكلو» تؤلف ناحية في قضاء «آقشهر» ويوجد منهم أناس في قضاء «حيانيه» أيضاً. المؤلف

الثلاثة الأخيرة قريبة من الحدود جدًا.

جلو زيباريان+

شيرانان هاويريان+

أوراماران بارواريان+

(٢) حكارى شمدينان بارجيلان

عماديه+ سيوالان+

ميسوريان+ لائى هونان+

(+) هذه الإشارة تدل على أن العشيرة قريبة من الحدود جدًا.

مامش

(٣) مكرى منكور

بشدر

حسنانلو

قليل من العشائر الكردية يرجع تاريخ حياتها إلى أكثر من (٥٠٠) سنة ماضية، لأن كردستان قبل ذلك التاريخ كان أصغر شأنًا وأقل مساحة مما هو عليه الآن من سعة الحدود. إذ كان في الماضي محصورًا بين عدة حكومات قوية وعظيمة، تحول كل واحدة من جهتها دون اتساع كردستان ودون انتشار القبائل الكردية في البلاد المجاورة.

يضاف إلى ذلك أنه لم يكن في الإمكان حينئذ قيام أي سائح أجنبي أو رحالة بالطواف في تلك البلاد، حتى يتسنى له تسجيل أحوالها ودرس شئونها فعشيرة «حسنانلو» ليست شاذة عن هذه القاعدة. ويظهر أنها لم تتمكن من تأسيس حكومة ما، مثل الحكومات الكردية التي أسسها أكراد «بدليس» و«حكارى» و«أردلان» بل بقيت دائماً عشيرة سيارة متمتعة بكامل استقلالها طوال حياتها. وكان موطنها قديماً في الجبال التي على مقربة من مدينة «بدليس».

وفي عهد السلطان سليم الأول سنة (١٥١٤م) أجليت هذه العشيرة من وطنها وأسكنت في الحدود الروسية والإيرانية من البلاد العثمانية، لتقوم بحراستها من الإغارات الخارجية. والفرع الأساسي لهذه العشيرة الذي أسكن في الحدود الإيرانية هو فريق «سيكانلو» وفريق «حيدرانلو» لأنها كانا كثيري الشغب وحب الفتن والنضال. ولما استولى الشاه عباس الصفوي على وطن هذه العشيرة وفروعها وأخضعهم لحكمه وسلطانه، بادر إلى نقل بطون زفرانلو، آدامانلو، كيوانلو من هذه الشعيرة، إلى إقليم خراسان وأسكنها فيه.

نعم! إن معاهدة سنة (١٠٤٩هـ / ١٦٣٩م) المعقودة بين الترك والفرس أعادت هذه العشائر إلى سلطان الترك، إلا أن بطني حيدرانلو وسيكانلو كانا على جانب عظيم من الميل إلى الخصام والنضال والنزوع إلى نهب أموال الإيرانيين واجتياح بلادهم، مما اضطر أولياء الأمور في الدولتين إلى ادماج مادة في المعاهدة المعقودة أخيراً بين السلطان محمد الثاني^(١) وبين الشاه فتح علي، تنص على أن الدولة العثمانية تكفل تأديب هذين البطين من العشيرة المذكورة فيما إذا أغارا على البلاد الإيرانية.

وقد اشتركت هذه العشيرة بجميع بطونها في الحروب التركية الروسية التي نشبت نيرانها في سني (١٢٤٥-١٢٧١-١٢٩٤هـ / ١٨٢٩-١٨٥٤-١٨٧٧م) غير أنها خانت

(١) كذا والصحيح السلطان محمود الثاني. المترجم

الترك وعضدت الروس لبعض الأسباب والاعتبارات بمقابل إخلاء الروس بلادها ومنازلها التي تؤويها، وأما في هذه الحرب العالمية الأخيرة، فلم يكن لها أية فائدة. على أن هذه العشيرة مشهورة بين سائر الأكراد بسمعة غير طيبة، وبالنزوع إلى الشر وإلحاق الضرر بأكراد الجنوب.

حكاري

يزعم الحكاريون أنفسهم أنهم أقدم الأكراد الموجودين وأنقاهم دمًا وأصفاهم عنصرًا، لأن بلادهم من القديم وسط كردستان الذي هو مصون من عوامل الاختلاط والتأثر. وترى في جدول بطون وأفخاذ هذه العشيرة أن بعض هذه البطون والأفخاذ داخلية في تكوين الأسر المالكة الكردية مثل «عمادية» و«ميسوري». ولكن أفراد هذه البطون مثل البطون الأخرى للعشيرة الأصلية، في الزي والتقاليد والعادات.

هذا وكان في كردستان قديمًا إمارة قوية تدعى «إمارة بدليس» نشأ منها الفرع الحكاري من الشعب الكردي الذي كان يتكلم الكرمانجية وهي لهجة قريبة من اللهجة المكرية التي هي أنقى اللهجات الكردية. فأسرة حكاري هذه تنحدر من سلالة «قره عثمان» السلجوقي الذي كان واليًا على «حكاري» أثناء إغارة «تيمورلنك» على آسيا الصغرى. وقد حكم أمراء هذه الأسرة وأتباعها في «بدليس» و«جزيرة ابن عمر» و«العمادية» و«جولمرك» و«السليمانية». ولا تزال ذكراهم وآثارهم والآثار التي خلفوها في أيامهم الأخيرة ماثلة للعيان في تلك الربوع ومع ذلك فهذه الجهات ليست في الأصل من منطقة «حكاري» إلا أن اللهجة السائدة فيها فرع من فروع لهجة «حكاري» ولا تزال «جزيرة ابن عمر» و«جولمرك» و«العمادية» داخلية في منطقة «حكاري» ومحسوبة منها، بحيث إن سكان هذه الجهات يعدون من الأكراد الحكاريين لغاية الآن. وقد كان الحكم في هذه الإمارة متوارثًا، وكانت علاقات أمرائها مثل الأمراء الأكراد الآخرين، بالحكومات المجاورة الصغيرة والكبيرة منها طيبة جدًا. وكان للشعب الحكاري عادة غريبة بالنسبة

للأمراء المستبدین الظالمین، حیث کان لهم مجلس مکنون من زعماء ووجهاء العشيرة. فینعقد المجلس ویدعو الحاکم غیر المرغوب فیه للمثول أمامه، وبعد تبادل الآراء والمداولة یصدر القرار بعدم کفاية هذا الأمير للاستمرار فی الحکم ویوضع زوج من الأحذية فی فمه فیضطر الحاکم المذكور للخضوع والتخلي عن الحکم وقد یعود هذا الأمير بعد مدة إلى الحکم فی فرصة أخرى.

کان أمير بدليس وحکاری معترفًا بالحکم الإيراني إلى ما قبل سنة (٩٢٠هـ/ ١٥٢٤م) التي حدثت فیهما معركة «جلدران» بین الترك والفرس وانهزم فیهما الأخيرون. ولكنه بعد هذا التاريخ قدم هذا الأمير الطاعة والخضوع لحکم الترك بفضل مولانا إدريس البدليسي العالم الكردي الشهير. إلا أنه لم يمض على ذلك أمد طويل حتى أعلن استقلاله التام حیث کان یملك مواقع حصينة وجيشًا قويًا ومع ذلك فقد اعترفت هذه الإمارة بالتبعية التركية مرة أخرى فی عهد السلطان مراد الرابع سنة (١٠٦٠هـ/ ١٦٤٩م) واستمرت على ذلك حتى انقرضت فی سنة (١٨٤٩م) إذ کان آخر أمير من هذه الأسرة من يدعى «شرف بك» الذي اضطر للتسليم إلى الترك بعد غدر وحصار دام طويلًا.

وكان الحد الشرقي لهذه الإمارة، الجبال التي يتألف منها خط الحدود من سنة (١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩). لغاية سنة (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م) حیث کان عبارة عن خط تقسيم المياه المستقيم الذي فیما بین «حکاری» و«مکری» ولم تنجب العشيرة الحکاریة هذه أمراء عظامًا فقط، بل إنها فوق ذلك تركت تراثًا أدبيًا لا بأس به؛ إذ ترك لنا شاعرها الشهير «أحمد خاني» آثار أدبية قيمة.

وفي خلال القرن التاسع عشر أضاعت هذه العشيرة ما كان لها من السمعة الحسنة، بإقدامها على إحداث المذابح بین النصارى. وکان ذلك فی عهد «نور الله بك» و«بدرخان بك» الحکاریین سنة (١٢٥٥ و ١٢٥٩هـ/ ١٨٣٩ و ١٨٤٣م).

وانقرضت حكومة «العمادية» في عهد «إسماعيل باشا» الذي كان آية في الشجاعة والبسالة حيث قاوم الترك أشد مقاومة، ولكنه بعد ذلك كله اضطر لأن ينسف القلعة التي كان يدافع عنها بالألغام وجعلها قاعاً صاففاً، الأمر الذي أدى إلى إلقاء القبض عليه والذهاب به إلى بغداد وكانت هناك مصاهرة بين شيخ «السليمانية» وبين الأسرة الحاكمة بالعمادية ولا شك في أن زوال الإمارة الكردية هذه قد أفضى إلى تضعضع قوى العشائر وانتقال النفوذ والسلطان منها للباشوات الترك.

مكري

هذه العشيرة كانت تسكن دائماً جبال «صاو جلاق» ويدعى رئيسها الذي كان منها بلقب «خانى». ويمكن للمرء أن يحكم بأن هذه العشيرة منذ فجر التاريخ تحتل هذه البلاد أعني منطقة (ماكنا Mehna) الميدية، وذلك بحسب لهجتها القريبة جداً من لغة الآستاق، وبمحافظةها على قواعدها النحوية، مع الاحتفاظ ببعض أوصاف كانت موجودة في لغة «زند» القديمة. يقول الأستاذ «وليم جاكسون» الذي هو أكثر الناس تدقيقاً للزراذشتية، أن مسقط رأس هذا النبي «زراذشت» يقع في جنوبي بحيرة «أرمية» التي تكون الجزء الشمالي بمنطقة «مكري». فبذلك يؤيد تلك النظرية القائلة بأن المكريين هم أحفاد الميديين بلا ريب، لأنهم أقرب الإيرانيين جمعاء إلى مسقط رأس «زراذشت»، فضلاً عن أنهم يتكلمون بلغة هي أقرب جميع اللهجات واللغات الإيرانية، للغة «زراذشت».

هذا وقد كان معظم جيش الشاه عباس الذي هزم الترك في معركة كبيرة سنة (١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م) تقريباً، مؤلفاً من الأكراد المكريين، حيث كان لهذه العشيرة دائماً مقام رفيع ومكانة ممتازة في الجيش الإيراني. ومع ذلك فإنها لم تشتهر بالقوة والنفوذ ولم تنجب علماء وشعراء مثل عشيرة أردلان الشهيرة.

إلى هنا انتهينا من ذكر أبحاث لا بأس بها عن العشائر الكردية المنتشرة في أنحاء البلاد العثمانية القديمة.

ونذكر في هذا البحث شيئاً عن العشائر الكردية الضاربة في أنحاء البلاد الإيرانية. وإليك عدة جداول بتلك العشائر:

١ - عشائر كردستان الإيراني أو منطقة سنة

العشيرة	المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى
كوماسي	عشيرة مستقرة في «كوره واز»
جاف	يبلغون (٤٠٠٠) أسرة وهي سيارة في «جوانرو» وتبعد في الصيف إلى جبل «جهل جشمه» ولها عدة بطون وأفخاذ: قبادي، يناخي، كاشي، ولدبكي... إلخ. ومائة وخمسون أسرة منها على مقربة من «زهاو» بين الكورانيين.
مندمي	يبلغون (٢٠٠٠) أسرة وهي مستقرة على مقربة من «حسين آباد»
كلباخي	يبلغون (٣٠٠٠) أسرة وهي في «هوباتو» و«سارال» و«قره دوار»
شيخ إسماعيل	يبلغون (١٦٠٠) أسرة وهي في أطراف «أسفندآباد»
بيريشه	يبلغون (١٠٠٠) أسرة وهي في أطراف «أسفندآباد»
تامازتوزا	تبلغ (٣٠٠) أسرة وتسكن في «ليلاق» وهي مستقرة
كوراك	تبلغ (١٥٠٠) أسرة وتسكن في «ليلاق» وهي مستقرة
لالا	تبلغ (٦٠٠) أسرة وتسكن في «ليلاق» وهي مستقرة
محمود جبرائيلي	تبلغ (٤٠٠) أسرة وتسكن في «ليلاق» وهي مستقرة
باليوه ند	تبلغ (١٥٠٠) أسرة مستقرة قسم منها يقيم في مشتي «كاوه رود»
دراج	تبلغ (١٢٠٠) أسرة مستقرة قسم منها يقيم في مشتي «كاوه رود»
بوراك	تبلغ (٤٥٠) أسرة سيارة
ساكور	تبلغ (٣٠٠) أسرة سيارة

لور كلاهكر	تبلغ (١٧٠٠) أسرة سيارة
كيوكاشي	؟ سيارة
خررات	؟ سيارة

٢- عشائر بلاد «مكري» أو منطقة «صابلاخ»^(١):

أهالي هذه البلاد مشهورون باسم المكري أو المكرياني، وهم من عشائر «مكري» و«بولاق» وكلهم سنيون^(٢).

العشيرة	المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى
مكري وبولاق	تسكن في (٢٩٧) قرية، وهي مستقرة ويقول «راولنسون» إن هذه العشيرة معروفة باسم «باباميره» وإن لها تسع عشرة فرقة
مكري اليسار (زرزا)	يبلغون (٨٠٠) أسرة هذا وسكان «أوشنو» وأطرافها. كلهم سنيون
بلباس	عشيرة ساكنة تصعد في الصيف إلى الجبال (انظر التفاصيل في اللاحقة ص ٣٩١)
منكور	تبلغ (١٤٨) أسرة وهي عشيرة قوية الشكيمة مستقرة على نهر «صابلاخ» وهي فرقة من بلباس
بيران	تبلغ (٣٠) أسرة مستقرة وتضرب خيامها في لاهيجان القديمة وهي فرقة من بلباس
مامش	تبلغ (١٠٠) أسرة مستقرة في لاهيجان الجديدة، مركزها بلدة «بسوه» وتحكم على «بردى ميشه» و«ولاه ن» ويوجد في سلدوز (واشنه - اشنو

(١) دائرة المعارف الإسلامية: ج ٤، ص ١٨٨.

(٢) أوصل المستشرق راولنسون عدد الأسر في لواء «مكري» ما عدا بلباس وساقز وبانه إلى (١٢٠٠٠) وقدر تعداد نفوسهم بألف تقريباً. ولكن التعداد الحقيقي مع الفرق الثلاث الأخيرة، قد يصل إلى مائتي ألف نسمة. المؤلف

العشيرة	المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى
أوجاغ كاخدي	أيضاً فريق من المامش وهي فرقة من بلباس عشيرة سيارة يقيمون في الصيف في «وزنه» وفي الشتاء في سهل «كويه» ويسعون للرحيل إلى البلاد الإيرانية
كه روك	تبلغ (١٠٠) أسرة وهي مستقرة تقطن منطقة «سردشت»
سوسه ني	تبلغ (٦٨) أسرة وهي تقطن في المنطقة التي بين «وزنه» و«سردشت» و«جبل قنديل» وتنقسم إلى هذه البطون: برياحي، مليكاري، درامي، هزالان، آلان. هذا وبلدة «بيتوش» هي مركز «آلان» وفيها سبعون أسرة.
بانه	قضاء مستقل تتبعها ثمان نواح. فيها ثلاثة آلاف وخمسة أسرة موزعة على مائة وخمسة وأربعين قرية وفي مركز «بانه» ثمانمائة بيت

٣- عشائر بلاد کرمانشاه^(١)

العشيرة	المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى
سنجابی	تبلغ (٢٥٠٠) أسرة وهي في سهل «ماهيدشت» و«جوانرو» يذهبون في الصيف إلى منبع «ألوند» وعدة بطونهم اثنا عشرة: جالابي، داليان، سيمه وه ند، سورخه وند، حق نظر خاني،... إلخ. والسنجابيون الأصليون يبلغون (٥٠٠) أسرة وهناك قبائل في حماية السنجابين وهي «أركه وازي» و«تكه وند» من اللور، و«برازي» من الجاف و«تفنججي» من الكوران. ورئيس هذه العشيرة الكبيرة في الوقت نفسه، قائد قوات الحدود من قبل الحكومة الإيرانية
كوران	عشيرة من أعظم وأقوى العشائر في هذه البلاد، ولها ست بطون كبيرة: كهواره، نيريحي، كالخاني، بي بياني، كالي زنجيري، ريزهو. ومركز هذه

العشيرة	المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى
	العشيرة هو «كوران» ويظهر أن «كاندوله» أيضًا عشيرة من كوران. وهي مجاورة لشرفياني، وباجلان، وسنجابي في شمالي «زهاب»
يوسفيار أحمدي	؟
كويك	فريقان: كوركست، نيرزهي
بايراوه ند	الراجح أنها أحفاد عشيرة «باهراج» القديمة. والآن يسكنون في السهول الغربية لجبل «بارو» الواقع في الجنوب الغربي لدينور
كوليائي	تقيم في قضاء «سونكرو» في مائة وخمس وستين قرية. فأهالي هذا القضاء كلهم أكرد، ما عدا السكان التركمان في المركز. ولهجة هذه العشيرة قريبة من الكرمانجية. وتدعى باللهجة الكرمانشاهية.
كلهر	هي عشيرة كبيرة منتشرة في أطراف طريق «قصر شیرين - كرنند» فريق منها هاجر إلى قلعة صائن وأسس بمنطقة قرية «جوكلي». (راولنسون)
أحمده وند	تقيم في الجنوب الغربي لنهر «كيلان - جيلان»

ومن دواعي الأسف أننا لم نعثر على مصدر نستقي منه تفاصيل أحوال العشائر الكرمانشاهية، وكل ما هنالك أن الميجر سون يقول إنه في إمكان عشيرتي الكوران والكلهر أن تجهز ثمانية آلاف خيالة من رجالهما الأشداء فيمكن على هذا، أن يقال إن عدد البيوت والأسر في هاتين العشيرتين يتراوح بين ستة آلاف وثمانية آلاف بيت. ويقول المستشرق «رابينو» إن أربعاً وأربعين عشيرة تقيم في هذه البلاد، وأغلب أفرادها أكرد.

ويحتوي كتابا كرزون وراولنسون على معلومات مسهبة عن عشائر «كرمانشاه»
فمعلومات كرزون في كتابه (إيران ومسئلة إيران: ج ٢) عن عشائر «سنه» و«كرمانشاه»
تتخلص فيما يأتي:

عشائر إيالة سنه (أردلان)

العشيرة	المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى
كلهر	تبلغ (٣٠٠) أسرة وهي مستقرة بقضاء ساقز
تيله كو	تبلغ (٦٠٠) أسرة وهي مستقرة بقضاء هاواتو
كلباخي	تبلغ (٥٠٠) أسرة وهي مستقرة بقضاء هاواتو
شيخ إسماعيل	تبلغ (٣٠٠) أسرة وهي مستقرة بقضاء أسفندآباد
بوربيشه	تبلغ (٣٠٠) أسرة وهي مستقرة بقضاء أسفندآباد
مندمي	تبلغ (٥٠٠) أسرة وهي مستقرة بقضاء حسن آباد
مامون جبراشي	تبلغ (٣٠٠) أسرة وهي مستقرة بقضاء بيله ور
كوشكي	تبلغ (٤٠٠) أسرة وهي مستقرة بقضاء بيله ور
كوركه بي	تبلغ (٣٠٠) أسرة وهي مستقرة بقضاء ليلاق
لك	تبلغ (١٠٠٠) أسرة وهي مستقرة بقضاء ليلاق
شمشيري	تبلغ (٤٠٠) أسرة وهي مستقرة في الحدود

عشائر كرمانشاه الكردية

العشيرة	المنطقة وسائر الأحوال الاجتماعية الأخرى
كلهر	تبلغ (٥٠٠٠) أسرة فهم مستقرون وسيارون ويعيشون صيفاً في جبال «لورستان» الغربي وفي الشتاء يقيمون في منطقة الزهاب وقصر شيرين.
سنجايي	تبلغ (١٥٠٠) أسرة مستقرون وسيارون في سهل ماهيدشت وغربي كرمانشاه
كوران	تبلغ (٥٠٠٠) أسرة مستقرون وسيارون فيما بين منطقة «ماهيدشت» و«هارون نشين خان»
كرندي	تبلغ (٢٠٠٠) أسرة مستقرون وسيارون في منطقة كرنه، وهارون آباد
باوه بنج جلاله	تبلغ (١٠٠٠) أسرة مستقرون وسيارون في أطراف كرنه

العشيرة	المنطقة وسائر الأحوال الاجتماعية الأخرى
وند	
زنكنه	تبلغ (١٥٠٠) أسرة مستقرون وسيارون ؟
هماوند	تبلغ (٢٠٠) أسرة مستقرون وسيارون ؟
سونكور كلاهي	تبلغ (٢٥٠) أسرة مستقرون وسيارون في شمال كرمانشاه
تانه كولي	تبلغ (٣٠٠) أسرة في قرى كرمانشاه الغربية.
جلاله وند	تبلغ (٣٠٠) أسرة مستقرون في شرقي كرمانشاه
مافي شوانكاره غازل	تبلغ هذه العشائر الثلاث (٢٠٠٠) أسرة وهم مستقرون
حلولان (هليلان)	يبلغ تعدادها (٢٠٠٠) أسرة وهم سيارون في الجنوب الشرقي من كرمانشاه وبمنايع «كرخا»
أكور	تبلغ (١٠٠٠) أسرة
المجموع	٢٢٠٥٠ أسرة

هذا ويعد المستشرق المذكور عشيرة هليلان المذكورة فرقة من اللور، ويقول إن سكان مدينة «كرمانشاه» يبلغ عددهم زهاء أربعين ألفاً معظمهم من الكرد.

ويقول راولنسون في كتاب له يدعى (من الزهاب إلى خوزستان ص ٤٤) في خصوص عشيرة الكلهر، إن هذه العشيرة عريقة في القدم يبلغ عدد أسرها أو بيوتها عشرين ألفاً. فانتشر ما يقارب نصفهم في الايلات الإيرانية الأخرى وبقي النصف الآخر في موطنها الأصلي القديم بجنال زاغروس. وهي تنقسم إلى قسمين أساسيين «شاهبازي، منصوري» فالأول يبلغ عدد الأسر فيه (٨٠٠٠) بيت والثاني (٢٠٠٠) بيت. ويقيم الأول في منطقة «ماهيدشت، وكرمانشاه، ومنديلي» والثاني من أطراف «كيلان».

٤- في بلاد أذربيجان^(١)

العشيرة	المناطق والأحوال الاجتماعية الأخرى
جلالي ميلان خضرانلو رشه وند	عشائر تقيم في أطراف جبل «آراراط» فيما بين نهر الرس وجبل «سوكار» بأطراف «كاليني» بقضاء «ماكو»
سلدوز	تبلغ (٢٠٠٠) أسرة وهي عبارة عن خليط من عشائر الزازا، والمامش، والمكري.
لك	عشيرة في قضاء «سلماس» قدمت إلى هنا من «شيراز»
كرداوري	تبلغ (١٠٠٠) أسرة نقلها «فتح علي شاه» من شيراز إلى هنا

٥- في لورستان

ورد في تاريخ «كزيده» أن الشعب اللوري ينقسم إلى قسمين وثمان فرق. وكان هناك فوق ذلك ثمان عشر عشيرة. وأن عشائر ساهي، آرسان، آركي، بيهي، كانت تتكلم اللورية، ولكن لم تكن لورية الأصل.

هذا واللور الحاليون ينقسمون إلى أربعة أقسام كبيرة: ماماساني، كوهكلويي، بختياري، لوراصلي.

فهذه الطائفة من الأكراد، نظرًا لاختلاطهم الكلي بالفرس وسائر العشائر الإيرانية، تقاربت لهجتهم مع لهجات اللغة الفارسية، تقاربًا كبيرًا. ومعه ذلك فهم لا يزالون محتفظين بكيانهم القومي الأصلي وأرومتهم الكردية.

(١) دائرة المعارف الإسلامية: ج ٣-٤، ص ٨٠ و ١٠٨.

وأكبر هذه الأقسام الأربعة، وهو الماماساني (مام حسني) ينقسم إلى أربع بطون: باكاش، جاويدي، دشمنزاري، رستمي.

وأما الكوهلكوي فينقسم إلى ثلاثة أقسام: أغاجاري، باوي، جكي. وكل قسم من هذه الأقسام الكبيرة ينقسم إلى عدة فرق. فمثلاً أن قسم «آغا جاري» نشأت منه تسع فرق أربع منها من التركمان، أعني أن الربع عشائر تركمانية، أدخلت نفسها في قسم «آغا جاري» اللوري الكردي. وكذا قسم البختياري نشأت منه فرقتان كبيرتان: جارلنك، هفت لنك. وهذه الأخيرة قوية الآن جداً. وتسكن الفرقة الأولى فيما بين «بروجرد» و«كولبايكان» ويرى المستشرق «روصو» أن مواطن العشائر البختيارية كائنة في أطراف سبزكوه، زردكوه، شوستر، أصفهان وكرمانشاه. ويقدر تعداد نفوسهم بمائة ألف بيت، أو ثلاثمائة ألف نسمة. (كتاب كوردلر)

هذا وقسم اللور الأصلي نشأت منه أربع فرق: ترخان، دلفان، سلسله، بالاكيروا. فعشائر الفرقة الأخيرة «لور» أقحاح، تفرعت إلى عدة فروع أخرى هامة، مثل ديريكوند، سكه وه ند... إلخ ويظهر أن فرع «ديريكه وه ند» هو أصل الشعب اللوري إذ يطلق على زعمائها لقب «مير- أمير».

ويقسم الفريق الفيلي (اللور الأصلي) بلورستان، وهم أهل فلاحه وأعمال، يقدر تعدادهم العام من خمسين ألف إلى ثمانين ألف نسمة، وينقسمون إلى قسمين كبيرين: بشتكوه، بيشكوه، وكل واحد منهما نشأت منه سبع عشرة عشيرة تقريباً. (روصو)

ورتب المسيو «جونيان» هذه العشائر اللورية كما يأتي: عبدالللاوند، شيخاوند، كاكاوند، كروسي، كيساوند، ورمزار، زهراوند، باجلوند، جليوند، كلهور، مافي، قره زنجيري، زنكه، سعده ونده.

والعشائر اللكية أيضًا قسم من أقسام الشعب اللوري الكبيرة وهم أيضًا أكراد أقحاح. وورد في (دائرة المعارف الإسلامية) في المجلد الثالث ص ١١ و ١٢ أنها كانت في الأصل عبارة عن مائة ألف نسمة، فلذا سميت باسم (لك).^(١)

فهذه العشائر الساكنة الآن في شمالي (لورستان) قد اختلطت ببقية العشائر اللورية. ويظهر من سياق التاريخ أنها قدمت في الأصل من الشمال إلى هذه الجهات. ويقول المسيو «رابينو» إن هذه العشائر نقلت إلى موطنها الحالية من قبل الشاه عباس لتحديد نفوذ الوالي «حسينخان» وكسر شوكتها. ويقول المستشرق نفسه أن كلا من أقسام «سلسله» و«دلفان» و«باجلان» و«زند» و«مافي» و«زنديو كاله»^(٢) كان بطناً من بطون «لك».

هذا وقد كان «كريم خان زند» قد نقل في أيامه إلى «شيراز» فرقة «بايرانه وند» لتكون بجانبه فهذه العشيرة وعشيرة «باجلان» أقدمتا على تعزيد ومساعدة «محمد خان» زند، لإحياء الحكومة الزندية في سنة (١٢١٢هـ). فلذا اضطهدت هذه العشيرة وغيرها من العشائر اللكية، اضطهاداً كبيراً وتعرضت للتشتيت والتشريد في عهد الحكومات القجرية بإيران. وكاد القضاء على العشيرة الزندية أن يكون تاماً، حيث لم ينج منها أحد سوى الذين تمكنوا من الاختفاء بين عشيرة «باجلان» الضاربة حوالى «خانقين».

ويقطن بعض من العشائر الزندية الحالية في ناحية «دوروفرمان» وفي الجنوب الشرقي من «كرمانشاه» وبعض من عشائر «مافي» الحالية تسكن في مناطق «وارمين» و«طهران» و«قزوین» كما أن بعضاً من العشائر اللكية توجد في قضاء «سلماس». وعلى رأي كل من «أو.مان» و«رابينو» أن عشائر الـ«لك» الحالية بلورستان تنقسم إلى فرق عدة وهي؛ سلسلة (٩٠٠٠) أسرة، ودلفان (١٤٧٠) أسرة وتيرهان أمرائي (١٥٨٢) أسرة، ودالوند

(١) لفظ (لك) في اللغة الفارسية بمعنى (مائة ألف). المؤلف

(٢) يقول المستشرق «شيندلر» إن كريم خان زند من أبناء هذه الفرقة ولد في قرية «باريا» المعروفة الآن بـ«باري» وهي مسافة ثلاثين كليومتراً من «دولت آباد» على طريق «سلطان آباد». المؤلف

(١٠٠٠) أسرة. فيبلغ مجموع عدد البيوت والأسر فيها (١٩٠٠٠) أسرة. وتسكن «دالوند» التي هي قسم من «بايرانه وند» مع قسيمتها هذه في شرقي «خرم آباد» وتضرب كل من عشيرتي «سلسله» و«دالفان» في سهول «آليشتار» و«خاوه» وتقطن «ترهان-طرخان» في الضفة اليسرى لنهر سايارا «الصيمرة».

وصفوة القول أن مواطن عشائر «لك» تقع في الشمال والشمال الشرقي من «لورستان» حيث يطلق على ذلك القسم اسم «لكستان» أيضًا. والآن سنة (١٩١٤م) يقوم «نظر علي خان» برياسة عشائر «سلسله» و«دالفان» و«تيرخان-طرخان» والأخيرتان كلتاهما من «أهل حق» ومن الشيعة الرافضة.

ورد في (دائرة المعارف الإسلامية) في خصوص تعداد العشائر اللورستانية ما يأتي:

قدر «كرزون» سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م) تعداد العشائر المذكورة بـ(٤٢١.٩٩٩) نسمة، منها (١٧٠.٠٠٠) من البختيارية و(١٤.٠٠٠) كوهكلوي و(٢١٠.٠٠٠) فيلي. وفي سنة (١٩٠٤م) قدر «رابينو» قسم بيشكوه بـ(١٣٠.٠٠٠) وقسم بيشكوه بـ(٥٠.٠٠٠) ويقسم المصدر نفسه أهالي «لورستان» بحسب اللغة واللهجة إلى قسمين: اللور الكبير (مامه ساني، كوهكلوي، بختياري) واللور الصغير أعني (اللور الفيلي).

هذا ولغة كل من هذين القسمين قد شبهها البعض باللغة الفارسية بل قال باتحادها معها نظرًا لبعض التشابه اللفظي في النطق وفي وجود الأدوات التي تلحق أواخر الكلم في كلتا اللغتين. غير أن هذه الدعوى، ضعيفة جدًا وفي حاجة شديدة إلى الدرس والتمحيص.

على أن الراجح أن لغة هذين القسمين تشبه اللغة الكردية أكثر منها إلى الفارسية؛ لأن الأكراد واللور يتفاهمان مع بعضها البعض بكل سهولة بخلاف الفرس مع اللور (انظر: مبحث اللسان).

وبما أن الدراسات التي قام بها الميجر راولنسون في سنة (١٨٣٦م) عن «لورستان» في غاية من العظم والتحقيق فلنخصها فيما يأتي:

عشائر البختياري (لوربرك)

العشيرة الكبيرة	فرقها	عدد البيوت والأسر		المساكن الصف	والمنازل الشتاء
		للفرق	للعشيرة		
هفت لنك	أولاكي	٤٠٠		جبالكاوا	سردشت
	ومال أحمدي				والسهول
	بختياري وند	٦٠٠		سيلاخور	الجنوبية الممتدة
	دوركي	٤٠٠٠	٧٠٠٠	جهار محل	إلى ديزفول
	سالاكي	٢٠٠٠		بوربورود	
جهار لنك	كنورسي	١٠٠٠		فريدون	السهول الجنوبية
	سهوني	١٥٠٠			الممتدة إلى «رام
	محمودسالة	١٠٠٠	٨٠٠٠٠		هرمز» جانيكي
	موكولي	٥٠٠			كرمسير
	مه مي وند			زرده كوه	
	زالاكي	٤٠٠٠		بازوفت	ششتر
	باوايي	٣٠٠٠			سوسن ومال
	اوراك	٢٥٠٠	٥٥٠٠		أمير
	وشالوه				
العشائر التابعة للبختياري	جالوكي			جبال	باغ ملك وتول
	كرمسير		٤٠٠٠	مونكشت	وادي الكوران
	خانوكي		٢٠٠٠	كاندومان	كولكير وبيته
	سردسير			ولوردانغان	وند
	كوندزلو		١٥٠٠		
المجموع			٢٨٠٠٠		

(من الزهاب إلى خوزستان ص ١٠٣).

ثم يواصل هذا المستشرق أبحاثه فيقول عن العقائد والحالة الاجتماعية لهذه العشائر ما يأتي:

إنَّ الرئيس العام لهذه العشائر هو «محمد تقي خان» من أحفاد «علي مردان خان» الشهير، ومن عشيرة «جانيكي» وجده الكبير هذا هو الذي سيطر على جميع البلاد الإيرانية بعد مقتل «نادر شاه». فمحمد تقي خان هذا رجلٌ مثقف وذو علم ودراية بالأمور، وعلى غاية من الشجاعة والبسالة، يؤدي وظيفة الرياسة كما ينبغي وهو محبوب من الجميع، وفي إمكانه أن يجند اثني عشر ألفاً من المقاتلة لدى الحاجة. وبلاده غاية في العمران والغنى. والعشائر فيها آخذة في التوطن والاستقرار. حيث حصلوا على أراضي واسعة وغنية في جهة «فريدون» وأنشأوا بها قرى عديدة. فجميع الدخان الذي ينسب إلى «خوزستان» من محصول هذه الأراضي. ولهذه العشائر تجارات واسعة في أصفهان.

هذا والقلقل مستمرة بين عشيرة «هفت لنك» وبين عشيرة «جهار لنك» دائماً. وفي الجملة أن الحالة الاجتماعية الخاصة بالعشيرة أحسن وأرقى من اللور الكوجوك. ومن الوجهة الدينية أن هذه العشائر - وإن كانت مسلمة - إلا أن إسلامها ضعيف. ومع ذلك ليس لها أي ميل واحترام لمذهب (علي إلهي) ولا يكادون يفهمونه.

ولغة هذه العشائر لهجة كردية، غير أن الفرق كبير بينها وبين سائر اللهجات الكردية من وجهة النطق والتلفظ. وفي الواقع أن لكل عشيرة من العشائر الساكنة بأطراف «زاغروس» لهجة خاصة بها. ولا ريب أن العشائر البختيارية في غاية من الشجاعة وحب القتال لما هم عليه من الشدة وفضاظة الطبع والصلابة.

يقول القائمقام السير «ارنولد ويلسن» في مقال له نشره في مجلة (جمعية آسيا الوسطى) نسة (١٩٢٦م) عن الأسرة الأميرية في عشائر «بختياري» ما يأتي:

كان رئيس البختياري حينئذ يدعى «خداكرخان» الذي شجرة نسبه كما يأتي:

«خداكرمخان» بن علي رضا خان بن محمد تقي خان (هو الذي كان ايلخانا في عهد راولنسون) بن حسن خان بن فتاح علي خان بن حسن خان بن زمان خان الملقب بـ«كيارس» و«كيارس» هذه إحدى فرق «جهار محله» الأربع: «جهار محل، مزاج، لار، كيار» ويؤخذ من الروايات المحلية أن «زمان خان» هذا يتحدر من سلالة «جمشيد» الملك الإيراني المذكور في الأساطير.

وبقية تاريخ هذه الإمارة تتلخص فيما يأتي:

رفع «محمد تقي خان» في وقت ما، لواء العصيان في وجه الحكومة الإيرانية فجردت عليه حملة عسكرية قوية اضطرتته للالتجاء إلى الشيخ «تامر» رئيس قبيلة بني كعب، غير أنه سلم إلى حكومة طهران من جراء مكيدة دبّرت له بخيانة عظيمة. فزج في غياهب السجون بطهران حيث قضى نحبه في السجن سنة (١٨٤١م). وانتقلت رئاسة العشيرة والإمارة بعد ذلك إلى ولده الميرزا «أعاجان» الذي زال في عهده نفوذ «جوارلنك» شيئاً فشيئاً حتى انتقل ذلك في أواخر حكمه إلى «هفت لنك».

هذا وكانت الإمارة في عهد السير «ويلسن» في أيدي أحفاد «حيدركور» من فرقة بابي (الظاهر باوايي). وبعد «حيدر» هذا حاز ابنه «غالب» رئاسة فرقة أخرى من فرق العشائر البختيارية. وكان «صالح خان» من أحفاد «غالب» هذا في معية «نادر شاه» أثناء غزوه الهند. وبعد عدة بطون وجد أن «جعفر قلي خان» الذي هو ابن أسد خان (آزادخان)، رئيس للعشائر البختيارية. و(أسد خان) هذا هو الذي يشترك فيه حدود رؤساء العشيرتين «جوارلنك» و«هفت لنك». وقد قام ابنان جسوران لجعفر قلي خان هذا وهما «حسين قلي خان» و«إمام قلي حاجي ايلخان» بأعباء الرئاسة بعد والدهما أحسن القيام. وبعدهما قام ابناهما «اسفنديار خان» و«محمد حسين خان» في رئاسة الايلخانية التي صادقت عليها الحكومة. وقد مات اسفنديار خان في سنة (١٩٠٣م) بعد أن دامت رياسته ثلاثين سنة، كما أن «محمد حسين خان» مات بعد ذلك بمدة سنتين.

منازلها		عدد البيوت		أقسام الفرق	فرقها	العشيرة الكبيرة	
في الشتاء	في الصيف	للعشيرة	للفرقه				
حليان دومال حليان	خاوه		١٥٠٠٠	كاكه وند ئيوه تيوند مومنه وند رئيسه وند بجنه وند جواري	ديلفون	بيشكوه	
وكوه دشت رودباز جارده وه رترهان	هراسيم حاوه						
	اليشتاروخاو		١٥٠٠٠	حسنه وند قلي وند يوسف وند	سيلا سلا		
كيراب وسهل اللور كركى مانكه	تاف (بجوار خرم آباد) أبستان		٦٠٠٠	رش نو ساكى بابى	بالاكريوه		

العشيرة الكبيرة	فرقها	أقسام الفرق	عدد البيوت		منازلها	
			للفرقه	للعشيرة	في الصيف	في الشتاء
		دير يكه وند			سرهورمز كوه هفتاد	راه ودو ست رضا
	عامله	كوشكى زيوهدار أمرابى مير اخور قاطر جى غلام نوتمياد زوله	٢٠٠٠		بهلو تسكن عشائر «عامله» في القرى ويفلحون الأراضي الأميرية الكائنة بجهات خرام آباد، صيمره ترهان، كوه دشت	
	عامله			٣٨٠٠		
بيشتكوه	فيلي	كورد شاوهون مهاكى جهار	١٢٠٠٠		في المراعي التي بأطراف كبير كوه	سيروان، جيستان بدره، سهل أبلادانى

منازلها		عدد البيوت		أقسام الفرق	فرقها	العشيرة الكبيرة
في الشتاء	في الصيف	للعشيرة	للفرقه			
		١٢٠٠٠		ستون ديناروند		
		٤٥٠٠	٢٠٠٠	دالا وند سكه وند	باجيلان	توابع اللور الكوجك
			٢٥٠٠	على وند دوشوند	بايرانه وند	
		١٥٠٠	٥٠٠	عثمانه وند	حلياننى	
			٥٠٠	جلاله وند		
			٢٠٠	داجيه وند		
			١٠٠	بالاوند		
			٢٠٠	سرخه		
				مرى		
		٥٦٠٠٠				المجموع

ويقول «راولنسون» في مكان آخر من جدولته: إنه يؤخذ من إحصاء العشائر الكبيرة، أن عدد البيوت والأسر في بيشكوه يبلغ (٤٠.٠٠٠) وفي بشتكوه (١٥٠٠٠) وفي العشائر التابعة (٥٠٠٠) فيكون المجموع (٦٠.٠٠٠) ستين ألف بيت.

وعلى رأي هذا المستشرق ليس للور الكوجك رئيس مستقل منفرد بل أن عدة من عمد القرى (توشمال) يقومون بشئون جميع العشيرة التي تفرق إدارتها وشئونها عن إدارة العشائر الأخرى افتراقاً كلياً، حيث تعيش هذه العشيرة على شكل إدارة متحدة (فيدارسيون). هذا ولوالى «بشتكوه» مثل آبائه وأجداده، نفوذ عظيم كنفوذ الحكام والملوك. وفي هذه الجهات تقوم النساء بأغلب أعمال الرجال وشئونهن. ويمضي الرجال أوقاتهم بقطع الأخشاب وعمل الفحوم ورعي الحيوانات والماشية.

(من الزهاب إلى خوزستان ص ١٠٦-١١٠).

وأما قسم «لك» فيتكلم بلهجة كردية قريبة من الله الكلهورية، كما أن عشيرة «ماهكي» بأطراف حدود كرمانشاه وحليان، تتكلم باللهجة اللكية ولكن عشيرة «شوهان» الكردية المقيمة بجنوبي بشتكوه، تتكلم بالكردية الكرمانجية.

٦- في العراق العجمي:

تقطن عشيرة «أنبارلو» على مقربة من «طارم» كما أن بأطراف «بروجرد» تسكن عشيرتا «بيات» و«بيرانه وند».

٧- بفارس:

تقيم عشيرة «شوانكاره- شبانكاره» بفارس، وهي على جانب عظيم من السلطان والنفوذ، حيث لعبت دوراً هاماً في تاريخ بلاد «فارس» و«كرمان» حتى تمكنت في وقت ما، من تأسيس حكومة مستقلة بها باسمها، فمنطقتها الحالية التي تحتوي على بلاد

«زاركان، ايستابانان، بورك، طارم، خيرا، تريز، كوروم، رونيز، لار، دارابجرد» تمتد من شرقي «شيراز» حتى «بجنورد» ويصل سلطانها لغاية ساحل الخليج الفارسي. وهي على غاية من التقدم والرقي في الزراعة والتجارة. وبحسب سعة بلادها يلزم أن يكون تعداد نفوسها العام كبيراً، فلا يقل ذلك عن ثلاثين ألف أسرة. وكانت في القديم مؤلفة من خمس فرق كبيرة: إسماعيلي، راماني، كارزوي، مسعودي، شاكاني. وترعم هذه العشيرة أن أمراءها من سلالة وأحفاد «أردشير» مؤسس الدولة الساسانية. هذا ويسكن فريق «شاكاني» حوالي ساحل الخليج الفارسي. ويدل التاريخ على أن فريق «راماني» أهم تلك الفرق كلها. وكان «فضلويه» مؤسس حكومة «شبانكاره» و«كرمان» من هذه الفرق المهمة. (دائرة المعارف الإسلامية: ج ٢).

٨- في بلاد «كرمان»:

تقيم في «كرمان» بعض من العشائر الكردية السيّارة، ولكننا لم نعثر على أبحاث عنها، في مصدر من المصادر.

٩- في بلاد «طهران»:

تقطن عشيرة «بازوكي» في بلاد «طهران»، كما أن فريقاً من هذه العشيرة يوجد في جنوبي بلاد إيران.

١٠- في بلاد «كيلان - جيلان»:

تسكن في جيلان عشيرة «عمرلو» التي تنقسم إلى عدة فرق: قباقرانلو شمكانلو، بهادرلو، شاهكولانلو، بشانلو. ويقال: إنها نقلت من قبل «نادرشاه» من إقليم خراسان إلى هذه البلاد. (مجلة آسيا الوسطى، ص ١٠).

١١ - في بلاد «مازندران»:

تقيم عشيرة «مودانلو» التي هي مقدمة العشائر الكردية الإيرانية وأرقاها حالاً، في هذا الإقليم. (كوردلر).

١٢ - في بلاد «خراسان»:

وتوجد فيما بين «مشهد» و«بجنورد» عشائر شادللو، «زفرانلو- زعفرانلو» عمرلو. فعشيرة «زعفرانلو» تسكن الخيام السود، وهي عشيرة عظيمة وقوية. ويذكر تاريخ «نادرشاه» معلومات عن عشيرتي «جمشكرك» و«قره جورلي» الكرديتين، حيث أراد «نادرشاه» أن يستعملهما ضد العشائر التركمانية.

١٣ - في بلاد «همدان»:

تقيم عشيرة «الجوزقان» في هذه البلاد.

الكرد في روسيا

تقيم في الجمهورية الأرمنية بآريفان، بضع فرق من عشيرة «زيلان»، الشهيرة في مقاطعة «بايزيد». ويقول الدكتور «فريليج» في كتابه (كوردلر ص ٣٥): أن نحو خمسة آلاف أسرة من عشيرة «بازوكي» تقيم على مقربة من «آيفان». وعلاوة على ذلك يوجد في بلاد جمهورية «أذربيجان» الروسية بعض من العشائر الكردية بولاية «آليزابت بول-كنجه» القديمة أي في بلاد زنكه زور، جوانشير، جبرائيل، أراش، حيث يتألف منها جميعاً قضاء مستقل. وتوجد في منطقة «أخسخه» جماعة كبيرة من الأكراد موزعة على تسع عشرة ناحية، وكلهم زراع بارعون. (كوردلر)

الكرد في بلوجستان والهند

إنّ العشيرة المسماة «براخو- براهوئي» هي أعظم العشائر الكردية في هذه البلاد، وتقيم أغليبتها الساحقة حوالي «كلات». فتمتد منطقتها من «كتنا» لغاية «لاس- بلا» أي ما يقرب من (٢٢٠) ميلاً. هذا وإن كان تعدادها أقل من البلوج، إلا أنها أقوى منهم نفوذاً وأمضى سلطاناً. والحكم الداخلي في عاصمة بلوجستان التي هي مدينة «كلات»، يعود إلى أمر رئيس هذه العشيرة وهو من فرقة «كامبراني». وتنقسم إلى قسمين كبيرين: «سراوان- براخوي الأعلى» و«جاهلاوان- براخوي الأسفل». هذا وفي جنسية هذه العشيرة، أثار البعض شبهةً واعتراضات. ولكنني أعتقد أن هذه الشبهات، وهذه الاعتراضات ضعيفة جداً، لأن في اسم هذه العشيرة أكبر دليل على جنسيتها الكردية. وفضلاً عن ذلك فإن بين هذه الجماعة الكبيرة، توجد عشيرة كردية بحثة عظيمة، معروفة باسم «كردكلي» أي جماعة الكرد، حيث هي أصل عشيرة البراخوئي هذه وأساسها القديم. ويظهر أنها قدمت إلى هذه الجهات من غربي البلاد الإيرانية. ويلزم أن عشيرة «براخوي» أيضاً قادمة من غربي البلاد الإيرانية. ويبلغ تعداد هذه الجماعة الكبيرة كلها ثلاثمائة ألف نسمة. (دائرة المعارف الإسلامية).

ويوجد بعض من هذه العشائر في الهند، حيث يقيمون في بلاد السند. ويبلغ تعدادها (١٤٠.١٨٠) من النسمات.

وعشيرة «براخوي» هذه، كلها من أهل السنة والجماعة، وتشوب لغتها بعض من الكلمات البلوجية والإيرانية. ولهجتها قريبة من لهجات الهند الأوسط «دراويد». فبطبيعة الحال أن هذه الأحوال نتيجة الاختلاط بالأمم المجاورة. وتكاد تكون قواعد النحوية والصرفية مثل القواعد النحوية البلوجية.

وتقيم عشيرتان كرديتان أخريان، سوى عشيرة براخوى، بين العشائر البلوجية وهما معروفتان باسم «مامه سنى - مام حسنى» وهؤلاء أيضا يظهر أنهم قادمون من غربي إيران. (دائرة المعارف الإسلامية).

الكرد في أفغانستان

على رأي كتاب (شرفنامه) يقيم بعض من عشائر الزنكنه في أفغانستان. ويظهر أنها قدمت من بلوجستان إلى تلك البلاد. ويقول المستشرق «مورجن سترن»: «يظهر أن في أفغانستان أيضًا يوجد بعض العشائر الكردية». ولكنه لم يتحقق من ذلك تمامًا ولم يدرس الموضوع.

تمّ المجلد الأول في ١٣ مارس سنة ١٩٣١ م. محمد أمين زكي.

ترجمة

- العلامة الفضال معالي محمد أمين زكي (وزير الاقتصاد والمواصلات سابقاً).

- ولد المؤلف -أمّد الله في حياته- سنة (١٨٨٠م/١٢٩٧هـ) في قصبة السليمانية. وأبوه الحاج «عبد الرحمن» من سكان محلة «كويثرة» الواقعة في الجهة الشرقية من المدينة المذكورة. كانت دراسة المؤلف الأولية في مدرسة «ملا عبد العزيز» التي كان التدريس فيها باللغة الفارسية حينذاك، ثم انتقل سنة (١٨٩٢م) إلى المدرسة الابتدائية الرسمية الوحيدة، ودرس فيها سنة كاملة انتقل بعدها إلى الصف الثاني من مدرسة الرشدية العسكرية التي فتحت أبوابها سنة (١٨٩٣م). وبعد إكمال دراسته في المدرسة المذكورة انتقل سنة (١٨٩٦م) إلى الإعدادي العسكري ببغداد وبقي فيها ثلاث سنين، وانتقل بعدها إلى المدرسة الحربية في الأستانة، ومنها إلى مدرسة الأركان، حيث تخرج منها برتبة (رئيس ممتاز).

وفي سنة (١٩٠٢م) عين في الجيش السادس ببغداد. وفي السنة التي تليها انتسب إلى إدارة الأملاك السنية بوظيفة مهندس، وبقي فيها حتى إعلان الدستور. وبناء على طلبه، نقل إلى الجيش الثاني (ومركزه أدرنة) وعند وصوله إلى الأستانة انتخب عضواً في لجنة الخرائط وباشر مع اللجنة في إحضار خريطة الأستانة وضواحيها (١٩٠٧م/١٣٢٥هـ). كما أنه اشترك في السنة التي تلتها مع لجنة تحديد الحدود بين تركيا وبلغاريا بصفة ضابط طوبوغرافي، وبقي في هذه اللجنة مدة سنتين، اشترك بعدها مع لجنة خاصة لمدة سنة، في تحديد حدود الأتراك والروس بالقوقاس. وبعد نشوب حرب البلقان طلب نقله إلى جبهة الحرب. وتلبية لطلبه عين أركان حرب في الفرقة الخامسة في جبهة «جتالجة» (١٩١٢م/١٣٣٠هـ).

وفي السنة التالية أرسل مع هيئة من الضباط إلى فرانسة لدرس بعض المسائل العسكرية وبقي فيها زهاء سنة. وفي سنة (١٩١٤م) عين للمرة الثانية في لجنة حدود الروس، وبعد إكمال التحديدات سافر مع اللجنة إلى مدينة «تفليس» وبعد بضعة أيام أعلنت الحرب بين الحكومتين العثمانية والروسية. وبإنقضاء شهر ونصف تمكن من العودة إلى الأستانة عن طريق السويد، ولم تمض مدة حتى عين لوظيفة أركان حرب في الفيلق الأول، واشتغل في هذه الوظيفة مدة واشترك في دورة الطيران في «أياستفانوس» لمدة ثلاثة أشهر. وفي السنة الثانية من الحرب العظمى (سبتمبر ١٩١٥م) رفع إلى رتبة مقدم (بيكباشي) ونقل إلى أركان حربية الجيش في العراق، المسمى حينذاك (عراق وحواليسى عموم قومندانلى). ووصل إلى مقر الجيش في (سلمان باك - طيسفون) في ٢ تشرين الثاني من السنة نفسها. وفي (٨ تشرين الثاني ١٣٣١هـ أي سنة ١٩١٥م) دخل إلى صنف لأركان بأمر من رئاسة الأركان العامة. وشغل وظيفة مدير الحركات في هذا الجيش إلى أن تشكل الجيش السادس في العراق. وقد اشترك في حرب «سلمان باك» و«ده لا بجه» و«شيخ سعد» و«كلال» وفي الحروب التي جرت في أطراف «كوت العمارة» ومحاصرتها. وعند تشكل الجيش السادس تحت قيادة «خليل باشا» عين مديراً لشعبة الاستخبارات. وبعد سقوط «بغداد» رجع مع قيادة الجيش إلى الموصل، وبعد مدة ذهب بالإجازة إلى الأستانة. وقد عين في (١ تموز - يوليو ١٩١٧) معاوناً لرئيس أركان الحرب في الجيش السابع تحت قيادة «مصطفى كمال باشا» فذهب مع الجيش إلى حلب. وبعد انفصال قائد الجيش وتعيين «فوزي باشا» لقيادة الجيش السابع توجه مع الجيش إلى جبهة فلسطين. ووصل إلى «خليل الرحمن» في (٢٨ تشرين الأول - أكتوبر ١٩١٧م) واشترك في المعارك التي جرت في جهات «خليل الرحمن» و«القدس» و«نابلس» وبقي في هذه الجبهة حتى إيلول سبتمبر (١٩١٨م) حيث نقل إلى الجيش الثالث الكائن في جبهة القوقاس. والتحق به في الأستانة في (٢٠ تشرين الأول) وفي نهاية السنة المذكورة نقل إلى شعبة «تاريخ حرب». وبغض النظر عن بعض الفترات بقي في هذه الشعبة عودته إلى العراق في (٢٤ تموز - يوليو سنة ١٩٢٤م).

وقد نال أثناء وجوده في جبهة العراق مدالية حرب في (٢١ نيسان ١٣٣٢هـ) ونوط الجدارة الفضي (١٣ شباط سنة ١٣٣٢هـ) ونوط الصليب الحديدي الألماني من الدرجة الثانية في (كانون الثاني في ١٩٣٣م). وفي فلسطين نال مدالية نوط الصليب من الدرجة الأولى (١ مارس ١٩١٨م) وطلب له مصطفى كمال باشا الذي تولى قيادة الجيش السابع للمرة الثانية مدالية الامتياز الفضي والترقية إلى رتبة (العقيد) ومدالية حرب لحكومة النمسة (في تشرين الأول ١٩١٧م).

هذا ومن آثاره في الجيش التركي:

- ١- عثماني أردوسي (الجيش العثماني) مطبوع بغداد في سنة ١٣٢٤هـ.
- ٢- عثماني أسفاري حقننه تدقيقات (دراسة الحروب العثمانية) طبع في الأستانة سنة ١٣٣٦هـ.
- ٣- عراقي نصل غائب ايتدك (كيف فقدنا العراق؟) طبع في الأستانة سنة ١٣٣٦هـ.
- ٤- حرب عموميده عثماني جبهه لري وقايعي (معارك ووقائع ساحات القتال العثمانية في الحرب العالمية) مطبوع في العراق سنة ١٣٣٧هـ.
- ٥- عراق سفري وخطالرمز (الحروب والمعارك العراقية وأخطاؤنا) طبع في الأستانة سنة ١٣٣٧هـ.
- ٦- سلمان باك ميدان محاربه سي وذيل (معركة طيسفون مع الذيل) طبع في الأستانة سنة ١٣٣٨هـ.
- ٧- بغداد وصوك حادثه ضياعي (بغداد وحادث فقدتها الأخير) طبع في الأستانة سنة ١٣٣٩هـ.

٨- عراق تاريخ حرب مختصرى (مختصر تاريخ حرب العراق) طبع في الأستانة سنة ١٣٣٩هـ (قسم منه).

وله بضعة كتب أخرى لم تطبع بعد. ومن جملتها كتاب (كوت الإمارة هجوم ومحاصره سى) (الهجوم على كوت العمارة ومحاصرتها) الذي هو عبارة عن مجلدين أهداهما إلى شعبة تاريخ الحرب في لندن.

وبعد عودته إلى العراق ببضعة أيام عين مدرسًا في المدرسة العسكرية. وبعد اجتيازه الامتحان ونجاحه فيه، دخل الجيش العراقي. وفي نهاية سنة (١٩٢٤م) عين آمرًا للمدرسة العسكرية ودار التدريب برتبة (عقيد - ميرآلي). وفي (٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥م) أصبح وزيرًا للأشغال والمواصلات واستمر في هذا المنصب في وزارتي عبد المحسن بك السعدون وجعفر باشا العسكري حتى منتصف سنة (١٩٢٧م) وفي ٦ آب - أغسطس من هذه السنة أصبح وزيرًا للمعارف حتى (١٨ كانون الثاني سنة ١٩٢٨م) حيث انفصل من المعارف، وبعد خمسة أشهر انتخب نائبًا عن السليمانية. وفي (٢٨ نيسان ١٩٢٩م) أصبح وزيرًا للدفاع. وفي (١٩ أيلول) من السنة المذكورة عين وزيرًا للأشغال والمواصلات وفي (١٤ تشرين الثاني) من السنة نفسها انفصل منها. وبعد أربعة أيام عين للمرة الرابعة وزيرًا في الوزارة نفسها حيث انفصل منها بتاريخ (٢٢ مارس ١٩٣٠م) إلى أن عين في (٢ تموز سنة ١٩٣١م) وزيرًا للاقتصاد والمواصلات في وزارة نوري باشا السعيد الأولى والثانية. وفي (٢ تشرين الثاني ١٩٣٢م) انفصل من الوزارة حتى عين بتاريخ (٢٥ مارس سنة ١٩٣٣م) مديرًا لوزارة الاقتصاد والمواصلات. وفي (١٢ أيلول) من هذه السنة عين مديرًا عامًا للري لمدة قصيرة؛ حيث عاد بعدها إلى منصبه السابق، وكان انفصاله منها في (٨ أيلول ١٩٣٤م) وقد عين وزيرًا للاقتصاد والمواصلات في (٣ مارس سنة ١٩٣٥م) وفي ١٦ آذار من السنة عينها، انفصل عن الوزارة وذلك باستقالة الوزارة المدفعية الثالثة. وفي عين التاريخ أعيد تعيينه للمرة الثامنة لوزارة الاقتصاد والمواصلات في الوزارة الهاشمية

الثالثة، وانفصل عن منصبه عند استقالة الوزارة تحت الضغط العسكري في (٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦ م). وانتخب نائباً عن لواء السليمانية في (٢٢ كانون الأول ١٩٣٧ م).

وخلال المدة الأخيرة ألف مجلدين عن تاريخ الكرد وكردستان سماهما بـ (خلاصة يه كى تاريخى كورد و كوردستان) نُشر المجلد الأول منها سنة (١٩٣١ م) والثاني في (١٩٣٧). كما أنه كتب كتابين آخرين أحدهما (مشاهير الأكراد) والآخر (تاريخ السليمانية وولاتها). وصدر الأخير بالكردية سنة ١٩٣٩ م ببغداد.

المصادر الشرقية والغربية التي استقى المؤلف منها معلوماته

١ - باللغة العربية:

- ١ - (تاريخ العصور القديمة) تأليف الدكتور جايمس هنري بريستد. ترجمة داود قربان. طبع بيروت سنة ١٩٢٦ م وسنة ١٩٣٠ م.
- ٢ - ترجمة (تقرير لجنة استفتاء عصبة الأمم في قضية الموصل) بغداد ١٩٢٦ م.
- ٣ - (معالم العصور الوسطى) ترجمة محمد رفيق أحمد حسونة ١٩٢٧ م.
- ٤ - (الأخبار السنوية في الحروب الصليبية) تأليف سيد علي الحريري طبع بمصر سنة ١٣١٧ هـ.
- ٥ - (النوادر السلطانية) للقاضي بهاء الدين ابن شداد (٦٢٣ هـ) طبع بمصر.
- ٦ - (كتاب التاريخ) لتاج الدين شهنشاه بن أيوب. طبع بمصر سنة ١٣١٧ هـ.
- ٧ - (كتاب تجارب الأمم) لابن مسكويه ألفه في سنة ٣٢٩ هـ طبع بمصر سنة ١٩١٤ م وذيله للوزير أبي شجاع محمد بن حسين وهو الجزء الثالث.
- ٨ - (الكامل) لابن الأثير في ١٢ مجلد. طبع بمصر سنة ١٣٠١ هـ.
- ٩ - (الفتوحات الإسلامية) للسيد أحمد بن زيني دحلان طبع بمصر ١٣٠٣ هـ.
- ١٠ - (تاريخ الموصل) لسليمان صانع طبع سنة ١٩٢٣ م.
- ١١ - (تاريخ الأمم والملوك) لمحمد بن جرير الطبري في ١٠ مجلدات طبع مصر.

- ١٢- (دولة آل سلجوق) لعماد الدين محمد الأصفهاني طبع مصر سنة ١٩٠٠ م.
- ١٣- (حياة صلاح الدين الأيوبي) لأحمد البيلي طبع مصر سنة ١٩٢٦ م.
- ١٤- (تاريخ الأمم الإسلامية) لمحمد الخضري بك طبع مصر.
- ١٥- (حاضر العالم الإسلامي) للأمير شكيب أرسلان في مجلدين طبع مصر.
- ١٦- (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي في ٦ مجلدات طبع مصر.
- ١٧- (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) لأبي الفضل محمد بن خليل طبع مصر.
- ١٨- (تاريخ دول الإسلام) لرزق الله منقريوس الصدي في مجلدين طبع بمصر سنة ١٩٠٧ م.
- ١٩- (معجم البلدان) لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي في ٨ مجلدات طبع بمصر سنة ١٩٠٦ م.
- ٢٠- (منجم العمران) في مجلدين طبع بمصر سنة ١٩٠٧ م.
- ٢١- (دائرة معارف القرن الرابع عشر، والعشرين) لمحمد فريد وجدي طبع مصر سنة ١٩١٢-١٩٢٠ م.
- ٢٢- (تقويم البلدان) لأبي الفداء (٧٢١هـ) طبع أوروبا سنة ١٨٠٧ م.
- ٢٣- (وفيات الأعيان) لشمس الدين ابن خلكان طبع بمصر سنة ١٢٩٤هـ.
- ٢٤- (ديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر) لابن خلدون.

- ٢٥- (مفصل جغرافية العراق) طه الهاشمي بك طبع بغداد سنة ١٩٣٠ م.
- ٢٦- (القضية الكردية) للدكتور بليج شيركوه طبع بمصر سنة ١٩٣٠ م.
- ٢٧- (روح المعاني) تفسير القرآن للمرحوم محمود أفندي الألوسي طبع بمصر.
- ٢٨- (الفتح القسي في الفتح القدسي) تأليف عماد الدين أبي عبد الله ابن محمد الكاتب الأصفهاني سنة (٦٠١هـ) وطبع في لندن سنة (١٢٠٥هـ) والمؤلف كان مرافقاً للسلطان صلاح الدين في حروبه وفتوحاته.
- ٢٩- (صبح الأعشى) للشيخ أحمد القلقشندي ألفه سنة (٨١٤هـ) وطبع بمصر سنة (١٩١٤).
- ٣٠- (فجر الإسلام) الجزء الأول في الحياة العقلية للأستاذ أحمد أمين. طبع بمصر سنة (١٩٢٨ م).
- ٢- باللغة الفارسية:
- ١- (إيران قديم) تأليف حسن بيرنيا (مشير الدولة سابقاً) طبع بطهران سنة ١٣٠٨ الفارسية (١٩٢٩ م).
- ٢- (نزهة القلوب في المسالك والممالك) تأليف حمد الله المستوفي القزويني الترجمة الإنجليزية طبع لندن سنة (١٩١٩).
- ٣- (تاريخ كزيده) للمؤلف نفسه ألفه سنة (٧٣٩هـ) وطبع بلندن سنة (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠ م).
- ٤- (تاريخ عالم آراي عباسي) ألفه إسكندر منشي بعد عهد الشاه عباس الأول طبع طهران سنة ١٣١٣هـ في ٣ مجلدات.

٥- تاريخ (شرفنامه) للأمير شرف الدين البدليسي ألفه سنة (١٠٠٥هـ) طبع بسان بطرسبورج سنة (١٨٦٠) وبالقاهرة سنة (١٩٣٠م).

٣- باللغة التركية العثمانية:

١- (أولياجلبي سياحتنامه سي) للرحالة التركي الشهير أولياجلبي الذي ألفه سنة (١٠٦٥هـ) وطبع بالأستانة سنة (١٣١٤) في ستة مجلدات.

٢- (بويوك تاريخ عمومي) لأحمد وفيق بك في ٦ مجلدات، طبع بالأستانة سنة (١٣٤٧هـ).

٣- (كوردلر) تأليف الدكتور فريليج باللغة الألمانية وترجمة إدارة المهاجرين العامة بتركيا. طبع سنة (١٣٣٤).

٤- (تاريخ عمومي) لمراد بك في ٦ مجلدات. طبع بأستانبول سنة (١٣٢٨هـ).

٥- (تاريخ الإسلام) لمولانا شبلي بالإنجليزية وترجمة عمر رضا بالتركية في ٩ مجلدات طبع بالأستانة سنة (١٩٢٨).

٦- (مدنيت إسلامية تاريخي) لجورجي زيدان وترجمة زكي مغامز في ٥ مجلدات طبع بالأستانة سنة (١٣٢٨).

٧- (تاريخ إسلام) تأليف «ئينو كايانو» بالإيطالية وترجمة حسين جاهد بك في ١٠ مجلدات طبع بالأستانة سنة (١٩٢٤).

٨- (رسملي وخريطه لي عثمانلي تاريخي) لأحمد بك راسم في ٤ مجلدات طبع بالأستانة سنة (١٣٣٠).

٩- (تاريخ نعيما) في ٦ مجلدات لمصطفى نعيما المتوفى سنة (١٢٨هـ) طبع بأستانبول سنة (١٢٨٠هـ).

١٠- (مصور تاريخ إسلام) للسيد علي أمير بالإنجليزي، ترجمة محمد رءوف في مجلدين طبع بالأستانة سنة (١٣٢٩).

١١- (دولت عثمانيه تاريخي) للفون هامر بالألمانية وترجمة محمد عطا بك في ٨ مجلدات طبع بأستانبول سنة (١٣٢٢).

١٢- (تاريخ إسلام) لأحمد حلمي القليوبي طبع الأستانة سنة (١٣٢٦ عثمانية).

١٣- (سجل عثماني) تأليف محمد ثريا عضو مجلس المعارف الكبير في ٤ أجزاء طبع الأستانة سنة (١٣٠٨هـ).

١٤- (قاموس الأعلام) في ٦ مجلدات لشمس الدين سامي طبع بأستانبول.

١٥- (تاريخ جودت) للوزير العالم أحمد جودت باشا طبع بأستانبول سنة (١٣٠٩هـ) في ١٢ مجلد.

١- مجلة (جمعية آسيا الوسطى) العدد: ١١، ١٢، ١٣، ١٥ لندن سنة (١٩٣٠) إنجليزي.

٢- (مذكرة شريف باشا إلى مؤتمر الصلح) باريس سنة ١٩١٩ (فرنسي).

- 1- The Eencyclopaedia of islam v.1,2,3,4.
- 2- Eerly history of assyria.By Sir Sidney Smith 1928London .
- 3- Ahistory of Babilon.
- 4- Ahistory of summer and akkad by L.W.Kingi 1919London .
- 5- The historians.History of the world v .1,11 1926 London.
- 6- Chaldea by Ragozin and Zonaïde A. 1886 London.
- 7- L'orient et la grece par Roger Peyre 1924paris .
- 8- The Cambridge ancient history by J.B.bury The assyrian Empire S.A.Cook v. 111.1925 london
- 9- History of assyris by A.T.Olmstead 1923ondn
- 10 Mesopotamian Origins. The basic population of the Near East by Ephraim A.Speisere.1930 philadelphia.
- 11 the lands of the Eastern Calphate by A.le Strange 1905 cambridge.
- 12 History of Persia by Major general sir John Malcolm 2 v.1829London .
- 13 The Ancient History of the near east by H.R.Hall faurthe edition 1909London .
- 14 The Caliphs last Heritage a short History of the Turkish Empire by sir Mark syks 1919London .
- 15 Persia by John piggof.1874 London.
- 16 Mosul and minorities by Harry charles luke 1929London .
- 17 Four centuries of Modern iraq by S.H.longrigg 1925 London.

- 18 Mesopotamis and Kurdistan in disguise by E.B.soans. 191London .
- 19 Notes on the tribes of southern Kurdistan by E.B.Soane 1918 Bagdad.
- 20 administration report on the rowanduz district for the year 1919
- 21 report on the sulaimanis district of kurdistan by E.Bsoane 1918 Calcutta.
- 22 The case of kurdistan against Turkey 191Philadelphia .
- 23 Two years in Kurdistan by W.B.Hay.192London .
- 24 The Statesman's year- book.1926 .
- 25 Almanach de gotha. 1929.
- 26 a general history of europe by J.H.Robinson and J.H.Breasted.1924 boston.
- 27 Vom Mittelmeer zum persischen golf von Dr.Max Freiherrn von yyienheim 1900Berlin .
- 28 luristan: Pish-i-Kuh and bala gariveh by C.J.Edmonds H.M. 1922 London.
- 29 The Cambridge medieal History by J.B.Bury.M.A.V . 1,2 1924 London.
- 30 babylonian problemes.By Lieut Colonel W .H.Lane.1923 London.
- 31 The History of the life and reign of alexander the great. By Quintus Curtius. Translated by P.Pratt.
- 32 Persia and the Persian question by the Han. George N.Curzon M.P. v. 1, 11. 189London .
- 33 Arrian's Anabasis of Alexander and india. By Edward James chinnock M.A. 189London .
- 34 Dar-ul-Islam, a record of a journey through tent of the asiatic provinces of Turkey.By Mark Sykes .1904London .

- 35 La nation kurd par Massoud Fani. 1933 Paris .
- 36 Story of the nations, a weekly jornal. London.
- 37 the sacred langage writings and religion of the Parisis. By Martin Haug. Ph. D. 1883 London .
- 38 sir H.Rawlinson's essay. Entitled, Notes on seistan, published in the journal of the r.g.s.vol .xliii pp .272 294 (1873).
- 39 Notes and a marche fram Zohab at the foot of zagras, along the mauntains to khuzistan (susiana) and fram the ncethrough the pravinces of luristan to kermanshah in the year 1836 by Major Rawlinson ,of the bombay army serving in Persia .
- 40 Notes on a journey fram Tabriz through Persian Kurdistan to the ruins of takhti-soleiman....Etc by H .C.Rawlinson 1838oyal geographical society .
- 41 the Cradl of mankind Life in eastern kurdistan by W.A.Wigram D.D. 1936 London.
- 42 Media, babylon and Persia, including a study of Zend-Avesta or Zoroaster. By zenaïde A.ragaozin. London.
- 43 Wild life amang the Koords by Major Frederick Millingen. 1868 London.
- 44 Mescpotamia, 1917 1920 by Lieut colonel Wilson . London.

أهم المصادر التي استعان بها المترجم على تحقيق الأعلام ومراجعة النقول:

- ١- (فتوح الشام) للمؤرخ إسماعيل الأزدي (١٧٥هـ) طبع كلكته سنة ١٨٥٤.
- ٢- (تاريخ الطبري) لمحمد بن جرير الطبري الطبعة المصرية.
- ٣- (تاريخ اليعقوبي) لأحمد أبي يعقوب من علماء أواخر القرن الثاني. مجلدان: طبع بليدن ١٨٨٣ م.
- ٤- (الأخبار الطوال) لأبي حنيفة الدينوري المتوفى (٢٨١هـ) طبع ليدن ١٨٨٨ م.
- ٥- (فتوح البلدان) للبلاذري البغدادي المتوفى سنة (٢٧٩) طبع ليدن ١٨٦٦.
- ٦- (مروج الذهب) للمسعودي أتم تأليفه (٣٣٢هـ) طبع بباريس مع الترجمة الفرنسية.
- ٧- (البدء والتاريخ) للمطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥هـ) طبع بترجمته الفرنسية بباريس سنة ١٩١٩.
- ٨- (الآثار الباقية عن القرون الخالية) (٤٢٠هـ) تقريبا طبع ليبسك سنة ١٩٢٣.
- ٩- (تاريخ أبي صلح الأرمني) توفي سنة (٥٦٤هـ) طبع بأكفسورد سنة ١٨٩٤.
- ١٠- (تاريخ الكامل) لابن الأثير، الطبعة المصرية.
- ١١- (تقويم البلدان) لأبي الفداء عماد الدين (٧٣٢هـ) طبع بفينا ١٨٠٧ م.
- ١٢- (معجم البلدان) لياقوت الحموي في ٦ مجلدات طبع ليبسك سنة ١٩٢٤.

١٣- (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمري المتوفى سنة (٧٤٩هـ) مخطوط دار الكتب المصرية نمرة ٥٥٩ و ٨ معارف عامة.

١٤- (المكتبة الجغرافية العربية) في ٨ مجلدات طبع بليدن سنة ١٨٧٠م وهي عبارة عن الكتب الآتية:

١- (مسالك الممالك) لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخري من علماء أوائل القرن الرابع.

٢- (المسالك والممالك) لأبي القاسم أحمد بن حوقل ألفه سنة (٣٣١هـ).

٣- (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) لأبي عبد الله المقدسي البشاري ألفه سنة (٣٧٥هـ).

٤- (الفهارس).

٥- (مختصر كتاب البلدان) لأبي بكر أحمد الهمداني المعروف بابن الفقيه.

٦- (المسالك والممالك) لأبي القاسم عبد الله المعروف بابن خردادبه الخراساني.

٧- (الأعلاق النفيسة) لأبي علي أحمد ابن رسته.

٨- (التنبيه والإشراف) للمسعودي.

١٥- (العصور القديمة) تأليف الدكتور جايمس برستد، ترجمة داود قربان، بيروت سنة ١٩٣٠.

١٦- (نزهة القلوب في المسالك والممالك) فارسي: لحمد الله المستوفي القزويني طبع ليدن سنة ١٩١٥.

- ١٧- (تاريخ كزیده) للمستوفي القزويني (٧٣٠) طبع لندن سنة ١٩١٠ (فارسي).
 - ١٨- (تاريخ إيران قديم) لحسن بيرنيا (فارسي) طهران سنة ١٣٠٨ ف.
 - ١٩- (شرفنامه) فارسي (تاريخ الدول والإمارات الكردية).
 - ٢٠- (تاريخ جودت) (تركي) لأحمد جودت باشا.
 - ٢١- (مختصر مطالع السعود في أخبار الوالي داود) طبع بومباي ١٣٤٠ هـ.
 - ٢٢- (كوردلر) تلخيص وترجمة (شرفنامه) تركي.
 - ٢٣- (لغات تاريخية وجغرافية) لأحمد رفعت (تركي).
 - ٢٤- ممالك عثمانية تاريخ وجغرافيا لغاتي - علي جواد.
 - ٢٥- (فارسنامه) لابن البلخي سنة (٥٠٠ هـ) تقريباً طبع كمبريج سنة ١٩٢١ م.
- وغير ذلك من المذكرات والرسائل والمجلات الكردية.

﴿ الشعب الكردي ﴾

[illegible]

obeikandi.com

فهرس

٣	كلمة المترجم
٨	مقدمة المؤلف للترجمة العربية
٩	مقدمة: كيف ألفت كتابي هذا؟
١٥	الفصل الأول: كردستان - موقعه - تعداد الكرد
٤٩	الفصل الثاني: منشأ الكرد وأصلهم
٨٩	الفصل الثالث: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان
١٤١	الفصل الرابع
١٦٣	الفصل الخامس
٢٠٣	الفصل السادس: الكرد لغاية اليوم
٢٦٣	معاونة الكرد للترك في حركاتهم الوطنية
٢٦٤	الحركات الكردستانية الأخيرة
٢٦٧	الفصل السابع
٣٤٣	الفصل الثامن: العشائر الكردية في العهود الإسلامية
٣٥٩	لاحقة
٤٠٢	حسنالو
٤٠٤	حكارى
٤٠٦	مكرى
٤٢١	عشائر اللور الكوجوك وتوابعها
٤٢٦	الكرد في روسيا
٤٢٧	الكرد في بلوچستان والهند
٤٢٨	الكرد في أفغانستان

٤٢٩.....	ترجمة
٤٣٤.....	المصادر الشرقية والغربية التي استقى المؤلف منها معلوماته
٤٤٧.....	فهرس